AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01044 9472

DATE DUE

01-B3266

Ent Jun 11th

~~101~~

THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN CAIRO
LIBRARY

Scomp
PJ
7755
T8
L337
1888
v.1

al-Ṣafadī, Khalīl ibn Aybak

Ḥādhā Kitāb al-Ghayth al-musajam

١/ صلاح الدين الصفدى

١/ الغيث المسجم في شرح لامية العجم

٣/ الجزء الاول

هذه طبعة المطبعة البهية الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥هـ

٨١١ ٤٠٩

(فهرست الجزء الاوّل من شرح العلامة خليل بن أيبك الصفدى على لامية العجم)

صحيفة

٢ خطبة الكتاب
٦ ذكر الناظم وتاريخ مولده ووفاته وبعض ما اتفق له
٨ الكلام على الكيمياء
١٣ الكلام على بعض ما يتعلق بقوافى الشعر
١٦ حكاية سواد بن قارب مع رؤيته من الجن
١٩ ايراد أشياء من نظم المصنف
٢٩ الكلام فيما يتعلق بالمتن من العروض والقافية
٣٦ الكلام على قوله اصالة الرأى البيت وفيه الكلام على الرأى
٣٨ الكلام فيما يتعلق بتطهير الاناء اذا ولغ فيه الكلب
٣٩ الكلام على واو العطف وفيه فوائد منها التكلم على قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى
٤٣ ايراد المشهورين بالرأى والدهاء
٤٤ رجوع الملك العادل عن محاربته بواسطة القاضى الفاضل وبلاغته
٤٦ الكلام فى سبب دخول كتب اليونان الى البلاد الاسلامية
٤٦ الكلام على الترجمة
٤٧ مناظرة أبى الحسن الاشعرى لابى على الجبائى وما يشاكل ذلك
٤٩ الكلام فيما يتعلق بالقضاة والاذكياء
٥١ الكلام على قوله مجدى أخيرا ومجدى أوّلا شرع البيت وفيه ايراد مسئلة من باب التنازع
٥٢ ايراد جملة من معانى الكاف
٥٣ سبب تغير الملك الناصر على الوزير القمى
٥٣ الكلام فى دابة تسمى السرفة
٥٤ الكلام على الياقوت وعلى كيفية تكوّنه
٥٦ الكلام على السمند
٥٧ الكلام فى الافتخار وضده من النظم وغيره
٦٣ الكلام على قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت وفيه الكلام على بغداد وانشائها وما فيها من الاماكن
٦٤ الكلام فى حذف ألف ما الاستفهامية عند دخول حرف جر عليها
٦٥ الكلام فى بعض معانى الباء وفيه الكلام على قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الآية
٦٨ الكلام فى الانتقال من بلد الى بلد لاسباب وفيه ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وما قيل فى ذلك

صحيفة

٧٠ ايراد جملة من التضمين لجير الدين محمد بن تميم وغيره
٧٦ الكلام على قوله ناء عن الاهل البيت وفيه الكلام على الجمع واسم الجمع واسم الجنس
٧٧ نبذ فى أعضاء الانسان التى أوّل كل منها حرف الكاف
٧٧ مقاطيع فى تشبيه بعض الاعضاء ببعض الحروف
٧٨ الكلام على البرهان اللمى والبرهان الانى
٧٨ الكلام فى وقوع اسم الفاعل مبتدأ واعتماده على نفى أو نحوه
٧٩ الكلام فى تعدد الخبر
٨١ نبذة فى التثنية وفيه ذكر حذف الفاعل لامور
٨١ الكلام فى مدح السيف وان عرى عما يحسنه
٨٣ الكلام فى ان كل مجتهد مصيب فى الفروع لا فى الاصول
٨٤ الكلام على قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة
٨٥ تعليل رؤية الاحول الشئ شيئين وما يتعلق بذلك من المقاطيع وغيرها
٨٦ الكلام على كذب الحس وغلطه فى بعض الصور وبعض نوادر تتعلق بذلك
٨٨ مقاطيع تتعلق باللباس وبالاغنياء والفقراء
٩٠ الكلام على قوله فلا صديق اليه مشتكى حزن البيت
٩١ الكلام على لا النافية وشروط عملها عمل ان
٩٣ الكلام على عدم الاستغناء عن الصاحب وشبهه وما يتعلق بذلك من المقاطيع
٩٧ جملة من المقاطيع فى الكتمان وعدم الشكوى
٩٧ الكلام فى ما يتعلق بالانتقال من بلد لاخرى
٩٨ الكلام على قوله طال اغترابى البيت
٩٨ الكلام على حتى ووقوعها فى الكلام
١٠٠ الكلام فيما يتعلق بالغربة عن الاوطان من النظم وغيره
١٠٥ الكلام فيما يتعلق بالصوفية
١٠٧ ايراد سؤال من الفقه فى قبل وبعد وفيه رسم شجرة لطيفة تتعلق بذلك
١٠٩ ايراد مسئلة عجيبة فى بيت يتفرع الى ألوف من الصور فى تقديم ألفاظه وتأخيرها
١٠٩ الكلام على قوله وضج من لغب البيت وفيه الكلام على قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب
١١٠ الكلام على المفعول من أجله
١١١ الكلام على الموصول وصلته وبعض نوادر للنحاة
١١١ ما جاء من الانتقاد على بيت الناظم وغيره وبعض نوادر تتعلق بذلك
١١٧ ذكر من رزقوا السعادة فى أشياء فاقوا فيها غيرهم
١٠٨ الكلام فى الفأل والحية نظما ونثرا وبعض نوادر تتعلق بذلك

صحيفة

١٢١ الكلام فى حسن الخلاص
١٢٤ الكلام فى رد الاعجاز على الصدور من النظم وغيره
١٢٤ ايراد بعض نوادر لمن غلب عليه فنه
١٢٥ الكلام على قطر الدائرة والخط المستقيم والزاوية وشكل ذلك
١٢٦ رجوع الى من غلب عليه فنه وذكر حكايات تتعلق بذلك
١٢٩ الكلام على قوله أريد بسطة كف البيت والكلام على أحرف المضارعة وعلى تعليل اعراب الفعل المضارع
١٣١ مناظرة الجاحظ ليوحنا بن ماسويه فى الجمع بين السمك واللبن
١٣٢ الكلام على معانى اللام
١٣٣ الكلام على قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم الآية
١٣٤ الكلام فيما يتعلق بالفقر والغنى
١٣٥ ايراد ما وقع للامير بدر الدين بيلبك الخازندار وبائعه وأمثال ذلك
١٣٧ الكلام فى حب المال وطلب انفاقه والمواساة به وايراد جملة مقاطيع فى ذلك
١٤٠ الكلام على قوله والدهر يعكس آمالى البيت
١٤١ ايراد لعبد القاهر الجرجانى فى اعراب خلق الله العالم وجوابه
١٤٢ الكلام فيما يتعلق بالامانى والامل من النظم وغيره
١٤٥ الكلام فى كيفية حركة الافلاك وفيما يراه الانسان فى المنام من طيف الخيال وغيره وما يتعلق بذلك من الابيات
١٤٩ الكلام على رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وفيما يأمر به منامًا
١٥١ الكلام على كيفية القوة المخيلة فى النوم وحديث الرؤيا الصالحة
١٥٢ الكلام فيما يتعلق بالخيال من النظم وغيره
١٥٢ الكلام فى الحجر حال صعوده فى الهواء وهبوطه
١٥٣ مسئلة فرضية فيها اثبات الجوهر الفرد ونبذة تتعلق بجبن أبى دلامة
١٥٤ الكلام على قوله وذى شطاط البيت وفيه الكلام على رب ومدخولها
١٥٧ الكلام فى الالتفات وأقسامه
١٥٨ نبذة فى حسن الايجاز فى قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك الآية
١٦٠ نبذة فى القول بالموجب وايراد شئ من محاسنه نظمًا وغيره
١٦٤ الكلام على قوله حلو الفكاهة البيت وفيه الكلام فى الطعوم التسعة
١٦٥ الكلام فى الاضافة اللفظية والمعنوية
١٦٦ الكلام فى مباسطة النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وممازحته معهم
١٦٨ نبذة تتعلق بمدح النبى صلى الله عليه وسلم
١٦٨ نبذة تتعلق بمدح سيدنا على رضى الله عنه
١٦٩ الكلام فى المركب المعتدل ويليه مقاطيع فى الاوصاف المحمودة

صحيفة
١٧٠ ايراد جملة مقاطيع فى الشبابة
١٧٢ ايراد جملة من حسن المقابلة
١٧٤ نادرة السراج الوراق وأبى الحسين الجزار فى الاجازة
١٧٥ مقاطيع تتعلق بالحصر والردف
١٧٦ الكلام على قوله طردت سرح الكرى البيت
١٧٧ ذكر بعض المواطن التى يجب فيها تقديم المبتدا
١٧٨ الانتقاد على المصنف فى منعه رفيقه عن النوم وفيه الكلام على حسن الاستعارة وما ورد فى ذلك من النكات الأدبية والمقاطيع الشعرية
١٨٥ الكلام على قوله والركب ميل البيت وفيه الكلام فيما لا ينصرف
١٨٧ نبذة من المقاطيع فى المطايا وحالها وحال راكبها
١٨٨ نبذة فيما يتعلق بالجمع مع التقسيم
١٩٠ الكلام فيما وقع للافشين عند خروجه على المعتصم وفيه ايراد نادرة عن بعض الفسقة وأخرى تدل على شرف همة المعتصم
١٩٢ الكلام على قوله فقلت أدعوك للعلى البيت وفيه ذكر الخلاف بين الامام أبى حنيفة والشافعى فى القرء وايراد حجج كل وغير ذلك
١٩٦ الكلام على ما يتعلق بفاء التعقيب وذكر ما يناسب ذلك من النظم وغيره وفيه نبذة فيما يتعلق بالحمل ووضعه
١٩٨ الكلام فى الضمائر وفى قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم الآية
٢٠٠ ايراد شئ مما يتعلق بحسن الظن وتحقيق الأمل وذكر الخطأ فيما يؤمل من الاخوان ومن النظم وغيره
٢٠٣ نادرة لابن الشيرجى من التلعفرى وما يتعلق بالصفع من النظم وغيره
٢٠٥ الكلام على قوله تنام عنى البيت
٢٠٨ ايراد جملة مقاطيع فى السهد وفيه نادرة أبى أيوب وزير المنصور
٢١٠ الكلام فيما يتعلق بالسماء والنجوم وغير ذلك
٢١٢ الكلام على قوله فهل تعين على غى هممت به البيت وفيه الكلام على همزة الاستفهام وعلى هل
٢١٢ الكلام فى معانى على
٢١٣ الكلام فى اعانة الصاحب
٢١٤ ايراد مقاطيع فى تهوين الخطوب فى الوصال وايراد بعض مغالطات من علم المنطق
٢١٥ الكلام على قوله انى أريد طروق الحى البيت
٢١٦ الكلام فى ان وأخواتها ومواضع كسرها وفتحها
٢١٨ ايراد بعض ما يتعلق بالصرف من المقاطيع وغيرها

صحيفة

٢١٩ الكلام فى قدوم الرجل من السفر وفى منعه من طروق أهله ليلا وفى استهال الاخطار عند زيارة الاحباب
٢٢٠ الكلام على قوله يحمون بالبيض والسمر البيت وفيه الكلام على واو العطف وآية الوضوء
٢٢٤ ايراد جملة من المقاطيع فى الرماح المنصوبة حول منازل الاحبة
٢٢٦ ايراد جملة من محاسن التدبيج
٢٢٦ الكلام على قوله فسمر بناء فى ظلام الليل البيت
٢٢٦ الكلام فى انقسام الامر الى قسمين لغوى وصناعى وفى معانى الى
٢٢٨ نادرة النميرى مع الحجاج ونادرة المطرزى مع الشريف المرتضى
٢٢٩ جملة مقاطيع فى الاستدلال بالطيف على منازل الاحباب
٢٣١ الكلام على قوله فالحب حيث العدى والاسد رابضة البيت
٢٣٢ الكلام فى مسوغات الابتداء بالنكرة
٢٣٣ الكلام فى احتجاب الحبيب وصيانته
٢٣٣ جملة من النظم وغيره تتعلق بعدم الغيرة والقيادة وما أشبه ذلك من المجون
٢٣٥ نبذة فيما يتعلق بالرقيب
٢٤٠ الكلام على قوله نؤوم ناشئة بالجزع البيت وفيه الكلام على قد
٢٤٠ الكلام فيما يتعلق بقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال الآية وفى آية الرؤية والرد على المعتزلة
٢٤٣ نبذة فيما يتعلق بالكحل وغيره من المقاطيع وغيرها
٢٤٦ الكلام على قوله قد زاد طيب أحاديث الكرام بها البيت
٢٤٧ الكلام على ما وانها تأتى لمعان شتى وذكر أمثلة لذلك
٢٤٩ الكلام فى مدح الجبن والبخل فى النساء وما فى ذلك من النظم وغيره
٢٥٠ الكلام على قوله تبيت نار الهوى البيت وعلى أقسام النار وما فى ذلك من النظم وغيره
٢٥٨ الكلام على قوله يقتلن انضاً حب البيت وفيه الكلام على الحب واقسامه والعشق والاعداد المتحابة
٢٦٢ الكلام على اداة التعريف وما يتعلق بها
٢٦٣ الكلام فى الضيف وما يتعلق بمراعاة حقه وغير ذلك
٢٦٦ الكلام على قوله يشفى لديغ الغوالى البيت
٢٦٦ الكلام فى بعض ألفاظ صارت بين الشعراء حقيقة عرفية وان كانت فى الاصل مجازا وبعض مقاطيع تتعلق بذلك
٢٦٩ الكلام فى النهى عن الخمر والميسر وتشبيه الريق بالخمر وغيره

(تمت فهرست الجزء الاوّل ويليه الجزء الثانى اوله الكلام على قول المصنف)

(فهرست الجزء الاوّل من كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون وهذا الشرح المذكور قد وضعها مشاءعلى شرح لامية العجم)

صحيفه	
٢	خطبة الكتاب
٥	ذكر منشئ هذه الرسالة
١٠	ذكر سبب انشاء هذه الرسالة
١٣	ذكر الرسالة وشرحها
٢١	أكثم بن صيفي
٢٧	ترجمة المتنبي
٤١	ترجمة يوسف عليه السلام
٤٢	ترجمة زليخا امرأة العزيز
٤٢	ترجمة قارون
٤٦	ترجمة النطف
٤٨	ترجمة كسرى أنوشروان
٥٥	ترجمة قيصر ملك الروم
٥٧	ترجمة الاسكندر
٥٨	ترجمة دارا ملك الفرس
٦٩	ترجمة اردشير
٧٢	ترجمة الضحاك
٧٦	ترجمة جذيمة الابرش
٨٠	ترجمة شيرين
٨٢	ترجمة بلقيس
٨٢	ترجمة الزباء
٨٥	ترجمة مالك بن نويرة
٩٠	ترجمة عروة بن جعفر الرحال
٩٢	ترجمة كليب بن ربيعة
٩٢	ترجمة جساس
٩٥	ترجمة مهلهل
١٠٢	ترجمة السموأل
١٠٨	ترجمة الاحنف بن قيس
١١٣	ترجمة حاتم الطائي
١١٩	ترجمة زيد ابن مهلهل
١٢٥	ترجمة سليك ابن السلكة
١٣٠	ترجمة ملاعب الاسنة
١٣٥	ترجمة قيس بن زهير
١٤٣	ترجمة اياس بن معاوية
١٤٨	ترجمة سحبان الوائلي
١٥٠	ترجمة عمرو بن الاهتم
١٥٤	مطلب الصلح بين بكر وتغلب
١٥٧	مطلب حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان
١٦٦	مطلب منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل الى هرم بن قطبة بن سنان الفزاري
١٧٥	ترجمة الحجاج الثقفي
١٩٤	ترجمة قتيبة بن مسلم الباهلي
٢٠٤	ترجمة المهلب بن أبي صفرة
٢٠٨	مطلب الكلام على الازارقة
٢١٧	ترجمة هرمس وبلينوس
٢٢١	ترجمة افلاطون
٢٢١	ترجمة ارسطاطاليس
٢٢٧	ترجمة بطليموس صاحب كتاب المجسطى
٢٣٠	ترجمة بقراط أو أبقراط
٢٣٣	ترجمة جالينوس
٢٣٨	ترجمة أبي معشر
٢٤١	جابر بن حيان
٢٤٣	ترجمة النظام
٢٤٨	ترجمة الكندى
٢٥٦	ترجمة عبد الحميد
٢٦١	ترجمة سهل بن هرون
٢٦٢	ترجمة الجاحظ

(تمت فهرست الجزء الاوّل ويليه الجزء الثاني وأوّله ترجمة الامام مالك)

THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN CAIRO
LIBRARY

الجزء الاول من كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم
للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
الصفدى الاريب الشاعر المنشى
الاديب تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

قال فى كشف الظنون (لامية العجم) لمؤيد الدين اسماعيل بن الحسين بن على فخر الكتاب العميد الطغرائى المتوفى سنة ٥١٤ نظمها ببغداد سنة ٥٠٥ فى وصف حاله وشكاية زمانه واعتنى بها الادباء (فشرحها) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ بشرح أوله الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب الخ وسماه الغيث المسجم فى شرح لامية العجم ذكر فيه شيئا كثيرا على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل وأحسن المجاميع (وعليه حاشية) لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى المتوفى سنة ٩٦٣ (واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى سنة ٨٣٩ ذكر فيه ان الصفدى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا أظهرها وأنه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة فهو غريب فى بابه عزيز عند طلابه (وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ (وبدر الدين) محمد بن أبى بكر بن عمر المالكى الدمامينى المتوفى سنة ٨٢٨ (وابن جماعة) النحوى وسماه ايضاح المبهم من لامية العجم (وعلى بن قاسم) الطبرى وسماه حل المبهم والمعجم فى شرح لامية العجم (وجمال الدين) محمد بن عمر بن مبارك الحضرمى وسماه نشر العلم فى شرح لامية العجم (وحسين الكفوى) جمعه من الشروح كشرح الصفدى (والقاضى) جلال الدين المدنى (وجلال الدين) خضر الحنفى الذى ألفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ (وخمسها) معاذ الدين أبو جعفر محمد بن على الربيعى البغدادى (وشهاب الدين) أحمد بن عبد الله الاندلسى وأجاد انتهى باختصار

(وبهامشه كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون) لعلامة زمانه ونادرة أوانه جمال الدين محمد بن نباتة المصرى جعل الله تعالى أنهار الجنة من تحته تجرى)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هجرية)

٨١٠,٩
طغرائى. لامية
ج ١

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب ورفع قدر من تأهل للعلم وتأهب وجمل من تدرع لباس الفضل وتدرب وكمل من ترقى الى غاية ما ترقب (أحمده) على نعمه التى جعلت العلوم بالادب روضا مثمرا وأعلت همة من برى له قلما قد اتخذ الانامل منبرا وأغلت قيمة جواهره فكانت ثمنا تباع به القلوب وتشترى وأوجدت من كرام أهله من ينحر البدر النضار لمن قرى (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تسجع بها حمائم الخطباء على غصون المنابر وتنجى الذين نصبوا لها جسور الاقلام على معابر المحابر وتنضد حليها على عرائس السطور فى منصات الدفاتر وتنبه بايقاظ نسيمها مقل الزهر الفواتر (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفصح ناطق صرف عنان لفظه وأبلغ صادق أرهف سنان وعظه وأشرف زاهد ثنى عن زهرة الدنيا عند الحياة سوام لحظه وأعرف ناقد بنى فى حضرة العلياء بعد الممات مقام حظه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بآدابه وسبقوا الى مدى لم يطمع أحد من بعدهم فى عادية سكابه ونصروا أقواله ولسان السيف لم يتلمظ فى فم قرابه وهزموا حزب الكفر بنصل كنانته ونص كتابه صلاة تطول لهم بها القصور وتحيط بهم بركاتها احاطة الهالات بالبدور ما خفقت أقلام الطروس على مواكب السطور وأودعت نفائس الكلام فى خزائن الصدور وسلم ومجد وكرم (وبعد) فان القصيدة الموسومة بلامية العجم رحم الله ناظم عقدها وراقم بردها مما تعاطى الناس مدام أكوابه

وتجاذبوا

الحمد لله الذى لا يجب الحمد الا له وصلى الله على سيدنا محمد المخصوص بأشرف رسالة وعلى آله وصحبه فما أفضل وأكرم صحبه وآله وأدام الله أيام مولانا السلطان المؤيد الملك الكامل العالم العادل عماد الدنيا والدين ادامة متصلة الجلالة مقتبلة الايالة ما جنت عسل النصر الشهى رماحه العسالة وأثمرت غصون أقلامه المنعمة بين ديم أنامله المطالة فمن فروض نعمه على وقروض مننه لدى ان أدعو لايامه المكرمة كما صليت على نبى المرحمة وأذكر من أصلح لنا أمور الدنيا القائمة كما ذكرت من أصلح لنا أمور الدين القيمة طلبا لاجابة الدعاء واثابة الرجاء وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأمتعنا ببقاء من سبقت مواهبه الغيث فصلى وأعجزته فسلم

48955

وتجاذبوا هداب أهدابه وتداولوا ضرب مثله الذى علا عن أضرابه واقتطفوا ثمر معانيه متشابها وغير متشابه

اهانت الدر حتى ماله ثمن * وأرخصت قيمة الامثال والخطبا

أما فصاحة لفظها فيسبق السمع الى حفظها وأما انسجامها فيطوف منه بخمر الانس حامها وأما معانيها فنزهة معانيها وأما قوافيها فتذهب القوى فيها وأما شكواها فتمرض الاكباد فى الاجسام وأما اغراؤها فيوجب الوثوب على الآساد فى الآجام وأما غزلها فاتذكر معه نغمات الأوتار وأما مثلها فاهى الا كالمصابيح فى المساجد ذات الانوار كأن ناظمها غاص فى البحر فأتى بالدر منضودة أو ارتقى الى السماء فجاء بالدرارى من الافق مصفودة

فما لها فى الورى مثل يناظرها * وكم لها سار بين الناس من مثل
أقمارها فى تمام النظم قد طلعت * تسير فى أوج معناها ولم تفل
وزهرها لم تزل تندى غضارته * لان منبته فى روضها الخضل
يرتاح سامعها حتى يهزلها * من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعرف غيرها سمعا ولا بصرا * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقد أحببت ان أضع عليها شرحا يزيد جيدها فرائدا وقصيدتها فوائدا مما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت ولا أغادر فيها لغة ولا اعرابا ولا ايضاح معنى ولا اغرابا ولا ما يضمه اليها سلك أو يدخل معها جرابا الا انبهت عليه وأشرت بحسب الامكان اليه هذا الى ما يستطرد اليه الكلام من نكتة وتعترض جملة ذكره بغتة ويبدديه الضمير على لسان القلم وكم للسان فلتة وينبته التعمد اذا علمت أن تجيد الاطلاع اليه لفتة ليكون هذا الشرح أنموذج الادب وعنوانا يدل على الفضيلة التى امتاز بها لسان العرب فقد أودعت فيه فوائد جمة وقواعد مهمة وشواهد هى لجامحات المعانى أزمة ودلائل تبرهن كل علم فلا يكن أمركم عليكم غمة فما شامت عيونه برق علم الا انجعت قطره الصيب وصبرت على ثمره الردى حتى رأيت الطيب ولا تطلعت أعناقه الى مرعى بحث الا أسمته سعدانه وأثقلت بالفوائد اذا انصرف من مأدبته أردانه ولا قرمت شهواته الى نكت بديع الا أنزلته بمن يمنحه العطا ويمنعه العطب وتتبعت لقراه ذوائب النيران التى وقودها المندل الرطب لا الحطب فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال مذمومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم (وقال) عبد الله بن قتيبة من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم فلهذا لا تجدنى فى هذا الشرح واقفا مع ضيق المقام ولا فارا من مشق القواضب ولا رشق السهام بل أشرف على كل مكان فأسقط وأتوخى الحب من الدرر الكبار فألقط فهما استطرد الكلام اليه وفيته حقه ومهما تعلق به ملكته رقه فمن غور الى نجد ومن ربوة الى وهد ومن ظهر أرض الى بطن مهد ومن اقتناص بصقر الى اصطياد بفهد ومن سنام واخدة شملال الى صهوة كميت نهد

طورا يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

فقد يتسلسل الاستطراد والقلم معه ويتشعب الكلام فلا أدعه يجدد عة فاترك كثيرا مما

(وبعد) فانى أمرت بشرح رسالة الوزير أبى الوليد بن زيدون الآتى ذكرها وايضاح براهينها الغامض على كثير من سراة الأدب سرها فقلت ما أنا وصعود هذا الصرح وولوج هذا السرح ومعارضة ذلك البزولست من ذلك الطرح وهل أنا الا صاحب أبيات تقيم جدرها القريحة المطبوعة وكلمات تأتى على العفو فقرها المسجوعة فتى أخرجت عن ظل أبياتى ظلمت ومتى أبعدت عن رياض سجعى ألمت هذا مع تشعب فنون هذه الرسالة واحجام الفضلاء عن الخوض فى غدرها السيالة فقيل لى انا نقتصر من شرحك على الاختصار ونهب تقصيرك لما قدمت بين يدى نجواك من الاعتذار ونرضى من بيانك بأدنى الحصص ومن قسمة الايضاح ببعض الحصص ونقنع من التاريخ الغاص ببعض الغرص واذا كنت من الشعر اعفا أنت بمبعد من القصص فقابلت بالطاعة أمرا قد وجب وقلت ان فاتنى سلوك الآداب المنظومة فان الامتثال خير من سلوك الادب وكنت أعرف ببعض خزائن دمشق

الوقفية أسفارا فيها للطالب منجع وللافهام النائية ذكرى تنفع فلم يتهيأ أن أعارمنها كتابا ولا أراجع من ألسنة حروفها خطابا فقلت هذا عذر آخر لم يكن فى الحساب وهذا قصد تعلقت دونه الكتب فانها ذات أبواب وما بقى الا الرجوع الى صيابة الحاصل التى أبقتها نوب الدهر واستنباط الثمد اذا أعجز ورود البحر ثم أمليت شرح هذه الرسالة عن فكر خامل مسه القرح وشرحت الأأننى مقصر وما أطيل الشرح بيد أنى لم أعتمد الا على نقل خبر صحيح ونسب على قول صريح ولم أخل ترجمة كل مذكور من فائدة سارة ونادرة دارة وأقوال سديدة وأبيات مشيدة وفقرما أخطأتها فطنة سعيدة ولم آل فى اختيارها جهدا ولا ازددت مع صروف الزمان الا نقدا هذا مع تجنب الاكثار وترك الاجلاب بنظائر الاشعار والتخفيف مما لعل المباحث تقتضيه من العثار والله تعالى الموفق لصواب الارادة ومعين الخدم على القيام بطاعة السادة وجابر وهنهم بما يتلقونه من امتثال أوامرهم السادة بمنه وكرمه

طلب وأتطلب ما يحق له الفرار والهرب وأتذكر بالضد غيره عند الرجوع والمنقلب وأعطف على نظائره فأفوز بالغلب فكنت كما قيل

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

ولا أقول

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى ذلك الرجل

بل أقول

أحب الذى هام الحبيب بحبه * ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

ولا بدع فالمعانى بعضها ببعض مشتبك والمباحث لا يزال نافرها فى شرك الذهن يرتبك وما أليق هذا المقام بقول ابن عميرة لما جعل البرق سميره

تعرض مجتازا وكان مذكرا * بعهد اللوى والشئ بالشئ يذكر

ومن وقف على كتاب الحيوان للجاحظ وغالب تصانيفه ورأى تلك الاستطرادات التى يستطردها والانتقالات التى ينتقل اليها والجمل التى يعترض بها فى غضون كلامه ويدرجها فى اثناء عباراته بادنى ملابسة وأيسر مشابهة علم ما يلزم الاديب وما يتعين عليه من مشاركة المعارف

هكذا هكذا والا فلا لا * طرق الجد غير طرق المزاح

ولم أقصد بما أوردته غير صلة العائد من الفائدة وبعث النفوس التى هى فى قبور الفتور هامدة سامدة فان المطالعة تستروح اليها النفوس وتجد فى مراجعتها ما تجده فى معاطاة الكؤس فالكتاب خير جليس ونعم أنيس لا يمل من محادثته الانيس واسمح كريم لا يبخل الا على الغبى بما عنده من الدر النفيس

لم يبق شئ من الدنيا يسر به * الا الدفاتر فيها الشعر والسمر

(قال) شيخ قرأت عليه ما أثر غطفان من كتاب ذهبت المكارم الا من الكتب والخروج من فن الى فن أقدر على البحث وأسلط والانتقال من نوع الى نوع انشط للمطالعة وأبسط والمشاركة أقوى على الظفر بالصواب وأقوم وأقسط

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

ولان فيما أوردته ما يتسلط به الواقف على الانتقاء والانتقاد ويتوصل به الى حسن الارتياء والارتياد (قال) الجاحظ طلبت علم الشعر عند الاصمعى فوجدته لا يعرف الا غريبه فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه فعطفت على أبى عبيدة فرأيته لا ينقل الا فيما اتصل بالاخبار وتعلق بالانساب والايام فلم أظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن ابن وهب ومحمد بن عبد الملك (وقال) محمد بن يوسف الجمادى حضرت مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد حضره البحترى فقال يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم أبو نواس فقال بل أبو نواس لانه يتصرف فى كل فن ويتنوع فى كل مذهب ان شاء جد وان شاء هزل ومسلم يلزم طريقا واحدا لا يتعداه ويتحقق بمذهب لا يتخطاه فقال له عبيد الله ان أحمد بن يحيى المعروف بثعلب لا يوافقك على هذا فقال أيها الامير ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله وانما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه فقال ورت بك زنادى يا أبا عبادة وان حكمك

في عميك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق فانه سئل عنهما ففضل جريرا فقيل له ان أبا عبيدة لا يوافقك على هذا فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة وانما يعرفه من دفع الى مضايق الشعر على انني لم أدع الجفلى الى هذه المأدبة ولا رضيت طفيلي الكلام أن يتصدر في هذه المرتبة فكم توقف القلم في الاذن على ما حصل فيه أدنى لبس وكم ضاق بواحد من غسان ولم يسع جميع بني عبس وكم دفع عن صدر كثير من المحاسن وأعرض عن منهل كان ماؤه العذب غير آسن

وهل يباعد عذب الماء ذو غصص * أو ينثني عن لذيذ الزاد منهوم

(نعم) خشيت الاطالة واجتنبت العثرة خوفا من عدم الاقالة وفررت من الزيادة حتى لا يكون ضغثا على ابالة وقلت مع ضوء الشمس لا يظهر فضل الذبالة ومع الظفر بالصيد لا فكرة في الحبالة ومع الحصول على متاع البيت لا يلتفت الى الزبالة فاضربت عن التجمل بالاثيل الاثير وعلمت أن من الناس من يقرأ النافع ولا يقرأ الابن كثير فاقتصرت على الزبد واختصرت وملت في المباحث الى قول المتأخرين وانتصرت (اللهم) الا فيما ندر وخان هذا الشرط وغدر (قال) بعضهم الاديب من يكتب احسن ما يسمع ويحفظ أحسن ما يكتب ويورد أحسن ما يحفظ (ومثل) هذا قول عبد الرحمن بن مهدي اذا التقى الرجل الرجل فوقه في العلم كان يوم غنيمته واذا التقى من هو مثله كان يوم دراسته واذا التقى من هو دونه تواضع له وعلمه ولا يكون اماما في العلم من حدث بكل ما سمع ولا يكون اماما من حدث عن كل أحد ولا يكون اماما من حدث بالشاذ فلهذا عرضت نخب فكري وانتقيت وعلوت عن التعرض للرذل وارتقيت ولم انتق له الا ما كان أدبه غضا ولم اختر منه الا ما كان نفعه نضا مما راق جنى ولاق سنا ووجد المعنى فيه بريئا من العنا وحمته من الاوراق بيض الطبا ومن الاقلام سمر القنا لئلا يكون هذا القول الشارح محمودا المقدم مذموم التالي وحتى لا ينظر السائل حسنه بعين السالي فتصبح أياليه بعد القائل عند القالي وقد علقت هذا الشرح وأنا في هموم قد علم الله ترادف بعوثها وانسكاب غمائم غمومها وغيوثها وافتراس فوارسها واذ لمني الجناس عن ذكر ليوثها قد لمجت في نهج الكناية بكيت أو التصغير بالثريا عن الكميت وامتنعت الراحة مني امتناع الفاء من الدخول على خبر لعل وليت

والافاعي والم أشهد الوغى * أبيت كأني مثخن بجراح

أتجرع كؤوسا علق بها العلقم واساور على الارق منها ما هو انفث سما من الارقم واتلقى بصدري كل صدع قد يئس من الجبر والتزم بحملها التزام واصل بن عطاء بالقدر أو جهم بن صفوان بالجبر وأعالج منها كل جراحة بعد غورها عن السبر واتطلب رضا الايام وهي على أشد حقد من سلامة بنت سعد على عاصم حتى الدبر والقى جيوش الخطوب وأنا عار نعم ذكرت بالسجع أن لي درعا من الصبر وأعد في الاحياء وأنا من الاموات ولكن ما ضمتني جوانح القبر

فالارض تعلم انني متصرف * من فوقها وكأنني من تحتها

فكيف يتألق مع هذا الحال برق فكر وكيف يترقرق ودق ذكر وكيف تعلق يد الذهن بذيل مسئلة وكيف يتعقل بحثا وقد غمه غمه وله وكيف يعرف الكلمة الاولى من الثانية ولا أقول الاولة وكيف وكيف وكيف وأنى لمن يتردد بين جناس الحتف والخيف

(ذكر منشئ هذه الرسالة)

هو الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المخزومي الاندلسي الكاتب الشاعر المشهور ولد بقرطبة سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان من أبناء الفقهاء المتعينين واشتغل بالادب وفحص عن نكته ونقب عن دقائقه الى أن برع وبلغ من صناعتي النظم والنثر المبلغ الطائل وانقطع الى أبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف المتغلبين بالاندلس فخف عليه وتمكن من دولته واشتهر ذكره وقدره واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الاندلس فأعجب به القوم وتمنوا ميله اليهم لبراعته وحسن سيرته واتفق أن ابن جهور نقم عليه أمرا فحبسه واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة وقصائد بديعة فلم تجح فهرب واتصل بعباد بن محمد صاحب اشبيلية الملقب بالمعتضد فتلقاه بالقبول والاكرام وولاه وزارته وفوض اليه أمر مملكته وكان حسن التدبير تام الفضل متحببا الى الناس فصيح المنطق جدا (حكى) ابن بسام في كتاب الذخيرة

عن بعض وزراء اشبيلية قال
عهدى بابى الوليد بن
زيدون قائما على جنازة بعض
حرمه والناس يعزونه على
اختلاف طبقاتهم فما سمعته
يجيب أحدا بما أجاب به
غيره لسعة ميدانه وحضور
جنانه ولم يزل عند المعتضد
عباد وعند ابنه المعتمد على
الله قائم الجاه وافر الحرمة
الى أن توفى باشبيلية سنة
ثلاث وستين وأربعمائة
تغمده الله برحمته وقد ذكره
ابن حيان وابن بسام وغيرهما
من المؤرخين وأجروا نبذا
كثيرة من أخباره وفضائله
ووقفت على ديوان شعره
وكثير من ترسله ونظمه أمكن
عند النقاد وأجود من نثره
وكان يسمى بحترى المغرب
لحسن ديباجة لفظه ووضوح
معانيه فأما نثره فانه أكثر
فيه من استعمال أمثال العرب
وجل أشعار المتقدمين
والمتأخرين الى أن قيل ان
رسائله أشبه بالمنظوم من
المنثور وعلى ذلك فقد دل
بها على اطلاع منجب
واستحضار معجز وقد اكتفيت
منها بهذه الرسالة المشروحة
فمن شعره ما قاله من قصيدة
يخاطب بها ابن جهور أيام
سجنه

ما حال بعدك لحظى فى سنى القمر
إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر

والحيف

وما مثل هذا الامر تحمل مضغة * ولكن قلبى فى الردى مقلوب

ولكن قد يلفت الحظ الأعنة ويثور كمين اللطف الخفى لهذا الخمول وتشرع الأسنة وتضع الايام حملها فان الآمال فى بطونها أجنة وليس الاحسن الظن بالله فانه ثمن الجنة

ان خنم الله بغفرانه * فكل ما لاقيته سهل

اعترضت بهذا الفصل وقطعت به لذة ذلك الوصل ليعذر الواقف على الخطا ويتحقق السبب فى عدم نوم القطا لان هذه الاوراق ما فيها غير هذه القصيدة ثم ولوعا بن الطغرائى رحمه الله هذا الشرح لقال أرانى السها ما أريته القمر وما أولانى بقول العماد الكاتب

هى كتبى فليسر تصلح من بعدى لغير العطار والاسكاف
هى اما مزاود للعقاقير واما بطائن للخفاف

(وقول) مجير الدين محمد بن تميم الاسعردى

عرضت كتابى كى يباع بدرهم * على مشتر عند الوفاء شحيح
رأى خطه ذا علة فاعاده * ومن يشترى ذا علة بصحيح

ومن هنا أشرع فى ذكر الطغرائى رحمه الله وتاريخ مولده ووفاته وسبب قتله وما اتفق له فى ذلك ثم اتلوه بشئ من شعره المقاطيع التى له ثم أتكلم فيما بعد على عروض القصيدة وقافيتها وما يتعلق بذلك واذا انتهى الامر الى ذلك أجمع سردت القصيدة بيتا فبيتا ولا أذكر الثانى حتى أفرغ من الاول وأسوق فيه ماله به علاقة لا يستغنى الاديب عنها ومن الله أستمد الاعانة على الاتمام وأسأله التوفيق الى التحقيق لاهدى الابنوره ولا بيان لمتكلم ان لم يوره عليه توكلت واليه أنيب (ذكر مولد الطغرائى ووفاته رحمه الله) هو العميد مؤيد الدين فخر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن على بن محمد بن عبد الصمد الاصبهانى المنشى المعروف بالطغرائى بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء وهذه نسبة الى من يكتب الطغرا وهى الطرة التى تكتب فى أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الجلى تتضمن نعوت الملك وألقابه وهى لفظة أعجمية * قال قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان كان غزير الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر وذكره السمعانى فى كتاب الانساب واثنى عليه وأورد له قطعة من شعره فى وصف الشمعة وذكر أنه قتل فى سنة خمس عشرة وخمسمائة وللطغرائى المذكور ديوان شعر جيد ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم وكان عملها ببغداد سنة خمس وخمسمائة يصف فيها حاله ويشكو زمانه ولم يذكر القصيدة مستوفاة وأتبعها بمقاطيع من شعره ثم قال وذكره أبو المعالى الخطيرى فى كتاب زينة الدهر وذكر له مقاطيع وذكره أبو البركات فى المستوفى فى تاريخ اربل وقال انه ولى الوزارة بمدينة اربل مدة وذكر العماد الكاتب فى كتاب نصرة الفطرة وعصرة القطرة وهو تاريخ الدولة السلجوقية أن الطغرائى كان ينعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقى بالموصل وأنه لما جرى بينه وبين أخيه السلطان محمود المصاف بالقرب من همذان والرى وكانت النصرة لمحمود فأول من أخذ الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب على بن أحمد بن حرب السميرى فقال الشهاب أسعد وكان طغرائيا فى ذلك

الوقت نيابة عن النصر الكاتب هذا الرجل ملحد يعنى الاستاذ فقال وزير محمود من يكن ملحدا يقتل فقتل ظلما وقد كانوا خافوا منه لفضله فاعتمدوا قتله بهذه الحجة وكانت الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقيل سنة أربع عشرة وقيل ثمانى عشرة وقد جاوز ستين سنة وفى شعره ما يدل على أنه بلغ سبعا وخمسين سنة لانه قال وقد جاءه ولد

هذا الصغير الذى وافى على كبر * أقر عينى ولكن زاد فى فكرى
سبع وخمسون لو مرت على حجر * لبان تأثيرها فى ذلك الحجر

والله أعلم بما عاش بعد ذلك وقتل السميرى المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة فى السوق ببغداد عند المدرسة النظامية قيل قتله عبد أسود كان للطغرائى لانه قتل استاذه انتهى (وقال) عز الدين بن الاثير فى الكامل فى ترجمة سنة أربع عشرة وخمسمائة واتصل الاستاذ أبو اسماعيل الحسين بن على الاصبهانى الطغرائى بالملك مسعود وكان ولده أبو المؤيد محمد بن اسماعيل يكتب للطغرا مع الملك مسعود فلما وصل والده استوزره الملك مسعود بعد أن عزل أبا على بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بباب خوما فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهورما هم عليه فبلغ السلطان محمودا الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته ووافقته فلم يصغوا الى قوله وأظهروا ما كانوا عليه ثم قال ابن الاثير بعد أسطر قلائل فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم وأسر الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأمر السلطان محمود بقتله وقال قد ثبت عندى فساد دينه واعتقاده وكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صناعة الكيميا وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالا لا تحصى انتهى (وذكره) العماد الكاتب فى الخريدة فقال الطغرائى خدم السلطان العادل ملك شاه ابن ألب أرسلان وكان منشى السلطان محمد مدة مملكته متولى ديوان الطغرا ومالك قلم الانشاء تشرفت به الدولة السلجوقية وتشوقت اليه المملكة الايوبية وتنقل فى مراقى المناصب وتوقل فى مراقب المراتب وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة واستبد بالحكم وتوشح بالكفاية ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه فى الترسل والانشاء سوى امين الملك بى أنصر حفص من أهل أصبهان المنشى فى عهد نظام الملك والفضل له لتقدمه ولكن برز هذا فى فنون العلم وحسن الاستعارة فى النثر والنظم وراض فى العلوم العربية المصعب فاصحب وسلك المذهب المذهب وأبدع المعنى المهذب وله معجز البلاغة المعجب وصاحب البيان المغرب فأما شعره فعبر الشعرى العبور عاوعبارة وسموا استعارة وسموق راية وشروق آية وتناسق مقصد وغاية وتناسب بداية ونهاية وأما نثره فنثر الدارى والدرر ومنثور الزهر وأما خلائقه فمطوية على الكرم موقورة بحسن الشيم متأرجة بعرف العرف متموجة بماء اللطف متبلجة بنور الظرف متوهجة بنار الحسن مبتهجة بنور اليمن حدثنى الامام محمد بن الهيثم باصفهان عنه وهو الذى سمعت شعره منه انه كشف بذكائه سر الكيمياء المرموز واستخرج من معماه المكنوز لم يزل فى مدة حياته مصدرا فى الدسوت موقرا بالنعوت حليفا بل جليسا أنيسا للسلاطين

ولا استطلت زمام الليل من أسف
الا على ليلة مرت مع القصر
يا ليت ذاك السوا دالجون متصل
بما استعار سوا دالقلب والبصر
جمعت معنى الهوى فى لحظ طرفك لى
ان الحوار المفهوم من الحور
لا يهنأ الشامت المرتاح ناظره
أنى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بتخم الارض عاصفة
أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب
قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر
عن كشف ضيرى فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة
ولم أبت من تجنيه على حذر

(وقال من أبيات فى بنى جهور)

بنى جهور أحرقتم بجفائكم
جنانى فما بال المدائح تعبق
تعدونتى كالعنبر الورد انما
تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

(وقال فيهم أيضا من أبيات)

ان الجهاورة الملوك تبوؤا
شرفا جرى معه السماك جنيبا
فاذا دعوت وليدهم لعظيمة
لباك رقراق السماح أريبا
هم تعاقبها النجوم وقد تلا
فى سودد منها العقيب عقيبا
ومحاسن تغدى دقائق ذكرها

والملوك محبرا ينظمه ونثره الموشى المحبوك فلما انتهت الايام الغياثية المحمدية واستوفت مدتها استأنفت الدولة المغيثية المحمودية جدتها واستقر الشهاب أسعد فى مكانه وانتصب فى منصب ديوانه وكان السلطان مسعود بن محمد حينئذ ملكا صغيرا فاستوزر أبا اسماعيل وروض به روض ملكه المحيل وأصبح بالمؤيد مؤيدا وبسداده مسددا حتى اتفقت بينه وبين أخيه السلطان محمود الحرب التى أودعت أهل الفضل الحرب وقلت العلم والادب ولما مس عود مسعود العجم انكسر وأجم مقدم جيوشه جوشك وألقى قناع الهزيمة فانحسر وأدرك الاستاذ رحمه الله فأسر وطغى رأى الطغرائى فى حقه فسعى فى حتفه خوفا على منصبه فأجال فى نصبه وأعطى الرضا بغضبه وقتله وقت أسره بل قدم سرا وقتل صبرا قبل ان ينبه بأمره وينوه بقدره وأزر الطغرائى الوزير وعاونه التقدير فحز بالشهادة وختم له بالسعادة وذلك فى سنة خمس عشرة وخمسمائة (فهذا) من جملة من قتله فضله ورماه بنبل الدهر نبله وألحفه رداء الردى علمه وسامه الادب فهام به فى حيرة التيه فهمه وحسده الدهر فاغتاله وقلص بعد السموغ ظلاله بل غار الزمان على مثله من بين الجهال فاسترده وأخلق من الابتهاج بفضله ما استجده انتهى اقتصرت هنا على ماذكره العماد الكاتب (قلت) فعلى ماذكره ابن خلكان عن مستوفى أربل وابن الاثير أيضا يكون مولد الطغرائى فى عشر الستين بعد الاربعمائة تقريبا والخلاف فى وفاته مبنى على الخلاف فى الواقعة التى كانت بين الملك مسعود وأخيه السلطان محمود كما مر فى كلام مستوفى أربل وأخبرنى العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى بالقاهرة المحروسة ان الطغرائى لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به ان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل به ذلك وأوقف انسانا خلف الشجرة من غير ان يشعر به الطغرائى وأمره ان يسمع ما يقول وقال لارباب السهام لاترموه الا اذا أشرت اليكم فوقفوا والسهام فى أيديهم مفوقة لرميه فانشد الطغرائى فى تلك الحالة

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوى وأطراف المنية شرع
والموت فى لحظات أحور طرفه * دونى وقلبى دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادى هل يرى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لو لم يكن فى طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فرق له وأمر باطلاقه فى ذلك الوقت ثم ان الوزير عمل على قتله فيما بعد وقتل (قلت) ماهذا الاثبات جنان بل ثبوت جنون لقد أربى هذا فى الثبات والشجاعة وعدم الالتفات الى الحياة ونفادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى لمحبوبه فى السراء والضراء على عنترة العبسى وغيره ممن تبعه من الشعراء فى قوله ولقد ذكرتك والاسنة فى هذا المعنى مشهورة ولولا خوف الاطالة ههنا لذكرتها ولعلها ترد فيما بعد فى اثناء هذه الاوراق (وأما حله رموز الكيميا) فان له فيها تصانيف وهى معتبرة عند أربابها منها كتاب مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة ومنها جامع الاسرار وكتاب تراكيب الانوار ورسالة وسمها بذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات بين فيه اثبات صناعة الكيميا والرد على ابن سينا فى ابطالها بمقدمات من كتاب الشفاء وله مقاطيع شعر فى الصنعة وله ديوان شعر على عادة الشعراء ومن شعره

فتكاد توهمك المديح نسيبا
(وقال من قصيدة يمدح بها المعتضد بن عباد)
أما فى نسيم الريح عرف يعرف
لناهل لذات الوقوف بالجزع موقف
وليلة وافينا الكثيب لموعد
سرى الاين لم يعلم بسراه مرجف
تهادى أناة الخطو مرتاعة الحشا
كما ريع يعفور الفلا المتشوف
فديتك أنى زرت نورك واضح
وعطرك نمام وحليك مرجف
هبيك اعتسفت الليل واشيك هاجع
وفرعك غربيب وليلك أغدف
فكيف أطقت المشى خصرك مدمج
وردفك رجراج وقدك أهيف
فما قبل من أهوى حوى البدر هودج
ولاضم ريم القصر خدر مسجف
ولاقبل عباد حوى البحر مجلس
ولاحمل الطود المعظم رفرف
رويته فى الحادث الادلحظة
وتوقيعه الجالى دجى الخطب أحرف
على السيف من تلك الصرامة مبسم
وفى الروض من تلك الطلاقة زخرف
أظن الاعادى أن حربك نائم
لقد تعد النفس الظنون فتخلف

قوله

قوله

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي * منها فما أحتاج أن أتعلما
وعرفت أسرار الخليقة كلها * علما أنار لي البهيم المظلما
وورثت هرمس سر حكمته الذي * مازال ظنا في الغيوب مترجما
وملكت مفتاح الكنوز بفطنة * كشفت لي السر الخفي المبهما
لولا التقية كنت أظهر معجزا * من حكمتي يشفي القلوب من العمى
أهوى التكرم والتظاهر بالذي * علمته والعقل ينهى عنهما
وأريد لا ألقى غبيا موسرا * في العالمين ولا لبيبا معدما
والناس اما ظالم أوجاهل * فمتى أطيق تكرما وتكلما

(قلت) يقال ان طلب الكيميا أول ماظهر في جبابرة قوم هود وتعاطوا ذلك وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد وهذه اللفظة معربة من اللفظ العبراني وأصله من كيم يه معناه انه من الله والاشبه انها فارسية فعنى كيميا متى تجيء على الاستبعاد وكان الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية ينكر ثبوتها وصنف رسالة في انكارها ورد عليه فيها نجم الدين بن أبي الدر البغدادي وزيف ماقاله وأما الامام فخر الدين الرازي فانه في المباحث المشرقية عقد فصلا في بيان امكانها فقال سلم امكان صبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب وان يزال عن الرصاص أكثر مافيه من النقص فاما أن يكون الفصل الممنوع يسلب أو يكتسى قال فلم يظهر لي امكانه بعد اذ هذه الامور المحسوسة يشبه أن لا تكون هي الفصول التي تصير بها هذه الاجساد أنواعا بل هي اعراض ولوازم فصولها مجهولة واذا كان الشيء مجهولا كيف يمكن أن يقصد قصد ايجاده أو افنائه ثم ان الامام ذكر حجاجا أخر للفلاسفة على امتناعها وأبطل بعد ذلك ماقاله الشيخ وغيره وقرر امكانها واستدل الامام أيضا في الملخص على امكانها فقال الامكان العقلي ثابت لان الاجسام مشتركة في الجسمية فوجب أن يصح على كل واحد منها مايصح على الكل على ماثبت وأما الوقوع فلان انفصال الذهب عن غيره باللون والرزانة وكل واحد منهما يمكن اكتسابه ولا منافاة بينهما نعم الطريق اليه عسر (وحكى) ابو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة الاندلسي في بعض تعاليقه عن الشيخ أبي نصر الفارابي انه قال قد بين ارسطوطا ليس في كتبه في المعادن أن صناعة الكيميا داخلة تحت الامكان الا انها من الممكن الذي يعسر وجوده بالفعل اللهم الا أن تتفق قرائن يسهل بها الوجود وذلك انه فحص عنها أولا على طريق الجدل فأثبتها بقياس وأبطلها بقياس على عادته فيما يكثر عناده من الاوضاع ثم أثبتها آخرا بقياس ألفه من مقدمتين بينهما في أول الكتاب وهما أن الفلزات واحدة بالنوع والاختلاف الذي بينها ليس في ماهياتها وانما هو في أعراضها فبعضه في أعراضها الذاتية وبعضه في أعراضها العرضية والثانية ان كل شيئين تحت نوع واحد اختلفا بعرض فانه يمكن انتقال كل واحد منهما الى الآخر فان كان العرض ذاتيا عسر الانتقال وان كان مفارقا سهل الانتقال والعسر في هذه الصناعة انما هو لاختلاف أكثر هذه الجواهر في أعراضها الذاتية ويشبه أن يكون الاختلاف الذي بين الذهب والفضة يسيرا جدا انتهى كلامه والمراد بالفلزات الجواهر التي لا تحرقها النار عند الملاقاة بل تذيبها فاذا فارقتها النار

ولما قضينا من منى كل حاجة
وكل بما يرضيك داع فملحف
رأينا لك في أعلى المصلى كأننا
تطلع من محراب داود يوسف

(وقال أيضا في مرثية له)

يا من ثنا الامثال فيه مهذب
ضربت له في السودد الامثال
نقصت حياتك حيث فضلك كامل
هلا استضاف الى الكمال كمال
حيا الحيا مثواك وامتدت على
ضاحي ثراك من النعيم ظلال
فلئن أذالك بعد طول صيانة
قدر فكل مصونة ستذال

(وقال في الغزل وهو من المجيدين فيه)

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع
سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائعا حظه مني ولو بذلت
لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك أنك لو حملت قلبي ما
لا يستطيع قلوب الناس يستطع
نه أحتمل واستطل أصبر
وعز أهن
وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

(وقال أيضا)

أمار جا قلبي فأنت جميعه
بالبيتي أصبحت بعض رجا كا
يدنو بوصلك حين شط مزاره
وهم أكاد به أقبل فاكا

(وقال من أخرى)

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والافق طلق وماء الروض قدراقا

وللنسيم اعتلال فى أصائله
كأنه رق لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم
كما حللت عن اللبات أطواقا
لاسكن الله قلبا عن تذكركم
فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين سرى
وافاكم بفتى أضناه مالاقى
الآن أحدما كنا لعهدكم
سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وله القصيدة النونية التى أولها بنتم وبناوهى أشهر من أن تذكر وقد تداولتها الالسن وزيد فيها ما كانت غنية عنه * وفضائل الرجل متمكنة وكفى بهذا القدر عنوانا لها

(ذكر سبب انشاء هذه الرسالة)

كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء الغرب الامويين المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل من بنى عبد الملك ابن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقتله وتغلب ملوك الطوائف فى خبر طويل ثم صارت تجالس للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم ويتعشقها

عادت الى حالتها الاولى وهى هذه المتطرقات السبع الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والخارصينى وهو المعروف فى زماننا بالحديد الصينى الذى تأتى منه التدو رمن بلاد الصين وتكسر ويعمل فى أكاريخ البارود * قال الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى أما ان أراد المدبر أن يصنع ذهبا نظير ما صنعته الطبيعة من الزئبق والكبريت الطائرين فيحتاج الى معرفة أربعة أشياء كمية كل واحد من ذينك الجزأين وكيفيته ومقدار الحرارة الفاعلة للطبخ وزمانه وكل واحد منها عسر التحصيل وأما ان أراد ذلك بأن يبرد واه وهو المعبر عنه بالاكسير مثلا ويلقيه على الفضة ليمتزج بها ويستقر خالدا فيها ويكسبها لون الذهب ووزانته فاستخراج ذلك بالتجربة يحتاج الى استقراء حال جميع المعدنيات وخواصها وان استخرجه بالقياس فقدماته مجهولة ولاخفاء فى عسر ذلك ومشقته انتهى كلامه (قلت) زعم الطبيعيون فى علة كون الذهب فى المعدن ان الزئبق لما كمل نضجه جذبه اليه كبريت المعدن فأجنه فى جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات فلما اختلطا واتحدا وذابت الحرارة فى طبخهما ونضجهما انعقد عند ذلك منهما ضروب المعادن فان كان الزئبق صافيا والكبريت نقيا واختلط أجزاؤهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والمرارات والحموضات انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز وهذا المعدن لا يتكون الا فى البرارى الرملة والاحجار الرخوة فتبارك الله الفعال لما يريد ومراعاة الانسان النار فى عمل الذهب بيده على مثل هذا النظام مما يشق معرفة الطريق اليه والوصول الى غايته وعمل الزجاج ومعامل الفراريج بالديار المصرية مما يطمع العقول فى عمل الذهب

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ولیعقوب الكندى رسالة فى ابطال دعوى الذين يدعون صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ورد عليه أبو بكر محمد بن زكريا الرازى رد اغير طائل (قلت) قال المنكرون لذلك لو كان الذهب الصناعى مثلا للذهب الطبيعى لكان ما بالصناعة مثلا لما بالطبيعة ولو جاز ذلك لجاز أن يكون ما بالطبيعة مثلا لما بالصناعة فكنا نجد سيفا أو سريرا أو خاتما بالطبيعة وذلك باطل * وقالوا أيضا الجواهر الصابغة اما ان تكون أصبر على النار من المصبوغ أو يكون المصبوغ أصبر أو يتساويان فان كان الصابغ أصبر وجب ان يفنى المصبوغ قبل الصابغ وان كان المصبوغ أصبر وجب ان يفنى الصابغ ويبقى المصبوغ على الحالة الاولى عريا عن الصبغ وان تساويا فى الصبر على النار فهما من جنس واحد لاستوائهما فى المصابرة على النار فلا يكون أحدهما صابغا ولا مصبوغا وهذه الحجة الثانية من أقوى حجج المنكرين * والجواب من المثبتين عن الاولى انا نجد النار تحصل بالقدح واصطكاك الاجرام والريح يحصل بالمراوح وأكواز الفقاع والنوشادر قد يتخذ من الشعير وكذلك كثير من المزاجات ثم بتقدير أن لا يوجد بالطبيعة ما يوجد بالصناعة لا يلزمنا الجزم بنفى ذلك ولا يلزمنا من امكان حصول الامر الطبيعى بالصناعة امكان العكس بل الامر موقوف على الدليل * وعن الثانية انه لا يلزم من استواء الصابغ والمصبوغ فى الصبر على النار استواؤهما

في الماهية لما عرفت ان المختلفين قد يشتركان في بعض الصفات وفي هذا الجواب نظر (وحكى) لي بعض من أنفق عمره في الطلب ان الطغرائي التي المثقال من الاكسير أولا على ستين ألفا ذهبا ثم انه ألقى آخرا المثقال على ثلثمائة ألف (وحكى) لي أيضا ان مريانس الراهب معلم خالد بن يزيد ألقى المثقال على ألف ألف ومائتي ألف مثقال وقال لي أيضا قالت ماريه القبطية والله لولا الله لقلت ان المثقال يملأ ما بين الخافقين فما كان له عندي جواب الا أن انشدته قول أبي اسحق ابراهيم الغزي

كجوهر الكيمياء ليس يرى * من ناله والانام في طلبه

والذي ظهر لي من حال الطغرائي انه لم يدر شيأ البتة لانه قال

ولولا ولاة الجور أصبحت والحصى * بكفي أني شئت دري وياقوت

وسيأتي تمام هذا الشعر في موضعه عند قوله أريد بسطة كف البيت وصاحب الشذور من جلة أئمة هذا الفن صرح بان نهاية الصبغ القاء الواحد على الالف في قوله في القصيدة الغائية

فعاد بلطف الحل والعقد جوهرا * يطاوع في النيران واحده الالف

وفي قوله في القصيدة القافية

فذان هما البدران فاغن بعلمنا * تنل بهما ما يصبغ الالف دانقه

وأنشدت بعض المولعين بها قول القائل

أعيا الفلاسفة الماضين في الحقب * ان يصنعوا ذهبا الا من الذهب

أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة * الا من الفضة المعروفة النسب

فقل لطالبها من غير معدنها * أضعت نفسك بالتنكيد والتعب

فقال لي صدق لو لم يكن الذي يدبره الصانع في أصله ذهبا بالقوة لما صار ذهبا بالفعل فقلت له هذا من باب التاويل واخراج اللفظ الظاهر عن الصريح الى ما لا يفهم منه الا بالاحتمال والصريح لا يعارض بالمؤول ولو أراد الانسان ان يجعل معلقة امرئ القيس مرثية في قط أو غزلا في فيل لما أعجزه ذلك (حكى) لي بعض الفضلاء ان الشيخ تقي الدين بن تيمية كان كثير الحط على الشيخ محيي الدين بن عربي فقيل له يوما ان هنا انسانا يخرج جميع ما تنكره عليه ويرده بالتأويل الى ما يوافق ظاهر الشريعة فطلبه فلم يحضر اليه فلما كان بعد مدة اتفق اجتماعهما في مكان واحد فقيل له هذا الذي وصفناه لك فقال له ما الذي تفهم من قول محيي الدين بن عربي دخلت لجة بحر الانبياء وقوف بساحله فقال له صدق لان الانبياء يقفون على الساحل بصدد من يغرق فينقذونه من الغرق فقال هذا بعيد في الاحتمال فقال أليس انه يحتمل ما قلته خلافا لمغرضك وحظ نفسك فلم يجبه وكان شمس الدين محمد شيخ الربوة المعروف بابن أبي طالب يقول زعم بعضهم ان المقامات وكليله ودمنه رموز في الكيميا سمعته يقول ذلك غير مرة ويزعمون أيضا ان الصناعة مرموزة في صورة البرابي وكل ذلك من شغفهم وكلفهم بحبها نسأل الله السلامة ووجدت بعض من جرب وتعب فاقلقه الوجد وظن ان جدها لعب قد كتب على بعض مصنفات جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق

هذا الذي بمقاله * غر الاوائل والاواخر

ما أنت الا كاسر * كذب الذي سماك جابر

الكبراء منهم وكانت ذات خلق جميل وأدب غض ونوادر عجيبة ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه تقول

ترقب اذا جن الظلام زيارتي
فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالبدر لم ينر
وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وقولها فيه وهي عليه غضبى ان ابن زيدون على فضله

يلهج بي شتما ولا ذنب لي
كأنما جئت لأحصى على
تعنى غلاما له يسمى عليا

وكان سبب قولها فيه هذا الشعر أنه اتهمها بمواصلة الوزير أبي عامر بن عبدوس وكان يلقب بالفار فقال فيه وفيها

غير تمونا بأن قد صار يخلفنا
فيمن نحب وما في ذاك من عار
أكل شهدي أصبنا من أطايبه
بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

ومن شعرها ما كتبت به على كمها وقيل تاجها

أنا والله أصلح للمعالي
وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكن عاشقي من لثم ثغري
وأعطي قبلتي من يشتهيها

(ومما ينسب اليها وهو عندي كثير على شعر امرأة)

لحاظكم تجرحنا في الحشى
ولحظنا يجرحكم في الخدود

وبعض الناس ينكر وجود جابر هذا وهو محال لأن له تصانيف كثيرة وهى مشهورة بين القوم
*وقال صاحب الأغانى فى ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية وكان من رجالات قريش سخاء
وعارضة وفصاحة وكان قد شغل نفسه بطلب الكيميا فافنى بذلك عمره وأسقط نفسه
وحدثنى من اثق به ممن كان يطلع على أحوال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد انه كان بها
مغرى وأنفق فيها مالا وعمرا وقيل ان امام الحرمين مات وهو يفك وصلا من أوصالها خرج
اليه منه لسان نار فقتله وقد صحت كيميا العشق مع كمال الدين على بن النبيه حيث يقول

تعلمت علم الكيمياء بحبه * غزال بجسمى ما بعينيه من سقم
فصعدت أنفاسى وقطرت أدمعى * فصح من التدبير تصغيره جسمى

(وقال أيضا)

صنعة الكيمياء صحت لعينى * حين يزداد ذيرانى احمرارا
فاذا ما ألقيت اكسير لحظى * فى تجعين الخدود عاد نضارا

وقال ابن حديس الصقلى

ومغرب طعنته غير نائية * أسنة هن ان حققتها شهب
ومشرق كيمياء الشمس فى يده * ففضة الماء من القائها ذهب

وما أحلى قول عبد الملك التميمى المعروف بالدزكار المغربى

قم الى كيمياء شرب كرام * لا ترى فيهم نديما خسيسا
خذ بدور الكؤس ألق عليها * من أكاسيرها تعد هاشموسا

ما أحسن هذا وأوقعه فى النفس لان أرباب الكيمياء يرمزون الفضة بالقمر والذهب
بالشمس وقد أقام الخمر مقام الاكسير الذى يصبغ الجسم وقد حام الشيخ صدر الدين بن
الوكيل فى قصيدته على هذا المعنى فقال

وليست الكيميا فى غيرها وجدت * وكل ما قيل فى أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعيد ذلك أفراحا وينقلب

ولكنه لم يكن على تراكيب كلامه تلك الخفة ولا ذلك الانسجام وأما قول بكر بن النطاح
فى أبى دلف

يا طالبا للكيمياء وعلمه * مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يكن فى الارض الا درهم * ومدحته لاتاك ذاك الدرهم

فليس هذا من صناعة الكيميا فى شئ بل هذا من باب الرقى والعزائم وكذا قول ابن قلاقس
الاسكندرى

ما صح علم الكيمياء لغير مداح الامام الاريحى الحافظ
يعطيهم الاموال اذ يعطونه * لفظا وما مقدار لفظ اللافظ

وكذا قول القائل فى حق الشعراء يخاطب ممدوحه

ما صح علم الكيمياء لغيرهم * فيما رأينا من جميع الناس
تعطيهم البدر النضار اذا هم * رفعوا اليك الشعر فى قرطاس

وهذا كله من فساد التخيل أو من الجهل بماهية الكيميا وقد ظرف شيطان العراق فى

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا
فما الذى أوجب جرح الصدود
وكان ابن زيدون كثير
الشغف بها والميل اليها
وأكثر غزل شعره فيها وفى
اسمها ثم ان الوزير أبا عامر بن
عبدوس أيضا هام بها وكلف
بعشرتها وكان قصدهم
الظرف والادب وكانت ولادة
كثيرة العبث به ولها معه
نوادر ظريفة *ومن نوادرها
الظريفة أنها مرت يوما بدار
ابن عبدوس وهو جالس
بالباب وحوله جماعة من
أصحابه وأمامه بركة تتولد
من مراحيض وأقذار
فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر
أنت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر
فلم يحر جوابا فمضت وحفظت
هذه النادرة واشتغل بها
الناس وهذا البيت لابى
نواس تمثلت به ونقلته هذا
النقل الحسن من المدح الى
الهجاء وكان كثيرا ما يخدعها
ويبغى التفرد بها وفى ذلك
يقول ابن زيدون (شعرا)
وغرك من عهد ولادة
سراب تراءى وبرق ومض
هى الماء يأبى على قابض
ويمنع زبدته من مخض
وكان أول أمرها معه
والباعث لابن زيدون على
انشاء هذه الرسالة أن ابن
عبدوس لما سمع بها أرسل

قصيدته التائية حيث قال

وما صنفه جابر * من الصنعة جربت
فكم للطين حلت * وللآمال وصلت
وفوق الشب والكبريت للزرنيخ صعدت
وكم ركبت انبيقا * على النار وقطرت
وللاجساد لينت * وللارواح لطفت
وللزهرة تقيت * وكم للشمس كلست
وكم في بوط بربوط * من الراسخت نزلت
وبالماشك كم كويت في كفي وحرقت
وما صح لي التدبير لكني أدبرت

ومدح البوصيري حيث قال يهجو جماعة

اكسير نحس كل بمفرده * مركب من مدبر فاسد
ان شئت أن تجعل الورى سفلا * ألق على الالف منهم واحد

وكتب الظهير البارزي الى من رزق توأمين ذكرا وأنثى من جارية سوداء أبيا تامن جملتها

وخصك رب العرش منها بتوأم * ومن ظلمات البحر تستخرج الدرر
وابرك أضحى وارثا علم جابر * فاعطاك من القائه الشمس والقمر

(وأما هذه القصيدة اللامية) فانما سميت لامية العجم تشبيها لها بلامية العرب لانها تضاهيها في حكمها وأمثالها ولامية العرب هي التي قالها الشنفرى وأولها

أقيموا بني أمي صدور مطيكم * فاني الى قوم سواكم لأميل

وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال علموا أولادكم لامية العرب فانها تعلمهم مكارم الاخلاق * ورأيت لها شرحا حسنا تام المقاصد كثير الفوائد وهو مجلد حيد وحسبك ان الناس قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم في نظير تلك بمعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لامية مثلها تناظرها واضافة الشئ الى شئ مشهور أو عظيم تدل على شرف المضاف الا ترى قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته أشرف لهم من قوله والملائكة لاضافتهم اليه * وزعم بعضهم ان بعض الشعراء غير قوافي هذه القصيدة من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لان ألفاظ هذه القصيدة في غاية الفصاحة وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقة ولا نافرة ومعانيها بليغة غير ركيكة وقوافيها في غاية التمكن فهي كما قال ابن عنين

معنى بديع وألفاظ منقحة * غريبة وقوافي كلها نخب

والقافية المتمكنة هي التي يبنى البيت من أوله الى آخره عليها فاذا ختم البيت بها نزلت في مكانها ثابتة فيه متمكنة في محلها قد رسخت في قرارها ودفعت الى مركزها فهي لا تتزحزح ولا تتغير منه بخلاف القافية القلقة التي اجتلبت وجيء بها لتمام الوزن وهي أجنبية منه غريبة من تركيبه عارية من الالتحاف به والالتحاق بحسبه ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرة عن الطباع في غاية الركة وليت شعري بماذا يغير قوله

اليها امرأة من جهته تستميلها اليه وتذكرها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد بمواصلته فبلغ ابن زيدون ذلك فكتب هذه الرسالة البديعة جوابا له عن لسانها تتضمن هذه الغرائب من سب أبي عامر والتهكم به والهجاء له وجعلها جوابا له على لسان ولادة وأرسلها اليه عقيب رجوع المرأة فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها في الآفاق وأمسك ابن عبدوس عن التعرض لولادة الى أن انتقل ابن زيدون الى اشبيلية وتوفي بها تغمده الله برحمته وغفر لنا ولهم بمنه وكرمه هذا معنى ماذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين

(ذكر الرسالة وشرحها)

(أما بعد أيها المصاب بعقله الموروط بجهله)

(أما) حرف يقتضي مضي أحد الشيئين ويبتدأ به الكلام و(بعد) ههنا تستعمل في الترتيب الصناعي وتقدير أما بعد مهما يكن بعد وهي كلمة يبتدئ بها كثير من الخطباء والكتاب كلامهم في خطبهم المحبرة ورسائلهم المحررة كأنهم يستدعون بها الاصغاء لما يقولون ولذلك فخر بها سحبان فقال

لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

(وقوله أيضا)

وان علانى من دونى فلا عجب * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

الى غير ذلك من بقية القوافى المتمكنة التى هى فى البيت بمثابة القاعدة التى اذا زحزت أو نقلت تهدم البيت وخرب وذهب حسنه وزال رونق تركيبه واذا غير مثل هاتين القافيتين فقد زال طرازها وذهب شمسها وقمرها ومحيت آية حسنها نعم قد يتفق للشاعر نفسه اذا أراد بناء قصيدته على قافيتين أو أكثر لانه يراعى ذلك فى أصل التركيب ويوفق بين ذلك من أول العمل كما فعل سيف الدين بن المشد فى قصيدته التى مدح بها السلطان نجم الدين أيوب وهى مشهورة أولها

اسقنى الراح قد تجلى النهار * وتغنى على الأراك الهزار الحمام
وبدا الروض فى ثياب من الزهـ * ـر سداها بنفسج وعرار وغمام
فاسقنيها مثل الخدود احمرارا * وكثغر الحبيب فيه افتراز ابتسام
قهوة مرة رحيق شمول * قرقف لذة سلاف عقار مدام
من يدى أوطف الجفون غرير * زانه الخصر واللمى والعذار والقوام
بدر تم يلوح فى زى ظبى * قصرت عن صفاته الافكار الافهام

ثم انه سار على هذا الانموذج الى تمام أحد وعشرين بيتا ولا يخفى ما فى هذه الابيات من الانحلال والانحطاط وما فيها من الايراد لمن يروم النقد عليه وكما فعل الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ فى ثلاثة أبيات أنشأها وهى

كتمت بثى غيران لم أطـ * ـق * كتمان فيض المدمع الهامل
وليس يدرى لقذى جائل * فى العين فاضت أم هوى داخل * فاضح غالب قاهـ * ـر
كالورق لا يدرى على هالك * ناحت أم ارتاحت الى راحل * نازح غائب هاجر

وقال ابن الزروى والذى حملنى على نظم ذات القوافى على بن الرومى اذ قال فى كلمة له

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وقال فى كلمة أخرى نظير هذه الابيات الا أنه أبدل فى البيت الاول يولد بقوله يوضع وأبدل أرغد بقوله أوسع وأبدل يهدد بقوله يقرع ونظم ابن الزروى قصيدته التى أولها

نوى أطلعت منها القفار النسابس * بخيل مطى طلعهن أوانس

وهى تزيد على العشرين بيتا جعل لكل بيت أربعا وعشرين قافية وهذه القصيدة تنشد أربعا وعشرين قصيدة وهذا فى غاية القدرة وانما سهل هذا سمعه وانقاد له ما أراد لانه هو الذى بنى كل بيت فى الاصل على ما يريد ختمه به من القوافى المتعددة ولو أخذ قصيدة لغيره وأراد تغييرها

قوافيها

وقد علمت قيس بن عيلان انى
اذا قلت أما بعد أنى خطيبها
وكثيرا ما تأتى عقيب قول
الحمد لله وتسمى هنالك فصل
الخطاب لانها فصلت بين
الكلام الاول والتالى وتأتى
عقيب البسملة وتأتى ابتداء
كانها عقيب الفكر والروية
وأول من قالها داود عليه
السلام وقيل انها فصل
الخطاب المذكور فى الكتاب
العزيز وقيل أول من قالها
قس بن ساعدة والاول أصح
وانما قس أول من خطب بها
فى العرب وكتبها أول الكتب
على ما ذكر (أيها المصاب) اسم
لمن نزلت به نائبة مصيبة
وأصاب السهم اذا وصل الى
المرمى بالصواب فالمصيبة
أصلها فى الرمية ثم اختص
بالنائبة (بعقله) العقل
المعرفة المستعملة
فى تحرى النفع وتجنب
الضرر ولاهل اللغة
والمتكلمين فى اشتقاقه ومعناه
أقوال كثيرة قيل اشتق من
عقل الناقة اذ اشد وظيفها
مع ذراعها بحبل يمنعها من
الشراد فكأنه يمنع الانسان
مما يميل اليه من الهوى ومن
عقل الناقة سميت الدية عقلا
لانها تعقل بفناء المقتول أو
لانها تحبس الدم وقيل اشتق
من العقل وهو الملجأ يقال

قوافيها لتقاعس المعنى عليه ولم ينقد له وأنت ترى قافية ابن الرومى الدالية كيف لفظة أرغد فيها قلق يسير وكيف أوسع أحسن منها وكيف لفظة يهدد أليق من يقرع هذا أمر يشهد به الذوق وصنع أبو القاسم على بن منجب المعروف بابن الصيرفى بيتين وهما

لما غدوت مليك الارض أفضل من * جلت مفاخره عن كل اطراء
تغايرت أدوات النطق فيك على * ما يصنع الناس من نظم وانشاء

ثم انه غير روى البيتين على جميع حروف المعجم ومن وقف على كلام أبى العلاء المعرى فى رسالة العقران فى ذينك البيتين اللذين للنمر بن تولب وهما

ألم بصحبتى وهم هجوع * خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى عسل مصفى * متى شاءت وحوارى بسمن

وكيف غير القوافى منها ونزلها على سائر حروف المعجم خلا حرف الطاء علم تمكن أبى العلاء من الادب واطلاعه على اللغة وحكاية خلف الاحمر مع أصحابه ومعناها انه لو قال أم حفص ماذا كان يقول فى تمام البيت الثانى فسكتوا فقال بلمص وأما اتفاق الشاعرين فى الابيات وتخالفهما فى القافية فكثير فمنه قول النابغة

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

وقول ربيعة بن مقدوم الضبى

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متبتل
لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولهم من تاموره يتنزل

وقول الافشين العجلى

جريت مع الصبا طلق العنيق * وهان على مأثور الفسوق
وجدت الذعارية الليالى * قران النغم بالوتر الخفوق
ومسمعة متى ماشئت غنت * متى نزل الاحبة بالعقيق
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الصبوح عرى الغبوق

وقول أبى نواس

جريت مع الهوى طلق الجموح * وهان على مأثور القبيح
وجدت الذعارية الليالى * قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمعة متى ماشئت غنت * متى كان الخيام بذى طلوح
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح

وهذا من أبى نواس فى غاية الحسن لمن تأمله وقول امرئ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقول طرفة بن العبد بعده

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقول امرئ القيس أيضا

ألا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

عقل الوعل اذا التجأ الى الجبل الذى يمنعه فكأن الانسان يلتجئ اليه فى أحواله وقيل غير ذلك وأكثر المعانى مشتركة فى الاشتقاق وقال الجاحظ العقل اسم يقع على المعرفة بالصواب والخطا وايثاره اذا اقترنا فى زمان وكان العلم علة للعمل وقيدا له فاذا دعا الرجل علمه بالمحاسن الى العمل بها ونهاه علمه بالمساوى عن العمل بها صار قيد العمله وكان كالعقال لما استحسنه فاذا عقله علمه وحبسه كما يحبس الحمل قالوا هذا عاقل * وقال الراغب العقل يقال للقوى المتهيئة للعلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوى عقل ولهذا قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع والى الاول اشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والى الثانى أشار بقوله ما كسب أحد شيأ أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فاشارة الى الثانى دون الاول وكل موضع رفع فيه التكليف

وقول الطرماح بعده

ألا أيها الليل الطويل الا اصبح * بيوم وما الاصباح منك بارو ح

وقول على بن الخليل

لا أظلم الليل ولا أدعى * أن نجوم الليل ليست تزول
ليلى كما شاءت قصير اذا * جادت وان ضنت فليلى طويل

وقول ابن بسام بعده

لا أظلم الليل ولا أدعى * أن نجوم الليل ليست تغور
ليلى كما شاءت فان لم تجد * طال وان جادت فليلى قصير

وقول الامير أبى الفضل الميكالى

أقول لشادن فى الحسن أضحى * يصيد بلحظه قلب الكمى
ملكت الحسن أجمع فى نصاب * فأدز كاة منظرك البهى
وذلك أن تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهى
فقال أبو حنيفة لى امام * يرى ان لا زكاة على الصبى

وقد رواها بعضهم على غير هذه القافية فأنشدها

أقول لشادن فى الحسن فرد * يصيد بلحظه قلب الجليد
ملكت الحسن أجمع فى قوام * فلا تمنع وجودا عن وجود
وذلك أن تجود لمستهام * برشف من مقبلك البرود
فقال أبو حنيفة لى امام * يرى أن لا زكاة على الوليد

وقول سليمان بن دياكل الخزاعى

يا بنت خنساء التى أتجنب * ذهب الزمان وحبها لا يذهب
انى لأمنحك الصدود وانى * قسما اليك مع الصدود لاحب

وقول الاحوص

يا بنت عاتكة التى أتعزل * حذر العدا وبها الفؤاد موكل
انى لأمنحك الصدود وانى * قسما اليك مع الصدود لاميل

وقد اشتهر قول الاحوص وشاع وذاع وملأ الافواه والاسماع واستشهد الناس به قديما وحديثا فى حكايات مشهورة عند أرباب الادب * وعن محمد بن كعب القرظى قال بينما عمر ابن الخطاب جالسا ومعه أصحابه اذ مر به رجل فسلم عليه فقال رجل من القوم يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المسلم قال لا قال هو سواد بن قارب الذى أتاه رئيه من الجن بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه عمر فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال أنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب الرجل غضبا شديدا وقال ما استقبلنى أحد منذ أسلمت بهذا فقال عمر ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك فاخبرنى بالذى أنبأك به رئيك من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا بين نائم ويقظان اذ أتانى رئيى وضربنى برجله وقال قم يا سواد بن قارب وافهم واعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى ثم أنشأ الجنى يقول بحيث أسمع

عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول (وقال) بعض الحكماء هو جوهر بسيط وقال آخرون هو جسم شفاف ومحله الدماغ وبعض العلماء يقول محله القلب ويستدل بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى لمن كان له قلب أى عقل وقال الجاحظ هو مادة تتولد من الاغذية المقوية للعصب فلذلك كان البلادر جيد اله والبصل مضر اله ولذلك يقال يفسد الباذنجان فى شهر ما يصلح البلادر فى عام ويزعم قوم أنه هيئة تحصل بالدربة ولذلك فسدت أذهان المعلمين لمخالطتهم الصبيان (المورط) الورطة الهلاك قال رؤبة

فأصبحوا فى ورطة الاوراط

وأصل الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها وربما هلك الواقع فيها ومنه الوراط الخديعة وفى الحديث لا خلاط ولا وراط (بجهله) الجهل ضد العلم ومنه سميت المفازة مجهلة كأنه جهل كيف الطريق فيها وقال الراغب الجهل على ثلاثة أضرب الاول خلو النفس من العلم هذا هو الاصل وقد جعل بعض المتكلمين الجهل معنى مقتضيا للافعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضيا

عجبت للجن وأخبارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعنى أنام فقد أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ الجنى يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماصادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * فما قداماها كاذنابها

فقلت دعنى أنام فقد أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ الجنى يقول

عجبت للجن وتجساسها * وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماخير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها

فلما أصبحت شددت على ناقتى رحلها وسرت الى مكة فقيل لى قد سار الى المدينة فأتيت المدينة فسرت الى المسجد فعقلت ناقتى واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه فلما نظر الى قال هات ياسواد بن قارب فقلت

أتانى رئيى بعد هدء ورقدة * ولم أك فيما قد يلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤى بن غالب
فشمرت من ذيلى الازار ووسطت * بى الدلعب الوجناء بين السباسب
وأشهد أن الله لارب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وأنك أعلى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرحا شديدا فقام اليه عمر فالتزمه وقبله بين عينيه وقال لقد كنت أحب ان أسمع هذا الخبر منك فاخبرنى هل يأتيك رئيك اليوم قال اما منذ قرأت كتاب الله فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن (وحكى) صاحب الجليس والانيس قال كان الاصمعى يعادى عباس بن الاحنف فقال يوما وهو بين يدى الرشيد والاصمعى حاضر

اذا أحببت أن تعمل شيأ يعجب الناسا
فصورهم هنا قردا * وصور ثم عباسا
وبينهما فدع فترا * فان زدت فلا باسا
فان لم يدنوا حتى * ترى رأسيهما راسا

للافعال الجارية على النظام والثانى اعتقاد الشئ على خلاف ماهو عليه والثالث فعل الشئ بخلاف ماحقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا

(البين سقطه الفاحش غلطه)

(السقط) مالا رضى ومنه سقط المتاع رديئه وسقط القول خطؤه وسقط الرجل فى يده اذا فعل ما يندم عليه وقال الاخفش أسقط وهو غير مستعمل والاصل السقوط وهو طرح الشئ من العالى الى المنخفض و (الفاحش) ماعظم قبحه من الاقوال والافعال ومنه الفاحشة الفعلة القبيحة سميت فاحشة وصار علما عليها والغلط الخروج عن الصواب نطقا أو فعلا تقول العرب غلط وغلت بالتاء زعم قوم أنهما لغتان وزعم قوم أن غلط انما يقال فى المنطق وغلت انما يقال فى الحساب

(العاثر فى ذيل اغتراره الاعمى عن شمس نهاره)

(العثار) السقوط وما قاربه و(الاغترار) الغفلة واستعارة الذيل والعثار للغافل حسنة والفقر مناسبة لما قبلها وما بعدها و(العمى) يقال فى افتقاد البصر ويقال فيه أعمى وعم وعمى البصيرة أشد ولذلك لم يعد الله تعالى افتقاد

فكذبها بما قاست * وكذبه بما قاسا

فقال الرشيد ما سمعت معنى أحسن من هذا فقال الاصمعى قد سبقه الى هذا المعنى رجل من العرب ورجل من النبط فقال ما قال العربى قال كان رجل يقال له عمر يحب جارية يقال لها قمر فقال

اذا أحببت ان تعمل شيأ يعجب البشرا
فصور ههنا قمرا * وصور ههنا عمرا
فان لم يدنوا حتى * ترى بشريهما بشرا
فكذبها بما ذكرت * وكذبه بما ذكرا

قال الرشيد فما قال النبطى قال كان رجل يقال له روز يحب جارية يقال لها فلق فقال

اذا أحببت ان تعمل شيأ يعجب الخلقا
وتسمع صوت معشوق * ين لاقى فى الهوى رتقا
فصور ههنا روزا * وصور ههنا فلقا
فان لم يدنوا حتى * ترى خلقيهما خلقا
فكذبها بما لاقت * وكذبه بما يلقى انتهى

وتغيير قوافى هذه اللامية أراه متعذرا الا أن يتهدم جانب جيد من كل بيت ومع ذلك فلا يكون لغير قوافيها دياجة استأثر بها الطغرائى * وأنشدنى لنفسه من لفظه المولى نور الدين على بن محمد بن فرحون المالكى اليعمرى المدنى بدمشق المحروسة فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزا وعلى كل عجز صدرا فناسبها وهذا قصد طريف ومما أنشدنى قوله

اصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وسرعة الحزم زادتنى عن المهل
وحلة العلم أغنتنى ملابسها * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدى أخير او مجدى أولا شرع * وسؤددى ذاع فى حل ومرتحل
وهمتى فى الغنى والفقر واحدة * والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل
فيم الاقامة بالزوراء لا سكنى * دان ولا أنا فى عيش بها خضل
وليس لى أرب فيها ولا خولى * بها ولا ناقتى فيها ولا جملى

وتغيير القوافى فى البيت والبيتين أمر يهون كما أنشد بعضهم البيتين المشهورين فى الشيب وهما

وخود دعتنى الى وصلها * وعصر الشبيبة منى ذهب
فقلت مشيبى ما ينطلى * فقالت بلى ينطلى بالذهب

وكان فى المجلس بعض ظرفاء الادباء حاضرا فقال ما أعرف القافية فى هذين البيتين الا حرف الراء فقال له المنشد كيف قال فقال قال * وعصر الشبيبة منى سرى * فقال فكيف تصنع بالثانى بعد قوله مشيبى ما ينطلى فقال * فقالت بلى ينطلى بالخرا * فأطرق المنشد خجلا وأما أنا فاتفق لى يوما مثل هذه الواقعة فى بعض مجالس المذاكرة فى محفل فيه رؤساء وأكابر من الكتاب وفيهم من يتعاطى الادب وهو شاب فيه مغمز ومطمع فأنشد قول ابن العفيف التلمسانى

ولقد عتبت عليه وهو ممدد * والايرفى أحشائه مدسوس

البصر عمى فى جنب افتقاد البصيرة حيث قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور و(شمس النهار) ههنا كناية عن الصواب الواضح الذى تركه هذا المكتوب اليه وعمى عنه حتى تعرض للسذم أو كناية عن مقدار هذه المرأة التى هى كالشمس حتى طلب منها ما لا يصل اليه

(الساقط سقوط الذباب على الشراب)

الذباب فى اللغة يقع على هذا المعروف من الحشرات وعلى النحل والزنابير ونحوهما قال الجاحظ ومن الدليل على ان أجناس النحل والزنابير وما أشبهها كلها ذباب ما جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كل ذباب فى النار الا النحلة وقال الشاعر

فهذا أوان العرض حى ذبابه
زنابيره والازرق المتلمس

والذباب ههنا هو المعروف وسمى ذباب العين ذبابا لشبهه به أو لتطاير شعاعه طيران الذباب وبه يضرب المثل فى الوقوع على الشراب فيقال أوقع من ذباب على شراب و(الشراب) كل مائع متناول للشرب وغرض الذباب ما حلا ولشربه عليه يقع على كل مائع سواء كان حلوا أو غيره * وفى كتاب كليله

أو ما يعبره وقال بنفسرة * من ههنا يتعوج الفقوس

فقلت وقد أشار بيده عند نصف البيت الثانى مثل مولانا يغير القافية انما هو من ههنا يتعوج اليقطين فاستحى فقال بعض الحاضرين كيف تعمل فى القافية الاولى فقلت بسرعة عوض مدسوس مدفون والتنديب يغتفر فيه ويسامح بما لا يسامح فى غيره لسرعة الجواب الا ترى ما أحلى جواب بعض الوعاظ وهو على المنبر لما سئل عن أشياء ما الاصل فيها فقال اذا كان الله عز وجل قال يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء فكيف تسألون أنتم عنها فاستحسن هذا الجواب منه لسرعته وان كان قد مغلط ولكن لما عجز عن الجواب مال الى هذا الجواب الاقناعى لان أرباب التصريف لهم فيها كلام طويل منهم من يقول أصل أشياء فعلاء ومنهم من يقول فعلاء والكلام فى ذلك يطول ويقال ان أبا الحسين بن السماك كان يتكلم على رؤس الناس بجامع المدينة وكان لا يحسن شيأ من العلوم الا ما شاء الله وكان مطبوعا بالتكلم على مذاهب الصوفية فرفعت اليه رقعة فيها ما تقول السادة الفقهاء فى رجل مات وخلف كذا وكذا فلما فتحها ورأى ما فيها من الفرائض رماها من يده وقال أنا أتكلم على مذاهب أقوام اذا ماتوا لم يخلفوا شيأ فعجب الحاضرون من سرعة جوابه * وكذا التنديب فى البيتين الاولين الاصل فيهما أكمل لان الاطلاء دائما بالذهب مع ما فى القافيتين من الجناس التام وكذا قولى اليقطين فان فيه تغيير المثل المتداول بين الناس وهو * من ههنا يتعوج الفقوس ولكن لما كانت تلك الحالة لائقة باليقطين عند اشارته بيده حسن ذلك وخف على السمع وراج على القلب * وأنشدت يوما بعض الافاضل قول البحترى من قصيدته المشهورة

وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

فقال بدل ينسكب ينهمر فقلت كيف تصنع فى الاول وهو قوله

هذى مخايل برق خلفه مطر * جود ووردى زناد خلفه لهب

فقال بدل لهب شرر فقلت هذه القصيدة بائية أولها

نحن الفداء لها جود ومرتقب * ينوب عنك اذا همت بك النوب

فلم يحر جوابا لكنه اعترفت له بالاحسان لسرعة الجواب فى الثانى (ايراد شئ من نظم الطغرائى) قال قصيدة خائية عارض بها محمد بن هانئ المغربى فى قصيدته التى أولها

سرى وجناح الليل أقتم أفتخ * مهاد ضجيع بالعبير مضمخ

ومدح الطغرائى بها السلطان محمود بن محمد أيام سلطنة أبيه سنة أربع وخمسمائة وهى

هى العيس قود فى الازمة تنفخ * تعطى لها من عجمة الليل برزخ ومنها

ويا نار قلبى ما الجمرك كلما * نضحت عليه الماء لا يتبوخ

ويا صادحات الورق فى الايك أقصرى * فما لى اذن أشكو ولا لك مصرخ

ويا جيرة شطت بهم غربة النوى * ولا عهدهم ينسى ولا الود يفسخ

لكم فى جنوب الارض مسرى ومسرح * وللحب فى جنبى مرسى ومرسخ ومنها

وحظى من الايام ملك بعزه * تقام مواقيت العلا وتؤرخ

يتوق اليه الملك وهو له اب * ويصبو اليه التاج وهو له أخ

يربى العدا أبناءهم لحسامه * وللصقر ما أضحى البغاث يفرخ

ومنه من لم يرض بما يكفيه كان كالذباب الذى لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من آذان الفيلة فتضربه بآذانها فتقتله

(المتهافت تهافت الفراش فى الشهاب)

(التهافت) الترامى مع خفة وطيران يقال منه هفت وتهافت ومنه قولهم وردت هفية من الناس للذين أقحمتهم السنة و(الفراش) نوع من الذباب رقيق الجسد ومنه قيل لكل عظم رقيق فراشة وقيل فراشة القفل لرقتها أو لشبهها بالفراش الطائر وأما قول ذى الرمة

فأيقن أن النقع صارت نطافه * فراشا وأن البقل ذاو ويابس

فقد قيل ان النقع وهو الموضع الذى يجتمع فيه نقر الماء صار فراشا أى ماء رقيقا وقيل المراد أن نطف الماء صارت فراشا طائرا فربما تولد الفراش من الماء

(والشهاب) الشعلة من النار ومن ذلك قيل للسواد المختلط بالبياض شهبة تشبيها بالسواد المختلط بالدخان والفراش معروف بالقاء نفسه فى النار ولذلك قيل فى المثل ما هم الا فراش طمع والفلاسفة تزعم أن الحيوان تجذبه النورية كالفراش الطائر بالليل وما لطف جسمه يطرح نفسه فى

ومنها خدمتكم والعمر غصن جميمه * ندوأهاضيب الشبيبة تنضخ
ومنها أسير فى أياماكم من شواردى * غلالة سفر حين تمتد سرنخ
وأحمل من أسراركم كل ناهض * يضيق به صدر الكتوم فينضخ
وأنشر فى الشورى صحائف طيها * نوافث سحر للعزائم تنسخ
وأنصحكم فى حل كل مترجم * به يضبط الامر الشعاع فيرسخ
أحين أنى أن أجتنى ثمر الرضا * أرد الى نزر من العيش يرضخ
أعوذ بكم من كبوة الجد انها * دهتنى ولاذنب به أتلطخ

قلت كان الطغرائى يتمنى علو شانه ويؤمل اقبال زمانه فى أيام هذا الممدوح اذا آل أمر السلطنة اليه فكان فيها حتفه * وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تتمنوا الدول فتحرموها وما أحسن قول القائل

سألت الله أن تعلو محلا * كعرض الارض فى طول السماء
فلما ان علوت علوت عنى * فكان اذن على نفسى دعائى

وقال ابن دريد

اذا رأيت امرأ فى حال عسرته * مصافيا لك ما فى وده دخل
فلا ترج له أن يستفيد غنى * فانه بانتقال الحال ينتقل

وقال محمد بن سبط التعاويذى

أأحرم دولتكم بعدما * ركبت الامانى وأنضيتها
ومالى ذنب سوى أننى * رجوتكم وتمنيتها

وقال أحمد بن أبى بكر الكاتب

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ * نصيب ولاحظ تمنى زوالها
وماذاك عن بغض لها غير أنه * يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

وقال جرير المقل

ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه أولى به من أمله
رب من ترجوه دفع الاذى * سوف يأتيك الاذى من قبله

وقال ابن عنين فى ابن المجاور

سواء علينا نلت ما نلت من علا * اذا لم تزل أو كنت ما كنت من قبل
وما نافعى أن يبلغ العرش صاحبى * وينحط قدرى عنده عندما يعلو

أنشد الزكى عبد الرحمن القوصى الملك المظفر قبل أن يملك حماة

متى أراك ومن تهوى وأنت كما * تهوى على رغمهم روحين فى بدن
هناك أنشد والآمال حاضرة * هنئت بالملك والاحباب والوطن

فوعده اذا ملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

مولاى هذا الملك قد نلته * برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته * وذا أوان الموعد الصادق

فدفع اليه الالف وأقام معه ولزمه فى اسفاره أنفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل بيده زيادة

النار فيحترق وغير ذلك مما يصاد فى الليل بالشهاب من الغزلان والوحش والطير والسمك اذا قرب منها السراج فى الزوارق ويزعمون ان النور صلاح هذا العالم ومعنى هذا السجع أن المكتوب اليه من جهله وتعرضه لما يؤذيه بمنزلة الفراش والذباب الواقع فيما يهلكه من غير اشعار أنه هالك

(فان العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب) (قوله فان) صلة لقوله أما بعد ولابد من اقتضائها الفاء لرد الكلام بعضه على بعض و(العجب) ما يعجب الانسان من نفسه أى يستحسنه والاصل العجب كانه يتعجب من حسن ما يجد و(الكذب) ضد الصدق يقال فى المقال والفعال وينسب أيضا الى نفس القول والفعل فيقال فعلة صادقة وفعلة كاذبة ومعنى المثل أن المعجب من نفسه بحالة يظن أنه قد بلغ بها الغاية وامتاز بالفضل وليس الامر كذلك فكأن عجبه بنفسه خيل له ما لا صحة فيه فكذبه و (المعرفة) ادراك الشئ بتدبر لامره وهو أخص من العلم فيقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعد الى مفعول واحد لما

عليه فقال

ذاك الذى أعطوه لى جلة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا * وحسبى الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فأخرجه من دار كان أنزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم * ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى * وأنت ستدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك فقال وحسبى الله ونعم الوكيل ثم أمر بخنقه فلما أحس بالهلاك قال

أعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة * ياليت شعرى أم أعطيتنى دينى

قلت لو كنت حاضر الزكى عبد الرحمن لانشدته قول القائل

وكنت كالمتمنى أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى

وما أحسن قول أبى الطيب وهو مما رواه تاج الدين الكندى عنه ولم يكن فى ديوانه

أبعين مفتقر اليك نظرتنى * وأهنتنى وقذفتنى من حالق
لست الملوم أنا الملوم لانى * أنزلت آمالى بغير الخالق

ومما يخرط فى هذا السلك قول القائل

لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى منه العذاب الاليم

وقال الطغرائى يصف خيلا

سبقت حوافرها الخواطر فاستوى * سبق الى غاياتها وسفون
لولا ترامى الغايتين لاقسم الراؤن ان حراكها تسكين
وتكاد تشبهها البروق لانها * لم تعتقلها أعين وظنون

هذه مبالغة فى السرعة والاول مأخوذ من قول أبى الطيب

تقبلهم وجه كل سابحة * اربعها قبل طرفها تصل

قيل ان أبا المحرز الثعلبى قال عند ما سمع هذا البيت هذه كانت عينها فى استها وذكرت بهذه واقعة اتفقت لبعض أكابر اهل العصر وهو انه كان له غلام حسن الوجه فحضر يوما عنده بعض أصحابه وأخذ يصف ذلك الغلام ويلاحظه فى دخوله وخروجه لا يفتر عن ذلك فقال له مالك قد أطلت النظر الى هذا الغلام فقال أعجبنى حسنه فقال عينك فى استك فقال لا والله بل عينى فى استه وقد فسر بعض المتعصبين على أبى الطيب قوله

تبل خدى كلما ابتسمت * من مطر برقه ثنايا ها

فقال كانت تبصق فى وجهه وكذلك قوله

كفى بجسمى نحولا أننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

فقال هو اذن ضرطة يسمع ولا يرى وبالغ ابن حجاج فى مرثية فرس له فقال

قال له البرق وقالت له الريح جميعا وهما ما هما
أأنت تجرى معنا قال لا * ان شئت أضحكتكما منكما

كان معرفة البشر لله تعالى هى بتدبر آثاره دون ادراك ذاته ويقال الله يعلم كذا ولا يقال الله يعرف كذا لما كانت المعرفة تستعمل فى العلم القاصر المتوصل اليه بتفكر وأصله من عرفت كذا أى أصبت عرفه أى رائحته والمعنى أن معرفة الانسان مقداره حتى لا يتعدى أطواره أصوب وهو مما يؤيد قوله العجب اكذب وهذان مثلان جيدان الاول ينسب الى اكثم بن صيفى والثانى مأخوذ من قوله ان يهلك امرؤ عرف قدر نفسه وهو اكثم بن صيفى بن رباح التميمى أشهر حكام العرب فى الجاهلية وحكمائهم وخطبائهم ادرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وراسله واختلف فى اسلامه والاكثر على صحبته حكى الهيثمى ان اكثم بن صيفى لما بلغه مبعث النبى صلى الله عليه وسلم قال لقومه احملونى اليه فقالوا لا والله وانت سن من أسنان العرب قال فليأته احدكم فليسأله عن ربه وعما امره به فأتى حبيش بن اكثم فقال يا محمد بم بعثك ربك قال بعثنى بأن اكسر الاوثان قال بم امرك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان

هذا ارتداد الطرف قد فتنه * الى المدى سبقا فمن أنتما

وقال أبو العلاء المعرى

ولما لم يسابقهن شئ * من الحيوان سابقن الظلالا

وقال ابن خفاجة الاندلسى

وأبلق خوار العنان مطهم * طويل الشوى والساق أقود أتلعا

جرى وجرى البرق اليمانى عشية * فابطأ عنه البرق عجزا وأسرعا

وحسب الاعادى منه ان يزجرونه * مغيرا غرابا صبح الحى أبقعا

هذا المعنى فى غاية الحسن ومن هنا اختلس هذا المعنى النفيس أحمد بن عبد العزيز المالكى حيث قال

حمذا ليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بحلة فخر

بشرت باللقاء وهى غراب * ونعى الفجر حسنها وهو قرى

وقرأت على الشيخ الامام القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود الكاتب كتابا انشأه فى وصف الخيل جاء منه لا يستنزاحس فى مضماره ولا تطمع الغبراء فى شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق يداه مرامى طرفه ويدرك شوارد البروق ثانيا من عطفه وقد اشتهر هذا المعنى فى سبق الحافر الناظر قال بعضهم

كم سابح أعددته فوجدته * عند الكريهة وهو نسر طائر

لم يرم قط بطرفه فى غاية * الا وسابقه اليها الحافر

وما أحسن ما أنشدنى لنفسه من لفظه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى بالباب وبراعة من بلاد حلب سنة احدى وثلاثين وسبعمائة

وأغر تبرى الاهاب مورد * سبط الاديم محجل بياض

أخشى عليه ان يصاب باسهمى * مما يسابقها الى الاغراض

وأنشدنى لنفسه أيضا

وأدهم يقق التحجيل ذى مرح * يميس من عجبه كالشارب الثمل

مضمر مشرف الاذنين تحسبه * موكلا باستراق السمع عن زحل

ركبت منه مطاليل تسيربه * كواكب تلحق المحمول بالحمل

اذا رميت سهامى فوق صهوته * مرت بهاديه وانحطت عن الكفل

قلت الثانى من الاول والرابع من الثانى فى غاية الحسن وهما من المبالغات المليحة وما احسن ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

ورد مع العرب منسوب فلا قطعت * أيدى الحوادث من انسابه شجره

اذا امتطى ظهره رامى السهام مضى * والسهم حذوا فلولا سبقه عقره

عجبت حين يسمى سابحا وله * وثب لو البحر أرسى دونه طفره

فتحاه فى هضبات الحزن صاعدة * أولا فصاعقة فى السهل منحدره

لما ترفع عن ند يسابقه * أضحى يسابق فى ميدانه نظره

وأنشدنى

الى آخر الآية فانصرف حبيش الى أبيه فاخبره بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا عليه الآية الشريفة فجعل يردد هاويقول ان هذا لرب كريم يأمر بمحاسن الاخلاق وينهى عن مساويها ثم جمع اليه بنى تميم وقام فيهم خطيبا وعمره اذذاك مائة وتسعون سنة وفى ذلك يقول

وان امرأ قد عاش تسعين حجة
الى مائة لم يسأم العيش جاهل

ويروى لخمس فلم يسأم على ان عمره خمس وتسعون سنة وهو الاقرب ثم قال يا بنى تميم لا تحضروا الى سفيها فان السفيه يوهن من فوقه ويثب من دونه اى يهلكه ولا خير فيمن لا عقل له ان ابنى قد شاهد هذا الرجل الذى ظهر بمكة وشافهه وهو يأمر بمحاسن الاخلاق ويدعو الى توحيد الله عز وجل وخلع الاوثان وقد عرف ذوو الرأى منكم ان الفضل فيما يدعو اليه وان احق الناس بمعاونته لانتم فان كان الذى يدعو اليه حقا فهو لكم وان كان باطلا كنتم احق من كتم وستر وقد سمعت أسقف نجران يذكره ويترجى أن يكون له فسمى ابنه محمدا فكونوا فى أمره أولا ولا تكونوا آخرا وائتوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين والله

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبى الحسن الصوفى بدمشق فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة

وأدهم اللون فات البرق وانتظره * فغارت الريح حتى غيبت أثره
فواضع رجله حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره
شهم تراه يحاكى السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف خبره
ويعقر الوحش فى البيداء فارسه * ويثنى وادعا لم يلتحف غبره

ومما اتفق لى نظمه فى فرس أشقر

ياحسنه من أشقر قصرت * عنه بروق الجو فى الركض
لا تستطيع الشمس من جريه * ترسمه ظلا على الارض

وقال الطغرائى يصف الصبح

وردنا سحيرا بين يوم وليلة * وقد علقت بالغرب أيدى الركائب
على حين عرى منكب الشرق جذبه * من الصبح واسترخى عنان الغياهب

ما أحسن هذه الاستعارة فى عرى منكب الشرق وفى استرخاء عنان الليل يعنى ان الصبح ظهر وانكشف والليل أسرع ذاهبا والاستعارة الاولى من قول ذى الرمة

وقد لاح للسارى الذى كل السرى * على أخريات الليل فتق مشهر
كمثل الحصان الانبط البطن قائما * تمايل عنه الجل والليل أشقر

فأخذه ابن المعتز فقال

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال
غداة الصبح تحت الليل باد * كطرف أشقر ملقى الجلال

ونقله ابن المعتز الى النار فقال

مشهرة لا يحجب البخل ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرج أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن متنها جلا

والاستعارة الثانية تشبه قول ابن عمار الاندلسى

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والليل قد صرف العنان عن السرى

لكن ابن عمار كنى عن ذهاب الليل بصرف العنان والطغرائى كنى عن ذهابه بارخاء العنان كانه أسرع وولى هاربا واستعمله ابن قلاقس فى البرق فقال

نعم هو البرق على الأنعم * فاشق به ان شئت أو فانعم
لاح بأعلى هضبة خافقا * خفق لواء البطل المعلم
وزال عن صهوة طرف الدجا * سقطة جل الفرس الادهم

وقال الطغرائى من أبيات

ونفس باعقاب الامور بصيرة * لها من طلاع الغيب حاد وقائد
وتأنف ان يشفى الزلال غليلها * اذا هى لم تشتق اليها الموارد

يشير الى قول أبى العلاء المعرى مع انه هدم القافية

اذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت * عن الماء فاشتاقت اليها المناهل

ان هذا الذى يدعو اليه لو لم يكن دينا لكان فى أخلاق العرب حسنا فأطيعوا أمرى فمن سبق فاز ومن تأخر ندم فقام مالك بن نويرة وقال لقد خرف شيخكم فلا تتعرضوا للبلاء فقال أكثم ويل للشجى من الخلى لهفى على أمر لم أدركه ولم يسبقنى ثم رحل الى النبى صلى الله عليه وسلم فمات فى الطريق وبعث باسلامه مع من أسلم ممن كان معه وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية وهى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله نزلت فى أكثم ومن تبعه من أصحابه وقال قوم آخرون خرج مهاجرا ولم يسلم وكان من أفصح خطباء العرب وجمع من كلامه شئ كثير ومما صح من أمثاله على ما رواه ابن دريد عن أبى حاتم قوله يابنى تميم لا يفوتكم وعظى ان فاتكم الدهر بى يابنى تميم ان مصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومن سلك الجد أمن من العثار ولن يعدم الحسود أن يتعب فكره ولا يجاوز ضره نفسه والسكوت عن الاحمق جوابه * ومن أمثاله أشبع جارك وأجع فارك يعنى لا تدخر شيئا يأكله الفار أو يعنى بالفار الفضل فى الجسد أى

وهو مأخوذ من قول البحترى

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

ومن هذا المعنى أخذ المتنبى قوله

لو تعقل الشجر التى قابلتها * مدت محببة اليك الاغصنا

ولكن ديباجة البحترى أحسن وأمكن وأمتن قال ميمون بن هارون رأيت أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلادرى المؤرخ يقول كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا من قال مثل قول البحترى فى المتوكل لو أن مشتاقا البيت فرجعت الى دارى وصنعت بيتين وأتيته فقلت قلت فيك أحسن مما قال البحترى فقال هاته فأنشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه اعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث لى بسبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث بعدى ولك على الجراية والكفاية مادمت حيا وقال الطغرائى

انى لاذكركم وقد بلغ الظما * منى فاشرق بالزلال البارد

وأقول ليت أحبتى عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

وقال أيضا

مرض النسيم وصح والداء الذى * أشكوه لا يرجى له افراق

وهذا خفوق البرق والقلب الذى * ضمت عليه جوانحى خفاق

وما أحسن قول ابن التعاويذى وأرقه

ارحم ضنى جسد أودى السقام به * أتلفته فيك واعطف فى تلافيه

واسأل خيالك عنهم أكابده * ليلى الطويل وعن وجد أعانيه

تصرمت فيك أيامى وقصر عذالى وقلبى المعنى فى تماديه

وقال الطغرائى

تالله ما استحسنت من بعد فرقتكم * عينى سواكم ولا استمتعت بالنظر

ان كان فى الارض شئ غيركم حسنا * فان حبكمو غطى على بصرى

وقول أبى الطيب

يقضى على المرء فى أيام محنته * حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

هذا من قول عباس بن الاحنف فيما أظن

قالت وابثثتها سرى فبحت به * قد كنت عندى محب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصرى

وما أحسن ما ضمنه مجير الدين محمد بن تميم وسيأتى

لما رحلتم بقلبى فى حمولكم * فظلت حيران بين الهم والفكر

سلطت دمعى على عينى وقبلكم * قد كنت أشفق من دمعى على بصرى

وقال الطغرائى

خبروها أنى مرضت فقالت * أضنى طارف شكى أم تليدا

وأشاروا

لا تسمن وجارك جائع * ومن امثاله أيضا لا تهرف بما لا تعرف * وسئل ما الحزم فقال سوء الظن بالناس وأقواله كثيرة وقلما عرف له نظم

(وانك راسلتى مستهديا من صلتى فما صفرت منه أيدى أمثالك)

(الصلة) قرب الشئ وبلوغه ويستعمل فى الاعيان والمعانى ومنه سميت العطية صلة وقيل فلان متصل بفلان اذا كانت بينهما نسبة أو مصاهرة والصلة ههنا تحتمل الوجهين اما المودة وتقوم مقام العطاء أو القرب ويقوم مقام الاتصال (وصفر) الاناء اذا خلا حتى يسمع له صفير لخلوه ثم صار متعارفا فى كل خال من الآنية وغيرها ويقال صفرت اليد اذا خلت وسمى خلو العروق من الغذاء صفرا وكانت العرب تزعم أن ذلك حية فى البطن تسمى الصفر حتى جاء فى الحديث لا صفر والمعنى انك تتعرض من صلتى لما تخلو منه يدمرادك

(متصديا من خلتى لما قرعت دونه أنوف أشكالك)

(التصدى) المقابلة مأخوذ من مقابلة الصدى أى الصوت الراجع من الجبل (والخلة) المودة اما لانها تتخلل النفس أى تتوسطها

وأشاروا بان تعود وسادى * فابت وهى تشتهى ان تعودا
وأتتنى فى خيفة وهى تشكو * ألم الوجد والمزار البعيدا
و رأتنى كذا فلم تتمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(قلت) هذه الابيات يرشفها السمع مداما ويفضلها السامع على العقود نظاما ويظن الناظر الفاتها غصونا والهمزات عليها حماما وما أحسن قول الاستاذ شمس الدين بن العفيف فى الزيارة

ومليح كالبدر زار بليل * فجلا حسنه الدجا اذ تجلى
مادرى منزلى ولكن قلبى * بلهيب الجوى هداه وولى
وعجيب منه فقيه ذكى * يجعل النزاع كيف استدلا

وفى قوله يجعل النزاع مسامحة يسيرة تغتفر لما فيها من التورية وأما العيادة فيجبنى فيها قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

مرضت لله قوم * مافيهم من جفانى
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعانى

وقد أنشدتهما الجماعة من العصريين فلم يفسروا كيفية اختلاف المعانى فى عادوا بل الفاضل منهم يقول الاول من العيادة والثانى من العود قلت والثالث من قولهم اللهم عد علينا بفضلك ونقلت من خط السراج الوراق له أيضا

قال صديقى ولم يعدنى * وعارض السقم فى أثر
لقد تغيرت ياصديقى * ويعلم الله من تغير

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ومسلولة فى الحب لما ان رأت * أثر السقام بعظمى المهتاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

والثانى بديع وفى الاول نظر من وجهين (وقال) ناصر الدين بن النقيب الفقيسى رحمه الله تعالى

سمعت بما تشكو وما أنت واجد * فظلت دموع العين فى الخد تسفح
واوسلت خطى فى العيادة نائبا * وما كل خط للزيارة يصلح

وقال الطغرائى فى البان

غصون الخلاف اكتست فانبرت * لها الطير دراسة شجوها
مقدمة لورود الربيع تشخص أبصارنا نحوها
أحست برحلة فصل الشتا * فجاءت وقد قلبت فروها

(قلت) لابد من المسامحة فى هذا الثالث وقد قلده الآخر فقال

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل نشتكى الحرا
اما ترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو الى برا

وأسلم منهما قول القائل

أوما ترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بعده المياس

فان الخلل الفرجة بين الشيئين واما الفرط الحاجة اليها ويقال خاللته مخاللة فهو خليل وسمى الله تعالى نبيه ابراهيم خليلا لافتقاره الى ربه تعالى (والقرع) صوت ضرب شئ على شئ والمعنى انك تخطب من مودتى مالا يصلح له أمثالك واشكالك فدفعوا عنه وضربت أنوفهم دونه اما حقيقة أو مجاز الكون أنهم ردوا فصل لهم من الهوان مايحصل لمن يضرب أنفه وخص الانف بالضرب لانه محل الشمم والكبر مع ان المثل للعرب يخاطب به الخاطب الكفؤ فيقول هو الفحل لايقرع أنفه والاصل فحل الابل اذا ضرب وجهه عن الناقة التى لايريدون نتاجها منه وتمثل به أبو سفيان ابن حرب حين بلغه زواج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته أم حبيبة فقال ذاك الفحل لايقرع أنفه

*(مرسلا خليلتك مرتاده * مستعملا عشيقتك قواده)*

(خليلتك) صاحبة مودتك أو حليلتك زوجتك وفى كلا المعنيين ذم للمرسل لان الخليلة أو الحليلة التى هى محل الغيرة على الرجل لاتغار على مثله حتى تمشى بينه وبين النساء (والمرتاد) طالب الكلا وسمى به الطالب مطلقا

وافى بشير ابا الربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وما أحلى قول محيى الدين بن قرناص

والبان مذ ولى الشتا * أقبل فى زى عجب
يخلع سنجابا من السفر ويبدو فى غبب

قلت تشبيه البان بالسنجاب والبرطاس واقع فى موضعه (حكى) أن شهاب الدين أبا جلنك كتب ورقة الى بعض الحكام يسأله فيها شيئا فوقع له برطلين من خبز فتوجه الى بستان للحاكم و كتب على حائطه رحمه الله تعالى

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانير ارأت * قاضى القضاة فنفشت أذنابها

قيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك املى عليهما كراسة فى البديع ولم ارها وقال الطغرائى فى الشمعة من ابيات

يحيى بما يفنى به من جسمه * فحياته مرهونة بفنائه
ساويته فى لونه ونحوله * وفضلته فى بؤسه وشقائه
هب انه مثلى بحرقة قلبه * وسهاده طول الدجا وبكائه
أفوادع طول النهار مرفه * كمعذب بصباحه ومسائه

وما تركت قصيدة الارجانى الهائية التى له فى الشمعة رأسا يرفعه شاعر ولا بيتا فى غيرها يعد من البديع النادر بل أخذت بمجامع الحسن وفاقت على المتقاول اللسن ولشهرتها لم أثبتها هنا وقال الطغرائى فيها أيضا من أبيات

اعدى اليه لظى فؤادى فالتقى * نارا تحدث عن لظى برحائه
أمعذب والنار فى عذباته * كمعذب والنار فى احشائه

وما أحلى قول مجير الدين محمد بن تميم وقد اجتاز ليلة بدار صاحب له ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره ومن خطه نقلت

لما أزرتك شمعتى لتنيرها * جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
وافته حاسرة فقبل رأسها * وأعادها نحوى بتاج من ذهب

وله فى مليح فى يده شمعة

عجبا له أنى يزور بشمعة * وضياؤه يثنى الظلام نهارا
واظنها لما تلهب قلبها * حسدا أسالت دمعها مدرارا
وغدت لفرط الغيظ تعطى كل من * وافى ليقطع رأسها دينارا

وما أحسن قول القائل

وباكية من غير حزن بأدمع * تذوب بها احشاؤها حين تهمل
دموع اذا اردت اليها بكت بها * ولم أر دمعا غيره رد فى المقل

وقول الآخر

اذا مرضت طال منها اللسان * ومد المداوى اليها يدا
ويقطف من رأسها الجلنار * فيرجع اهليلجا اسودا

وقال

وأصل الرود التردد فى طلب الشئ يرفق وباعتبار الرفق قيل رادت المرأة فى مشيتها فهى رود (وقاد) الشئ فانقاد له أى خضع وقوّد شدد للكثرة واستعمل فيمن يجمع بين الشخصين حراما لانه أصعب للانقياد وكانت القوّادة فى العرب تكنى أم حكيم ولما قال ابن أبى ربيعة فى وصف القوّادة

فأتتها طيبة عارفة
تخلط الجد مرارا باللعب
تغلط القول اذا لانت لها
وتراخى عند ثوران الغضب

قال له ابن أبى عتيق يا ابن أخى ان الناس لمحتاجون الى خليفة مثل قوّادتك ليسوسهم ومنه كان يقال فى المثل أقود من ظلمة قيل انها امرأة كانت تقول اذا مت فأحرقونى وتربوا برمادى الكتب المرسلة بين المتعاشقين فانهم يجتمعون وقيل انها الظلمة من الليل فانها تستر وتعين على الاجتماع وأنشد بعضهم

فالشمس نمامة والليل قوّاد

(كاذبا نفسك انك ستنزل عنها الى وتخلف بعدها على) يعنى انك وعدت نفسك أن تترك الاتصال بهذه المرأة التى هى خليلتك وتتعوض عنها بحصولى وهذا أمر لا يقع فأنت كاذب نفسك فى الوعد أو وعدت هذه المرأة التى

وقال الطغرائى من ابيات فى الروض والنهر

يشقها فى وسطها جدول * مياهه العذبة مثلوجه
له سواق طفحت والتوت * تلوّى الحيات منبوجه
فهى رماح أشرعت نحوها * تطعنها سلكى ومخلوجه

(قلت) عجز البيت الثالث صدر بيت امرئ القيس وهو

تطعنهم سلكى ومخلوجة * كرّ الامين على بابل

السلكى الطعنة المستقيمة التى تكون حيال الوجه والمخلوجة التى تأتى عن اليمين وعن الشمال

وقال ابن حمديس الصقلى وأحسن

ومطرد الاجزاء تصقل متنه * صبا أعلنت للعين ما فى ضميره
جريح بأطراف الحصا كلما جرى * عليه شكى أوجاعه بخريره
كأن حبابا ريع تحت جنابه * فاقبل يلقى نفسه فى غديره

وقال الطغرائى يصف كوكب الرجم

وليل ترى الشهب منقضة * بها نحو مسترق سمعه
كمارد من ذهب مدة * على لازوردية الرقعه

وما أحسن قول بعضهم فيه

وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يذكى اثره لهبه
كفارس حل من تيه عمامته * وجرها كلها من خلفه عذبه

وقال الطغرائى يصف الهلال والثريا

وترى الثريا والهلال مظاهرا * لمعنبر من حليه ومجعد
كالحب فضل فى وشاح خريدة * حسناء تطلع فى لثام أسود
فكأنه وكأنها فى جنبه * عنقودة فى زورق من عسجد

(قلت) وقول ابن طباطبا العلوى أحسن ما قيل فى هذا الباب

أما والثريا والهلال جليهما * لى الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأسماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلالا لديناقرطها وسوارها

وتشبيه ابن المعتز أكل من ثالث الطغرائى حيث قال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفا غر شره * يفتح فاه لاكل عنقود

وقال ابن المعتز أيضا

زارنى والدجا أحم الحواشى * والثريا فى الغرب كالعنقود
وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود

وشبههما ابن قلاقس تشبيها حسنا فقال

يارب ليل أشتهى لباسه * قد عطر الوصل لنا أنفاسه
دع امرأ القيس ودع أمراسه * فترى الهلال سرعة قد قاسه
منكسا تحو الثريا راسه * هل تعرف العرجون والكباسه

هى عندك بمنزلة نفسك فى الوعد انك اذا ظفرت بى تركتها وأطلقت سراحها لرغبتها فى البعد عنك فهى تسعى فى هذا الامر سعى المجتهد وهذا أمر لا يتم فقد كذبتها فيما وعدت (والخلف) ما جاء بعد الشئ ومنه سمى الخليفة ويقال بالتحريك للمدح مثل خلف صالح وبالسكون للذم كجلد الاجرب

*(ولست بأول ذى همة
دعته لما ليس بالنائل)*

هذا البيت للمتنبى وحسن التمثيل به ههنا لمطابقة المعنى فى طلب ما لا يوجد لاسيما ان كان التصحيف أريد بلام النائل فان ذلك فى هذا الموضع يكون عجبا وكثيرا ما يعتمد أهل الظرف شبيه ذلك فى مكاتباتهم * وحيث أفضى القول الى ذكر المتنبى فلا بأس بذكر نبذة من أخباره فاما أشعاره فقد ملأت الاقطار لكنى أقتصر منها على ذكر القصيدة التى منها هذا البيت وكذلك اعتمد فى كل ما يمر من شعره فى هذه الرسالة وهو أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفى ويكنى أبا الطيب ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة وقيل ان أباه كان يسمى عبدان وهو رجل يستقى الماء على جمل له بالكوفة ونشأ أبو الطيب

ولمحمد بن الخياط الدمشقى فى تشبيه الهلال قريبا من كوكبين

لاح الهـــلال كما تعـوج مرهفا * والـكوكبان فأعجبا بـل أطـرفا
متتابعين تتابع الكعبين فى * رمح أقـيم الصـــدر منـه وثقفا
فـكأنه وقـــد استقاما فوقـه * كف تخـالف أكرتين تلقفا

ولآخر فى تشبيهه مع الزهرة

أما رأيت الافق لما غدا * هـــلاله ملتقم الزهره
كعاشق قبـل معشوقة * فالتقمت من فـيه دره

ولآخر فى تشبيهه مع انقضاض النجوم

كأنما الليـل والهـلال وقـد * وافت نجوم السماء منقضه
رام من الزنج قوســـه ذهبت * تنـدر منـه بنادق الفضـه

(أنشدنى) من لفظه لنفسه الشهاب أبو الثناء محمود بدمشق سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فى تشبيه الثريا والهلال والدارة

كأن الـثريا والهـــلال ودارة * حوته وقـد زان الثريا التئامها
حباب طفا من حـول زورق فضـة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

وقال الطغرائى فى تقابل الشمس والقمر

وكأنما الشمس المنـــيرة اذبدت * والبدر يخنع للغروب وماغرب
متحاربان لذا مجـــنّ صاغـــه * من فضـة ولذا مجنّ من ذهب

(قلت) وقال الشريف دفترخوان

تأمل اذا ماقابل البـدر شمسـه * صباحا وكل يملأ الافق أنوارا
كأن الذى ألقى الى الغرب درهما * لحاجته ألقى الى الشرق دينارا

وقال الطغرائى فى الهلال

قوموا الى لذاتكم يانيام * ونبهوا العود وصفوا المدام
هذا هلال الفطر قد جاءنا * بمنجل يحصد شهر الصيام

(قلت) وأحسن منه قول ابن المعتز

انظر الى حسن هـلال بدا * يهتـك من أنواره الحنـدسا
كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجا نرجسا

ومن أحسن ماقيل فى وصف الهلال قول علاء الدين النابلسى

هلال شوال مازالت مطالعه * يرنو اليها الورى من شدة الفرح
كاصبعى كف ندمان أشار الى * ساق لطيف يروم الاخذ للقدح

وقول أبى الحسين الجزار

ان هلال الفطر لما بدا * مستحسنا فى أعين الناس
وددت ان ألثمه عندما * راح يحاكى شفة الكاس

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب

أعملت فكرى فى السماء وقد بدا * فيها هلال جسمه منهوك

مشتغلا بالادب راغبا فيه مع فقره واحتياجه وكان من أذكى الناس وأسرعهم حفظا (حكى) انه جلس يوما بالورّاقين فى أيام صباه فاستعرض من أحد الدلالين دفترا فيه أكثر من عشرين ورقة فأطال تأمله الى أن قال له الدلال ان كنت تريد شراءه فعجل الثمن وان كنت تريد حفظه فهذا يكون فى شهر فقال ان كنت حفظته آخذه بغير ثمن قال نعم فشرع يسرده عليه حفظا الى أن أتمه ووضعه فى كمه وانصرف ثم نظم الشعر واسترزق به وطاف البلاد وكان يقنع من الجائزة بأيسر شئ ثم نزل باللاذقية على معاذ بن اسمعيل فاكرمه وأحسن اليه وأقام عنده مدة ثم خرج الى بادية السماوة فنزل بقوم من بنى عبس فتنبأ وعمل أسجاعا كثيرة وتبعه قوم منهم وكان سبب ذلك وقائع نادرة منها أن قوما قالوا له ان ههنا ناقة صعبة فان ركبتها علمنا انك مرسل فتحيل يوما الى أن ركبها فنفرت ساعة ثم سكنت وورد الحى وهو راكبها ومنها انه كان مستخفيا فراح ليلة هو ورجل فنبح عليهما كلب فلما ذهبا قال للرجل انك ستجد الكلب ميتا اذا رجعت فوجده كذلك وقيل كان يعرف نوعا من

فكأنما هي شقة ممدودة * وكأنه من فوقها مكوك

وقلت أنا وفيه تشبيهان باستعارتين

حكى هلال الافق لما مضت * له ثلاث واعتلى واستنار
مرآة خد بعضها ظاهر * والبعض منها في غلاف العذار

وقد جمع بعض الافاضل في وصف الهلال ما يقارب السبعين وأنا أذكر الآن هنا ما يمكن من تشبيهه ولم أذكر الشاهد عليه خوفا من الاطالة فأقول المقدم على ذلك كله تشبيه القرآن العظيم بالعرجون وشبه بحاجب النوبي الشائب وبقلامة الظفر وبضلع ملقاة في فلاة وبالصدع في الزجاج وبالزورق وبحرف النون وبشفرة السكين وبالنوى وبالسرج وبمخلب الطائر وبناب الفيل وبالخلخال وبالسوار وبالدملج وبطوق عروس وبوقف من عاج وبالقوس وبملحة انتقبت وبأثر الظفر في تفاحة وبزبانى عقرب من فضة وبقبضى سرطان من ذهب وبراكع منحن وبخشكنانة وبعين المليحة وبقراضة دينار وبالفخ وبالمنجل وبطرف الصدغ وبالمكوك وبشفة الكاس وبوجه مسافر رفع العمامة عن جبينه وبجانب مرآة انكشف عنها الغلاف وباكليل ملك وبأثر الحافر وبنعل الحافر وبالعذار الشائب وبالسنان المنعطف وبعطفة اللام وبصولجان وبطيلسان مقور وبنصف زردة وقد ذكرت الشواهد على هذه التشبيهات في مقتضب لي مسمى بالتنبيه على التشبيه وقال الطغرائي رحمه الله

سأحجب عني أسرتي عند عسرتي * وأبرز فيهم ان أصبت ثراء
ولي أسوة بالبدر ينفق نوره * فيخفى الى أن يستجد ضياء

(قلت) أخذه من قول أبي بكر الخوارزمي

رأيتك ان أيسرت خيمت عندنا * لزاما وان أعسرت زرت لماما
فما أنت الا البدر ان قل نوره * أغب وان زاد الضياء أقاما

والاصل في هذا المعنى قول عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب حيث قال

اذا افتقرت نفسي قصرت افتقارها * عليها فلم يظهر لما أبدا فقرى
وان ألتقى في الدهر مندوحة الغنى * يكن لاخلائي التوسع في العسر
فلا العسر يزري بي اذا هو نالني * ولا اليسر يوما ان ظفرت به فخرى

على ان الخوارزمي أخذ المعنى من قول ابراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات

أسد ضار اذا ما نعته * وأب بر اذا ما قدرا
يعرف الأبعدان أثري ولا * يعرف الادنى اذا ما افتقرا

ولكن الخوارزمي أراد ان يضرب لهذه الحالة مثالا في الخارج فلم يجده الا في القمر فزاد ذلك حسنا وعكس الوراق الخطيري هذا المعنى أعني قول الطغرائي فقال

قد كان يجمع صحبه في فقره * فتفرقوا عنه لطول ثرائه
مثل الهلال ترى الكواكب حوله * فاذا استتم تغيبوا لضيائه

(الكلام فيما يتعلق بالقصيدة من العروض والقافية) العروض مؤنثة لانها مشتقة اما من الناحية والمراد بذلك الناحية التي قصدتها العرب قال الاخنس بن شهاب

السحر يسمى صدحة المطر وذلك ان الشخص يدير حوله بعصا ويذكر كلاما فيصرف عن موضعه المطر وذكر أن كثيرا من العرب باليمن من أهل حضرموت والسكون يعرفون هذه الصدحة حتى ان أحدهم يصدح عن ابله وبقره وعن القرية من القرى فلا يصيبها من المطر قطرة ومما يدل على ان المتنبي كان من السكون قوله

أمنسى السكون وحضرموتا
ووالدتى وكندة والسبيعا

مع انه كان يخفى نسبه فاذا سئل عنه قال أنا رجل أخبط القبائل ولا آمن أن يكون لاحد ثأر في قبيلتي فيقتلني ثم ان بعض الولاة ظفر بالمتنبي وحبسه فتاب ورجع عما ادعاه من النبوة وقيل له يوما على من تنبأت قال على السفلة قيل ان لكل نبي معجزة فما معجزتك قال قولي

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد

ثم تقلبت به الاحوال ووصل الى سيف الدولة علي بن حمدان بحلب فأقبل عليه ولحظته السعادة واشتهر ذكره في الآفاق ورزق من الحظ والنعمة والسعة ما لا مزيد عليه ثم اتفق بينه وبين ابن خالويه كلام بحضرة سيف

الدولة فضربه ابن خالويه
بمفتاح فخرج غضبان ورحل
الى مصر فاتصل بمتوليها كافور
الاخشيدى فطمع منه بالولايات
فلم يتهيأ له ذلك ورحل فى
البرية الى العراق فاقام بها
أياما وسئل عن ذلك فقال
ان بنى حمدان كدروا خاطرى
فجئت أريحه ويقال ان هذا
من الكلام الموجه فى مدح
الجهتين وذمهما ثم رحل الى
العجم فمدح عضد الدولة
وابن العميد وكسب أموالا
جزيلة ورجع فقتل فى
الطريق سنة أربع وخمسين
وثلثمائة وكان رحمه الله قد
انفرد بخصال منها الكبر
الزائد كما ذكره الحاتمى وغيره
وكما أحوجه الى فراق سيف
الدولة *ومنها البخل حتى
حكى انه أجيز على قصيدة
بعشرة آلاف درهم فوزنها
ووضعها فى كيس وختمه
ورفعه الى صندوق فى خزانته
ثم رجع الى مجلسه فوجد بين
الحصير قطعة تكون مقدار
ربع درهم فعالجها بأظافيره
وهو ينشد قول ابن الحطيم
تبدت لنا كالشمس تحت
غمامة
بدا حاجب منها وضنت بحاجب
الى أن أخذها فأعاد الكيس
ووضعها فيه بحضرة جماعة
يعرف أنهم يذمونه بذلك
*ومنها اقبال الناس على

لكل اناس من معد عمارة * عروض اليها يلجؤن وجانب

واما من قولهم ناقة عروض أى صعبة والمراد بذلك انها تراض بها الصعب حتى يدخل الوزن وهذا أحسن من قول من قال مأخوذ من العرض لان الشعر يعرض على هذه الاوزان فما وافق كان صحيحا وما خالف كان سقيما اذ الصحيح انه معروض عليه اللهم الا أن يقال مفعول بمعنى فعول وليس بشئ وعلى هذا تكون العروض مذكرة واما من العروض أى الطريق التى فى الجبل والمراد الطريقة المسلوكة التى تسلكها العرب وقيل لما شبهوا البيت من الشعر ببيت من الشعر شبهوا العروض التى تقيم وزنه بالعروض وهى الخشبة المعترضة فى سقف البيت كما شبهوا الاسباب بالاسباب والاوتاد بالاوتاد والفواصل بالفواصل والعروض اسم لآخر الجزء الذى هو نصف البيت الاول وانما سمى عروضا لكثرة دوره كما سمى علم المواريث فرائض لكثرة قولهم فرض الزوج كذا فرض الام كذا وأما حد علم العروض اصطلاحا فانه علم بمعرفة أوزان شعر العرب وقال الجاحظ العروض ميزان الشعر ومعياره وبه يعرف الصحيح من السقيم والمعتدل من السليم وعليه مدار القريض من الشعر وبه يسلم من الاود والكسر (قلت) هذا أليق بالوصف من الحد وقال الجوهرى العروض ميزان الشعر وهى ترجمة عن ذوق الطباع السليمة وقال على بن عبد الرحمن علم يدرك به معرفة ما تعتقده العرب من كلامهم شعرا وأقول انا العروض آلة قانونية تعصم مراعاتها الانسان عن ان يضل فى وزن شعر العرب وهذا الاحتراز الاخير أتيت به لان اللغة اليونانية فيها شعر ولهذا نسمعهم يقولون سولون الشاعر وقال أرسطوحكيم اليونان و خطيبهم وشاعرهم وليس الشعر عندهم ما يكون ذا وزن وقافية ولا ذلك ركن فيه بل الركن فى ذلك ايراد المقدمات المخيلة فحسب فان كانت المقدمة التى ترد فى القياس الشعرى مخيلة فقط تمحض القياس شعريا وان انضم الى المقدمة قول اقناعى تركبت المقدمة من معنيين شعرى واقناعى قال أرباب المنطق القياس الشعرى قول مؤلف من مقدمات مخيلة تؤثر فى النفس تأثيرا عجيبا من قبض أو بسط كقول القائل محا البيضة عذرة والخمر ياقوت سيال فالاول يؤثر فى النفس انقباضا والثانى انبساطا (وذكر) لى العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى ان الشعر اليونانى له وزن مخصوص ولليونان عروض لبحور الشعر والتفاعيل عندهم تسمى الايدى والارجل قال ولا يبعد أن يكون وصل الى الخليل بن أحمد شئ من ذلك فأعانه على ابراز العروض الى الوجود انتهى والحاجة ماسة وداعية الى معرفة الوزن وما يجوز من الزحاف فى كل بحر وما لا يجوز فقد وقع فى ذلك جماعة من كبار العرب كامرئ القيس ومهلهل وعلقمة بن عبدة وعبيد بن الابرص وغيرهم وجماعة من كبار المحدثين كابى العتاهية والبحترى وأبى الطيب وحسبك بوقوع مثل هؤلاء الفحول فى الخروج عن الوزن واذا اتفق مثل هذا لمثل هؤلاء فما الظن بغيرهم وقال قوم لا حاجة الى العروض لان كل من نظم بالعروض شق ذلك عليه وأتى به متكلفا ولا يتأتى له وزن البيت الواحد بل الكلمة الواحدة يدخلها الوزن وينظر فى حركاتها وسكناتها وهل هى من سببين وفاصلة صغرى أولا الى غير ذلك من التفصيل الابعد مكابدة مشقة عظيمة والى أن ينظم الناظم بالعروض بيتا نظم صاحب الطبع السليم قصيدة وما أحسن قول أبى فراس ابن حمدان

تناهض الناس للمعالى * لما رأوا نحـــوها نهوضى
تكلفوا المكرمات كدّا * تكلف النظم بالعروض

وقول ابن حجاج

مستفعلن فاعلن فعول * مسائل كلها فضول
قد كان شعر الورى صحيحا * من قبل أن يخلق الخليل

(قلت) هـذا الوزن يعرف بمخلع البسيط ولابد للباغى من مصرع فان ابن الحجاج بغى على الخليل فاورده بغيه مصرعا فظيعا وأوقعه الله فى زحاف هذا الوزن بعينه لانه قال أول قصيدته البائية

النيك عندى أحلى وأطيب * من عنب أصفر مزبب

فان وزنه مستفعلن فاعلن فعولن فهو كما ترى غير فاعلن بمفعولن فزاد سببا خفيفا فى قوله عندى أحلى وقال ابن نقاده يهجو

أعبيد من سماك انسا كاذب * ما للوحاشة عن خلالك معدل
وأقمت ميزان العروض وقد غدا * تقطيع كاملها بوصفك يكمل
مستصفع مستقود مستجهل * مستحمق مستبرد مستثقل
مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعل

ولقائل ان يورد على العروض ما أورد على المنطق وعلم المعانى فيقول ان كان هـذا العلم من النظريات فليستغن عن تعلمه والا افتقر الى علم آخر ودار أو تسلسل ولان اصابة الانسان فى الاتيان بما ينظمه من بحور الشعر على اختلاف أوزانها من غير مراعاة هذا العلم تنفى الحاجة اليه وقال الجاحظ العروض علم مستبرد ومذهب مرفوض وكلام مجهول يستكد العقول بمستفعلن ومفعول من غير فائدة ولا محصول (يحكى) ان أبا جعفر أحمد بن النحاس المصرى النحوى كان جالسا على درج المقياس فى سنة لم يزد فيها النيل والناس من أمره فى شدة وهو اذ ذاك يقطع فى بيت شعر فمر به اثنان فسمعاه يتكلم بكلام غير معقول المعنى فتوهما فيه انه يسحر النيل فدفعاه الى البحر فغرق (ويحكى) ان بعض الاكابر مر بامرأة من بعض احياء العرب فقال لها من المرأة قالت من بنى فلان فأراد العبث بها فقال لها أتكتنون فقالت نعم نكتنى فقال لها معاذ الله ولو فعلته لاغتسلت فاجابته على الفور وقالت له دع ذا أتعرف العروض قال نعم قالت قطع لى قول الشاعر

حولوا عنا كنيستكم * يا بنى حالة الحطب

فلما أخذ يقطعه وقال حولوا عن ناكنى فقالت من هو فتعجب وقال الله أكبر ان للباغى مصرعا وقد روى صاحب العقد وغيره هذه الحكاية واختلفوا فيها وزادوها بيتا آخر والذى اعتقده انها موضوعة وعلى الجملة فلا باس بمعرفة ما أمكن من العروض وأحسن ما فيه معرفة فلك الدوائر وبمعرفة ذلك يعرف قدر واضعه الذى استنبطه فانه كان ذا ذهن متوقد وعقل صحيح وفطرة سليمة قيل انه قال أريد ان أضع قاعدة فى الحساب اذا توجهت الجارية بها الى البقال ومعها درهم لا يكاد يظلمها فى فلس واحد ثم أخذ يفكر فيها وهو فى المسجد ذاهبا وراجعا فبينا هو مشغول عن نفسه لطمته السارية فمات منها (ومن فوائد) علم العروض فصل شعره واشتغالهم به حتى ترك شعر غيره ووضع لشعره أكثر من أربعين تصنيفا وكان اذا سئل عن معنى من قوله قال اذهبوا الى ابن جنى فانه يقول لكم ما أردته وما لا أردته * ومنها معرفته بلغة العرب وحوشيها حتى حكى أن أبا على الفارسى الدارينى قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال حجلى وظربى قال أبو على فطالعت الكتب ثلاث ليال على انى أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجده وكان يرمى بفساد عقيدته استخرج ذلك من شعره مثل قوله على مذهب السوفسطائية

هوّن على بصر ما شق منظره * فانما يقظات العين كالحلم

وقوله على مذهب القائلين بالنفس الناطقة

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
الا على شجب والخلف فى الشجب

فقيل تسلم نفس المرء باقية * وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

وقوله على مذهب الهوائية وأصحاب القضاء

تبخل أيدينا بأرواحنا * على زمان هن من كسبه
وهذه الارواح مرجوّة * وهذه الاجسام من تربه

وغير ذلك من المكفرات

ظاهر المحتج فيها باطنا وعلى
الجملة فكان كثير المحاسن
والمحاسد وله أشعار لم تدخل
فى ديوانه مثل قوله

وتركت مدحى للوصى تعمدا
اذ كان نورا مستطيلا شاملا
واذا استطال الشئ قام بنفسه
وصفات نور الشمس تذهب
بالطلا

وهو شبيه بنفسه ويروى له
أيضا نثر لطيف مثل قوله
وقد مرض بمصر فعاده بعض
أصحابه مرارا ثم انقطع عنه
بعد ما شفى وصلتنى وصلك
الله معتلا وهجرتنى بليلا فان
رأيت أن لا تحبب العلة الىّ
ولا تكدر الصحة علىّ فعلت ان
شاء الله * فاما القصيدة التى
منها البيت المذكور بسببه
فانه يمدح بها سيف الدولة بن
حمدان ويذكر فيها خلاص
بعض أقاربه من الاسر وهزيمة
بعض الخوارج عليه أولها

الام طماعية العاذل
ولا رأى فى الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم
وتابى الطباع على الناقل
وانى لاعشق من عشقكم
نحولى وكل امرئ ناحل
ولو زلتم ثم لم أبككم
بكيت على حبى الزائل

يعنى انى أحب الحب لاجلكم
أوانى ألفته لطول صحبته فلو
زال بكيته

القضية فيما يتنازع فيه هل هو شعر عربى أم لا وقد رأيت للشيخ جمال الدين بن واصل كلاما
على قول البهاء زهير

يا من لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل

الابيات فقال فيها انها غير داخلة فى أبحر العروض وتابعه جماعة والصحيح أنها من بحر الوافر
الا أنه دخل فيه العقص وهو اجتماع الخرم بالراء والعصب فيخلفه مفعول بتحريك اللام
وشاهده

لولا ملك رؤف رحيم * تداركنى برحمته هلكت

تقطيع بيت البهاء زهير وتفعيله

يا من لـ عبت به شـمول * ما ألطاف هـذه الشمائـل
مفـعول مفاعلن فعولن * مفـعول مفاعلن فعولن

ورأيت قصيدة أظنها لابى الحسين الجزار مطلعها

يا عاذلى هجر المحبوب أو وصلا * أنا الذى لا أرى فى حبه بدلا

هذا البيت من البسيط ويخرج منه وزن آخر من المديد وهو

هجر المحبوب أو وصلا * لا أرى فى حبه بدلا

وأما عروض قصيدة الطغرائى هذه فانها من الضرب الاول من البسيط والبسيط نفسه مركب
من مستفعلن فاعلن أربع مرات وعروضه الاولى مخبونة والضرب مثلها ولم يأت عن العرب
سالما لا العروض ولا الضرب ولا يحسن ذوقهما فى السمع الامزاحفين وهو أمر غير معقول
المعنى والخبن هو حذف الثانى الساكن فيرجع مستفعلن الى مفاعلن وفاعلن الى فعلن وانما
سمى البسيط بسيطا لانبساط السببين على الوتد فى أول جزء وهو مستفعلن لانها مركبة من
سببين خفيفين ووتد مجموع وقيل لانه بسطت أسبابه من أسباب الطويل لانه فك منه فان
عيلن مفاهو مستفعلن وقيل لانه كانت عروضه فاعلن وضربه كذلك فصارا فعلن فانبسطت
الحركات فى قاعدتيه لان الالف كانت فاصلة ومانعة من انبساط الاولى الى الثانية فهو فعيل
بمعنى مفعول وهذا أحسن ما علل به والبيت مقفى لانه فى العروض بحرف الروى وهو اللام
استحجالا لبيان القافية للسامع ثم فى التقفية لم يلتزم ذلك وليس بمصرع لان من شرط التصريع
تغيير العروض عن زنتها الى زنة الضرب وههنا لم يتغير للعروض وزن والتصريع أخص من
التقفية لان كل مصرع مقفى من غير عكس (ذكرت) هذا الغز أنشدنيه بعض الاصحاب لشمس
الدين بن الصائغ الحنفى

يا عروضيا له فطن * بحرها بالفكر يضطرب
ايما اسم وضعه وتد * وهو ان صحفته سبب
ويرى فى الوزن فاصلة * ساكن تحريكه عجب

وهذا الغز ظاهره مشكل اذ الوتد غير السبب والسبب غير الفاصلة عند العروضى واللغز هو
فى جبل وأراد بالوتد قوله تعالى والجبال أوتادا وهو فى تصحيفه جبل وهو السبب لغة ووزنه
فاصلة صغرى لان جبلا ثلاثة أحرف متحركة بعدها ساكن وقد جمع مثال السببين والوتدين
والفاصلتين فى قول القائل لم أر على ظهر جبل سمكة ونقلت من خط السراج الوراق له

أنا الذى مرضت شهرا كاملا * فما رأيت عائدا ولا صله
لولا الوزير الصاحب البدر الذى * نعماه لى مع الزمان واصله
شارف قلعا وتدى وخاف قطـ * ـعا سببى فقلت هذى الفاصله

ومن شعره أيضا

قالت جمعت الفاقة كسلا * فانهض وقم واد أب لهم العائله
فأجبت هل تدرين لى سببا * قالت ولا وتداوهذى الفاصله

ونقلت من خطه أيضا له

مالى ونظم الشعر بانت صبوتى * والناس قد رغبوا عن الآداب
أأقوله عبثا بلا سبب له * والشعر مبنى على الأسباب

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباته

من منصفى من أناس * فيهم تحير ذهنى
لا درهم ماوزنوه * وحاولوا الشعر منى
وهل سمعتم بشعر * يأتى على غير وزن

وما أحسن قول الغزى

قالوا هجرت الشعر قلت لهم نعم * باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أنه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

والبسيط من الدائرة الاولى وهى دائرة المختلف وانما سميت بذلك لاختلاف أجزائها وهذه الدائرة تجمع ثلاثة أبحر وهى الطويل والمديد والبسيط أنشدنى بعض الاصحاب لغزا حسنا وهو

يا أيها الحبر الذى * علم العروض به امتزج
أبن لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ثم قال ان العالم العلامة نجم الدين أبا الحسين على بن داود القحفيرى أنشده لبعض الطلبة فى حلقته ففكر ساعة طويلة ثم قال هذا فى الساقية فقال له الشيخ أصبت الا انك درت فيها زمانا طويلا حتى وقفت على المقصود (قلت) وهذا من الشيخ أحسن من فك اللغز فانه ظرف فى التدوير واللغز ظاهره مشكل لانه ليس فى دوائر العروض ما يجمع البسيط والهزج لان البسيط من دائرة المختلف والهزج من المجتلب وأوهم بالبسيط وهو يريد الماء لانه أحد البسائط وأوهم بالهزج وهو يريد الصوت اللذيذ المسموع من الساقية حال الدوران ومن أبيات المعاياة فى العروض قول الشاعر

يا أيها القوم برتنى الخطوب * وخيال اذا رجعت يوما يؤوب

فانه يخرج من ثلاثة أبحر الاول من الضرب الثالث من الطويل الا ان أول النصف الاول مخروم بالراء المهملة أى ناقص حرفا وأول النصف الثانى محزوم بالزاى المعجمة أى زائد حرفا والثانى من الضرب الاول من المديد الا انه محزوم الاول بالزاى أى زائد حرفين ومحزوم أول النصف الثانى بزيادة أربعة أحرف والثالث من الضرب الاول من السريع وذلك اذا سكنت الباء وجعلت القافية مردوفة لكن فى أول النصف الثانى حزم بزيادة حرفين ويمكن عليه

كأن الجفون على مقلتى
ثياب شققن على ثاكل
ولو كنت فى أسر غير الهوى
ضمنت ضمان أبى وائل

يعنى لو أسرنى غير الهوى لخلصت منه كما خلص أبو وائل وهو قريب سيف الدولة وكان مأسورا فى بنى كليب عند الخارجى الذى خرج بهم على سيف الدولة وكان أبو وائل قد ضمن له فداء نفسه بذهب وخيل واستدعى سيف الدولة سر الخرج ومر بهم واستنقذه بغير فداء فذكر أبو الطيب صورة الحال

فدى نفسه بضمان النضار
وأعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة
فجئن بكل فتى باسل
فكان خلاص أبى وائل
معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت
على البعد عندك كالقائل

(ومنها)

وجيش أمام على ناقة
صحيح الامامة فى الباطل
فأقبلن ينحزن قدامه
نوافر كالنحل والعاسل
فلما بدون لاصحابه
رأت أسدها أكلة الآكل
بضرب يعمهم جائر
له فيهم قسمة العادل

يعنى بالجور افراطه فى قتلهم وبالعدل ثلاثة أوجه أحدها أنهم مستحقون لذلك لخروجهم

أن يخرج أيضا من الضرب الثانى من المديد وتقطيع البيت

أصالة الـ رأى صا ئنى عن الـ خطل * وحلية الـ فضل زا ئنى لدى الـ عطل
مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن * مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وأما القافية فانها من المتراكب وأقول القافية لغة تطلق على القصيدة قالت الخنساء

وقافية مثل حد السنا * ن تبقى ويذهب من قالها

واشتقاقها من قفوت أثره اذا تتبعته كأن الشاعر يتتبع الكلام التى تناسب ما بنى قصيدته عليه فحينئذ تكون فاعلة بمعنى مفعولة أى مقفوة كقوله تعالى عيشة راضية أى مرضية وقوله من ماء دافق أى مدفوق أو كأن كل قافية تقفو صدر البيت الاول وما أحسن قول أبى تمام الطائى

وتقفو لى الجدوى بجدوى وانما * يروقك بيت الشعر حين يصرع

والقافية اصطلاحا اختلفوا فيها اختلافا كثيرا وأصح الاقوال ما ذهب اليه الخليل بن أحمد من انها من آخر حرف فى البيت الى أول ساكن يليه مع حركة الحرف الذى قبله لانك ترى هذا القول منتظما بجميع العوارض فى القافية من حروف وحركات تراعى أحكامها ومتى اختل شئ مما شرطه فسدت القافية وانما أنثوا القافية مع كون الحرف أو الروى مذكرا لان حروف المعجم كلها مؤنثة تقول هذه ألف مستقيمة وجيم حسنة والمتراكب من القوافى ما كان فى آخر البيت فاصلة صغرى وهى ثلاث حركات بعدها ساكن وكذلك الخطل الخاء والطاء واللام متحركات والياء ساكنة وسمى هذا النوع متراكبا لتراكب حركاته وهو دون المتكاوس لان التكاوس هو الاضطراب والمتكاوس أربع متحركات والاضطراب أشد من التراكب فالروى فى هذه القصيدة هو اللام لانها الحرف الذى بنيت القصيدة عليه والروى فى اللغة هو الجمع والاتصال والضم ومن ذلك الرواء وهو الحبل الذى يشد به المتاع والاحمال قال الراجز

انى اذا ما القوم كانوا أنجيه * واضطرب القوم اضطراب الارشيه
وشد فوق بعضهم بالارويه * هنالك توصينى ولا توصى بيه

وقيل للماء الكثير روى لاجتماع الناس اليه فكأن هذا الحرف يربط القصيدة ويجمعها والياء التى بعد اللام فى القصيدة هى الوصل وسمى الوصل بذلك لانه وصل حركة المجرى وهى حركة الروى قلت قول الشاعر

يوشك من فر من منيته * فى بعض غراته يوافقها

هذه القافية وأمثالها نهاية ما يمكن أن يجتمع فى قافية وذلك لانه اجتمع فيها خمسة أحرف وهى التأسيس والدخيل والروى والصلة والخروج وكل واحد من هذه يلزم تكراره الا الدخيل واجتمع قبله أربع حركات وهى الرس والاشباع والاطلاق والنفاد فهذه تسعة أشياء اجتمعت فى قافية واحدة كما ترى فالالف فى الكلمة تأسيس وحركة الواو التى قبلها رس والفاء دخيل وحركتها اشباع والقاف روى وحركتها اطلاق ومجرى ان شئت والهاء صلة وحركتها نفاد والالف خروج (ذكرت هنا) ما كتب به بعض أدباء الاندلس الى الفقيه أبى عبد الله المازرى بالمهدية وهو

وربما عالج القوافى رجال * تلتوى تارة لهم وتلين .

والثانى انه وقع ذلك لمن بالغ منهم فى القتال والثالث أن الضربة كانت تقسم الفارس نصفين

ينصل يخضب منها اللحى فتى لا يعيد على الناصل

قال ابن وكيع يعنى أن كل خضاب ينصل الاخضاب هذه القتلى الذى هو الدم فانه لا ينصل فيعيده لانهم فارقوا الحياة وما ينصل غير خضاب اللحى وقال بعضهم وهو وجه بعيد الناصل المضروب بالنصل وهو فاعل بمعنى مفعول كقولك ناقة ضارب وعيشة راضية يريد أنه اذا ضرب انسانا بالنصل لم يبق فيه ما يحتاج الى اعادة ضربه خذوا ما أتاكم به واعذروا فان الغنيمة فى العاجل يعنى أن هذا بدل الفداء يتهكم بهم

وان كان أعجبكم عامكم فعودوا الى حص فى قابل

فان الحسام الخضيب الذى قتلتم به فى يد القاتل

(ومنها)

تركت جماجمهم فى النقا وما يتحصلن للناخل

(ومنها)

وعدت الى حلب ظافرا كعود الحلى الى العاطل

(ومنها)

كم لك من خبر شائع له شبه الابلق الجائل

طاوعتهم عين وعين وعين * وعصتهم نون ونون ونون

فأبن لى ماطاوعهم وماعصاهم فأجاب طاوعهم العجمة والعى والعجز وعصاهم اللسان والجنان والبيان قلت ما أحاب بشئ ومال عن الجد الى الهزل وماناسب بين الاول والثانى وكان ينبغى أن يقول عوض الثلاثة الاخيرة التى ذكرها النحو والنقل والنظم أو يقول طاوعهم الهلع والجزع والطبع وعصاهم اللسان والجنان والبيان لتكون أوائل الكلمات من القسمين متناسبة وكذلك الاواخر منهما ومثل هذا الجواب ماحكاه ضياء الدين بن الاثير فى المثل السائر بعد ماساق لغز الخليل وهو

ومضروب بلا جرم * مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على * مليح القد معشوق
وأكثر مايرى أبدا * على الامشاط فى السوق

قال وبلغنى أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيأ انتهى قلت ولو قال دخلت فلم أر على الامشاط فى السوق غير الكتان لكان أغرب وقد أوهم بالامشاط التى يرجل بها الشعر وهو يريد أمشاط الاقدام والسوق جمع ساق ومما اتفق لى نظمه فى الخلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

واتفق لى فيه أيضا

ما أصفر دار على أبيض * لان ولكن قلبه قاسى
ورب ساق غص منه وما * أحسن هذا الوصف فى الناس

(وأما الجواب) عن البيتين المتقدمين فى ذكر القوافى فهو ماوقفت عليه بالقاهرة المعزية بخط الفقيه كمال الدين أبى العباس أحمد بن سليمان بن ابراهيم الطوخى الشافعى صهر الشيخ جمال الدين أبى عمرو بن الحاجب وصورته أنشدنى الشيخ جمال الدين بن الحاجب ماذكره بعض أصحاب التاريخ فى المعميات وذكر البيتين ثم قال كتب هذان البيتان الى حاذق باخراج المعميات فاقام ستة أشهر ينظر فيهما الى أن كشفهما ثم حلف بأيمان مغلظة انه لاينظر فى معمى أبدا ولم يذكر تفسيرهما أصلا قال الشيخ جمال الدين فاضربت عن النظر فيهما لما تبين من عسرهما من سياق الحكاية ثم بعد أربعين سنة خطر الى بالليل فافكرت فيهما فظهر لى أمرهما وانه انما أراد بقوله طاوعتهم عين وعين وعين يعنى نحو يدوغدود لانها عينات مطاوعة فى القوافى مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة وكل واحد منها آخره عين الكلمة لان وزن غدفع ووزن يدفع ووزن ددفع وأراد بقوله وعصتهم نون ونون ونون الحوت لانه يسمى نونا والدواة لانها تسمى نونا والنون أحد حروف الهجاء وكلها نونات غير مطاوعة فى القوافى اذلا يلتئم كل واحد منها مع الآخر ثم انه نظم فى ذلك بيتين وسبك الجواب فيهما على الوزن والقافية فقال

وغدمع يددهى حروف * طاوعت فى الروى وهى عيون
ودواة والحوت والنون نونا * ت عصتهم وأمرها مستبين

(ومنها)

فهنالك النصر معطيكه
وارضاه سعيك فى الآجل
فذى الدار أخون من مومس
واخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها
ولا يحصلون على طائل

(ولاشك انها قلتك اذلم تضن بك وملتك اذلم تعز عليك)

يعنى أبغضتك لانها لم تبخل بك على من تحبه دونها (والقلى) شدة البغض يقال قلاه يقليه ويقلوه فمن جعله من الواوى فهو من القلو أى الرمى يقال قلت الناقة براكبها قلوا وقلوت بالقلم فكأن المقلو الذى يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله ومن جعله من اليائى فمن قليت السويق وغيره على المقلاة وفى الحديث اخبر تقله والهاء للسكت (والضن) البخل بالشئ النفيس ولهذا قيل علق مضنة ومنه قوله تعالى وما هو على الغيب بضنين اى بخيل على مايوحى اليه وقرئ بظنين أى متهم والامر كذلك على كل من المعنيين

(فانها أعذرت فى السفارة لك وماقصرت فى النيابة عنك)

يعنى بلغت عذر الاجتهاد لك فى الصلة بينى وبينك يقال اعذر الانسان اذا اتى ماصار

ثم قال ولا يشك عارف بالمعميات انه لم يرد سوى ذلك انتهى وعلى ذكر القافية فنقلت من خط السراج الوراق له

قلت صلنى فقد تقيدت فى الحب بأسر والاسر فى الحب ذل
قال يا من يجيد علم القوافى * لا تغالط ما لمقيد وصل

وقال الاسعد بن مماتى يصف قصيدة مقيدة

تبكى قوافى الشعر لامية * بيضتها جهلا فسودتها
لما علا وسواس ألفاظها * ظنتها جنت فقيدتها

(وقلت) أخاطب أمرد يسرق نظمى

ان كان لابد لولاى أن * يأخذ شعرى جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافيه

(وهذا أول القصيدة قال الطغرائى)

(أصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل)

اللغة (أصالة) مصدر أصل الشئ اصالة مثل ضخم ضخامة ومجد أصيل ذو أصالة ورجل أصيل الرأى محكمه قال ابن الانبارى الاصيل القوى الذى له أصل (الرأى) مصدر رأى رأيا مهموز ويجمع على آراء وأرآء أيضا مقلوب منه والرأى هو التفكر فى مبادى الامور ونظر عواقبها وعلم ما تؤل اليه من الخطا والصواب وأصحاب الرأى عند الفقهاء هم أصحاب القياس والتاويل كاصحاب أبى حنيفة وأصحاب أبى الحسن الاشعرى وروى نوح الجامع انه سمع أبا حنيفة يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الرأس والعين وما جاء عن الصحابة اخترنا وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال وقال يحيى القطان لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة وقد أخذنا أكثر أقواله وقال أبو يوسف قال أبو حنيفة علمنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا باحسن منه قبلناه وقال ابن حزم جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب أبى حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأى قلت وقول أبى حنيفة يشبه قول الخليل بن أحمد حيث قال مثلى فى النحو كمثل رجل دخل دارا قد صح عنده حكمة بانيها فقال انما كان الايوان هنا لكذا والصفة هنا لكذا فان وافق نية البانى والا فقد أتى بما يقبله العقل والشافعى احتاط لمذهبه فقال اذا صح الحديث فهو مذهبى أو فاضربوا بمذهبى عرض الحائط وبهذا احتج الشيخ محيى الدين النووى وصح امتداد وقت المغرب الى غيبوبة الشفق قال أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطى

عذيرى من قوم يقولون كلما * طلبت دليلا هكذا قال مالك
وقد قاله ابن القاسم الثقة الذى * على قصده منهاج الهدى هو سالك
فان عدت قالوا هكذا قال أشهب * وقد كان لا تخفى عليه المسالك

(قال) الشافعى ما رأيت كاهل مصر اتخذوا الجهل علما لانهم سالوا ما لكا عن مسائل فقال لهم لا أعلمها فهم لا يتعلمونها ممن يعلمها لان ما لكا قال لا أعلمها وأصحاب الرأى والتاويل ضد أصحاب الظاهر كالحنابلة واتباع داود وابن حزم الظاهريين (أنشدنى) الحافظ المحدث الاديب فتح الدين محمد بن أبى عمرو محمد بن أبى بكر بن محمد بن سيد الناس اليعمرى بالقاهرة

به معذورا وأعذر من أنذر
(والسفارة) المشى فى الصلح وكانها كشفت ما غم من الحال بين المتباينين اى سفرت ومنه قيل السفر لانه يكشف الاخلاق والاصل من سفر الصبح اذا اضاء
(زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه) (المروءة) كمال المرء كما ان الرجولية كمال الرجل والانسانية تمام الانسان و (اللفظ) مستعار من لفظ الشئ من الفم اذا طرحه ولفظت الرحا الدقيق (والمعنى) نفس الكلام وسره وكانه ماخوذ من معاناة المرء اطلاعه على نحوى الكلام ولاهل البيان والمتكلمين فى تمثيل الالفاظ والمعانى فصول مستحسنة قال العوشى الفيلسوف الالفاظ من أمة الحس والمعانى من امة العقل والحس تابع للعقل والطبيعة وقال آخر مما حكاه ابن رشيق المعنى مثال واللفظ حذو والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته وقال آخر اللفظ جسم والمعنى روح وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فاذا سلم المعنى واختل اللفظ كان نقصا فى الكلام كما يعرض لبعض الاجسام من العور والعرج وما أشبه ذلك من

المحروسة قال أنشدنى والدى قال أنشدنى الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرح البنانى قال أنشدنى أبو الوليد سعد السعود بن أحمد بن هشام قال أنشدنى الحافظ أبو العباس أحمد ابن عبد الملك قال أنشدنا أبو أسامة يعقوب قال أنشدنى والدى الفقيه الحافظ أبو محمد ابن حزم لنفسه

من عذيرى من أناس جهلوا * ثم ظنوا أنهم أهل النظر
ركبوا الرأى عنادا فسروا * فى ظلام تاه فيه من عبر
وطريق الرشد نهج مهيع * مثل ما أبصرت فى الافق القمر
وهو الاجماع والنص الذى * ليس الا فى كتاب أو أثر

ولابن حزم أيضا أبيات عينية فى هذه المادة أضربت عن اثباتها لطولها الا أنه ختمها بقوله

فخير الامور السالفات على الهدى * وشر الامور المحدثات البدائع

وقد بالغ فى الشناع حيث قال

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فعليك اثم أبى حنيفة أو زفر
الواثبين على القياس تمردا * والراغبين عن التمسك بالاثر

واستطرد استطرادا قبيحا (وحاش لله) ليس أبو حنيفة وزفر ممن يقال فى حقهما مثل هذا وبين الظاهرية وأصحاب الرأى والتأويل خلاف شديد فى الوقف فى قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فاصحاب التاويل قالوا الوقف عند قوله والراسخون فى العلم بناء على أن الواو عاطفة والظاهرية يقولون الوقف على الا الله والواو استئنافية وعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله (قال الامام فخر الدين) وعلى هذا قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك والكسائى والفراء ومن المعتزلة قول أبى على الجبائى وهو المختار عندنا والاول مروى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين وقد استدل الامام فى مفاتيح الغيب على ان الوقف الصحيح على قوله الا الله بستة أوجه ملخص الثانى منها ان الآية دلت على أن طلب التاويل مذموم لقوله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ الى آخره ولو كان التاويل جائزا لما ذمه الله والرابع منها ملخصه لو كانت الواو فى والراسخون عاطفة لصار قوله يقولون آمنا به ابتداء وهو بعيد عند ذوى الفصاحة بل كان الاولى أن يقول وهم يقولون آمنا به أو يقال ويقولون آمنا به (قلت) مذهب أبى الحسن الاشعرى اما أن يرد ظاهر القرآن بالتأويل الى ما يطابق العقل واما أن يمره على ظاهره ويسند العلم فيه الى الله من غير أن يحكم فيه بشئ ولا يعتقد فيه ما يقوله الحشوية فقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم فقال علمه وهذا اشارة الى ان ذلك القول الاول مروى عن ابن عباس (صانتنى) تقول صنت الشئ صونا وصيانة وصيانا فهو مصون ولا يقال مصان وثوب مصون على النقص ومصووون على التمام قال الجوهرى ليس يأتى ثلاثى من بنات الواو بالتمام الا حرفان مسك مدووف وثوب مصووون فان هذين جاآ نادرين والكلام مدوف ومصون لثقل الضمة على الواو والياء اقوى على احتمالها منه فلهذا جاء ما كان من بنات الياء بالتمام والنقصان نحو ثوب مخيط ومخيوط (الخطل) المنطق الفاسد المضطرب وقد خطل فى كلامه بالكسر خطلا أى أفحش وأذن خطلاء اذا كانت غير أن تذهب الروح وكذلك ان ضعف المعنى وأجيد لفظه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذى يعرض للاجسام من المرض بعرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ مواتا لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة فى السمع كما ان الميت لا ينقص من شخصه شئ فى رأى العين الا انه ميت لا ينتفع به وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصلح له معنى لانا لم نجد روحا فى غير جسم البتة (والانسانية اسم أنث جسمه وهيولاه)

(الانسانية) تمام الانسان كما تقدم ومما عرب به أبو زرعة البغدادى من كلام ارسطاطاليس قصوله الانسانية أفق والانسان متحرك الى أفقه بالطبع دائر على مركزه الا أن يكون مخلوطا باخلاق بهيمية ومن رفع عصاه عن نفسه وسيب هواه فى مرعاه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الرديئة فقد خرج من أفقه وصار اذل من البهيمة لسوء اينادوه (والاسم) ما عرف به

مسترخية كالكلاب والغنم ورمح خطل أى مضطرب ومنه سمى الاخطل لخطل كان فى أذنيه (وحلية) الحلية للسيف وغيره جمعها حلى مثل كلية وكلى وحلية الرجل صفته وليست هى مرادة هنا وانما المراد بها هنا الزينة التى يتحلى بها الانسان من الفضائل (الفضل) خلاف النقص لغة والمراد به هنا ما ينطوى عليه الانسان من العلم والادب والتجارب والممارسة للامور والاشياء التى يفضل بها الانسان غيره والفاضل بخلاف الناقص كانه فى انسانيته زائد على الجاهل (زانتنى) الزينة ما يتزين به والزين ضد الشين (لدى) بمعنى عند (العطل) مصدر عطلت المرأة اذا خلا جيدها من القلائد فهى عطل (الاعراب) اصالة مبتدا مضاف الى ما بعده والمبتدا قال الشيخ بدر الدين بن مالك هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية غير الزائدة مخبرا عنه أو وصفا رافعا لمكتفى به وقد اختلف فى رافعه فقيل الابتداء وهو جعلك الاسم أول الكلام وهذا أمر معنوى والعامل المعنوى لم يأت عن النحاة الا فى موضعين هذا والثانى وقوع الفعل المضارع موقع الاسم حتى أعرب وهذا قول سيبويه وأكثر البصريين وأضاف الاخفش اليهما موضعا ثالثا وهو عامل الصفة فذهب الى أن الاسم يرتفع لكونه صفة لمرفوع وينتصب لكونه صفة لمنصوب وينجر لكونه صفة لمجرور وكونه صفة فى هذه الاماكن معنى يعرف بالقلب وليس للفظ فيه حظ وما أحسن قول القائل

قالوا أحب حبيبا ما تأمله * فكيف حل به للسقم تأثير

فقلت قد يعمل المعنى لقوته * فى ظاهر اللفظ رفعا وهو مستور

(ملحة) اذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم فى المسئلة قال هذا تعبد كما يعلل المالكى غسل الاناء سبعا من ولوغ الكلب لانه قائل بظهارته فاذا أورد عليه الحديث وهو طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبعا قال هذا شئ تعبدنا الله به والحديث رواه مالك فى الموطا عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبع مرات وفى حديث مسلم طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب وفى حديث آخر وعفروه الثامنة بالتراب وقال ابن حزم وروى ابن القاسم عن مالك أنه ان كان فى الاناء ماء أريق وغسل سبع مرات وان كان فيه لبن أو زيت أكل ذلك ثم لا يغسل الاناء سبعا ولا أقل ولا أكثر وروى ابن وهب عن مالك أنه قال يشرب الماء ويؤكل اللبن والزيت ثم يغسل الاناء سبع مرات قال وكلتا هاتين الروايتين مخالفة لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صاحب اثارة العزم فى الرد على ابن حزم ان ابن حزم وأهل الظاهر فى معزل عن فقه هذه المسئلة وشبهها ولا شك أن هذه الاحاديث جاءت هكذا وقال الله تعالى فى الكلاب فكلوا مما أمسكن عليكم فهذه الاحاديث معارضة لعموم القرآن وعموم القرآن مقدم عند كثير من العلماء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم اذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك قلت وان قتلن قال وان قتلن ولم يأمره بغسل الصيد ولو كان ريق الكلاب نجسا لامره بغسله ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة واذا عجز النحوى عن تعليل الحكم أيضا قال العامل هنا معنوى كما تقدم واذا عجز الحكيم عن التعليل فى شئ قال هذا بالخاصية كما اذا طلب منه علة جذب المغناطيس الحديد (رجع) وقيل رافع المبتدا التجرد عن العوامل وليس بشئ اذ العدم

الشئ وأصله من السمو وبه رفع ذكر المسمى فعرف وسيأتى ذكره عند الفصل بين الاسم والمسمى و(الجسم) يقال الكل ذى طول وعرض وعمق ولما لا يثبت له لون كالماء والهواء ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجزاء وان قطع وجزئ وهو أعم من الجسد لان الجسد لا يقال الا لما له لون (والهيولى) المادة المدبرة للصورة وهى أصل الشئ كالفضة فى الدرهم وكان ارسطاطاليس يسمى صاحب الهيولى وذلك أن مذهبه فى الدهر أن أصل العالم قديم غير انه لم يكن من طينة ولا كان شئ مما نسميه العرض وللحكماء فى تحقيقها كلام طويل لا يسع هذا المحل ذكره

(قاطعة انك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال واستعليت فى مراتب الخلال واستوليت على محاسن الخلال) (قطعت) الامر اذا فصلته عن الشك ومنه الدليل القطعى والقطع الفصل فيما يدرك بالابصار كالاجسام وفيما يدرك بالبصيرة كالامور العقلية (والكمال) حصول غايات الغرض فى الشئ محسوسا أو معقولا وقوله تعالى ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك

لا يكون علة للوجود وفيه نظر وقيل رافعه الخبر وهو باطل لان الخبر متأخر عنه وضعا وقيل بل هما مترافعان وقيل الابتداء رافعهما وهو ضعيف لان المعنى ماله هذه القوة وقيل الابتداء رفع المبتدا والمبتدا رفع الخبر وهو أقرب الاقوال وقد استوفيت هذه المسئلة فى تعليقى على الحاجبية (الرأى) مجرور بالمضاف لا بالاضافة الى المبتدا (صانتنى) صان فعل ماض والتاء ضمير يرجع الى أصالة وهو فى موضع رفع لانه فاعل صان والنون الثانية نون الوقاية وهذه النون هى التى تقى الفعل من الكسر وما أحلى قول الامير أمين الدين أبى الحسن على بن عثمان السليمانى

أضيف الدحا معنى الى ليل شعره * فطال ولولاذاك ماخص بالجر

وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

والياء ضمير المتكلم وهى فى موضع نصب على أنها مفعول صان وهذه الجملة من الفعل والفاعل والمفعول فى موضع رفع على أنها خبر المبتدا وهو أصالة والاصل فى الخبر ان يكون مفردا وقد يكون جملة اسمية مثل زيد ابوه كريم وفعلية كما فى البيت (عن) حرف جر وتجىء للمجاوزة كما هنا اى تجاوزت بى عن الخطل وتجىء بمعنى بعد كقوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق وتجىء بمعنى على كقول الشاعر

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

(الخطل) مجرور بعن وسيأتى الكلام على الالف واللام فى قوله

و ينحرون كرام الخيل والابل *(وحلية) الواو تكون تارة للعطف كهذه وهى للتشريك فى الحكم بلا ترتيب فان الواو فى قوله تعالى واسجدى واركعى ما أفادت الترتيب وقيل لعل السجود كان قبل الركوع فى ذلك الزمان ثم نسخ وكذا قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والصحيح ان المسيح عليه السلام ماتوفى بل رفعه الله اليه لان الخبر ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سينزل ويقتل الدجال وعلى هذا الترتيب فى الواو لكن قال ابن عباس ومحمد بن اسحاق متوفيك أى ممتتك والمقصود لا يصل أعداؤك من اليهود الى قتلك ثم أكرمه الله تعالى بعد ذلك برفعه الى السماء واختلف فى مدة الوفاة فقال ابن وهب توفى ثلاث ساعات ثم رفع وأحيى وقال محمد بن اسحاق سبع ساعات ثم رفع وقال الربيع بن أنس نوّمه حال ما رفعه واستشهد بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية وقال أبو بكر الواسطى المرادانى متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك ومنهم من قال التوفى أخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله انما هو روحه ذكر ذلك ليدل على ان الله رفعه بجسده اليه ومنهم من قال كل من رفع وانقطع خبره واثره عن الارض كان كالمتوفى ومنهم من قال فى الكلام حذف مضاف تقديره متوفى عملك وهو جائز (رجع) وتارة تكون بمعنى رب وتارة للقسم وتارة تكون واو مع وتارة تكون واو الحال وتارة تكون ضمير الفاعلين فى مثل يقومون أو علامة الرفع فى مثل الزيدون وتارة تزاد فى رسوم الخط فى مثل عمرو فرقا بينه وبين عمر فاذا دخل تنوين النصب عمرا فلا دخول لها لان الفرق حاصل لكون عمر غير منصرف (حكى) أن بعضهم كان يكتب كتابا والى جانبه آخر فكتب عمرا بغير واو فقال له يا مولانا زدها واو الفرق فقال له والله لقد تفضل مولانا بزيادة واو يعنى انه تفوضل وبعضهم

عشرة كاملة ليس للاعلام بأن الثلاثة والسبعة عشرة وانما البيان أن بحصول صيام العشرة يحصل كمال الصوم القائم مقام الهدى (والخلال) جمع خلة وهى الطريقة الحسنة مأخوذ من الخلة وهى الطريق فى الرمل وفى قوله استعلمت واستوليت والخلال والخلال أنواع من الصناعات اللفظية من ترصيع وتجنيس ليس الغرض ذكرها

(حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه)

يعنى بارالك فى الحسن فأخجلته وأصل الغض النقصان فى الطرف ويستعار لما سواه وبدأ بذكر الحسن فيما سرده من تواريخ ذوى الاوصاف الشريفة لانه أول ما يجب المرأة من الرجل ثم ذكر المال والهمم والعلوم ونحو ذلك *والمراد ههنا يوسف عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ذاك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وبه ضرب المثل فى الحسن ويستدل على حسنه بكتاب الله تعالى والحديث والآثار فمن الكتاب قوله عز وجل فى ذكر امراة العزيز والنسوة اللاتى لمنها على حبه

(وأعتدت لهن متكأ) الى آخر
الآية قال المفسرون المتكأ
النمرق الذى يتكأ عليه
وقيل المتكأ هو الطعام
والاصل فيه ان من دعوته
ليطعم عندك فقد أعددت
له وسادة فسمى الطعام متكأ
على الاستعارة وقيل متكأ
طعاما يحتاج الى أن يقطع
بالسكين لان الطعام اذا كان
كذلك احتاج الانسان الى
أن يتكئ عند القطع وقيل
المتكأ الاترج وهو شاذ
أنكره أبو عبيدة (وقالت
اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه)
قيل عظمنه ورأينه كبيرا عما
فى أنفسهن وقيل حضن
والهاء للسكت مثل انه بمعنى
ان وهو قول شاذ ولا يعرف
فى اللغة الاكبار بمعنى الحيض
الا ان تكون الصغيرة
بالحيض تدخل فى معنى الكبيرة
ولا فى الطب أن المرأة تحيض
اذا رأت ما يروعها الا أن
تكون حاملا فيحصل لها
اسقاط فتحيض والقول
الاول من أن معنى الاكبار
التعظيم أصح وأحسن
(وقطعن أيديهن) كناية عن
الدهش والحيرة اما أنها
دهشت فكانت تقطع فى
يديها وهى تظن أنها تقطع
فى الفاكهة أو الطعام واما
أنها تناولت السكين من موضع
النصل وهى تظن أنه من

يرى أن تزاد بعد لا النافية فى الجواب اذا قيل هل فعلت كذا فتقول لا وعافاك الله (يحكى)
عن الصاحب بن عباد انه قال هذه الواو وههنا أحسن من واوات الاصداغ فى خدود الملاح قال
ابن الجوزى جمال الدين أبو الفرج رحمه الله روينا عن عمر رضى الله عنه انه قال لرجل عرّس
هل كان كذا فقال لا أطال الله بقاءك فقال عمر رضى الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا
قلت وأطال الله بقاءك وتارة تكون الواو والثمانية فى مثل قوله تعالى ثيبات وأبكارا
وفى قوله تعالى الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وفى قوله تعالى وسيق الذين اتقوا
ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها وفتحت أبوابها أتى بالواو وههنا ولم يأت بها فى ذكر جهنم لان
للنار سبعة أبواب وللجنة ثمانية وستأتى أسماء الجنة والنار فيما بعد ان شاء الله تعالى (وحكى)
لى بعض الافاضل عن بعض الحكام فى المدن الكبار انه ألقى درسا فى هذه الآية الكريمة
وقد قال فى حق أصحاب جهنم انهم لما جاؤوها فتحت لهم أبوابها على التعقيب لأن الفاء للتعقيب
فلم يمهلوا للدخول بل أدخلوا على الفور وأما أهل الجنة فانهم لم يضطروا الى الدخول بل أمهلوا
لانه قال وفتحت أبوابها (قلت) انظر الى هذه الغفلة فى الاولى والثانية كونه ظنها اولا خارجة
عن الكلمة ولم تكن من اصلها ووجدها ثابتة فى الثانية فلم ينكرها ونقول هذه هى تلك
الحمد لله واهب العقل اه وفى قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ولعمرى ان هذا استقراء
حسن وبعض المحققين منع هذا وقال انما تقع بين المتضادين لان الثيبات غير الابكار والآمرين
ضد الناهين وقال فى قصة أهل الكهف انه أتى بالواو مع الثمانية لان القول الثالث أقرب الى
الحق أو هو الحق لانه قال فى القولين الاولين رجما بالغيب وفى الثالث قال تعالى قل ربى أعلم
بعدتهم وقال فى قصة أهل الجنة وأثبت الواو لان أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها زيادة
فى الضيق على من بها وأما أبواب الجنة فانها تفتح لاهلها قبل دخولهم اليها اكراما لهم لقوله تعالى
جنات عدن مفتحة لهم الابواب ورد هذا القول بأن الواو دخلت مع تعدد الصفات فى قوله
تعالى غافر الذنب وقابل التوب ولم تدخل فى قوله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
الآية ولا تضاد بين الغفران وقبول التوبة (قلت) لو سقطت الواو من أبكارا لاختل المعنى
لانهن لا يكن ثيبات أبكارا معا فاضطر الى الواو لتدل على المغايرة قال الشيخ جمال الدين بن
الحاجب رحمه الله ان القاضى الفاضل رحمه الله كان يعتقد زيادة الواو فى هذه الآية ويقول
هى واو الثمانية الى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبى الجود المقرى فبين له انه وهم وان الضرورة
تدعو الى دخولها هنا والافسد المعنى بخلاف واو الثمانية فانه يؤتى بها لا لحاجة فقال ارشدتنا
يا أبا الجود اه والامام فخر الدين اعترف بأن الواو فى قوله تعالى وثامنهم كلبهم واو الثمانية
وعلى الجملة ففى هذه الواو مباحث جليلة جمعتها فى كراسة أضربت عن اثباتها هنا خوفا من
الاطالة والواو التى فى سبحانك اللهم وبحمدك قال أبو اسحاق الزجاج سألت أبا العباس المبرد
عن العلة فى ظهور الواو وههنا فقال لقد سألت أبا عثمان المازنى عما سألت عنه فقال المعنى
سبحانك اللهم وبحمدك سبحتك (قلت) وأما واو عمرو فقد نظم الشعراء فيها كثيرا منهم أبو
نواس قال يهجو اشجع السلمى

قل لمن يدعى سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما انت من سليمى كواو * ألصقت فى الهجاء ظلما بعمرو

(حكى) ان بعض الناس رأى فى منامه انه قد كتب على ظفره واوا فجاء الى المعبر وقص الرؤيا عليه فقال له أنت دعى فى نسبك واستشهد بالبيتين وقال آخر يهجو

غير المقول عيوبه كالواو من * عمرو يرى واللفظ عنه قصير
كالنون من زيد يقال مديحه * باللفظ لكن لا يراه بصير

(وقال التهامى)

لغو كحرف زيد لا معنى له * اوواو عمرو فقدها كوجودها

(وكان) الجاحظ يزعم ان عمرا أرشق الاسماء وأخفها وأظرفها وأسهلها مخرجا وكان يسميه الاسم المظلوم ومعنى ذلك الزاقهم به الواو التى ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها ولا اشارة اليها ويزعم ان هذا الاسم لم يقع فى الجاهلية الا على فارس مذكور اوملك مشهور اوسيد مطاع اورئيس متبوع ثم انه يقول بعد ذلك عمرو بن هاشم وعمرو بن سعيد الاكبر وعمرو الاشدق وعمرو بن العاص وعمرو بن حممة وعمرو بن يحيى بن قمعة وعمرو بن معديكرب وعمرو بن عبدود وعمرو بن الشريد وعمرو بن الحمق الى ان يذكر عمرو بن عبيد وعمرو بن قائد وغيرهم ثم يحتج بقول ابى نواس

فقلت له ما الاسم قال شمردل * على انتى أكنى بعمرو ولا عمرا
وما شر فتنى كنيته عربية * ولا أكتسى منه سناء ولا فخرا
ولكنها خفت فقلت حروفها * وليست كاخرى انما خلقت وفرا

قلت انما كان الجاحظ يقول هذا الان اسمه عمرو وكنيته أبو عثمان وقال أبو سعيد الرستمى

أنى الحق ان يعطى ثلاثون شاعرا * ويحرم ما بين الورى شاعر مثلى
كما سامحوا عمرا بواو مزيدة * وضويق اسم الله فى ألف الوصل

(وما) أحلى قول ابن نفادة

أقل وجدى مذ تناءوا فكر * وبعض ما ألقاه فيهم سهر
أنحلنى الوجد فجسمى ألف الـ ـوصل وأسقامى ليست تظهر

(وقد) جمع السراج الوراق رحمه الله هذه الواوات فى أبيات وأحسن فيها حيث قال ومن خطه نقلت

مالى أرى عمرا أنى استجرت به * قد صار عمرا بواو فيه وانصرفا
ونام عن حاجة نبهته غلطا * بها فألفيت منه السهد والاسفا
والمستجير بعمرو قد سمعت به * فما أزيدك تعريفا بما عرفا
وتلك واو ولا والله ما عطفت * ولو أتت واو عطف ما أتت طرفا
ولو أتت واو حال لم تسد ولو * أتى بها قسما ما برّ اذ حلفا
أوواو رب لما جرّت سوى أسف * وكثرته خلافا للذى ألفا
أوواو مع لم أجد خيرا أتى معها * أوواو جمع غدا من فرقة تتفا
وليت صدغا بها قد شبهوه غدا * يكوى بنارى وهذا فى السلو كفى
والله يطمسها واذا ذكرت بها * دالا بوسطى وكانت قبل ذا ألفا

(قلت) أما تشبيه الصدغ بالواو فهو كثير مشهور بين الشعراء ومن ذلك قول ابن قلاقس موضع النصاب فتجرح يدها والالتذاذ بالنظر يمنعها من وجود الالم وفى هذا من الكناية عن الحسن ما لا مزيد عليه (وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) المقصود اثبات الحسن لانه تعالى ركب فى الطباع أن لا شئ أحسن من الملك وقد علم ذلك قوم لوط فى ضيف ابراهيم من الملائكة كما ركب فى الطباع أن لا شئ أقبح من الشيطان وكذلك قوله تعالى فى صفة جهنم طلعها كانه رؤس الشياطين فكما تقرر فى الطباع أن اقبح الاشياء هو الشيطان فقد تقرر أن أحسن الاشياء هو الملك فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهنه بالملك * وأما الحديث فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مررت بيوسف فى الليلة التى عرج بى فيها الى السماء فقلت لجبريل من هذا قال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر * ومن الآثار قولهم انه كان اذا مشى فى أزقة مصر يتلألأ نوره على الجدران كما يتلألأ نور الشمس من الماء عليها وقولهم انه ورث الحسن من جدته سارة التى هم الملك بأخذها من ابراهيم وزاد عليها وقصتها مشهورة

ويروى أنه عاش مائة سنة وتوفى بمصر ودفن فى نهر الفيوم الذى أحكم صنعته البديعة * ومن كلامه قيل له ماصنع بك اخوتك فقال لاتسئلونى عن صنيع اخوتى واسئلونى عن صنيع ربى ودعا لاهل السجن فقال اللهم عطف عليهم الاخبار ولا تخف عنهم الاخبار فيقال انهم أعرف الناس بما يتجدد من الاخبار فى البلدان والله أعلم

(وأن امرأة العزيز أتتك فسلت عنه)

(امرأة العزيز) زليخا المشغوفة بحب يوسف صار الحب شغافا لقلبها والشغاف جلدة رقيقة تحيط بالقلب وقرئ شعفها بالعين والشعاف أعالى الجبال كأن الحب بلغ أعلى قلبها وما كانت تسلو مع ذلك الحب الا باضعاف ذلك الحسن ومن كلامها حين دخلت على يوسف بعد أن ملك مصر واحتاجت اليه سبحان من جعل العبيد ملوكا بالطاعة وجعل الملوك عبيدا بالمعصية

(وأن قارون أصاب بعض ما كنزت)

(قارون) هو المذكور فى الكتاب العزيز قال بعض المفسرين اختلف فى نسبه فقيل كان ابن عم موسى عليه السلام لان موسى ابن عمران

الاسكندرى وهو مليح

قرنت بواو الصدغ صاد المقبل * وابديت لاما من عذار مسلسل
فان لم يكن وصل لديك لعاشق * فماذا الذى أبديت للتأمل

(وقال) البهاء زهير فيما أظن

عسى عطفة للوصل ياواو صدغه * وحقك انى أعهد الواو تعطف

(وقول) السراج والله يطمسها واوا البيت يريد بذلك احليله وانه قد تعقف من الكبر فكان واوا ولكنه منحن كالدال بعد أن كان كالالف وله فى هذا المعنى عدة مقاطيع منها قوله ومن خطه نقلت

انحل ايرى منى * كانهم عقدوه
وصار يحضن بيضى * كانهم رقدوه

(وقوله أيضا)

كان ايرا صار سيرا * يلطم الاكساس سخره
كيف لا ينأين عنى * ومعى شيب ودره

(أنشدنى) لنفسه الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى اجازة

وكان اذا رأيت ولو عجوزا * يبادر بالقيام على الحراره
فاصبح لا يقوم لبدر تم * كأن النحس قد ولى الوزاره

(وقولهم) وقع رمضان فى الواوات يريدون انه جاوز العشرين فلا يذكر الا بواو عطف (وما) احسن قول محمد بن على بن منصور بن بسام

قد قرب الله منا كل ماشسعا * كانى بهلال الفطر قد طلعا
فخذ للهوك فى شوال اهبته * فان شهرك فى الواوات قد وقعا

(وكذا) قول بعضهم وقع الشهر فى الانين مرادهم انه يقال فيه احد وعشرين ثانى وعشرين فيكرر فيه الانين وفى أمثال العوام اذا وقع رمضان فى الانين خرج شوال من الكمين (رجع الى الاعراب) حلية مبتدا والنصف الثانى اعرابه كاعراب الاول وأما الذى فانها ظرف مكان موضعها النصب والعامل فيها زانت (المعنى) رأيى الاصيل يصونني عن الاضطراب فى القول والعمل وحليه علمى تزينني عند العطل أى التعرى عن أعراض الدنيا وزخرفها ولعمرى ان الانسان شئ وراء الزينة واللبس والشكل والرواء وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء باصغريه قلبه ولسانه وقال عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قيمة كل امرئ ما يحسنه قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين عند ذكر هذه الكلمة لو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها فاضلة عن الكفاية غير مقصرة عن الغاية اه (وقيل شعر)

واجهد لنفسك واستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

(وأنشدنى بعضهم)

كل حقيقتك التى لم تكمل * والجسم دعه فى الحضيض الاسفل
أتكمل الفانى وتترك باقيا * هملا وأنت بأمره لم تجفل

النفس للجسم النفيسة آلة * مالم تحصل له به لم يحصل
يفنى ويبقى دائما في غبطة * أبدية أو شقوة لا تجلى
شرك كثيف أنت في حبلاته * بادر الى وجه الخلاص وعجل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل * ماباله يرضى بادنى منزل

والرأى مازال محمودا عند العقلاء قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رأى الشيخ خير من مشهد الغلام وقال أبو فراس الحمداني

ولا أرضى الفتى مالم يكمل * برأى الكهل اقدام الغلام

(وقال أيضا)

فما اشتورت الا وأصبح شيخها * ولا احتربت الا وكان فتاها

ولو قال استحربت لكان احسن لكان حسنا * ولما همت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم استشاروا عثمان بن أبي العاص وكان فيهم مطاعا فقال لهم لا تكونوا آخر العرب اسلاما وأولهم ارتدادا فنفعهم الله برأيه (وكان) الحباب بن المنذر يدعى ذا الرأى أشار يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل على آخر ماء ببدر ليبقى المشركون على غير ماء وكان برأيه الخير لان ذلك أضر بكفار قريش * والمشهورون بالرأى والدهاء خمسة معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن الانصار قيس بن سعد بن عبادة ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي رضي الله عنهم * وقال بعضهم دهاة العرب أربعة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد ابن أبيه أما معاوية فللاناة والحلم واما عمرو فللمعضلات واما المغيرة فللمبادهة واما زياد فللصغير والكبير ويقال ذوو رأى العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو ابن العاص والمغيرة وعبد الله بن بديل ذكرهم الشعبي في بيت

من العرب العرباء قد عد أربع * دهاة فما يؤتى لهم بشبيه
معاوية عمرو بن عاص مغيرة * زياد هو المعروف بابن أبيه

ثم جمعت الستة في قولي

من العرب ان رمت الدهاة فستة * موائد فضل ما بهن طفيلي
معاوية عمرو زياد مغيرة * وقيس وعبد الله نجل بديل

وقال أبو الطيب المتنبي

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة * بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران
ولولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدى الكماة عوالى المران

وقال أيضا

نفت التوهم عنه حدة ذهنه * فقضى على غيب الامور تيقنا

وقال الامير بدر الدين نشو الدولة أحمد بن نفادة

العلم للاعلام أقوى ناصب * والرأى للرايات أثبت حامل

ابن قاهث وقارون ابن يصهر ابن قاهث وقيل كان ابن خالته وهو أول من ضرب به المثل في كثرة المال وفي قوله تعالى (كان من قوم موسى) دليل على ايمانه وقرابته وكان من أحسن الناس وجها وقراءة للتوراة ويسمى المنور لحسنه وقيل انه كان من السبعين المختارة قال الله تعالى (وآتيناه من الكنوز) الكنز يطلق على ما جمع من المال سواء كان في باطن الارض أو ظاهرها (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة) أى تنوء بها العصبة تتكلف بها النهوض وهذا من القلب المستعمل في كلام العرب مثل دخل الرأس الظل ٣ وعرضت الدابة على الحوض واختلف في المفاتح فقيل مفاتح أبواب الخزائن وكانت وقرستين بغلا وهو قول واه وقيل المفاتح الخزائن نفسها وقد يسمى الشئ بما لابسه وقيل المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب يعنون أنه أوتي من الكنوز ما ان حفظه والاطلاع عليه ليثقل على العصبة أولى القوة أى يعجزون عن حسابها وحفظها لكثرة صنوفها (قال انما أوتيته على علم عندى) أى على خير وصلاح علمه الله مني وقيل على علم بالمكاسب

ولرعاة علم المغيب من له * فهم صحيح باتضاح دلائل
وأخو الحجا بالفكر منه يستدل على أواخر أمره بأوائل
علم المجرب شمسه يهدى بها * والرأى مرآة اللبيب العاقل
لكنه كالسيف يصدأ ثم يجـ * ـلى بالاشارة لا بكف الصاقل

وقال أبو تمام

× وماشئ من الاشياء أمضى * على المهجات من رأى سديد ×

وقال البحترى

يوم أرسلت من كتائب آرا * ئك جندا لا يأخذون عطاء
ويودالاعداء لو تضعف الجيـ * ـش عليهم وتصرف الآراء

قلت لو كان لى فى هذا البيت حكم لقلت بدل تصرف تضعف أيضا فيكون الاول من الاضعاف وهو الزيادة بالمثل والثانى من الضعف وهو المرض والوهن على ان تصرف أمدح وتضعف أصنع (وقال) على بن الجهم

× فهمته جيش وعزمته سرى * وفكرته حرب وآراؤه جند ×

(وقال) ابن حيوس

× وما البطش الشديد مفيد عز * اذا لم يمضه الرأى السديد ×

(وقال ابن مكنسة)

بت جاره فالعيش تحت ظلاله * واستسقه فالبحر من أنوائه
يلقى الخطوب بمثلها من صبره * والباترات بمثلها من رائه

وقال ابن المعتز

× وأثار منى الدهر عضبا مهندا * يفل شبا الخطى وقلبا مشيعا ×
ورأيا كمرآة الصناع أرى به * سرائر غيب الدهر من حيث ماسعى

قلت ما رأى من غيب الدهر شيأ فانه ولى الخلافة يوما واحدا ثم قتل (وقال التهامى)

وللعادى رتب فى الحجا * الرأى ثم الكيد ثم الكفاح
× قد يغلب المرء بتدبيره * ألفا ولا يغلبهم بالسلاح ×

(قيل) ان الملك العزيز بن صلاح الدين لما أتى عمه العادل لقتاله ووصل بالعساكر الى بلبيس ضاق الامر به وأراد النفقة فى الجيوش ولم يكن عنده شئ فقيل له ان القاضى الفاضل عنده من الاموال ما يقوم بما تريده فقال أستحى ان أطلب منه شيأ فألزموه بطلبه فلما علم بوصوله دخل الى الحريم حياء منه فتضرع القاضى الفاضل له حتى خرج اليه وحكى له القصة فقال له كل ما أنا فيه من نعمة فهى من صدقاتكم والمال عندى يكفى ما ترومه ولكن دعنى أتوجه الى العادل وأطلب منه الصلح فان وافق فبها ونعمت والا فالنفقة قدامنا والمحاربة أمامنا ثم ان القاضى الفاضل توجه الى الملك العادل ولم يزل يسحره ببيانه ويفتك فى ذروته والغارب بلسانه حتى رد راجعا ولم يدخل وكفى الله العزيز أمره تلك المرة برأى الفاضل * ومن شعر مؤيد الدين الطغرائى صاحب القصيدة

× لا تحقرن الرأى وهو موافق * حكم الصواب اذا أتى من ناقص ×

والتجارات وقيل على علم الكيميا وكان الزجاج يقول هذا قول لا أصل له فان الكيميا باطلة ولا حقيقة لها (فخرج على قومه فى زينته) قيل خرج راكبا بغلة شهباء بسرج من ذهب ومعه سبعمائة وصيفة على بغال شهب عليهن الحلى والحلل والزينة فكاد يفتتن بنى اسرائيل ثم بغى وتكبر حتى أهلكه الله * واختلف فى سبب بغيه وهلاكه فقيل انه كان قد حسد هرون على الحبورة وذلك أن موسى عليه السلام لما قطع البحر وأغرق الله فرعون جعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوة والحبورة وهى القربان تأتى بنو اسرائيل بهدايا هم الى هرون فيضعها فى المذبح فتنزل نار فتأكلها وكان لموسى الرسالة فوجد قارون من ذلك فى نفسه وقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ لا أصبر على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهرون بل جعله الله له فقال والله لا أصدقك أبدا حتى تأتينى بآية فأمر موسى رؤساء بنى اسرائيل أن يجىء كل رجل منهم بعصاه فجاؤا بها فألقاها موسى عليه السلام فى قبة له وكان ذلك بأمر الله تعالى ودعا موسى أن يريهم

فالدر وهو أجل شئ يقتنى * ماحط قيمته هوان الغائص

وقال القاضى الحشيشى

ولى صاحب ماخفت مكروه طارق * من الامر الاكان لى من ورائه
اذا عضنى صرف الزمان فاننى * برايته أسطو عليه ورائه

وقال أبو الفتح البستى

عول على رأيه اذا حزبت * نائبة من نوائب الزمن
فليس فى الارض معقل أشب * كرائه من كرائه المحن

هذا ان الجناسان اللذان فى هذين المقطوعين من أنواع الجناس المرفو وهو ان يكون أحد ركنى الجناس مركبا من جزأين أولهما حرف من حروف المعانى وقد ذكرت ذلك مستوفى فى كتابى المسمى جنان الجناس (وما) أحلى قول أسعد بن مماتى

طبع المجنس فيه نوع قيادة * أوماترى تأليفه للاحرف

ونظمت أنا فى هذا المعنى

ألا ان من عانى القريض بطبعه * يقود فأرسله لمن صد واحتشم
ألم تره ان قال شعرا مجنسا * يؤلف مابين الحروف اذا نظم

ونظمت فيه أيضا

ماناظم الشعر فى محل فتى * يقود فاسمع مقالة الظرفا
ألف هذا حروفه وسمت * همة هذا فألف الحرفا

وقال ابن سنا الملك

وشاعر كاتب أديب * منتظم العقل والقياس
قلت له والفضول داء * وهو كما قيل كالعطاس
لم كنت تبغى فصرت تبغو * قال من العشق فى الجناس

وقلت أنا

تعشقته جارا أسال مدامعى * وحملنى ماليس يحمله الناس
فجار وأجرى حين جاور واجترى * فما فاته مما يروم جناس

(وقلت)

أتى محلى أناس * بهم تحلى المديح
زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس المليح

(وقلت)

لله قوم حمونى * من حادثات الليالى
صانوا وصابوا وصالوا * كذا جناس المعالى

(رجع القول الى الرأى) لما استولى الاسكندر على ملك فارس كتب الى ارسطو يأخذ رأيه فى ذلك فكتب اليه الرأى أن توزع مملكتهم بينهم وكل من وليته ناحية سمه بالملك وأفرده بملك ناحيته واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان المسمى بالملك لا يخضع لغيره ولا ينشب فى ذلك أن يقع بينهم تغالب على الملك فيعود حربهم لك حربا بينهم فان دنوت منهم دانوا لك وان

الله بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هرون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون أماترى صنع الله تعالى لهرون فقال والله ماهذا بأعجب مما تصنع من السحر ثم اعتزل بمن معه من بنى اسرائيل وكان كثير المال والتبع فدعا عليه موسى وقيل انه لما نزلت آية الزكاة على موسى جاء موسى اليه وصالحه على كل ألف دينار دينار وألف شاة شاة وعلى هذا الاسلوب فحسب ذلك فوجده مالا عظيما فجمع قومه من بنى اسرائيل وقال ان موسى يأمركم بكل شئ فتطيعونه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال على بفلانة البغى فأعطاها مائة دينار وأمرها أن تقذف موسى بنفسها وجاء الى موسى وقال ان قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم فخرج فقام فيهم خطيبا فقال يابنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى جلدناه فان كانت له امرأة رجمناه فصاح به قارون وقال له وان كنت أنت فقال نعم قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغى فقال على بها فلما جاءت قال لها موسى يافلانة أنا فعلت

مايقول هذا فقالت لا والله
يانبى الله وانما جعل لى جعلا
حتى أقذفك بنفسى فسجد
موسى يبكى ويتضرع فأوحى
الله اليه مر الارض بما تشتهيه
فقال يا أرض خذيه يعنى
قارون فأخذته حتى غيبت
بعضه ثم لم يزل يقول خذيه
وهو يغيب حتى لم يبق من
جسده الا القليل وهو يتضرع
الى موسى ويسأله وهو يقول
خذيه الى أن غاب وقال ابن
الجوزى وهو يناشده الرحم
فارحمه فاوحى الله الى موسى
ما أقطعك وعزتى لو استغاث
بى لاغثته قيل ولما خسف
به قال بعض الجهال من بنى
اسرائيل انما قصد موسى
أخذ داره وكانت مبنية
بالذهب والفضة فسأل الله
فخسف بداره وقيل أراد بداره
منزله والعرب تسمى المنزل
داراهذا قول من زعم انهم
كانوا فى التيه اذ ليس ثم دور
والقول الآخر قول من زعم
أن الواقعة كانت بمصر والله
أعلم

(والنطف عثر على فضل
ماركزت)

(الفضل) ههنا بقية الشئ
و(الركز) والركاز دفين مال
الجاهلية وفى الحديث فى
الركاز الخمس (والنطف)
رجل من العرب أصاب
مالا فضرب به المثل واختلفت

نأيت تعززوابك وفى ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحدائهم بعدك شيأ فلما بلغ الاسكندر
ذلك علم أنه الصواب وفرق القوم فى الممالك فسموا ملوك الطوائف فيقال انهم لم يزالوا برأى
ارسطو مختلفين أربعمائة سنة لم ينتظم لهم أمر (وحكى) ان المأمون لما هادن بعض ملوك
النصارى أظنه صاحب جزيرة قبرص طلب منه خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة
فى بيت لا يظهر عليها أحد فجمع الملك خواصه من ذوى الرأى واستشارهم فى ذلك فكلهم
أشاروا عليه بعدم تجهيزها الا مطرانا واحدا فانه قال جهزها اليهم فما دخلت هذه العلوم على
دولة شرعية الا افسدتها وأوقعت بين علمائها (حدثنى) من اثق به ان الشيخ تقى الدين احمد
ابن تيمية رحمه الله كان يقول ما أظن ان الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده
مع هذه الامة من ادخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها (قلت) ان المأمون لم يبتكر النقل
والتعريب بل نقله قبله كثير فان يحيى بن خالد البرمكى عرّب من كتب الفرس كثيرا مثل كليله
ودمنه وعرّب لاجله كتاب المجسطى من كتب اليونان والمشهور ان أول من عرّب كتب
اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيميا (وللتراجمة) فى النقل طريقان
احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما وهو ان ينظر الى كل كلمة
مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات
العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتى على
جملة ما يريد تعريبه وهذه الطريقة رديئة لوجهين أحدهما انه لا يوجد فى الكلمات العربية
كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ولهذا وقع فى خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ
اليونانية على حالها الثانى ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة
أخرى دائما وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات * الطريق
الثانى فى التعريب طريق حنين بن اسحاق والجوهرى وغيرهما وهو أن يأتى الى الجملة
فيحصل معناها فى ذهنه ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ أم
خالفتها وهذه الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحاق الى تهذيب الا فى العلوم
الرياضية لانه لم يكن فيها بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعى والالهى فان الذى عربه
منها لم يحتج الى اصلاح قاما أوقليدس فقد هذبه ثابت بن قرة الحرانى وكذلك المجسطى
والمتوسطات بينهما (رجع القول الى ما يتعلق بالمأمون) والخلاف ما زال فى هذه الامة منذ
توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موته ودفنه وأمر الخلافة بعده وأمر ميراثه وأمر قتال مانعى
الزكاة الى غير ذلك بل فى نفس مرضه صلى الله عليه وسلم لما قال ائتونى بدواة وقرطاس أكتب
لكم كتابا لا تضلوا بعدى على ما هو مذكور فى مواطنه وقد روى انس بن مالك رضى الله عنه
انه عليه أفضل الصلاة والسلام قال ان بنى اسرائيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان
أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة وهو صلى الله
عليه وسلم الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى قد أخبر ان الامة ستفترق ومتى
افترقت خالف بعضها بعضا ومتى خالفت تمسكت بشبه وحجج وناظر كل فرقة من يخالفها
فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد الى ترجيح مذهبه وقوله بحجة عقلية أو نقلية أو مركبة
منهما فهذا الامر كان غير مأمون قبل المأمون فعم زاد الشر شرا والضر ضرا وقويت به حجج

المعتزلة

المعتزلة وغيرهم وأخذ أصحاب الاهواء ومخالفو السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها
فى مباحثهم وفرجوا بها مضايق جدالهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فاتسع الخرق على
الراقع وكاد منار الحق الواحد يشتبه بالثلاث الاثافى والرسوم البلاقع على ان السنة
الشريفة مرفوعة المنار مأمونة الشرار خافقة الاعلام راسخة الاحكام باهرة السنى
ساطعة غضة الجنى يانعة

ويزيدها مر الليالى جدة * وتقادم الايام حسن شباب

وأهلى السنة فتح لهم السلف الصالح مغلق أبوابها وذللوا بالشواهد الصادقة الصادعة ماجمع
من صعابها واطلعوا نيرها الاعظم فطمس من البدع تألق شهابها وأجنوا من اتبع هداهم
ثمر اليقين متحد النوع وان كان متشابها وجاسوا خلال الحق فميزوه وأهل ملة أخبر بشعابها

ومن قال ان الشهب أكبرها السها * بغير دليل كذبته ذكاء

(قال) ابو بكر الصيرفى الفقيه الشافعى الاصولى كانت المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى اظهر الله
ابا الحسن الاشعرى فخجزهم فى اقماع السمسم اه (قلت) ومن وقف على طبقات المعتزلة
للقاضى عبد الجبار علم قدر ما كانوا عليه من العدد والعدد (وحكى) ان أبا الحسن الاشعرى
رحمه الله تعالى كان تلميذا لابى على الجبائى قرأ عليه وتمذهب بمذهبه لان الجبائى كان زوج أم
الشيخ أبى الحسن فاتفق أن جرت بينهما مناظرة فى وجوب الاصلح والصلاح على الله تعالى
فقال له الشيخ أبو الحسن أتوجب الصلاح أو الاصلح على الله تعالى فى حق عباده فقال نعم فقال
ما تقول فى ثلاثة صبية اخوة اخترم الله تعالى منهم أحدهم قبل البلوغ وبقى اثنان فاسلم
احدهما وكفر الآخر ما العلة فى اخترام الصغير ان سأل ربه تعالى فقال لم اخترمتنى دون اخوى
فقال له ابو على انه لو عاش لكفر فكان الاصلح اخترامه فقال الشيخ ابو الحسن فقد أحيا
احدهما وكفر فهلا اخترمه عملا بالاصلح له فقال له أبو على انما احياه ليعرضه لاعلى المراتب
فهو الاصلح له فقال له الشيخ ابو الحسن فهلا احيا الذى اخترمه ليعرضه لاعلى المراتب كما فعل
بأخيه اذ قلت انه الاصلح له فانقطع ابو على ولم يحر جوابا ثم قال الشيخ ابو الحسن اوسوست قال
ابو على ما وسوست ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة ثم فارقه الشيخ ابو الحسن وخالفه
وخالف سائر المعتزلة اللهم انا نسألك لطف الهداية والعصمة ودوام النعمة التى لا تنالها نقمة
والثبات بالقول الثابت حتى نحشر مع الفرقة الناجية من هذه الامة انك اهل التقوى واهل
المغفرة وولى الخيرات التى وجدناها برسولك الصادق الامين لنا مسخرة وهذا الالزام من
الشيخ ابى الحسن رضى الله تعالى عنه فى غاية الحسن (ومن الالزام) ايضا ما حكى أنه توفى لصالح
ابن عبد القدوس ولد فحضر اليه ابو الهذيل العلاف ومعه ابراهيم النظام وهو صغير فوجده
يتلظى حزنا على ولده فقال له لا اوى لتحرقك وجها اذا الناس عندك كالنبات فقال يا ابا الهذيل
انما تحرقنى لانه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال وما هذا قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما
كان حتى كأنه لم يكن وفيما لم يكن حتى كأنه كان فقال له ابراهيم النظام فابن أنت على أنه لم يمت
وان كان قد مات وعلى أنه قرأ الكتاب وان لم يكن قرأه فلم يحر جوابا (ومن الالزامات) نظما
قول ابن الرومى

ما عذر معتزلى موسر منعت * كفاه معتزليا معسرا صفدا

الاقوال فيه فبعض من
لا يعرف حقيقة أمره يقول هو
رجل كان يسقى الماء على
ظهره فكان ينطف أى يقطر
فسمى النطف ووجد خبيئة
من المال فعظم حاله واستغنى
بعد فقره وبعضهم يقول
النطف الرجل المتهم كان
الفقير يجد المال الكثير
فيقصد اخفاءه فيتهم ويظهر
عليه والصحيح ما ذكره
البلادرى أن النطف ابن
جبير بن حنظلة اليربوعى كان
مقيما بالبادية مع بنى تميم
وكان باذام عامل كسرى على
اليمن يحمل ثيابا من ثياب
اليمن وذهبا ومسكا وجوهرا
ويرسله الى كسرى مع خفراء
من بنى الجعد المرازبة الى أن
يصل الى أرض بنى تميم
فيبعث معها هوزة من
يجاوزها أرض بنى تميم فلما
كان فى بعض السنين فى أرض
بنى حنظلة تعرض لها بنو
يربوع فأغاروا عليها وقتلوا
من بها من العرب والاساورة
والفرس وكان فيمن فعل
ذلك ناجية بن عقال والحرث
ابن عقبة والنطف بن جبير
وكانوا فرسان بنى تميم فنهبوا
الاموال فحصل النطف على
شئ كثير من جملته خرجان
مملوآن مناطق ذهبا محلاة
بالجواهر النفيسة فباعها
متفرقة وضرب المثل بما

أيزعم القدر المحتوم ثبطه * ان قال ذاك فقد حل الذى عقدا

(وسمعت) الشيخ تقى الدين بن تيمية ينشد

اصفع المجبر الذى * بقضا السوء قد رضى
فاذا قال لم فعلت فقل هكذا قضى

(وما) أحسن قول بعضهم

لئن كان حكم النجم لاشك واقعا * فما سعينا فى رده بنجيح
وان كان بالتدبير يبطل حكمه * فقد صح أن الحكم غير صحيح

وقال أبو العلاء المعرى

زعم المنجم والطبيب كلاهما * ان لا معاد فقلت ذاك اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * أو صح قولى فالوبال عليكما

وقال أيضا

عجبا للمسيح بين النصارى * والى أى والد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
فاذا كان ما يقولون حقا * فاسألوهم فى أين كان أبوه
واذا كان راضيا بقضاهم * فاشكروهم لاجل ماعذبوه
واذا كان ساخطا بأذاهم * فاعبدوهم لانهم غلبوه

ووجدت منسوبا الى أبى العلاء المعرى أيضا

زعم الجهول ومن يقول بقوله * أن المعاصى من قضاء الخالق
ان كان حقا ما يقول فلم قضى * حد الزنا وقطع كف السارق

وهذه من مسائل الاعتزال والجواب عنها مذكور فى مسئلة خلق الافعال وقال أيضا

يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار
تحكم مالنا الا السكوت له * وأن نعوذ ولانا من النار

فأجاب علم الدين السخاوى

عز الامانة أغلاها وأرخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

(وحكى) ان بعض اليهود صحب قدريا فى الطريق فقال له لاى شئ لم تسلم فقال له لو شاء الله تعالى لاسلمت فقال ان الله تعالى قد شاء ولكن الشيطان لا يدعك فقال اليهودى أنا مع أقواهما فلم يحر القدرى جوابا (وناظر) بختويه النيسابورى عافية بن شبيب البصرى فقال له بختويه ما دليلك على اثبات الخالق فقال له شعرة أمك التى تحلقها فتنبت فلو لم يكن لها منبت لم تنبت فقال له بختويه ينبغى ان يكون بظر أمك حين قطع ولم ينبت دليلا على انه لا منبت فأفحمه (وأما حلية الفضل) فانها أفضل حلية وأنفس شئ تطمح اليه نواظر الامنية وهى جمال من ليس له جمال وكمال من يتعلم منه البدر الكمال * ومن كلام ابن المعتز العلم جمال لا يخفى ونسب لا يخفى قيل ان بعض الملوك شتم بقراط فقال له انما تفتخر على بغيرك ولكن رد كل جنس الى جنسه وتعال فتكلم * وقال المأمون لبعض أولاده وقد سمع منه لحنا ما على أحدكم ان يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويزين بها مشهده ويفل بها حجج خصمه ويملك مجلس سلطانه

أصابه وقيل انه فرق على الفقراء من عشيرته منذ طلعت الشمس الى أن غابت وفى ذلك يقول بعض ولده

أبى النطف المبارى الشمس انى * عريق فى السماحة والمعالى
ومات النطف حتف أنفه بعد * أن جرت بين العرب والفرس بسببه حروب عظيمة

(وكسرى حل غاشيتك)

كسرى اسم لملوك الفرس وقيصر للروم وخاقان للترك وتبع لحمير والنجاشى للحبشة واختلف فى نسب الفرس على أقوال أحدها أنه فارس ابن سام بن نوح وقيل فارس ابن افريدون بن اسحق عليه السلام وكان فى العرب من يفتخر بفارس على قحطان والفرس يقولون انه ابن كيومرث وكيومرث عندهم آدم عليه السلام وانه أول من ملك الفرس وكان منفردا عن العالم وليس فى زمانه ظلم ولا فساد فكثر البغى والظلم فاجتمع اليه حكماء أهل زمانه وقالوا ان صلاح هذا العالم فى اقامة ملك يورد الامور ويصدرها كما ان صلاح الجسد بالقلب وان العالم الصغير من جنس العالم الكبير لاستقيم أموره الا برئيس يدبره على ما تقتضيه قضايا العقول فساروا الى فارس بن كيومرث فقالوا أنت

بظاهر بيانه أيسر أحدكم ان يكون لسانه كلسان عبده أولسان أمته فلا يزال الدهر أسير كلمته
(دخل) الاحنف بن قيس على معاوية وافد الاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى
النمر عباءة قطوانية وعلى الاحنف مدرعة صوف وشملة فلما مثلا بين يدى معاوية اقتحمتهما
عيناه فقال النمر يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها فأومأ اليه فجلس
(وحكى) المسعودى فى شرح المقامات أن المهدى لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو
صبى وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة واياس يقدمهم فقال المهدى أف لهذه
العنانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ثم ان المهدى التفت اليه وقال كم سنك
بافتى قال سنى أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر فقال له تقدم بارك الله فيك (قلت) كذا ذكره
المسعودى والصحيح ما قرأته على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد
ابن عثمان الذهبى فى تاريخه الكبير ان اياسا قاضى البصرة توفى فى زمن بنى أمية سنة مائة
وتسع عشرة ولم يلحق دولة بنى العباس ويقال سنه اذذاك سبع عشرة سنة وكان معروفا بالذكاء
والفطنة والفراسة ولاه قضاء البصرة عمر بن عبد العزيز وحسبك بمن يختاره مثل عمر لهذا
المنصب (وذكر) الخطيب فى تاريخ بغداد أن يحيى بن أكتم ولى قضاء البصرة وسنه عشرون
سنة أو نحوها فاستصغروه فقالوا كم سن القاضى فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجه به
النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذى وجه به
النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سوار الذى وجه به عمر
ابن الخطاب قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا وقد جمع بعضهم مجلدا فى ذكاء اياس بن
معاوية ويقال انه نظر الى نسوة ثلاث فزعن من شئ فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر
فسئلن فكان الامر على ماذكر فقيل له من أين لك ذلك قال لما فزعن وضعت احداهن يدها
على بطنها والاخرى على ثديها والاخرى على فرجها (ونظر) يوما الى رجل غريب لم يره قط فقال
هذا رجل غريب واسطى معلم كتاب هرب له غلام فسئل فوجد الامر كما ذكر فقيل له من أين
لك ذلك قال رأيته يمشى ويتلفت فعلمت انه غريب ورأيت على ثوبه حمرة تراب واسط
ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ويدع الرجال واذا مر بذى هيئة لم يلتفت اليه واذا مر باسود
ذى أسمال يتأمله وأين هذه من فراسة أبى الحرث جحير وقد أنشد بين يديه قول العباس بن
الاحنف

قلبى الى ماضر نى داعى * يكثر أسقامى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى
ان دام بى هجرك مع كل ذا * يوشك أن ينعانى الناعى

فبكى وقال هذا رجل جائع يصف جارية طباخة مليحة فقيل له من أين لك هذا فقال لانه بدأ
فقال قلبى الى ماضر نى داعى وكذلك الانسان تدعوه شهوته وقلبه الى ما يضره من الطعام
والشراب فيأكل فتكثر عليه أوجاعه وهذا تعريض ثم صرح فقال كيف احتراسى البيت
وليس للانسان عدو بين اضلاعه الا معدته فهى تتلف ماله وهى سبب أسقامه ومفتاح كل
بلاء عليه ثم قال ان دام بى هجرك البيت فعلمت ان الطباخة كانت صديقته وهجرته ففقدها

أفضلنا وبقية أبينا آدم عليه
السلام ولا بد من تقديمك
علينا وتفويض أمورنا اليك
فاخذ عليهم العهود والمواثيق
على السمع والطاعة ووضع
التاج على رأسه تمييزا له وهو أول
من لبسه ثم خطب بالسريانية
وهو لسان آدم عليه السلام
ويقال لو ترك كل أحد من بنى
آدم لتكلم بالسريانية بالطبع
فتكلم بكلام معناه الشكر
والدعاء والمعونة والهداية
وأقام مدة طويلة يدبر الملك
وتوفى وملك بعده أوشهنج
وملوك الفرس تنسب اليه
وللفرس مبالغات عظيمة فى
وصف كيومرث ومنهم من
يزعم أنه آدم نفسه وانه خلق
من الرياس وعاش ألف سنة
* وكسرى يقال بفتح الكاف
وكسرها وجمع جمعين على غير
قياس الاكاسرة والكسور
وذلك أن حد الافاعلة أن
يكون جمع الافعال مثل
اسكاف وأساكفة وأما
الكسور فانه جمع بتقدير طرح
الالف مثل جذع وجذوع
قال الاعشى
انه كائن أبا للكسور
والمراد ههنا كسرى
أنوشروان فانه أشهر ملوك
الفرس وأحسنهم سيرة وأخبارا
وهو كسرى أنوشروان
ابن قباذ بن فيروز وفى أيامه
ولد النبى صلى الله عليه وسلم
وقال ولدت فى زمن الملك

العادل يعنى كسرى وكان ملكا
جليلا محببا للرعايا تام التدبير
فتح الامصار العظيمة فى
الشرق وأطاعته الملوك
وتزوج ابنة خاقان ملك الترك
وقتل مردك وأصحابه وذلك
ان أباه قباذ قد بايع رجلا
زنديقا يسمى مردك أحدث
مقالات فى اباحة الفروج
والاموال وقال انما الناس
فيها سواء وكان لا يسفك الدم
ولا يأكل اللحم وانه دخل يوما
على قباذ وعنده زوجته أم
كسرى وكانت من أحسن
النساء وعليها حلى عظيم
فأعجبته فقال لقباذ انى أريد
أن أنكحها الان فى صلبى نبيا
يكون منها فأطاعه قباذ لقوله
بعقالته فلما هم مردك بها وكان
كسرى صغيرا قبل قدميه
وتضرع له فى أن لا يفعل
فوهبها له فاول ما ولى
كسرى بعد موت أبيه قتل
مردك وأصحابه فعظم فى عين
الفرس وأحبوه وسلك سيرة
أردشير وتوطدت مملكته
وبنى المبانى المشهورة منها
السور العظيم الباقى الذكر
على جبل الفتح عند باب
الابواب وأقام الحرس وحسم
المادة من فساد من خلفه
ومنها المدينة التى سماها
باسم رومية ومنها الايوان
العظيم الباقى الذكر وليس
هو المبتدئ لبنيانه وانما
المبتدئ له سابور وهو الذى

وفقد الطعام ولو دام عليه لمات جوعا ونعى (أخبرنى) الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو
عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قال أخبرنى الحكيم علم الدين عبد الرحيم بن أبى
خليفة رئيس الاطباء عن والده الحكيم الرشيد أبى خليفة رئيس الاطباء بمصر زمن الملك
الكامل انه أتت اليه امرأة من الريف ومعها ولدها وهو مصفر نا حل فوضع يده فى نبضه وقال
لغلامه ناولنى الفرجية فتغير النبض تحت يده فى الحال فقال لها هذا الغلام عاشق واحدة
اسمها فرجية فقالت اى والله يا مولاى وقد عجزت فى عذله فعجب الحاضرون من ذلك (أقول)
ان الحكيم الرشيد انما اهتدى الى ذلك من كلام الشيخ أبى على بن سينا فى القانون حيث ذكر
العشق فانه قال ومما يتوصل به الى معرفة المعشوق اذا كتمه العاشق ان يضع يده على نبض
العاشق زمانا ويذكر أسماء وصنائع فتى اختلف النبض اختلافا شديدا واضطرب دفعة عند
ذكر واحد منها فهو المعشوق ولو قال الشيخ بدل قوله وصنائع وصفات لكان أجمل والمعنى
حاصل (يقال) أصدق الناس فراسة ثلاثة العزيز فى قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام
أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا وابنة شعيب التى قالت لابيها يا أبت استأجره ان خير من
استأجرت القوى الامين وأبو بكر فى الوصية بالخلافة لعمر (رجع القول الى ذكر حلية الفضل)
قال الشريف الرضى

ان يبل ثوبى فانى اكتسى حسبى * أو تردخيلى فانى راكب منى
لقد تقدم بى فضلى بلا قدم * أعظم بامر على ذى السن قدمنى

وتولى قضاء المعرة القاضى أبو على عبد الباقى بن أبى حصين وهو ابن خمس وعشرين سنة واقام
فى الحكم خمس سنين فقال

وليت الحكم خمسا وهى خمس * لعمرى والصبا فى العنفوان
فلم تضع الاعادى قد رشانى * ولا قالوا فلان قد رشانى

ولقاضى القضاة ابن حجة

يا أيها السلطان لا تستمع * فى حق قاضيك كلام الوشاه
والله لم يسمع بان امرأ * أهدى له شيأ ولا قد رشاه

(وقال بعضهم)

قد قال قوم أعطه لقديمه * جهلوا ولكن أعطنى لتقدمى
فانا ابن نفسى لا ابن عرضى أحتذى * بالفضل لا برفات تلك الاعظم

(وقال آخر)

ان الامير هو الذى * يضحى أميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا * يه لم يزل سلطان فضله

أنشدنى لنفسه اجازة القاضى زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى

خلعت ثوب القضاء عمدا * ولم أكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضاء عنى * كان لى الجاه بالعلوم

لما تولى الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن على الزملكانى قضاء حلب عامل أهلها
بالتشديد فقال له نائب السلطنة الامير علاء الدين ٣ لطفا يا قاضى لاى شئ لم تعاملنا كما كان

القاضى زين الدين يعاملنا فقال ذاك كان يخاف على منصبه ليتكثر به وأنا لوعز لتموني اليوم لاصبح على بابى من الطلبة والتلاميذ والمستفيدين مثل ما على بابى اليوم فى الحكم فقال له صدقت وكذا كان رحمه الله يعملون عليه ويعزلونه من الوظائف والرياسة العلمية فيه لاتزول وفى بيت الطغرائى من البديع نوعان وهما الموازنة فى صانتى وزانتنى وفيهما الترصيع والنوع الثانى لزوم مالا يلزم فانه التزم الطاء فى الحظل والعطل

(مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل)

(اللغة) المجد لغة الكرم والمجيد الكريم وقد مجد بالضم فهو مجيد وماجد قال ابن السكيت الشرف والمجد انما يكونان بالآباء يقال رجل شريف ماجد له آباء متقدمون فى الشرف قال والحسب والكرم يكونان فى الرجل وان لم يكن لآبائه شرف اه قلت قول امرئ القيس

ولو ان ما أسعى لادنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

يؤيد ماذهب اليه ابن السكيت لان المجد المؤثل هو الموروث ويحتمل ان يكون المجد مما يكتسبه الرجل بنفسه بدليل قوله أسعى والسعى انما يكون لتحصيل مالم يكن للانسان والوراثة لايسعى لها لانها حاصلة هذا ان قلنا ان اللام هنا للتعليل وان قلنا انها الشبيهة الملك فيترجح قول ابن السكيت وقد ذهب كثير من النحاة الى ان قوله كفانى ولم أطلب قليل من المال من باب التنازع فى العمل منهم أبو على الفارسى على جلالة قدره وليس منه قال ابن الحاجب رحمه الله لان أطلب منفى بلم والنفى فى سياق لو اثبات لانه حرف امتناع والامتناع نفى ونفى النفى اثبات فاذا امتنع النفى صار ثبوتا واذا كان كذلك فيكون طلب القليل ثابتا وطلب القليل هو السعى لادنى معيشة فيكون قد أثبت بلو غير ما نفى بلم لان قوله ولم أطلب معطوف على كفانى وهو جواب والمعطوف فى حكم المعطوف عليه واذا تقرر ذلك تعين ان قوله قليل لم يتوجه له من العاملين غير كفانى وانتفى ان يتوجه اليه اطلب ولو توجه اليه لفسد المعنى لتوارد النفى والاثبات على شئ واحد وان كان الطلب ثابتا تعين أن يكون مفعوله غير القليل لان امرأ القيس انما طلب الملك وقد ذكره فى البيت الثانى قال ابن ايازى فى المطارحة قال الجرمى أراد كفانى قليل من المال ولم أطلب ولو اعمل لم أطلب فى قليل لاستحالة المعنى (أخيرا) أى آخرا والآخر ضد الاول (شرع) أى سواء يحرك ويسكن ويستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ومنه قولهم الناس فى هذا الامر شرع أى سواء (رأد الضحى) الضحى شروق الشمس بعد طلوعها والرأد ارتفاعها وقد سمت العرب ساعات النهار باسماء فالاولى الدرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم الدلوك ثم العصر ثم الاصيل ثم الصبوب ثم الحدور ثم الغروب ويقال فيها أيضا البكور ثم الشروق ثم الاشراق ثم الرأد ثم الضحى ثم المتوع ثم الزوال ثم الهاجرة ثم الاصيل ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب (الطفل) بتحريك الفاء بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب فعلى هذا الطفل آخر النهار والرأد أوله فهما طرفا النهار تقول أتيته طفلا (الاعراب) مجدى مبتدا وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الدال لان الياء لايكون ماقبلها الا من جنسها أى مكسورا والياء فى موضع جر بالاضافة لانه ضمير المتكلم والضمائر كلها مبنية وسيأتى الكلام على ذلك (أخيرا)

رفعه وأتمه وأتقنه حتى صار من عجائب الدنيا وكان انشقاق مثله من المعجزات النبوية والخصائص المحمدية يروى أن الرشيد هرون أراد هدمه فاستشار يحيى بن خالد البرمكى فنهاه وقال فى بقائه معجزة باقية فقال الرشيد بل أبيت الا تعصبا لآبائك يعنى الفرس فأمر بهدمه فصرف على هدم شرافة واحدة مالا كثيرا فكف عنه فقال يحيى أرى الآن أن تهدمه لئلا يتحدث عنك أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه (وحكى) عن بعض رسل الملوك انه دخل على كسرى فرأى فى الايوان اعوجاجا فسأله عنه فقيل له انه بيت لعجوز فقيرة سألها الملك بيعه فامتنعت فارغبها فى مال كثير فلم تفعل فتركها وبنى الايوان على ماهو عليه فقال الرسول هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء ويروى أن العجوز بعد بناء الايوان نزلت للملك عن البيت وقالت انما أردت بامتناعى أولا أن يتحدث الناس بعدلك وتكون لك هذه المأثرة الظاهرة ثم صنع كسرى فى الايوان سلسلة عظيمة ذات أجراس وجعل لها طرفا خارجا عن القبة وأمر مناديه من

منصوب على انه ظرف زمان وكذلك قوله أولا والظرف ينتصب بالمعنى فالعامل فيه معنى الاستقرار ومجدى الثانى معطوف على الاول وشرع خبرعنهما كقولك زيد وعمرو كريمان فكريمان خبرعن المبتدائين (والشمس) هذه الواو هى واو الابتداء والشمس مبتدا (رأد الضحى) منصوب على انه ظرف زمان والضحى مضاف اليه علامة جره كسرة مقدرة على الالف لانه مقصور والالف حرف هوائى أى مما لا يقبل الحركة (كالشمس) الكاف تجىء فى الكلام لمعان منها ان تكون للتعليل كقوله تعالى واذكروه كما هداكم وزائدة كقوله تعالى ليس كمثله شئ لانه يلزم من عدم زيادتها اثبات المثل لله تعالى الله عن ذلك هكذا أعربها الجمهور من النحاة قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله فى التعليقة على المقرب قال أكثر الناس هى زائدة للتوكيد والمعنى والله اعلم ليس مثله شئ وقال جماعة من المحققين ليست بزائدة وانما هى على بابها ومعنى الكلام والله أعلم نفى مثل المثل ويلزم من ذلك نفى المثل ضرورة وجوده سبحانه فان قيل لم توصل الى نفى المثل بنفى مثل المثل وهلا نفى المثل من أول وهلة فالجواب ان نفى المثل بنفى مثل المثل أبلغ وأفخم من قولنا أنت لا تفعل هذا لانه نفى الشئ بذكر دليله فهو أبلغ من نفى الشئ بغير ذكر دليله اه (قلت) وقد قال بعضهم انها ليست بزائدة ولم يعوّل على هذا الدليل بل قال مثل ومثل سا كنا ومتحركا سواء فى اللغة كشبه وشبه فمثل ههنا بمعنى مثل قال الله تعالى ولله المثل الأعلى ويكون المعنى ليس مثل مثله شئ وهو صحيح ومن أمثلة زيادتها قول رؤبة بن العجاج *لواحق الاقراب فيها كالمقق*
وهو الطول وما أحلى قول ابن قلاقس يمدح الحافظ السلفى

كالبحر والكاف ان أنصفت زائدة * فيه فلا تحسبنها كاف تشبيه

وقد أخذه من أبى الطيب حيث قال

كفاتك ودخول الكاف منقصة * كالشمس قلت وما للشمس أمثال

وتخرج الكاف من الحرفية الى الاسمية فتكون فاعلا كقول الشاعر

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وتكون مبتدا كقول الشاعر

أبدا كالفراء فوق ذراها * حين يطوى المسامع الطرر

وتكون مجرورة كقوله * وصاليات كما يؤثفين * وقوله *يضحكن عن كالبرد المنهم
(المعنى) مجدى فى الاول ومجدى فى الآخر سواء لا تفاضل فيه كما ان الشمس استوت حالتاها فى أول النهار وآخره ومن الكلم النوابغ التاج مجده فى كيسه والعالم مجده فى كراريسه ومنها أيضا من أخطأته المناقب لم تنفعه المناسب وفى خبر شمر بن عبس الحميرى أحد ملوك اليمن فى خبر طويل انه سأل أولاده قبل الوفاة فقال ما المجد فقالوا ابتناء المكارم وحمل المغارم والاضطلاع بالعظائم وكف النفس عن ركوب المظالم ويحتمل بيت الطغرائى أنه أراد مجد أسلافى ومجدى واحد أى انى ورثت المجد عن آبائى الكرام وسدت كما سادوا وقد أخذ الطغرائى هذا المعنى من قول أبى العلاء المعرى حيث قال

وافقتهم فى اختلاف من زمانكم * والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر

فهذا

كان مظلوما فليحرك السلسلة ليعلم به الملك فيزيل ظلامته قال العسكرى وهذا هو الاصل فى قول الناس حرك فلان على فلان السلسلة اذا وشى به (وحكى) انه كان جالسا بالايوان واذا بحية قد دنت من عش حمامة فى بعض شقوق الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم أو بندقة فقتلها فقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحب فى منقارها فالقته اليه فاخذه وقال ازرعوه فزرعوه فنبت ريحانا لم يكن يعرفونه فقال نعم ما كافأتنا به الحمامة نسأل الله الذى ألهمها أن يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمه وخص كسرى بأشياء لم تكن لغيره من الملوك على ما ذكره كثير من الرواة منها الفيل الابيض لركوبه طوله اثنا عشر ذراعا وقطعة الياقوت المسمى لسان الثور تضىء بالليل أكثر من السراج والغلهيد المغنى واضع العود الخراسانى على اثنى عشر وتراكل من ضرب به خرج الاهواء وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مهر من الخيل وعناق زرقاء مغذاة بلبان الدجاج يذبحان بسكين من ذهب ويبخر التنور بالعود ويسمط بالخمر المغلى ويطلى بالمسك والملح ويعلق

فهذا هذا خلا أن ذاك فى الشمس وهذا فى القمر ولكن قول المعرى ألطف عبارة وأحسن اشارة لان الطغرائى أغرب فى لفظتى رأد والطفل وعذوبة الالفاظ أمر مهم فى البلاغة وكلا المعنيين يشبه قول الحريرى

وطالما أصلى الياقوت جمر غضا * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

كتب نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقى الى الامام الناصر يعرض بالوزير القمى وكان يدعى انه شريف علوى

خليلى قولا للخليفة أحمد * توق وقيت الشر ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما * صنيعك ياخير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة أحمد * فهذا وزير فى الخلافة طامع
وان كان فيما يدعى غير صادق * فاضيع ما كانت لديه الصنائع

فلما وقف الناصر عليها كانت سبب تغيره عليه وأمر فخرج اليه مملوكان مسرعين فهجما على الوزير فى داره وضرباه بدواته على رأسه وحملاه الى المطبق فكتب الى الخليفة

ألقنى فى لظى فان غيرتنى * فتيقن أن لست بالياقوت
عرف النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فكتب اليه الخليفة الجواب

نسج داود لم يفد صاحب الغا * ر وكان الغار للعنكبوت
وبقاء السمند فى لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

اختبرناك فصرفناك واختبرناك فصرفناك والسلام ومن هنا أخذ المعنى ناصر الدين حسن ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجعل لبسه فى كل شى
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبى

وعلى ذكر العنكبوت ودود القز ذكرت قول محمد بن أبى الحسن المعروف بالاردخل

أقول اذا قالوا نراك مقطبا * اذا ما ادعى دين الهوى غير أهله
يحق لدود القز يقتل نفسه * اذا جاء بيت العنكبوت بمثله

وقول الآخر وهو أبو محمد بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطى شارح المقامات

حق دود القز يبنى * فوقه ثم يموت
بعد ما سدى وقدصا * ر يسدى العنكبوت

قال صاحب الصحاح والسرفة دويبة تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها الى بعض بلعابها على مثل الناووس ثم تدخل فيه فتموت يقال فى المثل أضيع من سرفة اه ما قاله صاحب الصحاح (قلت) هى بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء مفتوحة وآخرها هاء على وزن غرفة واختلفوا فى نعتها فقال اليزيدى هى دويبة صغيرة تنقب الشجر وتبنى فيه بيتا وقال أبو عمرو بن العلاء هى دويبة مثل نصف عدسة تنقب الشجر ثم تبنى فيه بيتا من عيدان تجمعها مثل غزل العنكبوت منخرطا من أسفله الى أعلاه كأن زواياه قومت على مخط وله فى احدى صفائحه باب مربع قد الزمت أطراف عيدانه من كل صفيحة أطراف

فى سفود من ذهب ونار جين من ذهب فاذا برد حمل فوضع على خوان من ذهب فيقدم اليه فيأكل أكثره ويتحف بالبقية من أحب من ندمائه ويكسر التنور ويجدد كل يوم مثله واجتمع على بابه سبعون ملكا وله حكايات حسنة مذكورة فى سيره * فمنها أن عاملا له على ناحية كتب اليه يعلمه بجودة الريع ويستأذنه فى الزيادة على الرسم فامسك عن اجابته فعاوده العامل فى ذلك فكتب اليه قد كان فى ترك اجابتك عن كتابك ما حسبتك تزجر به عن تكلف مالم تؤمر به فاذ قد أبيت الا تماديا فى سوء الادب فاقطع احدى أذنيك واكتف عما ليس من شأنك فقطع العامل أذنه وسكت عن ذلك الامر * ومنها أن رجلا على عهده كان يقول من يشترى ثلاث كلمات بألف دينار فتطير منه الناس الى أن وصل الى كسرى فأحضره وسأله عنها فقال ليس فى الناس كلهم خير فقال كسرى هذا صحيح ثم ماذا قال ولا بد منهم قال صدقت ثم ماذا قال فالدهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت المال فخذه قال لا حاجه لى به وانما أردت أن أدرى من يشترى الحكمة بالمال * ويروى انه

اول من جعل لندمائه أمارة
ينصرفون بها من مجلسه اذا
أراد انصرافهم وذلك انه كان
يمد رجله فيعرفون انه يريد
قيامهم فينصرفون وتبعه
الملوك وكان فيروز الاصغر
كذلك يعرك عينه وكان بهرام
يرفع رأسه الى السماء وكان
فى الاسلام معاوية يقول
العزة لله وعبد الملك بن مروان
يلقى المخصرة من يده وعمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه
يدعو وحدث بهذا الحديث
عند بعض الخلفاء وسئل
ما أمارته قال اذا قلت ياغلام
هات الطعام *ومن كلام
كسرى القلوب تحتاج الى
أقواتها من الحكمة كما
تحتاج الابدان الى أقواتها
من الغذاء ووقع فى قصة مرافع
ان الملوك اذا دبرت ملكها
بمال رعيتها كانت بمنزلة من
يعمر سطح بيته بما ينقضه من
أساسه وكتب باللؤلؤ على
مائدة من الذهب ليهنه
طعام من أكله من حله
وعاد على ذوى الحاجات
من فضله ما أكلته وأنت
مشتهيه فقد أكلته وما أكلته
وأنت لا تشتهيه فقد أكلك
وقيل ما أعظم الكنوز قدرا
وأنفعها عند الحاجة اليها
فقال معروف أودعته عند
الاحرار وعلم أورثته الاعقاب
وقال احذروا صولة الكريم

عيدان الصفيحة الاخرى كانها مغروزة وقال محمد بن حبيب هى دويبة تنسج على نفسها بيتا فهو ناووسها حقا والدليل على ذلك انه اذا نقض هذا البيت لم توجد الدودة فيه حية أصلا وزاد بعض رواة الاخبار على ابن حبيب زيادة فزعم ان الناس فى أول الدهر حين كانوا يتعلمون الحيل من أفعال البهائم تعلموا من السرفة احداث بناء الناووس على موتاهم وانه فى خرط وشكل بيت السرفة ويقال وادسرف وأرض مسرفة وسرفت الشجرة اذا أصابتها السرفة ومن هذه المادة قول القائل

اذا شوركت فى أمر بدون * فلا يلحقنك عار أو نفور
ففى الحيوان يشتركا اضطرارا * ارسطاليس والكلب العقور

قلت هذا معنى قول أرباب المنطق فى كل نوع حصة من جنسه يعنون بذلك أن كل فرد فرد من أشخاص الجسم النامى المتحرك بالارادة من الناطق والصاهل والمفترس والسابح والنابح وغير ذلك فيه حصة من الحيوانية التى هى جنسه وهى الجسمية والنمو والتحرك بالارادة والنوعية هى التى امتاز بها كل نوع عن غيره وهى الفصل مثل الناطقية أو الافتراسية أو السابحية أو النابحية وقد رأيت الشيخ الامام الفاضل ركن الدين محمد بن القريع غير مرة ينكر على من يضرب كلبا أو بهيمة ويقول له بحنق لأى شئ تفعل به هذا وهو شريكك فى الحيوانية وما أحسن قول القائل

وللزنبور والبازى جميعا * لدى الطيران أجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد باز * وما يصطاده الزنبور فرق

والياقوت هو سيد الاحجار التى لا تذوب ولا تتكلس بالنار زعموا انه يتكون فى كهوف الجبال وخلال الرمال ويتم نضجه فى عشر سنين وعلة تكوينه ان مياه الامطار التى ترسخ فى المغارات والكهوف متى لم يخالطها شئ من الترابية والطينية وطال وقوفها هناك ازدادت صفاء ورقة وغلظا بتسلط حرارة المعدن على تجفيفها وطبخها فانعقدت وصارت حجارة صلبة شفافة وتكون ألوانها وخفتها وثقلها بحسب أنوار الكواكب المستولية على ذلك الجنس من الجواهر وعلى تلك البقاع على ما زعم أصحاب الكلام فى أحكام النجوم فانهم يقولون السواد لزحل والحمرة للمريخ والخضرة للمشترى والصفرة للشمس والزرقة للزهرة والملون لعطارد والبياض للقمر وأصحاب الكلام فى الطبائع يقولون سبب اختلاف الالوان اختلاف بقاع الارض التى يتكون فيها ذلك لان الماء اذا وقع عليها وغاض فيها ودام تغير بما النحل فيه من يبس الارض واسخان الشمس له فعلى قدر حرارته يتكون فان اشتدت حرارته وأفرطت واستولى عليها اليبس عرض له السواد وظهر على أعلاه وبطنت الحمرة التى هى عن الحرارة المعتدلة فى باطنه وربما طرحت الحمرة نورها الى خارج مع ظهور السواد فقام بينهما اللون الاسمانجونى وان كانت الحرارة معتدلة انعقد أحمر وهو أجود الياقوت وان قصرت الحرارة بمغالبة الرطوبة لها انعقد أصفر وان أفرطت الرطوبة واستولت على الحرارة انعقد أبيض صافيا والاسمانجونى والاصفر اذا وضعا على النار أبيضا ولا يتغيران عن البياض فهذه الالوان الاربعة يشملها جنس الياقوت والاحمر منها ينقسم الى أربعة أصناف البهرمانى وهو أشدها حمرة وأكثرها صفاء ويوجد منه ما وزنه اثنا عشر مثقالا ثم الوردى وهو ارد أنواع الاحمر ويوجد منه ما وزنه

ثلاثون مثقالا ثم الخمرى وأردؤه ماقرب الى البياض ثم الاحمر العصفرى وأردؤه ماقرب من لون الورس وأما الاصفر فمنه الرقيق الكثير الماء ثم الخلوقى وهو أشبع صفرة من الاول ثم الجلنارى وهو أشبع صفرة من الثانى وأشد شعاعا وأكثر ماء وهو أكثر أنواع الاصفر ويوجد من هذه الاصناف ماوزنه أربعون مثقالا وأما الاسمانجونى فمنه الازرق واللازوردى والنيلى والكحلى ويسمى الزيتى وهو أردؤها ويوجد منه ماوزنه أربعون مثقالا وأما الابيض فمنه المهاوى وهو أشدها بياضا وأكثرها ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أردأ أصناف الياقوت * قرأت على العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى كتابه الذى وضعه ووسمه بنخب الذخائر فى أحوال الجواهر قال فى ذكر الياقوت فالرمانى أعلاها وهو الشبيه بحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء ويؤخذ لونه بان يقطر على صفيحة فضة مجلوة قطرة دم قرمزى أعنى من عرق ضارب فلون تلك القطرة على تلك الصفيحة هو الرمانى ثم قال فيما بعد وذكر القدماء ان قيمة المثقال الفائق من الياقوت الاحمر ثلاثة آلاف دينار وأما فى الدولة العباسية فان الغالب من قيمته أن الجيد منه اذا كان وزن طسوج يساوى خمسة دنانير وضعفه عشرين دينارا وسدس مثقال ثلاثين دينارا وثلث مثقال مائة وعشرين دينارا ونصف مثقال أربعمائة دينار والمثقال بألف دينار والمثقال ونصف بألفى دينار هذا ما تقرر فى زمن المأمون مع كثرة الجواهر فى ذلك الزمان والمثقال من البهرمانى بثمانمائة دينار ومن الارجوانى بخمسمائة دينار ومن الجلنارى بمائتى دينار ومن اللحمى بمائة دينار والبنفسجى يقاربه والوردى دون ذلك وكان فى خزانة الامير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالا قومت بعشرين ألف دينار وكان للمعتصم فص يسمى ورقة الآس لانه كان على شكلها وزنه مثقالان الاشعيرتين اشتراه بستين ألف درهم ثم قال قال ابن سينا ان خاصية الياقوت التفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم وقال ابن زهر شربه سحيقه ينفع الجذام والتختم به يدفع حدوث الصرع انتهى (قلت) ومن خواص الياقوت انه يقطع جميع الحجارة الا الالماس فانه يقطعه لصلابته وقلة مائة وشدة الشعاع والثقل والملاسة والصبر على النار وهو لا ينجلى الا على صفيحة نحاس بتكلس الجزع اليمانى وهو ان يحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يعود كالغراء ثم يحك به الياقوت لانه يخرج من معدنه وظاهره مظلم فيحتاج الى الجلاء وربما وجد فى باطن الحجر بعد جلائه طين أو ماء قصرت عنه حرارة المعدن فى الطبخ فيطين ويجفف بعد ان يثقب بالالماس ثم يلقى فى النار ويوقد عليه بالحطب الجزل بقدر معلوم فانه ينقى فان كان لونه اسمانجونيا أو أصفر لم يدخل النار الا ان كان فى الاسمانجونى صفرة فيدخل قليلا بقدر ما تغسل عنه فان زيد فى حميه انسلخت لونيته وابيض وصار كالبلور وما أحسن قول البلغى رحمه الله تعالى

أقمت لى قيمة مذ صرت تلحظنى * شمس الكفاءة تغنينى عن النظر
كذا الياقوت فيما قد سمعت به * من حسن تأثير عين الشمس فى الحجر

قال بعضهم فى مليح اسمه ياقوت

ياقوت يا قوت قلب المستهام به * من المروءة أن لا يمنع القوت
سكنت قلبى وما تخشى تلهبه * وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

اذا جاع واللئيم اذا شبع

(وقيصر رعى ماشيتك)

(قيصر) اسم لملوك الروم وسموا الروم لانهم ينتسبون الى روم بن العيص بن اسحق عليه السلام وقيل انهم ينتسبون الى رومية والصحيح الاول لان رومية بنيت بعد ظهورهم بكثير وكان يقال لها رماس فلما سكنوها نسبت اليهم وقال ابن الكلبى ولد لاسحق ثلاثون ولدا منهم الروم وكان أصفر اللون فقيل لولده بنو الاصفر وقيل أغارت عليهم الحبشة فولدلهم بنات أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفرا لعسا فنسبوا اليهن وأول من سمى منهم قيصر قيصر بن انطرطس وسمى قيصر لان أمه كانت حاملا به فتعسرت ولادتها فشق بطنها فخرج وكان يفتخر على الناس بأن النساء لم تلده وانما خرج كرها وسمى قيسر ثم قيل قيصر وصار هذا اللقب سمة لملوك الروم بعده وكان جبارا عاتيا وهو أول من جمع مملكة الروم واليونان وذلك أن أباه انطرطس لما بلغه أن ملوك اليونان قد انقرضوا ولم يبق منهم غير امرأة وهى قبلا بطره أرسل اليها يخطبها وكان قد ملك طرفا من أطراف بلادهم حين انقرضوا يقول قصدى أن تصير

وأما السمند فاخبرنى العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قال أخبرنى عز الدين بن عبد العزيز الحلبى المعروف بالكويمى أن السمند شئ يشبه غبار القطن ونسج العنكبوت يتكون فى شقوق من سقفان تعلو أنهار اعذبة بارض الهند وانه قليل جدا لا يظفر منه الا باليسير انتهى (وأخبرنى) الشيخ الامام العلامة صلاح الدين محمد بن البرهان من لفظه ان البادزهر يوجد فى بعضه تجويف وفيه شئ يشبه الصوف اذا وضع فى النار لم يحترق منه شئ البتة (وأخبرنى) الشيخ شمس الدين أيضا انه عاين عند الامير علاء الدين على بن البزواتاه بالديار المصرية منشفة طولها قدر أربعة أشبار وعرضها دون ذلك يمسح بها الوجه واليدان فاذا تدنست تلقى فى النار فتنقى وذكروا انها من السمند ولم يذكر أهو حيوان أو غيره وحكى لى وله انسان يظن به الصدق انه رأى عند شخص يعمل النشاب بين القصرين بالقاهرة ريشة بيضاء شككت أنا فى طولها هل قال ذراع أو أقل وأنها يوضع عليها الزيت وتلقى فى النار الى ان تفنى مادة الزيت ثم يخرج بها وهى سليمة بيضاء نقية (وأخبرنى) الشيخ شمس الدين أيضا انه رأى عند شرف الدين بن زنبور شخصا مغربيا يعرف بزيد الصائغ دهن لحيته بدهن كان معه ووضع السراج فيها فاشتعلت ذقنه الى ان نفدت مادة الدهن فضرب بيده ذقنه فطفئت ولم يحترق منها شئ قلت أنا ولعل الريشة التى ذكرها انا ذلك الرجل تدهن بذلك الدهن وهو معروف عند أصحاب الملح فالخصوصية للدهن لا للريشة والله أعلم بالصواب وان كانت هذه الريشة من طائر وله هذه الخصوصية فاقول هذا يؤيد حجة الاشاعرة فى دعواهم ان الله يخلق الاحراق فى النار عند قربها من الاجسام وليس الاحراق لنفس النار ويخلق الشبع عند تناول الخبز وليس الشبع بالخبز ويخلق الرى عقيب شرب الماء وليس الرى لنفس الماء فقد رأينا من يفرط فى أكل الخبز ولم يشبع وفى شرب الماء ولم يرو وما ورد فى الاخبار الصحيحة من بقاء الحيات والعقارب وعظم مقاديرهن فى نار جهنم وهى حيوانات وليس هذا ممتنع على الفاعل المختار سبحانه وتعالى وهذا الطائر يمكن أن يتولد فى النار كما يتولد فى كور الزجاجين الحيوان المسمى بالسرفوت وهو أشبه شئ بسام أبرص لا يزال حيا مادام فى النار وهى مضطرمة فاذا طفئت وبرد المكان مات وقال ارسطو لا يبعد أن يكون فى كل عنصر حيوان يتولد فيه كما يحكى أن فى بلاد الترك بزاة بيضا اذا حصل لها مرض معروف عندهم حلقت فى الهواء ونزلت ومعها حية بيضاء قدر شبر فتأكلها فتبرأ مما تشكوه ثم ذكر ارسطو أيضا السرفوت المذكور تأييدا لما ادعاه (أخبرنى) العالم مفتى المسلمين شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ فتح الدين بن أبى الحسن على بن ابراهيم الانصارى القمى من لفظه بثغر الاسكندرية قال أخبرنى الشيخ نجيب الدين عبد اللطيف بن عبد المنعم بن على الحرانى أخبرنا أبو حامد وعبد الله بن مسلم بن جوالق قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا منصور بن أبى غالب القزاز أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب أخبرنا الحسن بن أبى بكر بن شاذان حدثنا أبو الحسين عبد الرحمن بن نصر المصرى الشاعر املاء من حفظه حدثنا أبو عمر الانسى بمصر قال حدثنا دينار مولى أنس بن مالك قال صنع أنس لاصحابه طعاما فلما طعموا قال يا جارية هاتى المنديل فجاءت بمنديل درم فقال اسجرى التنور واطرحيه فيه ففعلت فابيض فسألناه عنه فقال ان هذا كان للنبى صلى الله عليه وسلم وان النار لا تحرق شيأ كان للنبى صلى الله عليه وسلم أو مسته يد الانبياء دينار بن

المملكتان واحدة وأقرب منك لفضلك وعقلك فعلمت أنها مغلوبة معه فأجابته وقالت تقيم فى مكانك الى يوم عينته فقامت وأفكرت فى حيلة تحتال بها عليه فرأت انها تهلك نفسها وتهلكه معها ولا يتمكن منها فعمدت الى حية تكون فى الرمل تضرب الانسان فيهلك فى لحظة فجعلتها فى اناء من زجاج وزينت قصرها وفرشت مجلسها بالرياحين ولبست تاجها وجلست على سريرها واستدعت به فلما وصل الى باب القصر أخرجت الحية فضربته فمات وانسابت الحية فى رياحين حولها فدخل انطرطس الى السرير ولم يشك أنها فى عافية فجلس الى جانبها فعبثت فى الرياحين فضربته الحية فمات وكان ابنه مع جيشه فسمع بموتهما فاستولى على بلاد الروم واليونان وكان اذا أراد أن يستشير أحدا من عقلاء دولته أرسل اليه نفقة سنته ليتوفر ذهنه على ما يشير به ومن بعده اختلفت الروم فتقاسموا البلدان والاطراف الى ظهور الاسلام وقيصر هذا أعظم ملوكهم ومن كلامه ما الحيلة فيما أعيا الا الكف عنه ولا الرأى فيما لا ينال الا اليأس منه

عبد الله ضعيف واه قاله أبو أحمد بن عدى (رجع القول الى بيت الطغرائى) ولمتعنت أن يقول ليس كون الشمس فى أول النهار مثل كونها فى آخره لان حالة الاقبال حالة ابتداء وتمكن وحالة الادبار حالة انتهاء وزوال ولهذا قال المنجمون ان السعى فى الحوائج قبل الزوال انجح منه فيما بعد الزوال ويكرهون الحركة آخر النهار قال الشاعر

بكر اصاحبى قبل الهجير * ان ذاك النجاح فى التبكير

وأول النهار شباب وقوة وآخره مشيب وهرم فجواب المتعنت انه ما أراد الا ذات الشمس من حيث هى من غير نظر الى ما يطرأ عليها من حركة فلكها الان هذه الحالة فى الابكار والعشى انما هى خير وشر بالنسبة الينا لان فلك الشمس لا يزال دائرا وحركة الفلك واحدة لا تتغير أبدا اذ الكرة لا فوق لها ولا تحت فالشمس فى جرمها واحدة لم تتغير أبدا وهى أبدا ما زالت ولا طرأ عليها شئ نعم كان هذا يرد أن لو كان كل يوم لا شمس تخصه كما ذهب اليه بعضهم وليس بشئ ولهذا قال المعرى رحمه الله تعالى

وما البدر الا واحد غير أنه * يغيب ويأتى بالضياء المجدد
فلا تحسب الاقمار خلقا كثيرة * فجملتها من غير متردد

اذا ثبت ذلك فالشمس من حيث هى هى واحدة فى ذاتها لا تتغير فى نورها وعظمها وعلوها وهبوطها لم يزدها ولم ينقصها شيأ قال ابراهيم الغزى

أما ترى البدر يكسو ناظريك سنى * فيستوى فيه اقبال وادبار

وقد بالغ الطغرائى وضرب لفخره ومجده مثلا حسنا بالشمس فانه مثل بما لا يخفى على ذى عقل فضله ولا يسعه انكاره

وليس يصح فى الاذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

ومن أحسن ما حضرنى فى الافتخار قول بشار بن برد رحمه الله

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرى منبر صلى علينا وسلما

وقول عبد المطلب

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت أسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا فى منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

(وقول الآخر)

حملت بروج المجد منى كوكبا * لا يهتدى لسوى سناه السارى
وعلى الرياح أزمتى وأعنتى * ومن النجوم أسنتى وشفارى

وقول الشريف أبى الحسن العقيلى

نحن الذين غدت رحى أحسابهم * ولها على قطب الفخار مدار
قوم لغصن نداهم من رفدهم * ورق ومن معروفهم أثمار
من كل وضاح الجبين كأنه * روض خلائقه له أزهار

وقول الشريف الرضى يخاطب الطائع

مهلا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق

(والاسكندر قتل دارا فى طاعتك)

هو الاسكندر بن فيليبش اليونانى واختلف فى أصل اليونان فقال ابن الكلبى هو يونان بن بقية ونسبه الى اسحق وقال يعقوب الكندى يونان أخو قحطان من العرب من ولد عابر خرج من اليمن ونزل ديار المغرب وأقام فيها واستعجم لسانه وتكلم بلغة من هناك من الروم وقال الرقاشى وهو الاشهر ان يونان بن يافث بن نوح وليس من العرب ولا من الروم وانما جاور الروم على ساحل البحر الرومى وكان وسيما حسن العقل كبير الهمة فأقام هناك حتى كثر ولده فخرج يطلب مكانا يسكنه فانتهى الى مدينة بالمغرب يقال لها اقنينة فبنى بها قصورا وأقام وكثر نسله ولما احتضر أوصى الى ولده الاكبر وصية حسنة ثم مات فاستولى ولده على بلاد المغرب من ناحية افرنجة والصقالبة ومن جاورهم ولما ظهر بختنصر على مصر دخل المغرب ووصل الى بلاد اليونان وقرر عليهم أن يؤدوا الخراج الى ملوك فارس واستقر ذلك الى أيام الاسكندر * وأما الاسكندر فاختلف فى نسبه فقيل انه الاسكندر بن فيليبش من ولد يونان وهو الاصح

وقيل هو الاسكندر بن الصعب كان أبوه نساجا واسم أمه هيلانة وكان يتيما فى حجر وسمعت أمه ببيت الصنائع وهو بيت وضعته اليونان فى القسطنطينية وصوّرت فيه الصنائع لتعرض على الصبيان فمن تاقت نفسه لصنعة اشتغل بها فحملته أمه فشاهد صور الاشياء فوضع يده على تاج الملك فنهته أمه مرارا فلم ينته فنظر اليها متولى بيت الصنائع وقال أنت هيلانة قالت نعم قال وهذا ابنك قالت نعم فقال له أبشر فانت الملك الذى يسحب ذيله فى البلاد وهذا قول مردود لبعد ما بين حجر واليونان ولان القسطنطينية بنيت بعد رفع عيسى عليه السلام بزمان وانما انقرضت دولة اليونان عند ظهور عيسى والصحيح أنه الاسكندر ابن فيليبش وسمى ذا القرنين تشبيها بذى القرنين المذكور فى الكتاب العزيز لبلوغ ملكه قرنى الشمس من المشرق والمغرب وهو صاحب ارسطاطاليس الحكيم كان أبوه أسلمه اليه فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والادب فنال منه ما لم ينل أحد من تلامذته ومرض أبوه فخاف على الملك فاسترده وعهد اليه * وأما دارا فهو دارا الاصغر

ما يتفاخرون يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى السيادة معرق
الا الخلافة ميزتك فانني * أنا عاطل منها وأنت مطوّق

قيل ان الخليفة لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الرضى وقيل انه كان يوما عنده وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة قال بل رائحة النبوّة وقول الرضى أيضا

رمت المعالى فامتنعن ولم يزل * أبدا يمانع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل * ضجرا دواء الفارك التطليق

وقول اسحق بن ابراهيم الموصلى

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى حازم وابن حازم
عطست بانف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

انما ذكر حازما لانه مولى خزيمة بن حازم التميمى وانما نزل أبوه الموصل فنسب اليه وخزيمة هو الذى يقول فيه أبو نواس

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم
ودارم خير تميم وما * مثل تميم فى بنى آدم

(وقال الآخر)

قريش خيار بنى آدم * وخير قريش بنو هاشم
وخير بنى هاشم أحمد * رسول الاله الى العالم

ومن رسالة ابن عرسية

لله مما قد برى صفوة * وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من بينهم * محمد النور أبو القاسم

أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى

محمد خير بنى هاشم * فمن تميم وبنو دارم
وهاشم خير قريش وما * مثل قريش فى بنى آدم

ومن الاوّل أخذ مسلم بن الوليد قوله

فافخر فما لك فى شيبان من مثل * كذاك ما لبنى شيبان من مثل

وذكر صاحب الاغانى ان مروان بن أبى حفصة دخل يوما على ابراهيم الموصلى فجعلا يتحادثان الى أن أنشد اسحق بن ابراهيم قوله أذا مضر الحمراء البيتين قال وجعل ابراهيم يحدث مروان وهو ساه عنه مشغول فقال مالك لا تجيبنى قال انك لا تدرى ما أفرغ ابنك فى أذنى ومن الافتخار قول أبى تمام الطائى رحمه الله تعالى

أنا ابن الذين استرضع المجد فيهم * وسمى منهم وهو كهل ويافع
مضوا وكأن المكرمات لديهم * لكثرة ما وصوا بهن شرائع
فأى يد فى المجد مدت ولم يكن * لها راحة من مجدهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا * فضاع وما ضاعت لدينا الودائع

وقوله أيضا رحمه الله

جرى حاتم فى حلبة منه لو جرى * بها القطر قال الناس أيهما القطر
فتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل * لها باذلا فانظر لمن بقى الذكر
فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى * فليس لحى غيرنا ذلك الفخر
جمعنا العلا بالجود بعد افتراقها * الينا كما الايام يجمعها الشهر

وعند أكثر الناس ان أبا تمام كان أبوه نصرانيا يقال له سدوس العطار من جاسم قرية من قرى حوران بالشام فغير اسم أبيه واندس فى بنى طيئ (وذكر) صاحب الاغانى أن رجلا قال لجرير من أشعر الناس قال قم حتى أعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء الى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمتص ضرعها فصاح به اخرج يا أبت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال ترى هذا قال نعم قال أو تعرفه قال لا قال هذا أبى افتدرى لم كان يشرب من ضرع العنز قال لا قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه ثم قال أشعر الناس من فاخر بهذا الاب ثمانين شاعرا وقارعهم فغلبهم جميعا (قلت) ما هذه الا وقاحة عظيمة من جرير فى مفاخرته أولئك الشعراء وهذا أبوه لكنه تغتفر له هذه الوقاحة باعترافه لذلك الرجل واظهاره بخل أبيه (وعكس) هذه القضية هجاء دعبل الخزاعى للمأمون حيث يقول فيه

انى من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا لذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

يشير دعبل الى واقعة طاهر بن الحسين الخزاعى مع الامين يقال ان المأمون كان اذا أنشد هذين البيتين قال قبح الله دعبلا ما أوقحه كيف يقول عنى هذا وقد ولدت فى حجر الخلافة ورضعت ثديها وربيت فى مهدها (سمع) المأمون يوما بعض الكنافين يقول وهو مار فى موكبه لقد سقط هذا من عينى من حين غدر بأخيه فقال من يشفع لى الى هذا الرئيس لارتفع الى عينه بعد سقوطى (نقلت) من بعض مجاميع القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان قال أنشدنى بعض الادباء بيتا فى الجمال أبى الحسين الجزار وما عرفت قائله ولا بقية الابيات المضافة اليه فقلت لابى الحسين ذلك وقلت ان كنت تعرف ذلك فانشدنى اياه وعرفنى قائله فقال وما البيت فأنشدته

فليس يرجوه غير كلب * وليس يخشاه غير تيس

فاستحسن ذلك وجاءنى ثانى يوم فقال قد عملت فى ذلك المعنى أبياتا وأنشد

ألا قل للذى يسأ * ل عن قومى وعن أهلى
لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل
يريقون دم الأنعا * م فى حزن وفى سهل
وما زالوا لما يبدو * ن من بأس ومن بذل
يرجيهم بنو كلب * ويخشاهم بنو عجل

انتهى ما نقلت قلت وهذه الابيات تنظر الى قول الآخر فى الحكاية المشهورة قال بعضهم كنت ليلة جالسا عند بعض ولاة الطوف وقد جاءه غلمانه برجلين فقال لاحدهما من أبوك

ابن دارا الاكبر بن أردشير أحد ملوك الفرس العظماء المشهورين كانت له قطيعة على أبى الاسكندر فى كل سنة ألف بيضة من الذهب فى كل بيضة ألف مثقال على عادة آبائهم فلما ملك الاسكندر أخر ارسال القطيعة فكتب اليه دارا يتهدده ويتوعده حيث أخر الاتاوة وبعث اليه بكرة وصولجان وخرقة فيها سمسم وقال أنت صبى فالعب بهذه الكرة فان أديت الاتاوة والا بعثت اليك بجنود عدد هذا السمسم وأتيت بك فى الاوثاق فكتب اليه الاسكندر أما بعد فقد تيمنت بالكرة والصولجان فان الدنيا مثل الكرة وسألعب بها وأضيف ملكك الى ملكى وأما السمسم فقد تيمنت أيضا به لانه بعيد عن الحرافة والمرارة وأما الدجاجة التى كانت تبيض ذاك البيض فقد ذبحتها وأكلت لحمها فغضب دارا وسار اليه بجموعه وسار الاسكندر بجموعه والتقيا على نصيبين الجزيرة فلما هم دارا بالقتال بعث اليه الاسكندر يقول له أيها الملك لا تفعل فان دماء الملوك لا تجوز اراقتها وهدم البيوت القديمة غير محمود والبغى ذميم العقبى والحرب غير مأمون

فقال أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فوق تعود
ترى الناس أفواجا على باب داره * فمنهم قيام حولها وقعود

فقال الوالى ما كان أبوه هذا الا كريما ثم قال للآخر من أبوك فقال

أنا ابن من ذلت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
خاضعة أذعنت لطاعته * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما كان أبوه هذا الا شجاعا وأطلقهما فلما انصرفا قلت للوالى أما الاول فكان أبوه يبيع الباقلاء المصلوقة وأما الثانى فكان أبوه حجاما فقال الوالى عند ذلك

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

انتهى (والاصل فى هذا) قول عتبة الاعور يهجو أبا اسحق بن ابراهيم بن شبابة الثقفى مولاهم الكوفى كاتب المهدى وكان أبوه حجاما

أبوك أوهى النجاد عاتقه * كم من كمى أودى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثاره على وجل
له رقاب الملوك خاضعة * من بين حاف وبين منتعل

وهذا من التهكم فى غاية الحسن (وقال) بعضهم وجدت على قبر مكتوبا أنا ابن من كانت الريح طوع أمره يحبسها اذا شاء ويطلقها اذا شاء قال فعظم فى عينى مصرعه ثم التفت الى قبر آخر قبالته وعليه مكتوب لا يغتر أحد بقوله فما كان أبوه الا من بعض الحدادين يحبس الريح فى كيره ويتصرف فيها قال فعجبت منهما يتسابان ميتين (قلت) وقبل البيت الذى أورده ابن خلكان فى أبى الحسين الجزار

ان تاه جزاركم عليكم * بفطنة فى الورى وكيس

وهما لجاهد الخياط وله فيه عدة مقاطيع يهجوه بها وقد عبث الناس بأبى الحسين الجزار وهجاه من أهل عصره خلق كثير بالشعر والازجال وما كان فيمن هجاه من يقاربه فى رتبة النظم ولابى الحسين الجزار وهو فى غاية الحسن

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضيء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

(عاد الكلام الى الفخر بالجد دون الهزل) فأقول أبيات الحماسة التى للسموءل ابن عاديا اليهودى فى غاية الحسن وهى مشهورة فلهذا لم أثبتها (جرى) بين عبد الله بن الزبير وبين معاوية كلام فيه طول لكن فى آخره فقال ابن الزبير ما مثلى يهارش به ولكن عندك من قريش والانصار ومن ساكنى الحجون والاطام من اذا سألته حملك على محجة أبين من ظهر الخفين قال ومن ذلك قال هذا يعنى أبا الجهم بن حذيفة فقال معاوية تكلم يا أبا الجهم فقال اعفنى فقال عزمت عليك لتقولن قال نعم قال قل قال أمك هند وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق وأسماء خير من هند وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير ومعاذ الله ان يكون أبو سفيان مثل الزبير وأما الدنيا فلك وأما الآخرة فله ان شاء الله تعالى (ومثل) هذا ما حكى ان معاوية كان عنده عمرو بن العاص وجماعة من الاشراف فقال معاوية من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وعما وعمة وخالا وخالة

فقال

العاقبة وأصحابك قد ملوك
وكرهوك لسوء سيرتك
فارجع فانك تحمد قولى فلم
يلتفت اليه دارا وأقاما
يتحاربان مدة ثم ان الاسكندر
دبر حيلة وهو انه لما وقع المال
بين الفريقين برز منادى
الاسكندر فقال يا معشر
الفرس قد علمتم ما كان من
مكاتبتكم لنا ومكاتبتنا لكم
من الامان وقد طال القتال
فمن كان منكم على غير قتال
فليعتزل وله الوفاء بالعهد
فاتهمت الفرس بعضها بعضا
واضطربوا فكان من أسباب
خذلان دارا ثم وثب على
دارا رجلان من أصحابه
فطعناه من خلفه فوقع وكان
الاسكندر نادى من ظفر
بدارا فلا يقتله فجاءه
الرجلان الى الاسكندر فقالا
قد قتلنا دارا فجاء فنزل عن
فرسه وقعد عند رأسه وبه
رمق فقال والله ما هممت
بقتلك ولقد نهيت عنه ولقد
يعز على مصابك فاسألنى
حوائجك فقال تقتل فلانا
وفلانا اللذين قتلانى فانى
كنت محسنا لهما وتتزوج
ابنتى روشنك فقال سمعا
وطاعة وأحضر الرجلين
فقتلهما وقال هذا جزاء من
يتجرأ على ملكه وتفرق
ملك فارس ثم سار الاسكندر
الى بابل وجلس على سرير
دارا واستولى على خزائنه

فقال النعمان بن عجلان الزرقى بعدما أخذ بيد الحسن هذا أبوه على بن أبى طالب وامه فاطمة وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة وعمه جعفر وعمته ام هانئ ابنة ابى طالب وخاله القاسم وخالته زينب (وكان) لخالد بن يزيد بن معاوية أخ فجاءه يوما فقال ان الوليد ابن عبد الملك يعبث بى ويحتقرنى فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين ان الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال ان الملوك اذا دخلوا قرية الآية فقال خالد واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا الآية فقال عبد الملك أفى عبد الله تكلمنى وقد دخل على فى أقام لسانه لحنا فقال خالد أفعلى الوليد تعوّل فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين والتفت الى الوليد وقال ويحك ومن يعد فى العير والنفير غيرى جدى أبو سفيان صاحب العير وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير فهذا المثل نحن أصله ولكن لو قلت غنيمات وجبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت (قلت) يريد بالعير عير قريش التى أقبل بها أبو سفيان من الشام وخرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغنمها فبلغ الخبر أهل مكة فنفر عتبة بن ربيعة بأهل مكة وكان مقدم القوم فلما وصلوا الى المسلمين كانت وقعة بدر وأما الغنيمات والجبيلات والطائف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نفى الحكم بن أبى العاص الى الطائف وهو جد عبد الملك لم يزل هناك يرعى أغنامه حتى ولى الخلافة عثمان فرده وكان الحكم عمه واحتج عثمان فى رده بأنه كان قد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رده متى ولى الامر (وحكى) أبو حاتم عن العتبى عن أبيه قال ابتنى معاوية بالابطح مجلسا فجلس فيه وابنه قرظة معه فاذا هو بجماعة على رحال لهم واذا شاب منهم قد رفع عقيرته يتغنى

من يساجلنى يساجل ماجدا * أخضر الجلدة فى بيت العرب

قال من هذا قالوا عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال خلوا له الطريق فليذهب فاذا هو بجماعة فيهم غلام يتغنى

بينما يذكرنى أبصرنى * دون قيد الميل يسعى بى الاغر
فان تعرفن الفتى قلن نعم * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال من هذا قالوا عمر بن أبى ربيعة قال خلوا له الطريق فليذهب فاذا هو بجماعة وفيهم رجل يسئل يقال له رميت قبل أن أحلق وحلقت قبل ان أرمى لاشياء أشكلت عليهم من مناسك الحج فقال من هذا قالوا عبد الله بن عمر فالتفت الى ابنه قرظة وقال هذا وأبيك الشرف فى الدنيا والآخرة (وروى) أنه قال هذا الشرف لا ما نحن فيه وروى انه قال كاد العلماء أن يكونوا أربابا (ويعجبنى) قول الشيخ أبى نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابى رحمه الله تعالى

أخى خل حيز ذى باطل * وكن بالحقائق فى حيز
فما الدار دار مقام لنا * ولا المرء فى الارض بالمعجز
يناقص هذا الهذا على * أقل من الكلم الموجز
وهل نحن الا خطوط وقعن * على نقطة وقع مستوفز

وجواهره وشلاحه وتزوج ابنته روشنك وقيل انها كانت زوجة داراوهى ابنته ولم يكن فى زمانها أحسن منها وقيل ان الاسكندر لم يجتمع بها وقال أخشى أن أكون غلبت دارا فتغلبنى روشنك ولما استولى على ملك فارس عرض جيشه وجيش الفرس فكانوا ألف ألف وقيل أكثر وشرع فى هدم بيوت النيران وقتل المرابذة وكتب الى أرسطاطاليس يستشيره فيمن بقى من عظماء الفرس بهذا الكتاب أما بعد فان دوائر الاسباب ومواقع الفلك وان كانت أسعدتنا بالامور التى أصبح لنا بها الناس دائنين فانا مضطرون الى حكمتك وغير جاحدين لفضلك والاجتباء لرأيك لما بلونا من جدا ذلك علينا وذقنا من جنى منفعته حتى صار ذلك بتجرعه فينا وترشيحه لعقولنا كالغذاء لنا فما تنفك نعوّل عليه ونستمده منه استمداد الجداول من البحار وقوة الاشكال بالاشكال وقد كان مما سيق الينا من النصر وبلغناه من النكاية فى العدو ما يعجز القول عن وصفه والشكر على الانعام به وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض الجزيرة وبابل الى أرض فارس فلما نزلنا

يأهلها لم يكن الا ريثما تلقانا
نفران منهم بقتل ملكهم
طلبا للحظوة عندنا فأمرنا
بصلبهما التجر بهما وقلة
وفائهما ثم أمرنا بجمع من هنالك
من أبناء ملوكهم وذوى
الشرف منهم فرأينا رجالا
عظيمة أجسامهم وأحلامهم
يدل ما ظهر من رؤيتهم على
أن وراءه من قوة بأسهم
ما لم يكن معه سبيل الى غلبتهم
لولا أن القضاء أدالنا منهم
ولم نر بعيدا من الرأى أن
نستاصل شأفتهم ونلحقهم
بمن مضى من أسلافهم لتسكن
بذلك القلوب الى الامن من
جرائرهم ورأينا أن لا نعجل
بمبادرة الرأى فى قتلهم دون
الاستظهار بمشورتك فيهم
فارفع الينا رأيك فيما استشرناك
بعد صحته عندك وتقليبه على
نظرك على عادة آرائك
المسعفة والسلام على أهل
السلام فليكن عليك وعلينا
فكتب اليه ارسطاطاليس
الى الاسكندر المؤيد المهدى
له الظفر من أصغر خوله
ارسطاطاليس أما بعد فقد
تقرر عندى من مقدمات
فضل الملك ويمن تقيبته
وبروزشأوه وما أدى الى
حاسة بصرى صورة شخصه ووقع
فى فكرى على تعقب رأيه
أيام كنت أؤدى اليه من
تعليمى اياه ما أصبحت قاضيا
على نفسى بالحاجة الى تعلمه

محيط العوالم أولى بنا * فما ذا التزاحم فى المركز

هكذا فلتكن الهمة والى هذه الغاية فليجر من أمسك لواء الفخر وبهذه الحلل فليتقمص من ارتدى المجد ولكن كيف وأنى يظفر بالحقيقة من أفنى الليالى سهرا ولم يحصل له الطيف أنشدنى العالم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اجازة وفى غالب الظن سماعا قال أنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة القدوة تقى الدين أبو الفتح محمد ابن الامام مجد الدين أبى الحسن على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى المعروف بابن دقيق العيد رحمه الله تعالى

أتعبت نفسك بين ذلة كادح * طلب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعت عمرك لاخلاعة ماجن * حصلت فيه ولا وقار مبجل
وتركت حظ النفس فى الدنيا وفى الاخرى ورحت عن الجميع بمعزل

وأنشدنى بالسند المذكور اجازة له دوبيت

الجسم تذيبه حقوق الخدمه * والنفس هلاكها علو الهمه
والعمر بذاك ينقضى فى تعب * والراحة ماتت فعليها الرحمه

واذا كان مثل الشيخ تقى الدين يقول هذا فما ظنك بغيره من أهل اللعب (أخبرنى) مولانا قاضى القضاة تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى السبكى الشافعى عن الشيخ تقى الدين السنباطى قال ان الشيخ تقى الدين قال لى عشرون سنة ما أعرف أن كاتب الشمال كتب على فيها شيأ قال فسألته عن هذا فقال أظن ذلك أو كما قال (قال) الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى فى تاريخه الكبير وقد رويته عنه بقراءتى له عليه جميع المغازى ومن أول الترجمة النبوية الى آخر أيام الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه متواليا وجميع الحوادث الى آخر سنة سبعمائة فى ترجمة ابن سريج فى سنة ست وثلثمائة قال الحاكم سمعت حسان بن محمد الفقيه يقول كنا فى مجلس ابن سريج فى سنة ثلاث وثلثمائة فقام شيخ من أهل العلم فقال ابشر أيها القاضى فان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للامة دينها وان الله بعث على راس المائة عمر بن عبد العزيز وعلى رأس المائتين الشافعى ثم قال

اثنان قد مضيا فبورك فيهما * عمر الخليفة ثم حلف السودد
الشافعى الالمعى محمد * ارث النبوة وابن عم محمد
أبشر أبا العباس أنك ثالث * من بعدهم سقيا لتربة أحمد

فصاح ابن سريج وبكى وقال لقد نعى الى نفسى قال الشيخ شمس الدين الذهبى وكان على رأس الاربعمائة أبو حامد الاسفرايينى وعلى رأس الخمسمائة الغزالى وعلى رأس الستمائة الحافظ عبد الغنى وعلى رأس السبعمائة شيخنا ابن دقيق العيد نسأل الله التوفيق للرشاد والاستعداد ليوم المعاد (رجع) واذا رجعت الى الصحيح فبم يفخر الانسان ولم يطلق فى التفاضل عنان اللسان وعلام يمرح فى الكبر مرح الجياد فى الميدان والكميت فى الارسان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنيهما ادخلته النار وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء قال الفقيه منصور المصرى

قلت للمعجب لما * قال مثلى لا يراجع
يا قريب العهد بالخـ * ـرج لم لا تتواضع

وقال أيضا

تيه وجسمك من نطفة * وأنت وعاء لما تعلم

أخذ هذا من الكلام المنسوب الى الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ابن آدم أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة (نظر) مطرف بن عبد الله بن الشخير الى يزيد بن المهلب وهو يمشى فى حلة يسحبها فقال له ما هذه المشية التى يبغضها الله ورسوله فقال يزيد اما تعرفنى فقال بلى أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك حامل العذرة وقد نظمه الشاعر فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذره
وفى غد بعد حسن صورته * يصير فى الارض جيفة قذره
وهو على عجبه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذره

(وقال) آخر أظنه ابراهيم الحصرى

أرى أولاد آدم أبطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم يطروا وأولهم منى * اذا افتخروا وآخرهم منيه

(وقال) الارجانى رحمه الله تعالى

ملأت لنا الاسماع داعية الردى * وكانما أنا صخرة صماء
ومساحب الاذيال أجداث لنا * فسلوا اذا ما هذه الخيلاء

(وقال) بعض الحكماء كيف يستقر الكبر فيمن خلق من تراب وطوى على القذر وجرى مجرى البول (وقال) أبو مسلم ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا سقيط ولا تعصب الا ذخيل (قال) مدنى لرجل من أنت فقال من قريش والحمد لله فقال بأبى ان التحميد هنا ريبة

* (فيم الاقامة بالزوراء لا سكمى * بها ولا ناقتى فيها ولا جملى) *

(اللغة) فيم أصله فيما وسيأتى الكلام عليه فى الاعراب (الاقامة) مصدر أقام اقامة اذا لازم مكانا لا يفارقه (الزوراء) بغداد سميت بذلك لانحراف قبلتها وفى بغداد لغات بغداذ بذال معجمة أخيرة وبذالين معجمتين وبدالين مهملتين وبغدان بنون بدل الدال الاخيرة ومن أسمائها دار السلام وفى تسميتها بذلك قولان أحدهما ان السلام اسم لدجلة والآخر انه يسلم فيها على الخلفاء ويقال ان اسمها بك دار ومعنى بك بالتركية الرب ودار العادل فكأنهم قالوا الله العادل ويقال غير ذلك وهى بلدة أحدثها المنصور من بنى العباس سنة أربعين ومائة ونزلها فى سنة ست وأربعين وفى سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها وهى بغداد القديمة التى بالجانب الغربى على دجلة وهى بين الفرات ودجلة كما جاء فى الحديث وبغداد الثانية هى الجديدة التى فى الجانب الشرقى وفيها دور الخلفاء وبغداد عبارة عن سبع محلات لا تفتقر محلة منها الى غيرها على شاطئ دجلة من الجانب الشرقى فالاولى الرصافة بناها المهدى بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين وهى مدينة مسورة والثانية مشهد أبى حنيفة مسورة والثالثة جامع السلطان غير مسورة

منه وقد ورد كتاب الملك بما رسم لى فيه وأنا فيما أشير به على الملك حد الطاقة معه كالعدم مع الوجود ولكن غير ممتنع من اجابته فأقول ان لكل تربة لا محالة قسما من كل فضيلة وان لفارس قسمتها من النجدة والقوة وانك ان تقتل أشرافهم تخلف الوضعاء منهم وترث سفلتهم منازل عليتهم وتغلب أدنياؤهم على مراتب ذوى أخطارهم ولم تبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم من غلبة السفلة وذل الوجوه واحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من العلية فان نجم منهم ناجم على جندك وأهل بلادك وهمهم مالا روية فيه ولا منفعة معه فانصرف عن هذا الرأى الى غيره واعمد الى من قبلك من العظماء والاحرار فوزع بينهم مملكتهم والزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحية واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان التسمى بالملك لازم لاسمه والمنعقد له بالتاج لا يخضع لغيره ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وبين صاحبه تدابر وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك ويعود بذلك حربهم لك حربا بينهم ثم لا يزدادوا فى ذلك

بصيرة الا أحدثوا هنالك
استقامة بك فان دنوت منهم
كانوا لك وان نأيت عنهم
تعززوا بك حتى يثب كل
منهم على جاره باسمك وفى
ذلك شاغل لهم عنك وأمان
لاحداثهم بعدك ولا أمان
للدهر وقد أديت للملك
ما رأيته حظا وعلى حقا
والملك ابعدروية وأعلى
عينا فيما استعان بى عليه
والسلام الابدى فليكن على
الملك * قال المؤلف ولما
ورد كتاب ارسطاطاليس
على الاسكندر تأمله وعرف
الحق وفرق القوم فى الممالك
كما ذكر فسموا ملوك
الطوائف وسار الاسكندر
الى الشرق فدانت له الملوك
وبنى مدينة أصبهان وهراة
وسمرقند ولما وصل الى
الهند خرج اليه ملكها فى
ألف فيل عليها المقاتلة وفى
خراطيمها السيوف الهندية
فلم تثبت خيل الاسكندر
فصنع الاسكندر فيلة من
نحاس مجوفة وربط خيله
فيها حتى ألفتها وملأها نفطا
وكبريتا ثم ألبسها السلاح
وجرها على العجل الى ناحية
العدو وبينها الرجال فلما
شبت الحرب أرباشعال
النار فى أجوافها فلما
اشتعلت تنحى الرجال عنها
وغشيها فيلة الهند فضربتها
بخراطيمها فأحرقت الرجال

والرابعة مدينة المنصور فى الجانب الغربى وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد
وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسوّرة والسادسة الكرخ مسوّرة
والسابعة دار القز مسوّرة يقال ان المنصور سأل راهبا كان فى صومعة فى مكان بغداد
عند ما أراد أن يختطها أريد أن أبنى ههنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له أبو الدوانيق
فضحك وقال أناه ووقيل انما قال له يبنيها ملك يقال له مقلاص فقال له انا كنت أدعى بذلك
فاختطها وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدوانق فسمى الدوانيقى (قرأت) على
الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى بدمشق فى
ترجمة سنة ست وأربعين ومائة من تاريخه الكبير قال قال المدائنى حدثنى الفضل بن الربيع أن
المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة طاف به فاعجبه لكنه استكثر النفقة فقال لى أحضر لنا
بناء فارها فاحضرت فقال كيف عملت لنا فى هذا القصر وكم أخذت لكل ألف آجرة فبقى
البناء لا يقدر أن يرد عليه مخافة من الذى كان على العمل فقال مالك ساكتا قال لا علم لى قال
ويحك قل وأنت آمن فقال والله لا أقف عليه ولا أدريه فاخذ بيده وقال تعال لا علمك الله
خيرا وأدخله الحجرة التى استحسنها وقال ابن لى طاقا يكون شبيها بالبيت لا يدخل فيه الخشب
قال نعم فاقبل على البناء واخذ يحصى جميع ما يدخل فى الطاق من الآجر والجص ففرغ له فى
يومين ودعا المستعمر الذى كان على العمل وقال ادفع له الاجرة على حساب ما عمل معك فدفع له
خمسة دراهم فاستكثر ذلك المنصور وقال لا أرضى بذلك ولم يزل حتى نقصه درهما ثم انه آخذ
الوكلاء والمستعمر بحساب ما أنفقوا على نسبة ذلك حتى فضل ستة آلاف درهم (السكن)
ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره وبقية البيت مثل من أمثال العرب والاصل فيه ان
الصدوف العدوية كانت تحت زيد بن الاخنس العدوى وله بنت من غيرها تسمى الفارعة
كانت تسكن بمعزل عنها فى خباء آخر فغاب زيد عنها غيبة فلهج بالفارعة رجل عذرى يسمى
شبيبا وطاوعته فكانت تركب كل عشية جملا لابيها وتنطلق معه الى ثنية يبيتان فيها ورجع
زيد من وجهته فعرج على كاهنة اسمها طريفة فاخبرته بريبة فى أهله فاقبل سائرا لا يلوى على
احد وانما تخوّف على امرأته حتى دخل عليها فلما رأته عرفت الشر فى وجهه فقالت لا تعجل
واقف الاثر * لاناقة لى فى هذا ولا جمل * فصار ذلك مثلا يضرب فى التبرى عن الشئ قال الراعى

وما هجرتك حتى قلت معلنة * لاناقة لى فى هذا ولا جمل

(الاعراب) فيم اصله فيما حذفوا الالف منها لوجوه الاول قال الجرجانى اذا وصلوا ما فى
الاستفهام حذفوا ألفها تفرقة بينها وبين ان تكون حرفا الثانى انهم حذفوا الالف
لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كأنها جزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال الثالث طلبا
للتخفيف فى هذا الحرف اعنى مالانه يقع كثيرا فى الكلام وابقوا الفتحة لتدل على ان المحذوف
من جنسها كما فعلوا فى علام والام وحتام وعم وبم والاصل على ماذا والى متى وحتى
متى وعما ذا تسأل وبما ذا تعتذر وهذه اللغة الفصحى أعنى الحذف هى لغة القرآن قال الله
تعالى عم يتساءلون وقرأ عكرمة فى الشاذ عما يتسألون باثبات الالف رجوعا الى الاصل قال
ابن جنى فى المحتسب روينا عن قطرب لحسان رضى الله عنه

على ما قام يشتمنى لئيم * كخنزير تمرغ فى دمان

(قـل) ان بعض العوام سأل بعض الفضلاء فقال له بماتوصيني فقال بتقوى الله واسقاط الالف من ما فأصل فيم فيما في حرف جر وما اسم استفهام وموضعه رفع على انه خبر مقدم والمبتدا هو قوله الاقامة وانما تقدم الخبر لان الاستفهام له صدر الكلام تقول أين زيد و كيف هو ومتى نصر الله كأنه قال الاقامـة بالزوراء فيماذا (بالزوراء) الباء تكون للظرفية في الزمان كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وللظرفية في المكان كهذه ومجيئها للمكان أكثر منها في الزمان وتكون للسببية كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا وللاستعانة نحو كتبت بالقلم وذبحت بالسكين وللتعدية كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم وللالصاق نحو مررت بزيد وللمصاحبة نحو بعتك الدار بأثاثها ومنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك ومعنى من التي للتبعيض كقول الشاعر

فلثمت فاها آخذا بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

ذكر ذلك الفارسي في تذكرته وحكى مثله عن الاصمعي في قول الشاعر

شربن بماء البحر ثم ترفعت * متى لجج خضر لهن نئيج

هذا كلام الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك وفيه تأييد لمذهب الشافعي في مسح بعض الرأس وخالفه مالك رحمه الله تعالى وجماعة من أهل العربية وأنكروا ذلك منهم محب الدين أبو البقاء العكبري فانه قال في قوله تعالى برؤسكم الباء زائدة وقال من لا خبرة له بالعربية ان الباء في مثل هذا للتبعيض وليس بشئ يعرفه أهل العلم ووجه دخولها انها تدل على الصاق المسح بالرأس ذكر ذلك في اعرابه (قلت) قال الشيخ شهاب الدين القرافي اذا قلت مسحت بالمنديل و كتبت بالقلم وطفت بالبيت فمن المعلوم انك ما مسحت بكل المنديل ولا كتبت بكل القلم ولا طفت بكل البيت علوا وسفلا وباطنا وظاهرا وانما مسحت ببعض ذا و كتبت ببعض ذا وطفت بظاهر ذا * وقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره قال الشافعي في مسح الرأس الواجب فيه أقل شئ يسمى مسحا للرأس وقال مالك يجب مسح الكل وقال أبو حنيفة يجب مسح قدر ربع الرأس وحجة الشافعي انه لو قال مسحت بالمنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بكله اما لو قال مسحت يدي بالمنديل فهذا يكفي في مسح اليد بجزء من أجزاء ذلك المنديل اذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى وامسحوا برؤسكم يكفي في العمل به مسح اليد بجزء من أجزاء الرأس ثم ذلك الجزء غير مقدر في الآية فان أوجبنا تقديره بمقدار معين لم يكن ذلك القدر الا بدليل مغاير لهذه الآية فيلزمكم ضرورة ان تقولوا ان الآية مجملة وهو خلاف الاصل فان قلنا انه يكفي في ايقاع المسح على أي جزء كان من أجزاء الرأس كانت الآية مبينة مقيدة ومعلوم أن حمل الآية على مجمل تبقى الآية معه مقيدة أولى من حمله على مجمل تبقى الآية معه غير مقيدة فكان المصير الى ما قلناه أولى وهذا استنباط حسن من الآية انتهى (قلت) هذا بحث مع مالك رضي الله عنه في ايجابه مسح كل الرأس ومع أبي حنيفة رضي الله عنه في تقدير الربع وأما منع من قال بزيادتها فقد قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله تعالى لا تزاد الباء بالقياس الا في الخبر المنصوب مع ما وليس وكان اذا ولیت النفي وفي فاعل كفى وفي فاعل التعجب نحو أحسن بزيد على رأي البصريين وما عدا ذلك فليس بقياس بل هو مسموع كزيادتها في المبتدا نحو بحسبك أن تفعل لا غير ومع الفاعل نحو قول امرئ القيس

واحترقت فمن سلم ولى هاربا
فكانت الدائرة على ملك
الهند ولما وصل الاسكندر
الى المانكير وهو من ملوك
الصين خرج اليه الملك
وارسل اليه يقول علام تفنى
العالم ابرز الى فان قتلتني
كنت أنت الملك وان قتلتك
كنت أنا الملك فتيمن
الاسكندر بكونه بدأ بنفسه
في ذكر القتل فبرز اليه فقتله
الاسكندر ثم توغل في بلاد
الصين الى مقر ملكها الاكبر
وجرت لهما اخبار طويلة
اصطلحا فيها على مهادنات
ومهاداة فبينما هو في بعض
الليالي جالس نصف الليل
اذ بالحاجب قد دخل فقال
رسول من ملك الصين بالباب
فأذن له فدخل فقال له قل
فقال الامر الذي جئت فيه
لا يحتمل الا الخلوة فأمر
بتفتيشه فلم يجد معه حديدا
فأخلى المجلس وبقي هو واياه
فقال له قل فقال أنا ملك
الصين قال وما الذي أمنك
مني قال ليس بيني وبينك
عداوة ولا دخل وبلغني انك
رجل حكيم عاقل حليم ولو
قتلتني لم تظفر بطائل مني
فانهم يقيمون غيري وتنسب
الى الغدر فاخبرني ما الذي
تريد مني قال ارتفاع ملكك
ثلاث سنين آجلا ونصف
ارتفاعها عاجلا قال لقد أجحفت
فما زال ينقصه حتى اقتصر

الاهل أتاها والحوادث جمة * بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

أى أقام بالحضر وترك البادية وما كان مثله ومع المفعول نحو قرأت بالسورة وألقى بيده ونحو ذلك ومع خبر المبتدا فى الاثبات عند الاخفش وأعرب عليه قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها وانما قال ابن عصفور فى قوله تعالى أليس ذلك بقادر انه نادر وان كان فى خبر ليس لأن ليس هناك بدخول الهمزة عليها لم يبق معناها النفى وصار الكلام تقريرا ويعنى بقوله نادر أى فى صحة القياس لا فى الاستعمال وعلى هذا يخرّج كل ماجاء فى الكتاب العزيز (رجع القول الى تقسيم الباء) وتأتى بمعنى عن كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام (بالزوراء) موضعه نصب على انه ظرف للاقامة (لاسكنى) هذه لا التى لنفى الجنس وسيأتى الكلام عليها عند قوله * فلا صديق اليه مشتكى حزنى * وسكنى منصوب والاصل سكنا لى وانما نصب لانه اسم لا وأضيف الى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على النون (بها) الباء للظرفية وها ضمير يرجع الى الزوراء وعلامة الجر لا تظهر لان المضمرات مبنيات (ولا) الواو عاطفة ولا هى التى لنفى الجنس (ناقتى) اسم لا وقد أضيف الى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على التاء (فيها) فى هنا ظرفية والضمير راجع الى الزوراء (ولا جملى) اعرابه كما تقدم (المعنى) اقامتى فى بغداد لاى شئ ولا سكن لى بها ولا علاقة لى فيها بدليل ماضربه من المثل فى قوله ولا ناقتى فيها ولا جملى فقد تبرم من المقام فيها كل التبرم لما استفهم استفهام منكر على نفسه وموبخ لها على المقام فيها واذا كان كذلك فرحيله عنها متعين

وان صريح الحزم والرأى لامرئ * اذا بلغته الشمس ان يتحوّلا

وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة شرفها الله تعالى وهى أحب البقاع اليه وهاجر الى طيبة لما نبا المقام به وكان من أمره ما كان وعاد اليها بعد مدة وفتحها الله عليه وهو فى عشرة آلاف بعد ما خرج منها هو وأبو بكر منفردين ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قال اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع الى فأسكنى فى أحب البقاع اليك وبهذا تمسك من فضل المدينة على مكة شرفها الله تعالى وأما البقعة التى احتوت على جسده الكريم ولمت أجزاء جسمه الجسيم فلا خلاف فى انها أشرف بقاع الارض وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المدينة لتنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وبه تمسك مالك فى تقديم اجماع فقهاء المدينة على الحديث ولم يركب مالك فى المدينة ظهر دابة قط وكان يقول أستحى ان أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشرف أبو الفضل الجوهرى على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول أبى الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن بان فيه أن نلم به ركبا

هدم فيه موضعين الاول وكيف عرفنا والثانى لمن بان عنه لانه لو تركها ما لاقابا لمقام وينهدم معنى بان أيضا لانه فى الاصل من البين وهو الفراق وفى حالة الاستشهاد يكون من البيان وهو الظهور وهذا يجرى أيضا فى قول أبى الطيب

روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

فيحتمل المعنيين لم يبن من الظهور أى لم يظهر ولم يبن من الفراق أى لم يتخلف عن الطيران من

السقم

على سدس الارتفاع ثم قام مسرعا فخرج وبات الاسكندر ليلته يفكر فى أمره فلما طلع الصباح اذا بملك الصين قد أقبل فى جيش طبق الارض وعليه تاجه وبين يديه الامم فركب الاسكندر واستعد للقتال ثم ناداه يا ملك الصين أغدرا فانفرد عن أصحابه وقال لا ولكن أردت ان أعرفك انى لم أطعك عن قلة وضعف وما غاب عنك من جنودى أكثر ولكن رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك من هو أقوى منك وأكثر عددا ومن حارب العالم الكبير غلب ثم ترجل وقبل الارض فنزل الاسكندر عن فرسه وجلس على سرير فقال له الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه خراج وقد أعفيتك فقال الملك أما اذ قد فعلت فلا بد من حسن المكافأة ثم بعث اليه بضعف ما قرره عليه وعاد الاسكندر وقد دانت له الملوك ودوخ له البلاد فأقام بشهرزور أياما واحتضر بها وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة واختلف فى عمره فقيل ست وثلاثون سنة وقيل أكثر وبين وفاته وبين الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ستمائة سنة وقيل غير ذلك ومن أراد تحرير التاريخ فليأخذه من المختصر فى تاريخ

السقم بل يلزم الثوب ولم يبن عنه وهذا الثانى أدق معنى وألطف من الاول قال ابن خفاجة الاندلسى لوقال أبو الطيب

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لاهلية ان نغشى رسومهم ركبا

لجاء البيت أتم جزالة لكن أبا الطيب انما كان يتمثل بالمعانى ولا يبالى بالالفاظ وربما قال قائل لفظة بان عنه تعطى معنى الرسوم لان المنزل اذا بان عنه ساكنه أقوى فالللفظان متساويان فيقال له هذا أصرح من ذاك وأنت تجد قولك لقيت من ضرب زيدا قد نزل عن قولك الذى ضرب زيدا وكان ذلك انما ينزل فى النفس عن مرتبة الجلالة فى اللفظ لا فى المعنى وقال ابن خفاجة عقب ذلك

وتلفتت نحو الحمى بى نظرة * عذرية ثنت العنان الى الحمى
فلويت أعناق المطى معرجا * ونزلت أعتنق الاراك مسلما
فى منزل ما أوطأته حافرا * عرب الجياد ولا المطايا منسما

قلت الذى أورده ابن خفاجة حسن ولكنه أتى بمعنى أبى الطيب فى ثلاثة أبيات وقد لمحت أنا الى قول ابن خفاجة فنظمته وزدت فيه مع الاستعارة حسن التعليل وهو

أضحى نسيم دمشق حياها الحيا * يمشى الهوينى فى ظلال حماها
فكأنه من مائها وهضابها * ماداس الا أعينا وجباها

وقال ابن بسام فى الذخيرة أول من بكى الربع واستبكى ووقف واستوقف الملك الضليل حيث يقول * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ثم جاء أبو الطيب فنزل وترجل ومشى فى آثار الديار حيث يقول * نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * البيت وما قبله ثم جاء المعرى أبو العلاء فلم يقنع بهذه الكرامة حتى خشع وسجد حيث يقول

تحية كسرى فى الثناء وتبع * لربعك لا أرضى تحية أربع

وما أحسن قول ابن الساعاتى بهاء الدين على من أبيات يصف المطر

سرى راكباظهر الغمام كرامة * فلما تراءى هضب نجد ترجلا

انظر الى هذا المعنى فانه رحمه الله من كلام أبى الطيب ولكن نقله نقلا حسنا قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود بن زين الدين سليمان بن فهد الحلبى بدمشق مجلدة من نظمه فى مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماها بأسنى المنائح فى أهنى المدائح من ذلك فى أثناء قصيدة

ألا حبذا مسرى الركاب وقد رأت * لها معلما عند الثنية معلما
وقد نزل الركبان عنها وعفروا * سجودا على الارض الوجوه لتكرما
ولاح الحمى والصبح فى طرة الدجا * فلم يدر ما شق الحنادس منهما
وقد أشرفت تلك القباب وأشرقت * وجوه زهاها الحسن ان تتلثما

ومن شعره أيضا فى الكتاب المذكور

كأنى بكم والبيد تطوى لديكم * وقد فزتم دون المتيم باللقا
ولاحت لكم بين النخيل أشعة * أضاءت لها الاكوان غربا ومشرقا
وقد عفتم الاكوار لما علمتم * بها أن تلك الارض أشرف مرتقى

الشهر تأليف مولانا السلطان الملك المؤيد ولما حضرت الاسكندر الوفاة كتب الى أمه كتابا يسألها فيه أن تصنع وليمة وتدعو نساء أهل المملكة ولا تدعو الا من لم تصب بفقد عزيز من أهلها ففعلت ذلك فلم يرد عليها أحد فعلمت انه مات وان ذلك تعزية لها ثم أوصى أن يوضع فى تابوت من ذهب ويطلى بالاطلية الممسكة ويحمل الى أمه بالاسكندرية فلما فعل ذلك جمع ارسطاطاليس الحكماء وأمرهم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا كما فعل بالاسكندر الاول وكانوا عشرة فقال الاول أصبح مستأسر الاسرى أسيرا وقال الثانى هذا الاسكندر طوى الارض العريضة وهو اليوم يطوى منها فى ذراعين وقال الثالث العجب أن القوى قد غلب والضعفاء لاهون وقال الرابع ما سافر الاسكندر سفرا طويلا بلا آلة سوى سفره هذا وقال الخامس سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال السادس كان يحكم على الرعية فصارت الرعية تحكم عليه وقال السابع كنت تأمرنا بالحركة فها بالك ساكنا وقال الثامن رب حريص على سكوتك وهو واليوم حريص على كلامك وقال التاسع كم أمات من فى

وسابقتم أقدامكم بوجوهكم * ليشرف خدط بالترب ملصقا

وما أحسن قوله سابقتم أقدامكم بوجوهكم وأما عجز البيت الرابع من القطعة الاولى فهو مضمن من قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي

فلما توافينا وسلمت أشرقت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها بشئ فلما دخل بها مصعب بن الزبير كلمها في ذلك فقالت ان الله عز وجل قد وسمني بوسم جمال فأحببت ان يراه الناس والله ما في وصمة استتر لها (ذكرت) بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قول جمال الدين بن مطروح

لا تنكرن لاهل مكة قسوة * والبيت فيهم والحطيم وزمزم
آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى حمته أهل طيبة منهم
رأف الاله على الذي قد جاءه * سلبا فلا يأتيه الا محرم

(رجع القول الى طلب خروج الطغرائي من بغداد) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فأينما وجدت الخير فأقم واتق الله قال المتنبي

وكل أمر يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

والمقادير عجائب وفوائد قوم عند قوم مصائب هذا يقول في بغداد هذه المقالة والعكوك يقول لما كره عنها ارتحاله

لهفي على بغداد من بلدة * كانت من الاسقام لي جنه
كأنني عند فراقي لها * آدم لما فارق الجنه

وأبو العلاء المعري يقول

بت الزمان حبالي من حبالكم * أعز زعلي يكون الوصل مبتوتا
ذم الوليد ولم أذمم جواركم * فقال ما أنصفت بغداد حوشيتا

يشير الى قول البحتري رحمه الله

ما أنصفت بغداد حين توحشت * لنزيلها وهي المحل الآنس

وابن الرومي قال يتشوق الى بغداد

بلد صحبت بها الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

وأما الشريف الرضي فانه قال فيها

مالي لا أرغب عن بلدة * يكثر فيها الدهر حسادي
ما الرزق في الكرخ مقيما ولا * طوق العلا في جيد بغداد

(وقال)

أبغداد مالي فيك نهلة شارب * من العيش الا والمخطوب مزاجها

لما نبت بغداد بالقاضي عبد الوهاب المالكي خرج منها طالبا مصر فشيعه من أكابر أهلها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقتها ومن شعره فيها

بغداد دار لاهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق

هذا الصندوق لئلا يموت
فات وقال العاشر كان
الاسكندر يعظنا بنطقه وهو
اليوم يعظنا بسكوته وقالت
أمه مما يسلى عنه المعرفة
باللحوق به وقالت روشنك
ما كنت أظن ان غالب دارا
يغلب * قلت ومن كلام
الاسكندر السعيد من لا يعرفنا
ولا نعرفه فانا اذا عرفناه اطلنا
يومه وأطرنا نومه وقيل له
انك عظمت معلمك أكثر
من تعظيم والدك فقال
لان أبي سبب حياتي الفانية
ومعلمي سبب حياتي الباقية
وقال سلطان العقل على باطن
العاقل أشد من سلطان السيف
على ظاهر الاحمق وقال النظر
في المرآة يري رسم الوجه وفي
أقاويل الحكماء يري رسم
النفس وقيل له ان فلانا يثلبك
فلو عاقبته فقال هو بعد العقاب
أعذر وتحاكم اليه اثنان
فقال الحكيم يرضى أحدكما
ويسخط الآخر فاستعجلا
الحق ليرضيكما جميعا
وأحضر بين يديه لصا فأمر
بصلبه فقال أيها الملك اني
فعلت ما قد فعلت وأنا كاره
فقال تصلب أيضا وأنت
كاره وغضب على بعض
شعرائه فأقصاه وفرق ماله
في أصحابه فقيل له في ذلك
فقال اما أقصائي له فلحرمه
وأما تفريقي ماله في أصحابه
فلئلا يشفعوا فيه وجلس يوما

أقمت فيها مضاعا بين ساكنها * كأنني مصحف في بيت زنديق

وواقعة القاضي عبد الوهاب تشبه واقعة النضر بن شميل النحوي فانه لما ضاقت معيشته بالبصرة خرج يريد خراسان فشيعه من أهلها نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا محدث أو نحوي أو عروضي أو اخباري أو لغوي فلما صار بالمربد قال يا أهل البصرة يعز علي فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلاء ما فارقتكم فلم يكن فيهم من يتكلف له ذلك ذكر ذلك أبو عبيدة في مثالب أهل البصرة وقال ابراهيم الغزي

مالي وللمكث في الزوراء يجحف بي * من ألقح العجز لم يفرح بما نتجا
قلبي أظن هو المعدي مساكنها * بنار لوعته لما ارتقى درجا
فالدور محترقات والهجير بها * يساعد الهجر فيما يسبك المهجا

وقال التهامي

بعض التفرق أدنى للقاء وكم * رأيت شملا بشمل غير ملتئم
كيف المقام بأرض لا يخاف بها * ولا يرجى شباب رمحي ولا قلمي

وقال شرف الدين القيرواني

وصير الارض دارا والورى رجلا * حتى ترى مقبلا في الناس مقبولا

وهو مأخوذ من قوله

شرق وغرب تجد من غادر بدلا * فالارض من تربة والناس من رجل

وقال أبو العرب مصعب الصقلي

اذا كان أصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي

وقال أبو فراس

من كان مثلي فالدنيا له وطن * وكل قوم غدا فيهم عشائره
وما تمدد الاطناب في بلد * الا تضعضع باديه وحاضره

وقال مسلم بن الوليد

فان الفتى ما عاش رهن تقلب * مزال بصرف في دهره المتحول
وقد عجمت مني الخطوب ابن حرة * متى ما تريه منزل السوء يرحل

وقال أبو الطيب

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب * وفي بلاد من أختها بدل

(وقال أيضا)

ولم أر مثل جيراني ومثلي * لمثلي عندهم مثلهم مقام
بأرض ما اشتهيت رأيت فيها * فليس يعودها الا الكرام

وقال أبو تمام

وما ربع القطيعة لي بربع * ولا نادي الاذى مني بنادي

وقال ابن سنا الملك

لم لا أهين صغارهم * وكبارهم تيها وكبرا

مجلسا عاما فلم يسئل فيه حاجة فقال والله ما أعد هذا اليوم من ملكي قيل ولم أيها الملك قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين وقال من انتجعك فقد أسلفك حسن الظن بك وله حكم لا تحصى وأقوال لا تستقصى أضربت عن ذكرها خوف الاطالة

(وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك)

هو أردشير بن بابك من ولد بهمن الملك أبي دارا الاكبر وكان بهمن قد تزوج ابنته خماني على عادتهم فحملت منه بدارا الاكبر وسألته أن يعقد التاج على بطنها لولدها ففعل وكان له ولد يسمى ساسان من امراة أخرى فلما مات بهمن تنسك ساسان وساح في الجبال وعهد الى بنيه أنه من ملك منهم فليقتل من قدر عليه من نسل دارا وكان أردشير هذا من ولد ساسان على ما ذكر بعض الرواة وهو أول الفرس الثانية ومعنى الثانية أن الاسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس وفرق من بقي منهم وسماهم ملوك الطوائف صارت المملكة لليونان فلما توفي الاسكندر وتقاصر ملك اليونان بعد

مدة تحرك أردشير وكان أحد
أبناء ملوك الطوائف على
اصطخر وخرج طالبا للملك
وأوهم انه يطلب بثار ابن عمه
دارا وجمع الجموع وكاتب
ملوك الطوائف بكتاب
طويل أوله من أردشير بن
بابك المستأثر دونه المغلوب
على تراث آبائه الداعى الى
الله المستنصر به فانه وعد
المظلوم الظفر والعاقبة سلام
عليكم بقدر ما تستوجبون من
معرفة الحق وانكار الباطل
ثم ذكر كلاما طويلا معناه
الحث على المعاونة فمنهم من
أطاعه ومنهم من تأخر عنه
فخرج بعساكره فقتل المتأخر
ثم عطف على بقيتهم فقتلهم
وفاء لما عهد به جده ساسان
الى بنيه ورزقه الله الظفر
والنصر وقتل ملك الاردوان
مبارزة ووطئ رأسه بقدميه
وتسمى من ذلك اليوم
شاهنشاه الاعظم ومعناه ملك
الملوك ثم قام خطيبا فقال
الحمد لله الذى خصنا بنعمه
وخولنا من فضله ومهد لنا
البلاد وها نحن شارعون فى
اقامة العدل وادرار الفضل
والاقبال على الرافة والرحمة
وانصاف الضعيف من
القوى وسترون فى أيامنا
ما يصدق مقالنا بفعالنا ثم
ساس الرعية ورتب الممالك
وبه اقتدى الخلفاء والملوك
بعده فانه رتب الناس على

ما النيل من ماء الحيا * ة ولا جميع الارض مصرا

هذا يشبه قول الشريف الرضى ما الرزق فى الكرخ البيتين وقد تقدما والاصل فيه قول ابن أخى أبى دلف العجلى

دعينى أجوب الارض فى طلب الغنى * فما الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

يعنى عمه أبا دلف الذى قال فيه العكوك رحمة الله عليهما

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

وقال الغزى

من ظن ان القوافى لا نشور لها * فليذكر القاسم العجلى والكرخا

وما أحسن قول الجزار يمدح موسى بن يعمور

لما توالى حكمه قلنا له * مما رأينا أنت موسى الكاظم
انى وان كنت حبيبا عنده * فانه للرزق عندى قاسم

يريد بقوله حبيبا أبا تمام الطائى وبقوله قاسم أبا دلف العجلى لان أبا تمام له فيه مدائح كثيرة مشهورة ويعجبنى أبيات ابن حديس الصقلى وهى

ذكرت صقلية والاسى * يهيج للنفس تذكارها
فان كنت أخرجت من جنة * فانى أحدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا * حسبت دموعى أنهارها

وقال ابن اللبانة فى صاحب المرية

جناب ابن معن بجنبته * فلم يرضنى بعده العالم
وكانت مدينته جنتى * فجئت بما جاءه آدم

ومما اتفق لى نظمه بالرحبة

وبلدة قد رمتنى * بكل داء عنادا
ولو رجعت لاهلى * كانت بلادى بلادا

وقلت فيها أيضا

بالرحبة انهدر كنى * وذاب عظمى وجلدى
لصيفها حر * وللشتا برد برد

وقلت فيها أيضا

عدمت بالرحبة اكتسابى * فلا قريض ولا قراضه
وكل طرفى بها وفكرى * فلا رياض ولا رياضه

وقلت

تبا لها من بلدة لا أرى * فيها مقامى واضح النهج
لانها فى وجه سكانها * وأهلها تبصق بالثلج

وما أعرف أحدا ضمن هذا المثل أعنى لاناقة لى فى هذا ولا جمل أمكن ولا أحسن من قول الشهاب أبى الثناء محمود أنشدنى لنفسه اجازة من قصيدة

أستغفر الله أين الغيث منفصلا * من بره وهو طول الدهر متصل
من حاتم عد عنه واطرح فيه * في الجود لا بسواه يضرب المثل
أين الذي بره الآلاف يتبعها * كرائم الخيل من بره الابل
لو مثل الجود سرحا قال حاتمهم * لا ناقتي في هذا ولا جمل

انظر الى قلقه في بيت الطغرائي لانه عطف الناقة والجمل على السكن ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولد لكان أحسن وأوقع في النفس وانظر الى وروده في أبيات الشهاب محمود فانه جاء في مكانه منسجم التركيب ثابتا في معناه حتى كانه ما برز الى الوجود الا في هذا المكان ولا ظهر الا في هذا القالب ولست أنكر ان الناس قد ضمنوه كثيرا في أغراض مختلفة طلبا للتبري مما ينتفي الانسان عنه ولكن كلما كان الكلام أكثر ارتباطا وتعلقا في أجزائه كان أحسن ألا ترى الى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني ومن خطه نقلت

وعيون أمرضن جسمي وأضرمن بقلبي لواعج البلبال
وخدود مثل الرياض زواه * ما لايام حسنها من زوال
لم أكن من جناتها علم الله وانى لجمرها اليوم صالى

ما أحلاه وأرشقه وكيف خدمته لفظة جناتها فصارت من الجنى لا من الجناية وقد ضمن المتأخرون والمتقدمون هذا البيت وما رأيت عقده الفريد على أحسن من هذا الجيد وقوله أيضا رحمه الله

هذا الذي أنا قد سمعت بحبه * كرما بلؤلؤ دمعي المتنظم
لا تحرموني ضم أسعد قده * ليس الكريم على القنا بمحرم

كله حسن الا قوله المتنظم فان لؤلؤ الدمع منثور على ما هو المشهور وانظر الى قوله رحمه الله تعالى

أيسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخديك نازل
نعم قد تناهى في الجفاء تطاولا * وعند التناهي يقصر المتطاول

والى قول الشهاب أحمد بن جلنك في أقطع

وأقطع قد أضحى يجود بماله * ومن فضله في الناس ما رد سائل
تناهت يداه فاستطال عطاؤها * وعند التناهي يقصر المتطاول

فأي هذين يروق لقلبك ويليق بلبك لقد جر ابن جلنك ذيل الفخار عليه وتناهى الى رتبة مشت فيها المحاسن بين يديه ولم أورد هذين التضمينين واحدهما في الحسن كالقمر والآخر قد خوب على الاول ماشاد وعمر الا ليدلك الفرق بين تمكين التضمين وقلقه وعلى ذكر الاقطع قال ابن دانيال رحمه الله

وأقطع قلت له * هل أنت لص أوحد
فقال هذي صنعة * لم يبق لي فيها يد

وما أحلى قول ابن قلاقس رحمه الله

كانت يداك عند عبدك أنت وحدك سيده
فقطعتها وبعزعندي قولهم قطعت يده

طبقات فالطبقة الاولى الحكماء والفضلاء وكان مجلسهم عن يمينه وهم بطانته والطبقة الثانية الملوك وأبناؤهم وسماهم الخواص ومجلسهم عن يساره والطبقة الثالثة الاصبهبذية والمرازبة وهم بين يديه ولم يكن فيهم وضيع ولا دنيء الاصل ثم زادهم طبقات أخر من الوزراء والقضاة ورتب لكل ربع من أرباع الدنيا قوما ينفردون بتدبيره وتحريره ودانت له الدنيا وتمكن من الارض وكان من الشجعان المشهورين في الفرس يلقى وحده رجالا كثيرة ويشبه في قوته وشكله باردشير الاول الذي كان يدعى طويل الباع وفي أيامه بنيت المدن المشهورة كابلة واستراباذ وكرخ ميستان وغيرها ووضع له النرد تنبيها على انه لا حيلة للانسان مع القضاء والقدر وهو أول من لعب به فقيل نردشير وقيل انه هو الذي وضعه وشبه به تقلب الدنيا بأهلها فجعل بيوت النرد اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة وعدد كلا بها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل الفصين مثالا للقضاء والقدر وتقلبهما بأهل الدنيا وان الانسان يلعب به فيبلغ باسعاف القدر ما يريده وان اللاعب الفطن يتأتى له ما لا يتأتى لغيره اذا أسعده

القدر فعارضتهم حكماء الهند
بالشطرنج وأقام فى الملك خمس
عشرة سنة ثم فوضه الى ابنه
سابور وانقطع فى بيوت
العبادات ثلاث سنين الى أن
توفى بعد مولد المسيح عليه
السلام *ومن كلامه الدين
أساس والملك حارس ومالم
يكن له أساس فمهدوم ومالم
يكن له حارس فضائع *وقال
لاشئ أضر على الملك أو على
الرئيس من معاشرة وضيع
أو مداناة سفيه وذلك أن
النفس كما تصلح بمعاشرة
الشريف فكذا تفسد بمخالطة
السخيف حتى يقدح ذلك
فيها كما ان الريح اذا مرت
بالطيب حملت منه رائحة
طيبة تنعش النفوس وتقوى
بها الجوارح فكذا اذا مرت
بالنتن فحملت منه الروائح
الكريهة آلمت النفس
وأضرت بها وكان الفساد
اليها أسرع من الصلاح
وقال ان للآذان مجة وللقلوب
مللا ففرقوا بين الحكمتين
يكون ذلك استحماما وكتب
اليه جماعة من بطانته يشكون
سوء حالهم فوقع ما أنصفكم
من أحوجكم الى الشكوى يعنى
نفسه ثم فرق فيهم مالا وكتب
اليه متنصح ان قوما اجتمعوا
على سبك فوقع عليها ان
كانوا نطقوا بألسنة شتى فقد
جمعت ماقالوه فى ورقتك

(رجع) قول الطغرائى فيم الاقامة البيت هذا النوع تسمية أرباب البديع عتاب المرء نفسه وهو من ايراد ابن المعتز ولم ينشد فيه سوى بيتين وهما

عصانى قومى والرشاد الذى به * أمرت ومن يعص المحرب يندم
فصبرا بنى بكر على الموت انى * أرى عار ضاهيهل بالموت والدم

والشاهد فى هذه التسمية قول القائل

فقد تك من نفس شعاعا وانى * نهيتك عن هذا وأنت جميع

ومن التضمين المليح قول زكى الدين بن أبى الاصبع لانه نقل الحماسة الى الغزل

له من ودادى ملء كفيه صافيا * ولى منه ماضمت عليه الانامل

ومن قده الزاهى ونبت عذاره * صدور رماح أشرعت وسلاسل

ومن أجاد فى التضمين وبلغ الغاية مجير الدين محمد بن تميم فانه قال

وطرف تخط الارض رجلاى فوقه * اذا ماشى ضاقت على المنافس
وما أنا الا راجل فوق ظهره * ولكننى فيما ترى العين فارس

نقله من الفراسة الى الفروسية وقال

لو كنت فى الحمام والحنا على * أعطافه وجسمه لألاء
لرأيت مايسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وكتب مع وردة أهداها

سيقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فيها اليك كطالب تقبيلا

وقال فى زهر اللوز

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

رفع امام على انه خبر لانت وقال

اذا هجرتنى الصهباء يوما * أرى للنار فى كبدى اشتعالا
كأن الهم مشغوف بقلبى * فساعة هجرها يجد الوصالا

وقال

وجيران ألفتهم زمانا * فأبعدهم نوى الحدثان عنى
أثاروا عيسهم فجرت دموعى * كأن العيس كانت فوق جفنى

وقال

قيان ملاهيها يلذ سماعها * ويطربنا منهن عود ومزهر
وأكثر ماينشى لنا السكر بينها * أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

وكتب مع قدح أهداه

أهديته قدحا فان أنصفته * أوسعته لجماله تقبيلا
نظمت به الصهباء درحبابها * حتى يصير لرأسها اكليلا

وقال يرثى قدحا

أياقدحا قدصدّع الدهر شمله * وأصبح بعد الراح قد جاور التربا
سأبكيك في وقت الصبوح وانني * سأكثر في وقت الغبوق لك الندبا
وان قطبت شمس المدام فحقها * لانك كنت الشرق للشمس والغربا

وقال في مليح يشرب بفيه

أفدي الذي أهوى بفيه شاربا * من بركة طابت وراقت مشربا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا

وقال في مليح ينظر في مرآة

سقيا لمرآة الحبيب فانها * جليت بكف مثل غصن أينعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

(وقال رحمه الله)

عاينت في الحمام أسود واثبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

(وقال أيضا)

تعبت حتى جوادي لاحراك به * يكاد من همزه بالركض يتخذم
فلا يغرنك منه شبه غاطا * ان الجواد على علاته هرم

(وقال أيضا)

وأهيف مثل البدر غصن قوامه * عليه قلوب العاشقين تطير
يدور عذاراه لتقبيل وجنة * على مثلها كان الخصيب يدور

وعلى الجملة فمحاسنه في التضمين كثيرة الى الغاية وأكثر ما أجاد في التشبيه والتورية والتضمين وقال في كثرة تضمينه وكل ما أوردته له نقلته من خطه

أطالع كل ديوان أراه * ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه معنى * فشعري نصفه من شعر غيري

ونقلت من خط سراج الدين عمر الوراق له

توارت من الواشي بليل ذوائب * له من جبين واضح تحته فجر
فدل عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ونقلت له منه في بخيل صفع

وباخل يشنأ الأضياف حل به * ضيف من الصفع نزال على القمم
سألته ما الذي تشكو فجاوبني * ضيف ألم برأسي غير محتشم

ونقلت منه له مما قاله في شخص غرا بيلي

مالي وما للغرابيلي يبسط في * عرضي لسانا كثير اللغو والهذر
فهل توهم جهلا أن سيجمعنا * بيت من الشعر أو بيت من الشعر

ونقلت منه له أيضا

اذا ما جعلتم جفنة الصلح سكرا * فقد جئتم الامر الذي كان أصلحا
وأنتم أحق الناس أن تنشدونا * لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى

بخ رحلك أعجب واسانك أكذب

(والضحاك استدعى مسالمتك)

اختلف في نسب الضحاك فقال قوم انه الضحاك بن الاهبوب بن عوج بن طهمورث ابن آدم وزمنه بعد الطوفان وهو ابن أخت جمشيد بن أوشهنج ملك الاقاليم وقال قوم هو الضحاك بن علوان أول الفراعنة وهو الذي ولي أخاه سنانا مصر على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام وقال قوم هو من العرب من قحطان واليمانية تدعيه وفي ذلك يقول أبو نواس

وكان منا الضحاك يحذره الـ
ـحابل والوحش في مسارحها

والقول الاول أكثر وكان من سيرته أن جمشيد ومعناه سيد الشعاع ملك الاقاليم السبعة وهو أول من عمل السلاح واستخرج الابريسم والقز وألزم أهل الفساد الاعمال الشاقة في قطع الصخور واستخراج المعادن وطال عمره وتجبر وادعى الربوبية فخرج عليه الضحاك هذا وتبعه خلق كثير لبغضهم في جمشيد فهرب جمشيد بين يديه فظفر به وأمر بنشره بمنشار وقال ان كنت الها فادفع عن نفسك ثم ملك الضحاك وطغى وتجبر وفخر ودان بدين البراهمة وهو أول من

ونقلت منه له فى العفة

نشطت لسربى فانثنى * متعامى من بعد ما قد عزم
فقلت تسام ولى مقلة * مسهدة من بهذا حكم
فقال أما قال بشاركم * فنبه لها عمرا ثم نم

وله ولم أره بخطه

وسقيم الجفون أودعه الله بذاك السقام سرا خفيا
غلبت مقلتاه قلبى عشقا * وضعيفان يغلبان قويا

أنشدنى لنفسه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى اجازة

ياضعيف الجفون أضعفت قلبا * كان قبل الهوى قويا مليا
لاتحارب بناظريك فؤادى * فضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ومليح قد أخجل الغصن والبد * رقواما رطبا ووجها جليا
غلب الصبر فى لقاناظريه * وضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه الامير علاء الدين الطنبغا الجاولى

ردفه زاد فى الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقاما * وضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدنى) لنفسه المرحوم القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة

قل لى عن الحمام كيف دخلتها * ياما لكى لتسر خلا مشفقا
أدخلتها وأولئك الاقوام قد * شدوا المآزر فوق كثبان النقا

(ومما اتفق) لى نظمه

قل للرقيب ليستريح من رصدى * ما أصبح المعشوق عندى يشتهى
وارتد قلبى عن سيوف جفونه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

(وقلت) وقد عدت مليحا أرمد

أيقظته من كراه بعد ما رمدت * عيناه لامسه من بعدها ألم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة * وقد نظرت اليه والسيوف دم

(وقلت) أيضا فى بكاء المحبوب

بقلة محبوبى دموع تحدرت * دلالا على صب غداوه ومغرم
فشبهت عينيه سيوفا وقد غدت * من التيه فى أغمادها تتبسم

(وقلت) فى الاتراك الذين يحلقون ذوائبهم

لقد زان أصداغ المماليك نبتها * وماشانهم فى الحسن حلق الذوائب
فمابال من يهواهم عند ما اتقى * عضاض الافاعى نام فوق العقارب

(وقلت) فى مليح أحب أسود

أيا من تكلف حب العبيد * ذلك فى العقل لايحمل
فلو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

غنى له وضرب الدنانير والدراهم ولبس التاج ووضع العشور وكان على كتفيه سلعتان يحركهما اذا شاء وادعى انهما حيتان يهول بهما على الضعفاء وذكر انهما يضربان عليه فلا يسكنان حتى يطليهما بدماغى انسانين يذبحان له فى كل يوم وكان له وزير صالح فكان يستحيى أحدهما و يضع مكان دماغه دماغ كبش و يأمر الرجل باللحوق بالجبال وان لايأوى الامصار فيقال ان الاكراد من تلك القوم لكردهم الى الجبال ثم كثر فسادا الضحاك وطالت مدته فاجتمع الناس على افريدون ابن جمشيد وكان قد ترعرع فاستعد لقتال الضحاك وكان باصبهان رجل حداد يقال له كابى قتل له الضحاك ولدين فاجتمع عليه خلق كثير وكانت له قطعة جلد يتقى بها حر النار فرفعها على رمح وجعلها علما وسار الى الضحاك والناس معه فخرج اليه فلما رأى ذلك العلم ألقى الله تعالى فى قلبه الرعب فانهزم وأراد الناس أن يملكوا كابى فأبى وقال لست من بيت الملك فملكوا افريدون بن جمشيد وصار كابى عونا له وقتل الضحاك وقيل مات منهزما وعظم علم كابى ورصعته الملوك بالدر

(وقلت) فيمن يتهم بحاله مع معشوقه

يقول له المعشوق وهو يلوطه * لعلك تحتي بعد ذاك تنام
فقال وهل في العيش للناس لذة * اذا لم يكن تحت الكرام كرام

(وقلت) في تفضيل بياض الشيب على سواد الشباب

أرى فضل المشيب على شبابي * يخالف فيه بعض الاغبياء
وهبني قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء

(وقلت أيضا)

قالوا حلا وصف العذار من الورى * في كل ما نلقاه من أبياته
فأجبتهم لم لا يرى حلوا وقد * قطف الرجال الفول عند نباته

(وقلت) في تفضيل مملوك على خادم

يا من يرجع وجها كالظلام على * وجه كصبح تبدى في بشائره
ان كان مملوك هذا مثل خادم ذا * فما انتفاع أخي الدنيا بناظره

(وقلت أيضا)

ظبي من الاتراك يحمي خده الـ * ـحسن النقي من النبات المعتدى
قال الجمال لخده المبيض قد * خلت الديار فسدت غير مسود

(وقلت أيضا)

كلفت بوجه فيه بعض سماجة * رجاء بان يحلو اذا هو عذرا
وغير بعيد أن يزان بلحية * فقد ينبت المرعى على دمن الثرى

(وقلت) مضمنا قول المعري في فرند السيف

ما كنت أحسب لو لا نبت عارضه * أن ينبت الآس وسط الجمر في النهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها * مشيا على اللج أو سعيا على السعر

(وقلت) في شيب عذار الحبيب

قال الحبيب وقد وصفت مشيبه * والناس قد وصفوه لما عذرا
قطف الرجال الفول عند نباته * وقطفت أنت الفول لما نورا

(وقلت) أيضا مضمنا قول المعري

وأشقر نبت عارضه تراه * كأن شعاع وجنته تلالا
ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعدما مسخت غزالا

(وقلت أيضا في مقياس نيل مصر)

يقول لنا المقياس والنيل هابط * ليقطع أوصال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(وقلت أيضا)

ألا فاسقني من ريقة لذ طعمها * بغيك ولا تبخل وقل لي هي الخمر
وحط لثاما حجب اللثم عن فمي * فلا خير في اللذات من دونها ستر

(وقلت أيضا)

والي الواقيت وكانوا يقدمونه أمام الجيوش وقت الحرب فينصرون به وكان عندهم كالتابوت في بني اسرائيل ويعرف هذا العلم بدرقش كابيان ولم يزل في خزائنهم يتوارثونه الى زمن يزدجرد بن شهريار فأخذه المسلمون في وقعة القادسية وحمل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقسم جواهره في الناس * ومما اتفق من الحكايات المستظرفة في أيام الضحاك انه لما طالت مدته وفساده اجتمع الناس على بابه وكان الحداد معهم فلما دخل وكان جريا قال له اسلم عليك سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم قال بل سلام من يملك الاقاليم كلها فقال له اذا كنت تملك الاقاليم كلها فلم خصصت هذا الاقليم بنوائبك ومؤنتك وهلا انتقلت الى الاقاليم وساويت بينه وبينهم ثم عدد عليه أشياء فصدقه الضحاك ووعد الناس بما يحبون فانصرفوا وكانت له أم جبارة سمعت ما جرى فلما خرجوا أنكرت عليه وقالت لقد جرأتهم عليك هلا قتلتهم فقال لها مع عتوه وتجبره ان القوم يدهوني بالحق فلما هممت بالسطوة بهم وقف الحق

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجامعها الزاهى البديع المشيد
جرى ليباهى حسنه كل جامع * وما قصبات السبق الا لمعبدى

(وقلت) فى مليح أعور

أفديه أعور طرفه الشباقى يقول وما تعدى
قد غار من حسنى أخى * وبقيت مثل السيف فردا

(وكتبت) على مجلد قديم قدرث

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ذكرت هنا ما أخبرنى به الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه وأنا أقرأ عليه الاشعار السبعة عند قول طرفة وقوفا بها صحبى البيت قال ان بعض وزراء العرب ذكره لى ونسيته أنا أمر بضرب بعض العمال مائة سوط فقال اذا أهلك وكسر اللام فقال الوزير وأنت من أجل أهلك الحق بأهلك ومما يتعلق بهذا ما ذكره ابن وكيع فى المنصف عن على ابن بسام انه دعاه صديق له مع نحوى متشدق فثقل على على بن بسام ثم دعى معه فى يوم آخر فتخلف عنه فلقيه النحوى فعاتبه على تخلفه فقال له ما يمنعك من زيارتنا فقال يمنعنى ما يمنعك يريد ثقل الاعراب فى يمنعك

* (ناء عن الاهل صفر الكف منفرد * كالسيف عرّى متناه عن الخلل) *

اللغة نأى ينأى نأيا فهو ناء اذا بعد (الاهل) أهل الرجل فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل رهط وقوم ولا بأس بمعرفة الجمع واسم الجمع واسم الجنس فانه من المهمات وقد خبط الناس فى ذلك قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك الاسم الدال على أكثر من اثنين بشهادة التأمل اما أن يكون موضوعا للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف واما أن يكون موضوعا لمجموع الآحاد دالا عليها دلالة المفرد على جملة أجزائه مسماه واما أن يكون موضوعا للحقيقة ما فى فيه اعتبار الفردية الا أن الواحد ينتفى بنفيه فالموضوع للآحاد المجتمعة هو الجمع سواء كان من لفظه واحد مستعمل كرجال وأسود أو لم يكن كأبابيل والموضوع لمجموع الآحاد هو اسم الجمع سواء كان له واحد من لفظه كركب وصحب أو لم يكن كرهط وقوم والموضوع للحقيقة بالمعنى المذكور هو اسم الجنس وهو غالبا يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمرة وتمر وعكسه كماءة وجبأة ومما يعرف به الجمع كونه على وزن لم تبن عليه الآحاد كأبابيل وغلبة التأنيث عليه ولذلك حكم على نحو تخم انه جمع تخمة مع أن نظيره من نحو رطب ورطبة محكوم عليه انه اسم جنس لان تخما غلب عليه التانيث يقال هذه تخم ولا يقال هذا تخم فعلم انه فى معنى جماعة وليس مسلوكا به طريق رطب ونحوه ومما يعرف به اسم الجمع كونه على وزن الآحاد وليس له واحد من لفظه كقوم ورهط وكونه مساويا للواحد فى تذكيره والنسب اليه ولذلك حكم على نحو غزى انه اسم جمع لغاز وان كان نحو كليب جمعا لكلب لان غزيا مذكر وكليبا مؤنث وحكم أيضا على نحو ركاب انه اسم جمع ركوبة لانهم نسبوا اليه زيت ركابى والجموع لا ينسب اليها الا اذا غلبت كانصارى اه (صفر) الصفر الخالى يقال بيت صفر من المتاع ورجل صفر اليدين وفى الحديث ان أصفر البيوت من الخير البيت الصفر

من

بينى وبينهم كالجبل فقال بينى وبين ما أردت ثم كان من أمره بعد ذلك ما كان مع كابى كمامر

(وجذيمة الابرش تمنى منادمتك)

هو جذيمة بن مالك بن عامر التنوخى وقيل الازدى أول من قاد العرب وملك على قضاعة وكانت منازله الحيرة والانبار وولايته من قبل اردشير بن بابك وكان أبرص فعدل عن هذا الاسم فقيل الابرش والوضاح وزعم بعضهم انه كان يأنف من اسم الابرص ولذلك كنى عنه بالابرش وفى العرب من يفتخر بذلك قال الراجز يمدح أبرص

أبرص فياض اليدين أكلف

والبرص ادرى باللها وأعرف

وهو أول من صنع له الشمع وأدلج من الملوك وكان ذا رأى وهمة وتيه مفرط ويقال له نديم الفرقدين كان اذا شرب قدح صب لهما قدحين ولا ينادم غيرهما وكان سبب ذلك فيما زعموا انه كان تكهن واتخذ صنمين يقال لهما الغريان يستسقى بهما وينتصر على أعدائه وكانت اياد قد خرج قوم منهم من الحجاز وانتشروا فيما بين

من كتاب الله عزوجل وقد صفر الرجل بالكسر وأصفر فهو مصفر أى افتقر والصفاريت الفقراء والواحد صفريت قال ذو الرمة ولا خور صفاريت (الكف) معروف وفى الانسان من أعضائه عشرة أول كل عضو منها كاف وهى الكف والكوع والكرسوع والكتف والكاهل والكبد والكتد والكلية والكمرة والكعب (يحكى) ان بعض أشياخ اللغة طلب منه عدها فعد تسعة أعضاء ونسى الكمرة فلما قام الى بيت الخلاء ذكرها وقد كان قبل قد ذكر الكرش فقيل له ليس للانسان كرش انما هى الاعفاج ويقال ان ابن خالويه وضع مسئلة سماها الانطاكية اشتملت على ثلثمائة عضو من أعضاء الانسان أول كل كلمة منها كاف وقد رأيت أنا مجلدا ولم أعرف اسم مصنفه قد جمع فيه أسماء أعضاء الرجال والنساء على حروف المعجم وهذا اطلاع كبير فرأيت فيه زيادة فى حرف الكاف على ماذكرته هنا الكذوب النفس والكبرة عقدة مكبلة حائدة عن الرأس والكشفة بفتح الكاف والشين دائرة من شعر تكون عند الناصية تنبت صعدا والكرشمة الوجه ولكن لا يقال الا فى الشتم والكرد أصل العنق والكراديس ماشخص من عظام البدن كالمنكبين والمرفقين والكعاس عظام السلامى والكاثبة من الانسان والبهيمة ما بين الكتفين الى أصل العنق والكلكل الصدر والكشح الجنب وهو من لدن الورك الى الخصر والكفل العجز والكاذة لحم مؤخر الفخذ والكراع من الانسان مادون الركبة والكوشلة الذكر والكظر ركب المرأة ٣ والكلثوم الكعثب وهو الفرج والكين لحم باطن الفرج والكراض خلق الرحم وأما الكس فليس بعربى على الصحيح واذكر أنى وقفت على فصل فيه تسمية اعضاء الانسان باسماء حروف المعجم من أولها الى آخرها * وأما تشبيه أعضاء الانسان بالحروف فقد أكثر الشعراء من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد والثنايا بالسين والقامة بالالف والطرة بالشين فمن ذلك قول بعضهم

لا تقولى لاف كتوب على * وجهك المشرق نور انعم
بحروف خلقت من قدرة * ماجرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان والميم الفم

وقلت أنا من أبيات

علقتها من بنات الترك قد غنيت * بدمع عاشقها عن منة الشنف
يا للهوى عينها عين وحاجبها * نون وتم العنا من قدها الالف

وقال محاسن الشواء

أرسل فرعاولوى هاجرى * صدغا قأعيابهما واصفه
نخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقرب واقفه
ذى ألف ليست لوصل وذى * واو ولكن ليست العاطفه

وقال جمال الدين يحيى بن مطروح

قالت لنا ألف العذار بخده * فى ميم مبسمه شفاء الصادى

وقال الآخر

كأن عذاره المسكى لام * ومبسم ثغره الدرى صاد

البصرة والكوفة وتمكنوا على ما يلى الحيرة وكثروا بعين اباغ فخرج جذيمة غازيا وكان فى اياد رجل يقال له عدى بن نصر وكان له ظرف وجمال واليه تنسب الملوك من آل نصر فنزل جذيمة بساحتهم فبعث اياد قوما منهم الى صنمى جذيمة فسقوا سدنتهما الخمر وسرقوهما فأصبحوا بهما فى اياد فبعثت اياد الى جذيمة تقول ان صنميك قد أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فان عاهدتنا على أن لا تغزونا رددناهما اليك فقال جذيمة وتعطونى أيضا عدى بن نصر يكون عندى ففعلوا وانصرف عنهم وضم عديا الى نفسه وولاه شرابه وأمر مجلسه وكان لجذيمة أخت تسمى رقاش وهى بكر فأحبت عديا وأحبها فسألته أن يخطبها من جذيمة اذا سكر ففعل ذلك وزوجه بها وأشهد عليه من حضر فلما أصبح دخل عليه بثياب العرس وكان قد دخل بها تلك الليلة فقال جذيمة ما هذه الآثار يا عدى فقال آثار عرس رقاش فقال من زوجكها ويحك قال الملك فأكب على الارض مفكرا وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر وأرسل جذيمة الى أخته يقول

ومسبل شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

وقال ابن نقادة

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بخال تنقط
والميم فوها فالحروف تألفت * مكتوبة والصبر عنها يكشط

وما أحسن قول القائل

ياسين طرتها وصاد عيونها * انى أعوذها بسورة طه

(وقلت)

سين الثنايا حوتها ميم مبسمه * طوبى لمن ذاق منها كاس تسنيم
ومن عجائب وجدى أن بى سقما * ما برؤه غير تلك السين والميم

(وقال آخر)

تالله ما المعذبى فى حسنه * شبه فاى حشا عليه لم تهم
لام العذار وميم مبسمه على * ما أدعى من حسنه برهان لم

قلت البرهان اللمى عند أرباب المعقول أشرف من البرهان الانى لان اللمى يعطى العلة المستلزمة للوجود والانى يعطى الوجود فقط لانك اذا قلت الخشبة ممسوسة النار وكل ممسوس النار محترق فالخشبة محترقة لزم من هذا الاستدلال بالمؤثر على الاثر لان الحد الاوسط علة لثبوت الحد الاكبر للاصغر فعلة الاحتراق من مماسة النار فهذا هو البرهان اللمى وأما البرهان الانى فان الحد الاوسط فيه معلول الاكبر كقولك الخشبة محترقة وكل محترق ممسوس النار فالخشبة ممسوس النار فلزم من ذلك الاستدلال بالاثر الذى هو محترق على المؤثر الذى هو ممسوس النار وتنزيل ماقاله هذا الشاعر على هذه القاعدة وترتيبه أن يقال معذبى له عذار يشبه اللام وفم يشبه الميم وكل ذى عذار لامى وفم ميمى فهو حسن فمعذبى حسن فالبرهان على حسنه لمى والقضية الصغرى ثابتة بالمشاهدة والكبرى مشهورة فالنتيجة صادقة (كالسيف عرّى) أى جرد (متناه) المتن الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال وهما هنا جانبا السيف (الخال) جمع واحده خلة بالخاء المعجمة والخلل بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره (الاعراب) ناء اسم فاعل من نأى وأصله نائئ مثل جائئ فلما اجتمع همزتان فى الكلمة الواحدة قلبوا الثانية ياء لانكسار ماقبلها فصار من باب قاض وأما قول الشاعر

* يشجج رأسه بالفهر واجى * أصله وأجيء مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره أنا ناء ولم يظهر فيه الرفع لانه منقوص مثل قاض فلا يظهر فيه الا النصب فقط تقول هذا ناء ورأيت نائيا ومررت بناء فان قلت هلا رفعته على انه مبتدا قلت لا لانه اسم فاعل واسم الفاعل لا يكون مبتدأ حتى يعتمد على الاستفهام أو النفى أو معنى النفى لانهما يقربانه مما له صدر الكلام كقول الشاعر

أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا * ان يظعنوا فجيب العيش من قطنا

وكما فى قول الآخر

خليلى ماواف بعهدى أنتما * اذا لم تكونا لى على من أقاطع

ألا ترى أن قاطنا لما اعتمد على الاستفهام كان مبتدأ وأن وافيا لما اعتمد على النفى جاز الابتداء

خبرينى رقاش لا تكذبينى
أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل العبد
أم بدون فانت أهل لدون
قالت بل أنت زوجتنى امرأ
غريبا ولم تشاورنى فى نفسى
فكف عنها وآلى أن لا
ينادم الا الفرقدين وحملت
رقاش فولدت غلاما وسمته
عمرا فلما ترعرع ألبسته
وعطرته ودخلت به على
خاله فلما رآه أحبه وجعله مع
ولده وخرج جذيمة متبديا
بأهله فى سنة خصبة فأقام فى
روضة ذات زهر ونهر فخرج
ولده وعمرو معهم يجتنون
الكمأة فكانوا اذا أصابوا
كمأة جيدة أكلوها واذا
أصابها عمرو خبأها وانصرفوا
الى جذيمة يتعادون وعمرو
يقول هذا جناى وخياره فيه
وكل جان يده الى فيه فضمه
جذيمة الى صدره وسر بقوله
وحلاه بطوق من ذهب
فكان اول عربى لبس
الطوق ثم ان الجن استطارته
فطلبه جذيمة فى الآفاق زمانا
فلم يقدر عليه ثم أقبل رجلان
من قضاعة يقال لهما مالك
وعقيل ابنا فارج من الشام
يريدان جذيمة وأهديا له
ظرفا فبينما هما يأكلان اذ
أقبل فتى عريان قد تلبد
شعره فسألاه عن نسبه
فعرّفهما نفسه فنهضا وغسلا
رأسه وأصلحا أمره والبساه

به وقولى أو معنى النفى ليدخل فيه قول الشاعر

غير مأسوف على زمن * ينقضى بالهم والحزن

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان هذا البيت سأل أبا الفتح بن جنى ابنه عن اعرابه فارتبك فيه ولابى عمرو بن الحاجب فيه كلام طويل وخرجه ابن جنى وتبعه ابن الحاجب على حذف المبتدا واقامة صفته مقامه وايقاع الظاهر موقع المضمر بحذف الظاهر المبتدا والتقدير زمان ينقضى بالهم والحزن غير مأسوف عليه وقال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قولهم حسبك بزيد مبتدأ لاخبر له على أحد الوجهين لكونه بمعنى اكتف وكذلك قول الشاعر غير ماسوف البيت ومثله قول الآخر

غير لاه عداك فاطرح اللهـ * ـو ولا تغترر بعارض سلم

فغير فى البيتين مبتدأ لاخبر له على أحد الوجهين لانه محمول على ما كأنه قيل ما يؤسف على زمن كما فى قولهم ما قائم اخواك اه (قلت) فغير مبتدأ وعلى زمن جار ومجرور فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لمأسوف لانه صيغة اسم المفعول وقد سد الجار والمجرور مسد الخبر كقولك ما مضروب الرجلان فتقرر بهذا ان نائبا لا يجوز ان يكون مبتدأ لعدم اعتماده على شئ من المسوغات له (عن الاهل) عن تقدم الكلام على تقسيم مجيئها فى الكلام وهى هنا للتجاوز والجار والمجرور فى موضع النصب باسم الفاعل (صفر الكف منفرد) خبران ايضا مثل ناعف فهى ثلاثة اخبار لمبتدا واحد قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك قد يتعدد الخبر فيكون للمبتدا الواحد خبران فصاعدا وذلك فى الكلام على ثلاثة اضرب قسم يجب فيه العطف وقسم يجب فيه ترك العطف وقسم يستوى فيه الامران فالاول ما تعدد لتعدد ما هو له اما حقيقة نحو بنوك كاتب وشاعر وفقيه قال الشاعر

بداك يد خيرها يرتجى * واخرى لاعدائها غائظه

واما حكما كقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد والثانى ما تعدد فى اللفظ دون المعنى وضابطه ان لا يصدق الاخبار ببعضه عن المبتدا كقولك الرمان حلو حامض بمعنى مز وزيد عسر يسر اى ضابط وقد اجاز ابو على فيه العطف وجعل منه

لقيم بن لقمان من اخته * فكان ابن اخت له وابنما

وهو سهو والثالث ما تعدد لفظا ومعنى دون تعدد ما هو له فهذا يجوز فيه الوجهان نحو قوله تعالى وهو الغفور الودود الآية وقال الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى الاعادى فهو يقظان هاجع

ونحو قوله تعالى صم وبكم فى الظلمات اه قلت قوله وهو سهو لان ابا على توهم انه تعدد فى اللفظ دون المعنى وليس كذلك لانه فى اللفظ والمعنى متعدد وذلك ان لقمان بن عاد كانت له اخت محققة فقالت لاحدى نساء اخيها هذه الليلة طهرى وهى ليلتك فدعينى انام فى مضجعك فان لقمان رجل منجب فعسى ان يقع على فانجب فوقع على اخته فحملت منه بلقيم فلذلك قال النمر بن تولب

لقيم بن لقمان من اخته * فكان ابن اخت له وابنما

ثيابا وقالا ما كنا لنهدى
جذيمة أنفس من ابن أخته
وخرجا به الى جذيمة فسر به
ورأى الطوق فقال شب عمرو
عن الطوق فذهبت مثلا
وقال لمالك وعقيل حكمناكما
قالا منادمتك ما بقينا
وبقيت فكنهما من ذلك
وهما نديما جذيمة اللذان
يضرب بهما المثل واياهما عنى
متمم بن نويرة بقوله فى رثاء أخيه
وكنا كندمانى جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وقيل انما عنى الفرقدين
*ويحكى أن جذيمة سكر مرة
أخرى فقتلهما فلما أصبح ندم
وبنى عليهما الغريين ونادم
الفرقدين وقيل ان صاحب
الغريين المنذر الاكبر
ثم ان جذيمة أرسل يخطب
الزباء ملكة الحضر الحاجز
بين الفرس والروم وكان لها
وتر عنده فأجابته واستدعته
اليها فاستشار أصحابه فأشاروا
عليه بالمضى فخالفهم قصير
ابن سعد وكان لبيبا وقال ان
النساء يهدين الى الازواج
فعصاه وسار حتى اذا كان
بمكان يدعى بقة استشارهم
فأشاروا عليه لما يعلمون
من رأيه فيها فقال قصير
انصرف ودمك فى وجهك
فأبى وظعن جذيمة حتى اذا
عاين الكتائب قد استقبلته
قال لقصير ما الرأى قال
تركت الرأى ببقة ثم ركب

قصير فرسا لجذيمة تسمى العصا فنجاو أخذ جذيمة فلما أدخل على الزباء أمرت برواهشه فقطعت والرواهش عروق اليد واستنزفته حتى مات فى خبر طويل مشهور وكانت مدة ملكه ستين سنة وله أشعار حسنة مشهورة فنها

أضحى جذيمة فى يبرين منزله
قد حاز ما جمعت من قبله عاد
مستعمل الخير لا تفنى زيادته
فى كل يوم وأهل الخير تزداد

(وشيرين قد نافست بوران فيك)

هى شيرين زوجة أبرويز بن هرمز من ولد كسرى أنوشروان وكانت يتيمة فى حجر رجل من أشراف المدائن وكان أبرويز صغيرا يدخل منزل ذلك الرجل فيلاعب شيرين وتلاعبه فأخذت من قلبه موضعا فنهاها عنه ذلك الرجل فلم تنته فرآها وقد أخذت فى بعض الايام من أبرويز خاتما فقال لبعض خواصه اذهب بها الى الدجلة فغرقها فأخذها ومضى فقالت له وما الذى ينفعك من تغريقى فقال قد حلفت لمولاى فقالت اقذفنى فى مكان رقيق فان نجوت لم أظهر وبرت يمينك ففعل وتوارت فى الماء حتى غاب وصعدت الى دير فترهبت فيه وأحسن اليها الرهبان

ليالى حق فاستحضنت * اليه فغرّ بها مظلما
فأجبلها رجل محكم * فجاءت به رجلا محكما

فعلى هذا اذا كان الانسان ابن اخت ابيه كان له معنيان هما أن اباه خاله وان خاله ابوه فهو ابن أبيه وابن خاله واذا صح هذا فهو متعدد فى اللفظ والمعنى وحينئذ يستوى فيه العطف وعدمه فلك أن تقول فكان ابن أخته وابنه وان تقول فكان ابن أخته ابنه واما قول حميد الهلالى ينام باحدى مقلتيه البيت فالعرب تزعم ان الذئب اذا نام زاوج بين عينيه فيفتح احداهما لتكون حارسة له قال العسكرى وهذا محال لان النوم ياخذ جملة الحى قال ابن الجوزى والذى اراد وابذلك انه يغمض عينا عند بداية النوم ويفتح عينا الى ان يغلبه النوم فيكون فى صورة الهاجع ويكون الكلام صحيحا (قلت) ماخلص ابن الجوزى من كلام العسكرى لان الشاعر قال فهو يقظان هاجع والحيوان لا يكون فى حالة النوم يقظان ويزعمون ان الأرنب ينام وعيناه مفتوحتان قال ابو الطيب

ارانب غير أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام

اه فعلى ما قرره الشيخ بدر الدين محمد بن مالك يكون ناء عن الاهل صفرا الكف منفردا أخبارا تعددت فى اللفظ والمعنى دون المبتدا لانه واحد متصف بهذه الصفات فيجوز ان تسرد الاخبار هنا معطوفة وغير معطوفة كقوله تعالى وهو الغفور الودود (كالسيف) تقدم الكلام على تقسيم الكاف وهى هنا اسم بمعنى مثل وموضعها الرفع ان قدرت فأنا مفرد مثل السيف أو النصب على الحال أو على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره منفردا انفرادا مثل انفراد السيف (عرّى متناه) عرّى فعل مغير لما لم يسم فاعله قالوا فى ضم أول الفعل المغير انه دلالة على ان المحذوف مرفوع ولا يرد هنا قيل وبيع وبابه فان الاصل قول وبيع بضم الاول فلما كان ثقيلا كسر لانه لا يكون قبل الياء الا ما هو من جنسها وكسر ما قبل آخره اعتناء بامره ليصوغوا له هيئة لا يشاركه فيها غيره من المفاعيل الخمسة وهذا تعليل عليل (ذكرت) هنا نادرة وهى ان أبا الصقر قبل وزارته دخل على صاعد بن مخلد وهو وزير وفى المجلس أبو العباس بن ثوابة فسال الوزير عن رجل فقال أبو الصقر أنفى فقال ابن ثوابة فى الخر افتضاحك به أهل المجلس فقال أبو الصقر مثلك يحتاج أن يشد ويحد فقال وهذا من جهلك من يحد لا يشد فخرج أبو الصقر مغضبا (قلت) قد غلط أبو الصقر وابن ثوابة أيضا الان نفى لا يقال فيه أنفى لانه ثلاثى تقول نفيت الشئ والأنف لا يكون الا بفتح الهمزة وانما الكامل فى مثل هذا التنذير ما أنشد نيه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة سبعمائة وثمان وعشرين قال أنشدنى ابن المتيتى نائب دار العدل بمصر لنفسه يخاطب زين الدين خالدا الاشعرى

قلت للزين كيف لا تثبت البعث وتنفى انكارهم للحشر
قال أثبت فقلت ذقنك فى استى * قال أنفى فقلت فى وسط حجرى

قلت الصحيح انهما للنور الاسعردى وهو ماخوذ من قول الآخر

جاء فلان الدين فى وجهه * أنف له كاد يواريه
قلت له ماذا القضا قال لى * ذا منخرى قلت أنا فيه

ومثل هذا ما نقلته من خط علاء الدين على بن مظفر الكندى المعروف بالوداعى لنفسه

وذى دلال أهيف أحور * أصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقى قلت فى وسطى

(رجع القول الى الاعراب) متناه مرفوع لانه مفعول مالم يسم فاعله وهو عرّى وعلامة رفعه الالف لانه مثنى تثنية متن وحذفت نون التثنية لاضافته الى الضمير والموجب لحذف الفاعل أمور منها الجهل به أو عكسه أو الحقارة أو عكسها أو ايثار غرض السامع لذلك أو للابهام عليه أو للاختصار أو للتفعيل كما فى قول الشاعر

ان التى زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فلو قال خلقها الله لم يصح التفعيل فى تقطيع البيت أو للتوافق كقوله

وما المال والاهلون الا ودائع * ولابد يوما أن ترد الودائع

فلو ذكر الفاعل لنصب الودائع والقصيدة مرفوعة أو للتقارب فى السجع كقوله كثر النضال وقتل الرجال فلو ذكر الفاعل طالت القرينة ولأرباب المعانى فى التسعة الموجبة المذكورة كلام طويل على كل منها اضربت عنه خوفا من التطويل فحذف الفاعل هنا يحتمل ان يكون طلبا للتفعيل لانه لو ذكره لم يصح التفعيل فى تقطيع البيت ويحتمل ان يكون طلبا للابهام على السامع ويحتمل ان يكون للجهل به لان الذى عرّى السيف لا يعلم ويحتمل غير ذلك وانما أعطى المفعول فى مثل هذا الرفع اهتماما بامره لان الرفع هو العمدة فى الكلام فاخذ منه النصب وهو دونه وأعطى الرفع وهو خير منه ولان الفاعل الذى عدم لم يعرف ووجد المفعول قد قام به الفعل فكانه الذى أوجده كما تقول مات زيد وانهدم الحائط وهما لم يفعلا ذلك من ذاتيهما وانما قام بهما الفعل فنسبا الى الفاعلية والفعل لا يوجد الا بوجود الفاعل وهو فى غنية عن المفعول فى اكثر المواطن ويحتمل ان يذكر للمناسبة وجوه أخر غير هذه (من الخلل) سوف يأتى الكلام على من وتقسيمها وهى هنا للبيان الجنس لانه يحتمل ان يعرى من الخلل التى تغشى بها الجفون وان يعرى من الجفون وان يعرى من الصقل والرونق والمضاء وغير ذلك فنص على ان السيف عرى من الخلل لا من غيرها وهذه الجملة أعنى عرى وما بعدها فى موضع الجر على الصفة للسيف ومن الخلل متعلق بعرى (المعنى) هذا البيت متعلق بما قبله كانه قال لاى شئ أقيم فى بغداد وأنا لا سكن لى بها ولا ناقة لى فيها ولا جمل وانا ناء عن الاهل فقير لا أملك شيئا من المال فى كفى منفرد عن الناس كالسيف الذى جرد من حليته فما تنظره العيون وهو المطلوب فى نفسه عند الحاجة لا الاجفان ولا الحمائل ولا الحلية والسيف عند الشجاع غير مراد منه هذه الاشياء وانما المراد مضاؤه وفريه ونفوذه فى الضرب اذ الغاية المطلوبة منه هى هذه وأما الجفن والحلية والحمائل فلا اعتبار بوجودها ولا عدمها

وما الحلى الا حيلة من نقيصة * وما أحسن ما كشف المعرى هذا المعنى بقوله

وان كان فى لبس الفتى شرف له * فما السيف الا غمده والحمائل

وقال البحترى يعزى بولد

تعزفان السيف يمضى وان وهت * حمائله عنه وخلاه قائمه

وقال النمر بن تولب

فلما تقرر الملك لابرويز بعد أبيه هرمز مر بذلك الدير رسل قيصر الى أبرويز فدفعت الخاتم الى رئيسهم وقالت ابعث به الى أبرويز لتحظى عنده فأرسله وعرفه مكان شيرين فسر سرورا عظيما فأرسل اليها فأحضرها وكانت من أجمل النساء وأظرفهن ففوّض اليها أمره وهجر نساءه وجواريه وعاهدها أن لا تمكن منها أحدا بعده وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين بالعراق فلما قتل شيرويه أباه أبرويز راودها عن نفسها فامتنعت فضيق عليها واستاصلها ورماها بالزنى وتهددها بالقتل ان لم تفعل فقالت أفعل على ثلاث شرائط قال ما هى قالت تسلم الى قتلة زوجى أقتلهم وتصعد المنبر وتبرئنى مما قذفتنى به وتفتح لى ناووس أبيك فان له عندى وديعة عاهدنى ان تزوجت بعده رددتها اليه فدفع اليها قتلة أبيه فقتلتهم وبرأها مما قال وفتح لها ناووس أبيه وبعث الخادم معها فجاءت الى أبرويز فعانقته ومصت فصا مسموما كان معها فماتت من وقتها وأبطأت على الخدم فصاحوا فلم تكلمهم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة * وأما بوران فهى ابنة أبرويز المذكور وكانت أحسن من

فان تك أثوابى تمزقن عن فتى * فانى كنصل السيف فى خلق الغمد

وقال لبيد بن ربيعة

فأصبحت مثل السيف أخلق غمده * تقادم عهد القين والنصل قاطع

فلهذا قال الطغرائى ماقاله يعنى اننى فى بغداد بهذه الحالة من الفقر واجتناب الناس لخلو ذات يدى وأنا من الفضل والعلم والادوات بمحل أسنى ومع ذلك لا يعبأ بى ولا ينظر الى ذاتى من حيث هى كالسيف المعرى من الحلية وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه اذ هما ذات والمال عرض زائل قال الشاعر

× تسل عن كل شئ بالحياة فقد * يهون عند بقاء الجوهر العرض ×

وقال أبو الطيب فى معنى عدم الالتفات الى غير الانسانية

× وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق ×

وقال الشريف الرضى

— لا تجعلن دليل المرء صورته * كم مخبر سمج فى منظر حسن —

ولغيره

ان الصفائح لا يغرك باطنها * نقش الطوابع موسوم على الطين

وقال التهامى

× حسن الرجال بحسناهم وفخرهم * بطولهم فى المعالى لا بطولهم ×

وقال الغزى

لا يحطن رتبتى سوء حالى * آية الحسن فى الجفون السقام

انا كالنار أطفأ التطرمنها * ولها بعد أن تفحت احتدام

وما أحسن قول ابن حديس

أصبحت مثل السيف أبلى غمده * طول اعتلاق نجاده بالمنكب

ان يعله صدأ فكم من صفحة * مصقولة بالماء تحت الطحلب

وقال ابن قلاقس الاسكندرى

ولئن ارادتنى الخطوب بمرها * فالرمح يزلق عن ثنايا منعج

أورحت فى سمل الثياب فاننى * كالعضب يفرى وهو رث المنسج

وقال أيضا فى عكس المعنى

— قالوا الثواب عن الاثواب قلت لهم * خذوا ثوابى وردوني لاثوابى

واضيعة العضب لا جفن يصان به * وأى جفن لماضى الحد قرطاب

وقال أبو الطيب فى عكس هذا المعنى

— لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل يروق دفينا جودة الكفن

ومن قول أبى العلاء المعرى فى معنى قول الطغرائى

وأنت السيف ان يعدم حليا * فلم يعدم فرندك والغرار

وليس يزيد فى جرى المذاكى * ركاب فوقه ذهب عمار

— ورب مطوق بالتبر كبو * بفارسه وللرهج اعتبار

نشأ بين الترك والفرس من النساء وملكت الناس بعد شهريار بن أبرويز وأصلحت القناطر والجسور ولما جلست على السرير قالت ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد ولا بمكايدهم ينال الظفر وانما ذلك بعون الله وقدرته وأقامت سبعة أشهر ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أمرها قال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ويقال ان فيروز بن رستم صاحب خراسان خطبها فقالت لا ينبغى للملكة أن تتزوج علانية وواعدته أن يقدم عليها سرا فى ليلة عينتها له فجاءها فى تلك الليلة فقتلته فسار اليها أبوه رستم فقتلها وقيل ان هذه الواقعة مع أردمى دخت

(و بلقيس غايرت الزباء عليك)

بلقيس ابنة الحرث بن سبا ويلقب أبوها بالهدهاد وقيل بنت الشيصبان ملكت بلاد سبا المذكورة فى الكتاب العزيز وعن ابن عباس انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولده عشرة سكن منهم اليمن ستة والشام أربعة فاليمانيون مذحج وكندة والانمار والازد والاشعريون وحمير واما الشام فلخم وجذام

وزند عاطل يزهى بمدح * ويحرمه الذى فيه السوار

ويعجبنى قول القائل

ليس الخمول بعار * على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالى

(قلت) الحكمة فى اخفاء ليلة القدر لها موجبات منها ان يحصل الاجتهاد فى الظفر بها فكل شخص يجتهد فى أمرها فيحصل له الاجر فى اجتهاده لان من اجتهد وأصاب فله اجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد تفضلا من الله ورحمة لئلا يحرم العامل أجرا (مسئلة) كل مجتهد مصيب فى الفروع لا فى الاصول هذا هو الصحيح ومن قال ان كل مجتهد مصيب مطلقا فلا حجة معه بدليل قوله كل مجتهد مصيب وهذا البحث فيه دقة لانه يأخذ حجة خصمه فيجعلها دليلا على مطلوبه فيقول بعين ما قلت يلزمك ما أقول اذ أنت أثبت ان كل من اجتهد أصاب وأنا قد اجتهدت فأدى اجتهادى الى ان كل مجتهد لم يصب اللهم الا فى الفروع وما أحلى قول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

قضاة الحسن ما صنعى بطرف * تمنى مثله الرشأ الربيب
رمى فاصاب قلبى باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

(رجع ما انقطع) وقد تعبدنا الله عز وجل بأشياء لا ندرى معناها وأخفاها علينا لمضاعفة الاجور لنا فى الايمان بها والاجتهاد فى معرفتها ومثل ليلة القدر الساعة التى فى يوم الجمعة التى يجاب فيها الدعاء * قال ابن حزم فى مراتب الاجماع واجمعوا على ان ليلة القدر حق وهى فى السنة ليلة واحدة اه ومنهم من قال هى فى مجموع رمضان ومنهم من قال هى فى أفراد العشر الاواخر ومنهم من قال فى السابع والعشرين وهو قول ابن عباس لان قوله تعالى ليلة القدر هى تمام سبع وعشرين لفظة من السورة وليلة القدر تسعة أحرف وهى مذكورة ثلاث مرات فتكون سبعة وعشرين حرفا ومنهم من قال هى فى مجموع السنة لا يخص بها رمضان ولا غيره روى ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال من يقم الحول يصبها ومنهم من قال رفعت بعد النبى صلى الله عليه وسلم اذ كان فضلها النزول القرآن فالذين قالوا انها فى مجموع رمضان اختلفوا فى تعيينها على ثمانية أقوال قال ابن رزين هى الليلة الاولى وقال الحسن البصرى هى السابعة عشر وعن أنس مرفوعا انها التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق هى الحادية والعشرون وقال ابن عباس الثالثة والعشرون وقال ابن مسعود الرابعة والعشرون وقال أبو ذر الغفارى الخامسة والعشرون وقال أبى بن كعب وجماعة من الصحابة السابعة والعشرون ومن قال انها لا تخص رمضان يلزمه اذا قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر أنها لا تطلق حتى يحول عليها الحول لانها تكون قد مرت بيقين لان النكاح أمر متيقن لا يزول الا بمثله وكونها فى رمضان أمر مظنون وفى هذا التفقه نظر لان الاحاديث الصحيحة دلت على أنها فى العشر الاواخر من رمضان ووقوع الطلاق حكم شرعى والحكم الشرعى يثبت بخبر الآحاد لان خبر الآحاد يوجب العمل ولا يفيد العلم قال الرافعى لو قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر قال أصحابنا ان قاله قبل رمضان أو فيه قبل مضى أول ليالى العشر طلقت بانقضاء ليالى العشر وان قاله بعد مضى ليالى العشر لم تطلق الى مضى سنة كاملة قال الشيخ محيى الدين النووى قوله طلقت بانقضاء ليالى العشر فيه تجوز تابع فيه

وعاملة وغسان وكانت بلقيس من أحسن نساء العالمين ويقال ان أحد ابويها كان جنيا وقال ابن الكلبى كان أبوها من عظماء الملوك وولده ملوك اليمن كلها وكان يقول ليس فى ملوك اليمن من يدانينى فتزوج امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقمة ويقال ان مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة ولذلك اتخذ سليمان عليه السلام الصرح الممرد من القوارير وكان بيتا من زجاج يخيل للرائى أنه ماء يضطرب فلما رأته كشفت عن ساقيها فلم ير غير شعر خفيف ولذلك أمر باحضار عرشها ليختبر عقلها ثم أسلمت وعزم سليمان على تزوجها فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنورة وهو أول من اتخذ ذلك وطلوا بالنورة ساقيها فصارت كالفضة فتزوجها وأرادت منه ردها الى ملكها ففعل ذلك وأمر الشياطين فبنوا لها باليمن الحصون التى لم ير مثلها وهى غمدان وبينون وغيرهما وأبقاها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة من الشام على انساط والريح وبقى ملكها الى أن توفى فزال بموته * وأما الزباء فهى ابنة مليح بن البراء كان أبوها ملكا على الحضر وهو

صاحب المهذب وغيره وحقيقته طلقت فى أول الليلة الاخيرة من العشر وكذا قوله ان قال بعد مضى ليال ليلة لم تطلق الى مضى سنة فيه تجوز وذلك انه قد يقول لها فى آخر اليوم الحادى والعشرين فلا يقف وقوع الطلاق على مضى سنة كاملة بل يقع فى أول ليلة الحادى والعشرين (قلت) وهذا تحقيق من الشيخ محيى الدين وعجيب من الرافعى كيف غفل عن هذا * وقيل فى تسميتها بليلة القدر وجوه أحدها انها ليلة تقدير الامور والاحكام قال عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى قدر ما يكون فى تلك السنة فيها من رزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة وقيل القدر الضيق لان الارض تضيق على الملائكة فيها وقيل القدر للفاعل متى أتى فيها بالطاعة كان ذا قدر وشرف وقيل نزل فيها كتاب ذو قدر وشرف عظيم وقيل غير ذلك * واعلم ان الله لا يحدث تقديره فى هذه الليلة لانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض فى الازل ولكن المراد اظهار تلك المقادير للملائكة فى تلك الليلة لتكتبها فى اللوح المحفوظ وهذا الذى ينبغى أن يعتقد فى قول ابن عباس رضى الله عنهما (رجع القول الى معنى قول الشاعر وتلك خير الليالى) يعجبنى قول القائل

وليس قبح المكان مما * يقدح فى منصبى ودينى
فالشمس علوية ومع ذا * تغرب فى حمأة وطين

(قلت) يشير الى قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة الآية وهذه الآية الكريمة ظاهرها مشكل وهو مغمز للزنادقة لانهم يقولون ان البرهان قد ثبت فى المجسطى ان الشمس قدر الارض مائة وستين مرة وكسورا فكيف تدخل مع هذا القدر العظيم فى عين من عيونها والجواب ان فى هنا ليست ظرفية وأنها على ما ذهب اليه ابن قتيبة بمعنى عند لانها قد ترد بمعنى عند وبمعنى مع قال الشاعر * حتى اذا ألقت يدا فى كافر * معناه عند كافر (وقال الشاعر)

وفى الشر نجاة حين لا ينجيك احسان

معناه ومع الشر وقد تكون فى الآية بمعنى على كقوله تعالى ولأصلبنكم فى جذوع النخل أى على جذوع النخل وقال عنترة * بطل كأن ثيابه فى سرحة * أى على سرحة وكما ان فى تقع موقع على كذلك تعكس القضية كقول الشاعر * ولقد سريت على الظلام بمعشر * أى فى الظلام هذا اذا لم نفتح باب تأويل المعنى ونقول ان الخطاب جاء على حكم الحس فى رأى العين لان من وقف على شاطئ البحر المحيط أو قريبا من جبل عال رأى الشمس عند الغروب كأنها تدلت فى نفس البحر أو خلف الجبل قال الله تعالى حتى توارت بالحجاب أى وراء الجبل ولولا ان اللفظ جاء على حكم الحس فى الظاهر لما قال الله تعالى وجدها وما ومن المعلوم عقلا ان القوم لا يجلسون فى قرن الشمس ولا هم عندها ولكن لما كان ذو القرنين قد توغل فى جوب الارض حتى انتهى الى البحر المحيط من جهة الغرب كان الناظر يخيل اليه أن الشمس تغرب هناك (فان قلت) ما معنى قوله تعالى تغرب فى عين حمئة (قلت) قد قرئ حامية بثبوت الالف وهى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وأبى بكر بن عاصم فعلى هذا أقصى البحر الغربى يكون كثير السخونة حاميا ومن قرأ حمئة أراد بها كثيرة السوداء من الحمأة وهو الطين فعلى هذا الخطاب ورد على حكم الحس فى الظاهر والحس قد يكذب فيرى الصغير كبيرا وعكسه ويرى النقطة خطا ودائرة كما فى القطرة الممتدة من السماء الى الارض والنقطة على الرحى

الى

الذى ذكره عدى بن زيد بقوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ
ـلة تجبى اليه والخابور

فقتله جذيمة الابرش وطرد الزباء الى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية اللسان كبيرة الهمة قال ابن الكلبى وما رؤى فى نساء زمانها أجمل منها وكان اسمها فارعة وكان لها شعر اذا مشت سحبته وراءها واذا نشرته جللها فسميت الزباء والازب الكثير الشعر وبلغ من همتها أن جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى ديار أبيها ومملكته فأزالت جذيمة عنها وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين وجعلت بينهما أنفاقا تحت الارض وتحصنت وكانت قد اعتزلت عن الرجال فهى عذراء بتول وها دنت جذيمة مدة ثم خطبها فاستدعته وقتلته كما تقدم فى ترجمته فاما مقتلها فان قصيرا لما فارق جذيمة وعاد الى بلاده تحيل على قتلها فخدع أنفه وضرب جسده ورحل اليها زاعما أن عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة صنع به ذلك وانه لجأ اليها هاربا منه واستجار بها ولم يزل يتلطف لها بطريق التجارة وكسب الاموال الى أن وثقت به وعلم خفايا قصرها وأنفاقه ثم وضع رجالا من

التى تدور سريعا وكما اذا غمز الانسان عينيه ونظر الى القمر فيراه اثنين ولا بأس بتعليل هذا فأقول زعموا انه اذا حدث التواء الحدقة بسبب ارتخاء عضلها أو تحويل الرطوبة الجلدية عن وضعها فى احدى الجهتين دون الاخرى تبقى الجهة التى قد تحول وضعها تنطبع الصورة المنتقلة من رطوبتها الجلدية لا فى الفصل المشترك بل فى موضع آخر بسبب الغمز الذى حدث منه التحويل كما اذا أشرقت الشمس على ماء فى البيت فانه يشرق منه نور فى السقف فلو تغير موضع الماء تغير موضع انطباعه فى السقف كذلك تغير وضع الحدقة يوجب انتقال موضع انطباع ما فى الجلدية فتبقى الصورة صورتين فيرى الواحد اثنين (حكى) ان بعضهم ادعى هذه الدعوى وقال ان كل أحول يرى الشئ شيئين وكان له ابن أحول فقال يا أبت ليس هذا بصحيح لانه يلزم من هذا انى كنت أرى القمرين أربعة * قال الامام فخر الدين الرازى فى المباحث المشرقية واعلم ان أصحاب الاشباح يذكرون أسبابا أخر منها حركة الروح الباصر وتموجه يمنة ويسرة فيرتسم الشبح فى بعض الاجزاء قبل تقاطع الخروطين فيرى شبحين وهو مثل الشبح المرتسم فى الماء الساكن مرة واحدة والمرتسم فى الماء المتحرك المتموج مرارا كثيرة ومنها حركة الروح الذى وراء تقاطع العصبتين الى قدام وحده حتى يكون لها حركتان متضادتان واحدة الى الحس المشترك والأخرى الى ملتقى العصبتين فيتأدى اليهما صورة المحسوس قبل ان ينمحى ما تأدى الى الحس المشترك مثلا لو ارتسمت فى الروح المؤدى صورة تنقلها الى الحس المشترك ولكل مرتسم زمان ثابت قبل ان ينمحى فلما زال القابل الاول عن موضعه خلفه جزء آخر فقبل تلك الصورة بعينها قبل انمحائها فحينئذ يحصل فى كل واحدة صورة مرئية وذكر قبل ذلك تعاليل أخر * قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قولهم ان الاحول يرى الشئ شيئين ليس على اطلاقه بل انما يرى الشئ شيئين اذا كان حوله انما هو اختلاف احدى الحدقتين بالارتفاع والانخفاض ولم يستقر زمانا يألف به المرئيات أما ان كان الحول بسبب اختلاف المقلتين يمنة ويسرة أو بسبب الارتفاع والانخفاض ودام وألف فلا ومما يؤيد ذلك أن الانسان اذا غمز احدى حدقتيه حتى تخالف الاخرى يمنة أو يسرة فانه يرى الشئ شيئين ويوجد فى الناس غير واحد ممن حوله بالارتفاع والانخفاض قد ألف تلك الحالة فلا يرى الشئ شيئين والحق ان الذى يغمز احدى عينيه حتى ترتفع أو تنخفض عن أختها انما يرى الشئ شيئين لانه يرى الشئ المرئى باحدى العينين قبل الاخرى فيصل الى التقاطع الصليبى شبح تلو هذا الشبح فيرى الواحد اثنين فقط ولولا ذلك لرأى هذا الرائى الشئ الواحد متكثرا الغير نهاية على نسبة زوج الزوج كما فى تضعيف رقعة الشطرنج اه كلامه املاء على من فيه وقد لهج الشعراء بذكر الحول فقال ابن الحلاوى فى مشرف مطبخ وهو أحول

يجىء الينا بالقليل يظنه * كثيرا وليس الذنب الا لعينيه
ومن سوء حظى ان رزقى مقدر * براحة شخص يبصر الشئ مثليه

وقال النور الاسعردى فى أحول لائط

ياظريفا يكاد يقطر من عط * فيه ماء اللواط فى كل وادى
عش هنيا فان عينيك يغنى * حول فيهما عن القواد

أنشدنى الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بمصر سنة سبعمائة وثمان

قوم عمرو بن عدى فى غرائر وعليهم السلاح وحملهم على الابل على انها قافلة متجر الى أن دخل مدينتها فخلوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلها قبل أن تصل الى فقهها فى حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح عليه السلام

(وأن مالك بن نويرة اغما أردف لك)

هو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعى التميمى فارس ذى الخمار وذو الخمار فرسه ويلقب بالجفول لكثرة شعره وكان من فرسان العرب وشجعانهم وذوى الرداقة فى الجاهلية وكانت لبنى يربوع أيام آل المنذر ومعنى الردف أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فاذا شرب الملك شرب الردف بعده واذا غاب جلس الردف مكانه وللردف اتاوة تؤخذ مع اتاوة الملك وفى ذلك يقول الراجز

ومن ينافر آل يربوع يخب
الجلس الايمن والردف النجب

وأدرك مالك بن نويرة الاسلام وأسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه من بنى يربوع فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الصدقة وقيل ارتد وبعث أبو بكر رضى الله عنه خالد ابن الوليد رضى الله عنه لقتال أهل الردة فكان اذا صبح

وعشرين قال أنشدنى لنفسه محمد بن أحمد بن حسن بن عامر التجيبى فى مليح له رقيب أحول

يأبى رشا يحوى مع الاحسان * ملكية موضوعها انسانى
أحوى الجفون له رقيب أحول * الشئ فى ادراكه شيئان
ياليته ترك الذى أنا مبصر * وهو المخير فى الغزال الثانى

(وما أحلى) قول نجم الدين بن اسرائيل دوبيت

قد بالغ فى حديثه بالمين * من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذى حول * من حيث يرى الواحد كالاثنين

(وقال) بعض الشعراء

وأحول العين تعشقته * مافيه من عيب ولاشين
يشكر ما أوليه من فاقتى * حتى يرى لى الشئ شيئين

(وقال الآخر) وهو مشهور

نظرت اليها والرقيب يظننى * نظرت اليه فاسترحت من العذر
شكرت الهى اذ بلانى بحبها * على حول أغنى عن النظر الشزر

(وقال الآخر) فى مليح أحول

قالوا اشغفت بأحول فأجبتهم * قد زدتم والله فى أوصافه
لاتحسبوا حولا به لكنه * من زهوه يرنو الى أعطافه

(وقال الشيخ) صدر الدين محمد بن الوكيل

يقولون لى لم ذا كلفت باحول * يقلب بالزور بين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن أوصاف أختها * فعادت طوال الدهر تنظرها اشزرا

(وقال) العلوى البصرى فأحسن

ونظرة عين تعلتها * خلاسا كما نظر الأحول
تقسمها بين وجه الحبيب * وبين الرقيب متى يغفل

(وتبعه الآخر فقال)

أرى مستقيم الطرف مادمت عندكم * فان زال طرفى عنكم فهو أحول

(رجع القول الى كذب الحس وغلطه) وقد يرى القمر السائر تحت السحاب متحركا الى غير جهته التى يتحرك اليها بالذات وترى النار البعيدة كبيرة وهى صغيرة والجبال وغيرها فى السراب طوالا ويرى الخاتم اذا وضعه على عينه وحلقته كالسوار ويرى الشمس عند الشروق والغروب أكبر مما هى عند الزوال ويرى العنبة فى الماء كالأجاصة فأما رؤية القمر متحركا الى غير جهته فعلى رأى القائلين بالشعاع ان المتحرك انما هو الشعاع وفيه كلام طويل فعلى رأى القائلين بالانطباع والشعاع اما ان المنطبع تكيف بكيفية المنطبع فيه واما لان الشعاع حين خالط الاجسام الرطبة غلظ فانعكس من ذلك المرئى غليظا فرأى ذلك المرئى غليظا وأما الشمس فسببها ان ناحيتى المشرق والمغرب فيهما رطوبات كثيرة تصاعد من الارض فينعقد شفقا على ما هو مشاهد بالحس فلهذا ترى الشمس كبيرة بسبب الرطوبات وغلط الحس كثير أتيت منه بهذا القدر (وما أحسن) قول أبى العلاء المعرى

والنجم

قوما تسمع الاذان فان سمعه
كف عنهم وان لم يسمعه
قاتلهم الى ان مر بالبطاح وبه
مالك وأصحابه فقيل انهم لم
يسمعوا أذانا فقاتلهم وأتى
بمالك بن نويرة أسيرا فأمر
خالد ضرار بن الازور بقتله
فقتله واحتج قوم لخالد فى
قتله وطعن عليه آخرون
فأما من احتج فيزعم أن مالكا
قتل مرتدا وانه لما وقف بين
يدى خالد كان يقول فى
مخاطبته قال صاحبك وتوفى
صاحبك يعنى النبى صلى
الله عليه وسلم فقال له خالد أو
ليس هو بصاحبك أيضا
ياعدو الله ثم قتله ويحتجون
أيضا بقول أخيه متمم وذلك
ان عمر بن الخطاب رضى الله
عنه لما سمع متمما ينشد رثاء
أخيه مالك قال وددت لو رثيت
أخى زيدا بمثل ما رثيت به
أخاك قال والله لو علمت ان
أخى صار الى ما صار اليه
أخوك لم أرثه ولم أحزن عليه
وأما الطاعنون فذكروا ان
خالدا لما احتج على مالك
بارتداده أنكر مالك ذلك
وقال أنا على الاسلام والله
ما غيرت ولا بدلت وشهد
قتادة وعبد الله بن عمر ثم ان
خالدا أمر بقتله فجاءت امرأته
ليلى بنت سنان كاشفة
وجهها وكانت من الحسان
فألقت نفسها عليه فقال لها
أنت قتلتنى يعنى انها أعجبت

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

(وقال) الخفاجى الحلبى

ولا ينال كسوف الشمس طلعتها * وانما هو فيما يزعم البصر

وعلم المناظر علم ظريف الى الغاية ولابن الهيثم فيه كتاب جليل رأيته فى سبع مجلدات وشهاب الدين العراقى كراريس أودعها خمسين مسئلة من المناظر سماها الاستبصار فيما تدركه الابصار قرأتها بعدما كتبتها على الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى (ومما) يخرط فى غلط الحس ما قرأته على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله الذهبى فى المغازى التى له قال ابن وهب حدثنى أسامة بن زيد الليثى قال حدثنى نافع قال كانت لابن رواحة امرأة وكان يتقيها وكانت له جارية فوقع عليها فقالت له أظنك قد فعلت وفرقت أن يكون قد فعل فقال سبحان الله فقالت اقرأ على اذا شيأ من القرآن فقال

شهدت باذن الله أن محمدا * رسول الذى فوق السموات من عل

وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما * له عمل من ربه متقبل

وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن سليمان بن الهادى ان امرأة عبد الله بن رواحة رأته على جارية له فجحدها فقالت له اقرأ فقال

شهدت بان وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة كرام * ملائكة الاله مقربينا

فقالت آمنت بالله وكذبت البصر فحدث ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فضحك (جاه) بعضهم الى قاض فاشتكى ابنه وقال أيها القاضى ان ابنى لا يصلى فقال له القاضى ما تقول فيما يقول والدك فقال كذب فانى أصلى فقال أبوه ايها القاضى ان كان صادقا فمره أن يقرأ شيأ من القرآن فقال له القاضى اقرأ فقال

على القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا

ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فنهرهما القاضى وقال ويحكما تقرآن القرآن ولا تعملان به (ومما يتعلق) بكذب الحس أن بعض النساء الفواجر كان لها ميل الى رجل تحبه غير زوجها فاقترح عليها يوما ان يكون فعله أمام زوجها فقالت له اذا كان الغد فامض الى البستان الفلانى وكن بين الشجر فلما أصبحا أخذت زوجها وتوجهت به الى ذلك المنتزه الذى عينته ودخلا اليه فلما اطمأن بهما الجلوس صعدت الى شجرة هناك على انها تلتقط من ثمرها فلما صارت بأعلاها جعلت تصيح باعلى صوتها ويلك ألك أن تفعل مثل هذا بحضرتى وتأتى بهذه القبيحة الى هنا وتجامعها وأنا أنظر وأخذت فى مثل هذا زمانا ثم انها نزلت بناء على انها تمضى الى الحاكم فتشتكوه فاخذ يتبرم من هذا الفعل ويتبرأ وهى لا تنفك ولا تبرح فقال لها عسى ان يكون هذا من خاصية هذه الشجرة حتى ارتك عيناك ما لا حقيقة له دعينى أطلع أنا اليها وأبصر حقيقة ذلك فلما صعد الشجرة دعت عشيقها وأخذ فى العمل فلما رآها الزوج قال لها لو أننى قليل العقل مثلك لكنت أقول ان رجلا قد علاك وهو يفعل كيت وكيت (رجع القول الى قول الشاعر وليس قبح

خالدا وانه يريد قتله ويتزوجها وقام ضرار بن الازور فضرب عنقه وجعل رأسه أنيفة للقدر ووجهه مما يلى النار فنظرته امرأة من قومه وهو على تلك الحال فقالت اصرفوا وجهه مالك عن النار فانه والله كان غضيض الطرف عن المحارات حديد النظر فى الغارات لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام ليلة يخاف ثم بلغ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ما صنع خالد فرض عليه أبا بكر رضى الله عنه وقال انه قتل مسلما وزنى فارجمه ووافقه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال أبو بكر انه تأول فأخطأ وما كنت لاشيم سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى أغمده وما زال عمر حاقدا على خالد بهذه الواقعة حتى عزله عن جيش الاسلام وقال والله لا ولى عاملا فى أيامى وكان متمم بن نويرة منقطعا الى مالك مكفى المؤنة فلما قتل حزن عليه حزنا شديدا ورثاه بقصائد مشهورة وحضر حين بلغه ذلك الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الصبح خلف أبى بكر فلما فرغ من صلاته وانفتل قام متمم فاتكأ على قوسه وهو واقف مع الناس ثم أنشد يقول

المكان البيتين) قال أبو بكر الخالدى

ياهذه ان رحت فى * سمل فما فى ذاك عار
هذى المدام هى الحيا * ة قميصها خزف وقار

وعلى ذكر اللباس فما فى ذكر أبيات أبى الحسين الجزار من ياس وهى

لى نصفية تعدد من العمـ * ـر سنينا غسلتها ألف غسله
لا تسلنى عن مشتراها ففيها * منذ فصلتها نشاء يجمله
نسف الريح صدرها بالارازب فباتت تشكو هواء ونزله
كل يوم تكابد العصر والدق مرارا وما تقر بعمله
قال لى الناس حين أطنبت فيها * بس أكثرت حملها وهى بغله

فى هذه الابيات عدة توريات لا يخفى حسن موقعها من السمع وقال أيضا

أشكر مولانا ونصفيتى * تشكره أكثر من شكرى
أواحها جدواه من كل ما * تشكوه من دق ومن عصر
كم مرة كادت مع الماء اذ * يغسلها غسالها تجرى
تموت فى المأجور لولا النشا * يبعثها فى ساعة النشر

ونقلت من خط السراج الوراق له

هذا وجوخى الزرقاء تحسبها * من نسج داود فى سرد وانقان
قلبتها فغدت اذ ذاك قائلة * سبحان ربى بلا قلبى وأبلانى
ان النفاق لشئ لست أعرفه * فكيف يطلب منى اليوم وجهان
لو أن صاحبنا الجزار أبصرها * على أبصر لبدا فوق جربان

وهذه من أبيات فى الجوخة طويلة عدتها ستة وعشرون بيتا كلها بديعة ولكن اقتصرت منها على هذا القدر خوف التطويل * وعلى ذكر التعرى فما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال

ما عاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد * أصبحت لا فوقى ولا تحتى

وان كان قد أخذه من قول مجير الدين محمد بن تميم حيث قال

اتتنى الحجرة الشهباء تزهو * بحسن جل عن وصفى ونعتى
وأرجو أن رسم الصوم يأتى * ليسعدنى منهما حظى وبختى
فألبسه وأركبها جميعا * فيصبح جودكم فوقى وتحتى

(وقال آخر) ولعله السابق

قالوا غلام القوصى وبغلته * راحا جميعا منه على بغته
قلت لقد برح الزمان به * لم يبق لا فوقه ولا تحته

(ونقلت) من خط السراج الوراق له

يعت خفى فى أرضكم من حراف * حف بى أو أصارنى للتحفى
ثم أتبعته ندامة نفس * أحوجتنى لأكل خفى وكفى

وقال أبو الحسين الجزار

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت
خلف البيوت قتلت يا ابن
الازور
ثم أومأ الى أبى بكر رضى الله
عنه فقال
أدعوته بالله ثم غدرته
لو هو دعاك بذمة لم يغدر
فقال أبو بكر رضى الله عنه
والله ما دعوته ولا غدرته
فأنشد بقية أبياته المشهورة
وانحط على قوسه وكان أعور
فما زال يبكى حتى دمعت
عينه العوراء فقام اليه عمر بن
الخطاب رضى الله عنه
فقال وددت لو رثيت أخى
زيدا فأجابه بما تقدم ثم رثى
زيدا فلم يجد فسئل عن ذلك
فقال والله انه ليحركنى لزيد وسأله عمر
عن حزنه فقال والله انى لا
أنام الليل وما رأيت نارا رفعت
بليل الا ظننت أن نفسى
ستخرج أذكر بها نار أخى انه
كان يأمر بالنار فتوقد حتى
يصبح مخافة أن يبيت ضيفه
قريبا منه فتى رأى النار يأتى
الى الرحل وهو يأتى بالضيف
مجتهدا أسر من القوم يقدم
عليهم القادم من السفر
البعيد فقال عمر رضى الله
عنه أكرم به * وقال له عمر يوما
حدثنا عن أخيك فقال
أسرت مرة فى حى عظيم من
أحياء العرب فاقبل أخى
فما هو الا أن طلع على الحاضر
فما كان أحد قاعدا الا قام

بت وأثوابى كسكتب مزقتها الارضه
فعورتى مكشوفة * وستترتى مقرّضه

وأما معنى الفقر ففيه لابى العلاء المعرى

وان الغنى والفقر فى مذهب الفتى * لسيان بل أغنى من الثروة العدم
وما نلت مالا قط الا ومال بى * ولا درهما الا ودربه الهم

أنشدنى الامام الحافظ أبو حيان قال أنشدنى لنفسه ناصر الدين حسن بن النقيب الفقيسى

وما بين كفى والدراهم عاثر * ولست لها دون الورى بخليل
وما استوطنتها قط يوما وانما * تمر عليها عابرات سبيل

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال أنشدنى لنفسه الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

أهل المراتب فى الدنيا ورفعتها * أهل الفضائل مرذولون عندهم
فالهم من توقى ضرنا نظر * ولالهم فى ترقى قدرنا همم
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم * منازل الوحش فى الاهمال بينهم
فليتنا لو قدرنا أن نعرّفهم * مقدارهم عندنا أو لو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى * وعندنا المتعبان العلم والعدم

(قلت) هذه القطعة ساقطة النظم عن طبقة الشيخ تقى الدين وانما أثبتها طلبا لبركته

(وأنشدنى) لنفسه اجازة الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى رحمه الله

ما الاغنياء الاغبيا حجة * يكفيك أن القوم جهال
رضيت ما يقسمه ربنا * لنا علوم ولهم مال

وأنشدنى جمال الدين أبو بكر محمد بن نباتة قال أنشدنى لنفسه اجازة الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة * وقعت بها فى حيرة وشتات
فان بحت بالشكوى هتكت مروءتى * وان لم أبح بالضر خفت مماتى
فاعظم به من نازل بملمة * يزيل حيائى أو يزيل حياتى

وقول الطغرائى رحمه الله مأخوذ من قول مسلم بن الوليد

وباينت حتى صرت للبين راكبا * قوى العزم فردا مثل ما انفرد النصل

(وما أحسن) قول ابن الساعاتى

اهتز فى هذا الخجول الى العلا * مثل اهتزاز المشرفى القاضب

(وقال) أبو بكر بن اللبانة من قصيدة

حليف نوى لا يستقر وان نوى * اقامة رد الطرف أزعجه الخطب
نحيل معرّى أشعث الفرع صارم * مضى حليه مع غمده ويبى الغرب

(وقال ابن سنا الملك) يرثى جماعة من أبيات

تلك قبور بنيت بعدمى * لم تبن الا بدمى ولحمى
مناظر كما رأيت تعمى * وعشت من بعدهم برغمى

ولا بقيت مرأة حتى تطلعت
من خلال البيوت فانزل
عن جمله حتى تلقوه بى فى ذمتى
فلقى فقال عمر ان هذا لهو
الشرف ثم قال له يوما يا متمم
انك لحزل فكيف كان
منك أخوك فقال كان والله
أخى فى الليلة الباردة ذات
الازيز والصرير يركب الجمل
الثقال ويجنب الفرس
المحرون وفى يده الرمح الثقيل
وعليه الشملة الفلوت وهو
بين المزادتين حتى يصبح
وهو يتبسم * ومن جيد مراثى
متمم له قوله من أبيات

وقالوا أتبكى كل قبر أتيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى
دعونى فهذا كله قبر مالك

ومن جيد شعر مالك قوله

ولقد علمت ولا محالة أننى
للحادثات فهل ترينى أجزع
أفنين عادا ثم آل محرّق
تركتهم بددا وما قد جمعوا
وعددت آبائى الى عرق الثرى
فدعوتهم وعلمت أن لم يسمعوا
ذهبوا فلم أدركهم ودهتهم
غول الليالى والطريق المهيع

وقوله أيضا

وقالوا الى استأسر فانك آمن
فقلت ان استأسرت انى لخائن
علام تركت المشرفى مضاجعى
ومطردا فيه المنايا كوامن
فان تقتلونى بعد ذاك فانى
أموت بعقدار وتبقى الضغائن

كالسيف فى الوحدة لا كالسهم * فى فقـــر صوفى وذل ذمى

* (ولا صديق اليه مشتكى حزنى * ولا أنيس اليه منتهى جذلى) *

(اللغة) الصديق هو الصادق فى المودة والمخالة فالرجل صديق والمرأة صديقة والجمع أصدقاء وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديق قال الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا * باعين أعداء وهن صديق

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه فى قوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

قال هرون الرشيد لو وصفت الدنيا نفسها بشئ لما عدت عن قول أبى نواس اذا امتحن الدنيا لبيب البيت وأخذه أبو الوليد أحمد بن زيدون فقال من قصيدته البائية

أضحت منية دعوى البراءة شأنها * أنت العدو فلم دعيت حبيبا

وأخذه الآخر (فقال)

أحبابه لم تفعلون بقلبه * ماليس يفعله به اعداؤه

(وقال الآخر)

يطالبنى قلبى بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب
ويشتاقكم شوق الذى مسه الظما * وقد منعت ظلما عليه المشارب
اذا رمتم قتلى وأنتم أحبة * اذا فالأعادى واحد والحبائب

(وقال الارجانى)

أأحبابنا كم تجرحون بهجركم * فؤادا بيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتم قتلى وأنتم أحبة * فماذا الذى أخشى اذا كنتم عدا

ولفظة عدو وحبيب وصديق كلها يخبر بها عن الواحد والجمع والمؤنث تقول هم عدو قال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال تعالى فانهم عدو لى وهم صديق وحبيب (مشتكى) مصدر اشتكى (حزنى) الحزن بالتحريك والسكون خلاف السرور وحزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين (أنيس) فعيل من الانس وهو المجالس الذى يوجد منه الانس ويركن اليه ولا يستوحش منه (منتهى) مصدر انتهى الشئ اذا بلغ الغاية قال الله تعالى وأن الى ربك المنتهى وقال ابن دريد * وكل شئ بلغ الحد انتهى * (جذلى) الجذل بالجيم والذال المعجمة ضد الحزن ورأيت بعض الناس كتب ذلك بالدال وصحفه وهو خطأ وانما هو بالذال المعجمة ليقابل الحزن بضده وهو الفرح (الاعراب) فلا صديق الفاء للصاحبة ولا هذه هى التى تنفى الجنس قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك الاصل فى لا النافية أن لا تعمل لانها غير مختصة بالاسماء (قلت) انا القاعدة عند أهل العربية ان الحرف اذا كان مختصا عمل كحروف الجر لما اختصت بالاسماء ومثل كان وأخواتها وان وأخواتها وظن وأخواتها ومثل لم وعوامل الجزم وعوامل النصب فى الافعال مثل أن وبابها لما اختصت بالافعال عملت فيها واذا كان الحرف غير مختص كحروف الاستفهام والنفى والعطف لم يعمل شيئا لاشتراكه فى الدخول على الاسماء والافعال وفى قول الشيخ جمال الدين بن مالك فى الخلاصة

* سواهما الحرف كهل وفى ولم * نكتة لطيفة وهى انه قدم هل لاشتراكها فى الدخول على الاسم

والفعل

(وعروة بن جعفر انما رحل اليك)

هو عروة بن عتبة بن جعفر من بنى عامر بن صعصعة وأهل بيته ينتسبون الى جعفر فيقال الجعفريون ولذلك قال ابن زيدون عروة بن جعفر ولم يقل ابن عتبة وكان يعرف بعروة الرحال لرحلته الى الملوك وكان من ذوى العقل والشهامة وهو من أرداف الملوك وللعرب مبالغة فى وصفه فيزعمون أنه رحل الى معاوية بن الجون الكندى فغزا معاوية ببنى حنظلة قومه من بنى عامر واستصحبه معه فلما كان بواردات قال لمعاوية ان لى حق صحبة ورحلة وأريد أن أنذر قومى من ههنا وبينه وبينهم مسيرة ليلة فعجب معاوية منه فاذن له فصاح ياصباحاه ثلاث مرات فسمعه قومه من الشعب فاستعدوا وبسبب مقتله قامت حرب الفجار وذلك أن النعمان كان يبعث لسوق عكاظ فى كل عام لطيمة فى جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيزها له من أحياء العرب حتى يبيعها هناك ويشترى له بثمنها من أدم الطائف وغيره مما يحتاج اليه وكان سوق عكاظ يقوم فى كل يوم من ذى القعدة الحرام فيتسوقون الى حضور

والفعل ثم ذكر فى لانها تدخل على الاسم ثم ذكرلم لانها تدخل على الفعل اه قال الشيخ بدر الدين وقد أخرجوا من هنا لافا عملوها فى النكرات عمل ليس تارة وعمل ان أخرى فاذا قصد بالنكرة بعدها استغراق الجنس صح فيها أن تحمل على ان فى العمل لانها لتوكيد النفى وان لتوكيد الايجاب فهى ضدها والشئ يحمل على ضده كما يحمل على نظيره لان الوهم ينزل الضدين منزلة النظيرين ولذلك تجد الضد أقرب حضورا فى البال مع الضد قال الشيخ شهاب الدين بن النحاس هذا الذى تقوله النحاة هنا وعندى ان أحسن من هذه العبارة ماقاله شيخنا ابن عمرون وابن الخشاب وهو أن اللائبات كما قيل ولا للنفى والنفى والاثبات طرفان فاشتركا فى الطرفية فحملت لا على ان لاشتراكهما فيما ذكرناه اه (قلت) هذا تعليل حسن لانهما يعودان من باب واحد وهناك يكونان متضادين والحمل على الاشتراك أولى وبعد ففيه نظر يبطله من رأس قال الشيخ بدر الدين فاما اعمالها عمل ان فبشروط بان تكون نافية للجنس واسمها نكرة متصلة سواء كانت موحدة نحو لا غلام رجل ظريف أو مكررة نحو لا حول ولا قوة الا بالله فلو كانت منفصلة وجب الالغاء كقوله تعالى لا فيها غول ويجوز الغاؤها مع الاتصال وذلك اذا كررت شبهوها اذذاك بحالها مع المعرفة نحو لا حول ولا قوة ثم اسم لا اما أن يكون مضافا أو شبيها به أو مفردا وهو ما عداهما فان كان مضافا فانصب نحو لا صاحب برمقوت وكذلك ان كان شبيها بالمضاف وهو ما بعده شئ هو من تمام معناه نحو لا قبيحا فعله محبوب ولا خيرا من زيد فيها ولا ثلاثة وثلاثين لك وأما المفرد فيبنى لتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر ولتضمنه معنى من الجنسية بدليل ظهورها فى قول الشاعر

فقام يذود الناس عنها بسيفه * وقال ألا لا من سبيل الى هند

فيلزم الفتح بلا تنوين ان لم يكن مثنى أو جمع تصحيح وذلك نحو قوله لا بخيل محمود ولا حول ولا قوة الا بالله اه (قلت) ولهم فى اعراب لا حول ولا قوة الا بالله واعراب أشباهه ذلك خمسة أوجه (الاول) فتحهما تقول لا حول ولا قوة مثل لا لغو فيها ولا تأثيم (الثانى) نصب الثانى تقول لا حول ولا قوة مثل * لا نسب اليوم ولا خلة * (الثالث) رفع الثانى تقول لا حول ولا قوة مثل لا أم لى ان كان ذاك ولا أب * (الرابع) رفعهما تقول لا حول ولا قوة مثل لا بيع ولا خلة (الخامس) رفع الاول وفتح الثانى تقول لا حول ولا قوة مثل * فلا لغو ولا تأثيم فيها * وقد اضربت عن التعليل لهذه الاوجه خوفا من التطويل (ذكرت) بلا حول ولا قوة قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

أرى القوة قد حالت * فلا حول ولا قوه
اذا وقع الفتى فى الشيب فهو بذاك فى هوه

(وحكى) لى من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة قال أنشدت فلانا سماه لى وهو بعض مشايخ أهل عصرنا ولم أذكره أنا فانه من العلم بمحل لم يشركه فيه غيره قولى فى مرثية فى ابن له توفى وعمره دون سنة وهو

يا راحلا عنى وكانت به * مخايل للفضل مرجوه
لم تكتمل حولا وأورثنى * ضعفا فلا حول ولا قوه

فأعجباه وكتبهما بخطه وكتب الثانى فلا حول ولا قوة الا بالله فقلت يا مولانا ان كنت أردت الحج ثم يحجون وكانت الاشهر الحرم أربعة أشهر ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وكانت العرب من ذى القعدة يتهيؤن للحج ويأمن بعضهم بعضا فجهز النعمان عير اللطيمة ثم قال من يجيزها فقال البراض بن قيس أنا أجيزها على بنى كنانة فقال النعمان ما أريد الا من يجيزها على أهل نجد وتهامة فقال عروة الرحال وهو يومئذ رحل هوزان أهذا الكلب يجيزها لك أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد وتهامة فقال البراض أعلى بنى كنانة تجيزها يا عروة فقال وعلى الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة فخرج بها وتبعه البراض وكان فاتكا عيارا وعروة لا يحس منه شيأ لانه كان بين ظهرانى قومه من غطفان فنزل بأرض يقال لها أوارة فشرب الخمر وغنته قينة ونام فجاء اليه البراض فدخل عليه وأيقظه فناشده عروة وقال كانت منى زلة فقتله وخرج وهو يرتجز

قد كانت الفعلة منى ضله
هلا على غيرى جعلت الزله

وهرب فضربت العرب المثل بقتلة البراض له وقامت حروب عظيمة بسببه ومن شعر عروة

أتعجب منى أم حسان اذ رأت
نهارا وليلا أبليانى فأسرعا

وقد صار اخوانى كأن عليهم
ثياب المنايا والنغام المنزعا

من أبيات وقد قيل انها لعروة الرحال بالجيم وهو رجل من بنى أسد

(وكليب بن ربيعة انما حمى
المرعى بعزتك وجساسا انما
قتله بأنفتك)

كليب بن ربيعة بن الحرث الوائلى الذى يضرب به المثل فيقال أعز من حمى كليب فانه رئيس الحيين من بكر وتغلب ابنى وائل وقاد معدا كلها يوم خزاز وفض جموع القوم فاجتمعت عليه معد وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته فعبر بذلك حينا ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه بما هو فيه من عزة وانقيادا نقيادا معدله حتى بلغ من بغيه وعتوه انه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وحش كذا وكذا فى جوارى فلا تهاج ولا يورد أحد مع ابله ولا توقد نار مع ناره ولا يحتبى فى مجلسه ولا يتكلم الا باذنه وفى ذلك يقول أخوه بعد قتله

نبئت ان النار بعدك أوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا فى أمر كل عظيمة
لو كنت حاضر أمرهم لم
ينبسوا

وقيل انه كان اذا رعى فذف فيه جروا فيعوى فلا يرعى أحد من ذلك الكلأ ولذلك قيل حمى كليب وائل

بقولك الا بالله البركة فكنت أتممت ذلك بالعلى العظيم وان كان غير ذلك فقد فسد المعنى والوزن على (قلت) وهذان البيتان فى غاية الحسن (رجع القول الى لا التى لنفى الجنس) تقرر ان عملها فى اسمها وانه يبنى معها على الفتح وهنا سؤال وهو ان العامل فى اسمها هو لا وقلتم انه تركب معها وهما بمنزلة الكلمة الواحدة فحينئذ لا جزء منها والجزء لا يعمل فى الجزء الآخر شيأ والجواب نعم الجزء يعمل فى جزئه ألا ترى قولك أعجبنى أن تقوم فان تقوم جملة وقعت موقع المفرد تقديره قيامك وقد عملت أن فى تقوم النصب وأن جزء على هذا التقدير اه وترفع الخبر تقول لا رجل ظريف قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك يجب ذكر خبر لا اذا لم يعلم كقول حاتم

وردجازرهم حرفا مصرمة * ولا كريم من الولدان مصبوح

وان علم التزم حذفه عند بنى تميم والطائيين وأجاز حذفه واثباته الحجازيون ومما جاء محذوفا قوله تعالى قالوا لا ضير ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقدر حذف الاسم وابقاء الخبر كقولهم لا عليك أى لا جناح عليك أو لا باس اه (قلت) ومن حذف الخبر قولك لا اله الا الله فاله اسمها والخبر محذوف قدره النحاة فى الوجود أو لنا هكذا أعربوه وأورد الامام فخر الدين الرازى فى المحرر اشكالا على هذا الاعراب فقال هذا النفى عام مستغرق وتقييده بالوجود تخصيص له ولنا أكثر تخصيصا واذا كان كذلك لم يبق النفى عاما وحينئذ لا يكون هذا القول اقرارا بالوحدانية على الاطلاق والجواب انا لا نسلم أن تقييده بالوجود اذا كان تخصيصا لا يبقى على العموم المراد من النفى لان المراد نفى الآلهة فى الخارج الا الله تعالى على معنى أن نفى وجودها مستلزم لنفى ذاتها حتى كانه قال لا اله يوجد الا الله وعلى هذا يبقى النفى عاما بالمعنى المراد منه (رجع الى اعراب البيت) قوله لا هى هنا النفى الجنس وصديق اسمها وهو مبنى على الفتح معها والخبر محذوف تقديره فيها أى فى بغداد أو تقديره لى وأنا أختار أن يكون صديق ههنا مبنيا على الفتح ورأيت جماعة من الفضلاء كتبوا القصيدة بخطهم ورفعوا صديقا ونونوه وعلى هذا تكون لا بمعنى ليس والفرق بين لا و بين ليس أن ليس تنفى الواحد ولا تنفى الجنس لانك اذا قلت لا رجل فى الدار بالفتح فمعناه ليس فى هذه الدار هذا الجنس فلا يكون فيها واحد ولا اثنان ولا أكثر واذا قلت لا رجل بالضم والتنوين كان معناه نفى الرجل الواحد وقد يكون فيها اثنان وثلاثة وأكثر واذا تقرر هذا فمن رفع كان المعنى أن الطغرائى ما كان له صديق واحد وقد يكون له أكثر وهذا يناقض قوله لانه فى مقام تهويل وتعظيم من أنه منفرد عن الاهل والوطن والاصحاب وكلما كان أبلغ فى الشدة والانفراد كان الكلام أبلغ وأشعر وأكثر أخذا بجامع القلوب فى التوجع له والتعطف عليه اه (اليه) جار ومجرور وسيأتى الكلام على الى وتقسيمها والجار والمجرور فى موضع الخبر المقدم (مشتكى) هذه الصيغة يشترك فيها أربعة أشياء المصدر واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان لان الاربع صيغ لا تختلف فى مثل هذا وهذه الصيغة هنا للمصدر خاصة وهو فى موضع رفع على الابتداء ولم يظهر الاعراب فيه لانه مقصور (حزنى) الحزن مضاف الى الياء وهو ضمير المتكلم فى موضع جر ومشتكى مضاف الى الحزن والجملة من المبتدا والخبر فى موضع نصب على أنها صفة لاسم لا كأن التقدير فلا صديق سامعا شكوى حزنى اليه موجودا والنصف الثانى اعرابه كاعراب الاول (المعنى) ما أجد

صديقا يكون اليه مشتكى حزنى ولا أرى أنيسا يكون اليه منتهى فرحى وهذه حالة تشق على من تلبس بها ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة ماخرج الا وأبو بكر رضى الله عنه معه ليكون له انيسا فى الوحدة ورفيقا فى الغربة يركن اليه فى المشورة ويأنس به اذا خلا وقد علمت ما كان عليه معه فى الغار من الذب عنه وحراسته من الاذى وتلقى الاذى عنه وموسى صلوات الله عليه لما أمره الله تعالى بالرسالة الى فرعون ليدعوه الى الايمان سأل الله تعالى ان يكون أخوه هرون معه قال الله تعالى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه وان أراد شرا كفه عنه وكان أنوشروان يقول لا يستغنى أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم الملوك عن الوزير (قلت) ولو لم يكن فى الوزير والصاحب الا المشورة لكان كافيا قال تعالى فيما أدب به رسوله صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر وما أحسن قول الشاعر

اذا عن أمر فاستشر لك صاحبا * وان كنت ذا رأى تشير على الصحب
فانى رأيت العين تجهل نفسها * وتدرك ما قد حل فى موضع الشهب

وقلت أنا فى المشورة

لا تسع فى امر ولا تعمل به * مالم يزنه لديك عقل ثانى
فالشعر معتدل بوزن عروضه * وكذا اعتدال الشمس بالميزان

(وقال الارجانى)

شاور رسولك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا مادنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآة

(وقال ايضا)

اقرن برأيك رأى غيرك واستشر * فالحق لا يخفى على اثنين
فالمرء مرآة تريه وجهه * ويرى قفاه بجمع مرآتين

قال اصحاب علم المناظر يمكن ان الانسان يرى قفاه بطريق وهو ان يجعل مرآة بين يديه ومرآة خلفه تقابلها بحيث ان تكون احداهما كبرى لو كان فيها انسان رأى الصغيرة واما الصغيرتان اللتان تحجب كل منهما الاخرى فلا يتأتى معهما مطلوب فاذا نظر الى التى بين يديه اتصل شعاع بصره بها ثم انعكس طالبا الجهة التى جاء منها لان المرآة فى المقابلة فتتصل بالوجه وبما وراءه فيجد وراءه مرآة أخرى فينطبع فيها ما انطبع فى الاولى لان الصورة تجرى فى الشعاع كما تقدم فينطبع فيها وجهه فيكون له وجهان أحدهما فى التى هى أمام والآخر فى التى هى وراء يجد شعاع هذه المرآة التى فى وجهه خلف لانها صقيلة لا يمكنه الثبوت عليها فيرجع الى الجهة التى تقابله فيجد القفا فيتعلق به كما يتعلق بالوجه من التى هى امامه فيؤول الامر الى ان طرف الشعاع متصل بقفاه فتجرى صورته فى الشعاع حتى ينطبع فى المرآة التى هى وراءه وتؤدى المرآة التى فيها الى التى تقابلها فينطبع القفا فى التى هى امامه فيرى لنفسه وجهين ويرى قفاه (رجع القول) الى طلب الصاحب وهذا امر مقصود عند العقلاء لانه لا بد من خل تسكن اليه فتشكو اليه حزنك وتنتصر به على من ظلمك وتتخذه عونا على ما أربك وتتوصل

بعنون الكلب ويضيفونه
الى وائل وهو اسم الملك ثم
غلب هذا القول حتى ظنوه
اسمه ومر يوما بمرعى فيه حمرة
وهى طائر صغير وقيل قبرة
وقد باضت فلما رأته صرصرت
وخفقت بجناحيها فقال أمن
روعك أنت فى ذمتى ثم أنشد
يالك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى
فاجسر صاحب بعير يدخل
ذلك المرعى * وأما جساس
فهو ابن مرة بن ذهل كانت
أخته تحت كليب وكان
بنو جشم وشيبان فى دار
واحدة قبيلتى كليب وجساس
وكانت لجساس خالة من بنى
سعد تسمى البسوس
جاورت بنى مرة فنزلت على
ابن أختها جساس ومعها ابن
لها ولها ناقة خوارة من
نعم بنى سعد ولها فصيل
فندت الناقة ذات يوم فدخلت
فى ابل كليب ترعى فى حماه
فنظر اليها فانكرها فرماها
بسهم فى ضرعها فولت حتى
بركت بفناء صاحبتها
وضرعها يشخب دما ولبنا
فلما نظرت اليها برزت
صارخة ويداها على رأسها
وهى تصيح واذلاه فلما سمع
جساس قولها سكتها وقال
والله ليقتلن غدا جمل هو
أعظم قدرا من ناقتك يعنى
كليبا ثم انتجع الحى فروا

به الى ماشق عليك بلوغه بمفردك كان الكندى يقول الصديق انسان هو أنت الا أنه غيرك وكان يقول الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليه حينا دون حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا قيل لعبد الحميد الكاتب أيما أحب اليك أخوك أم صديقك قال انما أحب أخى اذا كان صديقى وفى المثل رب أخ لم تلده أمك (وقال) أكثم بن صيفى القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة (ومما) أنشده الوزير عون الدين بن هبيرة من شعر أمير المؤمنين المستنجد بالله

كن عدوا مبرزا صفحته * أو فسالمنى اذا لم تك قرنى
فى اشتباه الناس وبينهم * ومساواة اليها سوء ضغن
كم عدو لى من ظهر أبى * وصديق أمه ما ولدتنى

(قلت) الاول من قول القائل

فاما أن تكون أخى بصدق * فأعرف منك غثى من سمينى
والا فاطرحنى واتخذنى * عدوا أتقيك وتتقينى

(وقال بعضهم)

أخ لا يذقنى الله فقدان مثله * وأين له مثل وأين المقارب
تجاوزت القربى المودة بيننا * فأصبح أدنى ما تعد المناسب

(وما أحسن) قول من قال

كانت مودة سلمان له رحما * ولم يكن بين نوح وابنه رحم

(وقال) بعض الحكماء ينبغى للعاقل أن يتخذ صديقا ينبهه على عيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه (رأيت) فى بعض المجاميع الأدبية ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضى الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل القاضى الفاضل الى دار العماد وجد أشياء أنكرها فى نفسه مثل آثار مجلس أنس وطيبه ورائحة خمر وآلات طرب (فأنشده)

ما ناصحتك خبايا الود من رجل * ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتى فيك تأبى أن تسامحنى * بأن أراك على شئ من الزلل

فلما قام من عنده خرج العماد عن كل ما كان فيه ولم يعد الى ذلك البتة (قلت) واقل الاصدقاء حالة من تشكو اليه ولم يكن عنده غير سماع الشكوى والاصغاء اليها الان سماع الشكوى وبثها فيه تخفيف عن المكروب والنفس تستروح اليه ولهذا قال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

لان المشكو اليه اما أن يواسيك فى همك وهذه الرتبة العليا وهو الصديق الكريم ذو المروءة واما أن يسليك وهى الرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم المهذب ذو التجارب الذى حلب أشطر الدهر واما أن يتوجع وهذه الرتبة السفلى وهو الصديق العاجز فان خلا الصديق من احدى هذه الرتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده (قال الشاعر)

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو دين فترجوك للدين
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملنا مثالا مثل شخصك من طين

(قلت)

على نهر يقال له شبيب فنهاهم كليب عنه وقال لا تردن منه قطرة ثم مروا على نهر آخر يقال له الاخص فنهاهم عنه فضواحتى أتوا الذنائب ونزلوا فرجاس بكليب وهو واقف على غدير الذنائب منفردا فقال طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا فقال كليب ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون فقال له جساس هذا كفعلك بناقة خالتى فقال وقد ذكرتها أما انى لو وجدتها فى غير ابلى مرة أخرى لاستحللت تلك الابل فعطف عليه جساس بفرسه فطعنه بالرمح فأرداه ووجد الموت فقال يا جساس اسقنى فقال هيهات تجاوزت الاخص وشبيبا ثم عطف المزدلف فاجهز عليه ثم ان جساسا لما فرغ من قتل كليب أمال يده بالفرس حتى انتهى الى أهله فقالت أخته لابيها ان لجساس شأنا قد جاءنا خار جارك بتيه ٣ قال والله ما خرجت ركبتاه الا لامر عظيم يعنى انه كان بركبتيه وضح لا يظهره فلما جاء قال ما وراءك يا بنى قال ورائى

٣ قوله خار جار كبتيه هكذا فى النسخ ولعل الصواب خار جا ركبتاه بدليل ما بعده فليتأمل ويحرر اهـ من هامش الاصل

(قلت) لو كان لى فى هذين البيتين حكم لهدمت القافية وقلت

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو جود فترجوك للقرى

ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملنا مثالا مثل شخصك من خزا

فانى لا أرى أن أضيع الطين فى تمثاله وما أحلى قول الغزى يهجو رجلا اسمه أبو طالب

ابليس قام عمل من الخزا قالب * ثم انفسد جا منو أبو طالب

(قلت) ما ألطف هذا وأظرفه اذ جعل ابليس الصانع أخزاه الله تعالى والمادة والصورة مع ما فى قوله ثم انفسد من التكميل * ثلاثة كلها تجرى على نسق * ومن شواهد العربية قول الشاعر

اذا كنت لم تنفع فضر فانما * يرجى الفتى كيما يضر وينفع

كفت ما كى عن عمل النصب ومن هنا اختلس المعنى محمد بن شرف القيروانى فقال

أعنى باطماع كذوب على النوى * اذا لم تقاتل يا جبان فشجع

(رجع القول الى قوله ولا بد من شكوى البيت) رأيت بخط السراج الوراق رحمه الله تعالى بيتا قد زاده على هذا البيت وجعله ثانيا له حيث قال

وان كان من وصف المروءة خاليا * يرائيك أو يبكيك أو ليس يسمع

(قلت) ليس فى هذا زيادة لانه اذا رآه فقد واساه فى الظاهر واذا بكاه فقد توجع واذا لم يسمع فلا حاجة اليه وقد توهم انه أتى بزيادة على الاول وما زاد شيئا نعم أكد ما قاله الاول وأتى بذلك المعنى من غير زيادة ولكن غير الالفاظ فان الرياء من المواساة والبكاء من التوجع وعدم السماع من عدم المروءة فهو هو مع نقص فيه وما أحلى قول القائل

كأننا والماء من حولنا * قوم جلوس حولهم ماء

(وقال ابن خاقان فى الحمام)

لله قوم بحمام نعمت بها * والماء من حوضها ما بيننا جارى

كانه فوق شفات الرخام ضحى * أوائل الماء فى أثواب قصار

(وقال ابن الرومى)

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء

أقام يجهد أياما قريحته * وفسر الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه شهاب الدين الحاجبى بالقاهرة من أهل العصر

اقول شبه لنا جسم الرشا ترفا * يا مدعى الفضل فى وصف وانشاء

فراح يفكر فيما قلته زمنا * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

وقول الشاعر ولا بد من شكوى هذا البيت وأمثاله يسميه أرباب البديع صحة التقسيم وأوردوا فيه قول البحترى

قف مشوقا او مسعدا أو حزينا * أو معينا أو عاذرا أو عذولا

قال ابن الاثير الجزرى فى المثل السائر هذا من فساد التقسيم فان المشوق قد يكون حزينا والمسعد قد يكون معينا وكذلك قد يكون المسعد عاذرا (قلت) فيما ادعاه ابن الاثير نظر اذ ليس كل مشوق حزينا لان المحزون قد يكون غير مشتاق لانه قد يكون الحبيب عنده غير

أنى طعنت طعنة لتشتغلان
بها شيوخ وائل زمنا قال
أقتلت كليبا قال نعم قال وددت
أنك واخوتك متم قبل هذا
ما بى الا أن تسأمنى أبناء وائل
ثم نظر جساس الى أخته
نضلة فقال
وانى قد جنيت عليك حربا
تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة منى ما يصح منها
فتى شبت لآخر غير صاحى
فأجابته نضلة تطيب نفسه
وان تك قد جنيت على حربا
فلا واه ولا رث السلاح
ثم هرب جساس ووقعت بين
الحيين حرب البسوس المشهورة
قيل أقامت أربعين سنة
* واختلف فى قتل جساس
فقيل ان أبا النويرة قتله هاربا
على طريق الشام بعد حين
وقيل ان ابن أخته هجرس
ابن كليب كان عند أمه وأخواله
بعد الفتن فلما بلغ مبلغ الرجال
وعرف أن خاله جساسا قاتل
أبيه ركب فرسه وأخذ رمحه
وأتى نادى قومه وجساس
خاله فى النادى مع جماعة
فقال ورمحى ونصليه وسيفى
وزريه وفرسى وأذنيه لا يترك
الرجل قاتل أبيه وهو ينظر
اليه ثم طعن جساسا فقتله
ولحق بعمومته
(ومهلهلا انما طلب ثاره بهمتك)
هو مهلهل بن ربيعة بن الحرث
أخو كليب المقدم ذكره واسمه
عدى ولقب مهلهلا بقوله

غائب عن عيانه ولكنه معرض عنه غير ملتفت اليه فهنا الحزن موجود من غير شوق ولا يرد هنا قول القائل

× وكدت وهو ضجيعي أن أقول له * من شدة الشوق قد أبعدت فاقترب ×

فان هذا من المبالغة فى الحب الذى لا يشفيه قرب ولا يبل غليله دنو وأبلغ من هذا قول الآخر وهو فى غاية الرقة

سريت اليه والظلام كانه * صريع كرى والنجم فى الافق شاهد

فلو أن روحى ما زجت ثم روحه * لقلت ادن منى أيها المتباعد

ومن هذه المادة قول ابن سنا الملك

× لو جدت لى بالنفس منك لقلت من * شره المحبة انه لبخيل ×

والكل من ابن الرومى أخذوا ومن أغراضه نفذوا فانه قال فاطاب وان أطال

أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانى

× وألثم فاه كى تزول حرارتى * فيشتد ما ألقى من الهيمان ×

ولم يك مقدار الذى بى من الجوى * ليشفيه ما ترشف الشفتان

كأن فؤادى ليس يشفى غليله * سوى أن يرى الروحين يمتزجان

(رجع) ولا كل مسعد عاذرا فان الانسان قد يساعد صاحب البلية وهو غير عاذر له وانما يفعل ذلك رحمة وشفقة ورقة فبطل ما اعترض به ابن الاثير على البحترى الفحل واما صحة التقسيم فيحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما لما سمع قول زهير

× فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء ×

قال لو أدركت زهيرا لوليته القضاء ومن أبيات هذا النوع المسمى بصحة التقسيم قول أبى الطيب

للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

(وما أحسن) قول أبى الحسين الجزار

وزير ما تقلد قط وزرا * ولا داناه فى مشوى أثام

وجل فعاله صادات بر * صلات أو صلاة أو صيام

(وقال) شيخ الشيوخ بحماة شرف الدين عبد العزيز رحمه الله

لنا ملك واجد ما اشتهى * ولكنه لم يجد مثله

ملاذى به ومشولى لديه * ميلى اليه ومدحى له

(وقال الآخر)

كتبت وشينات حالى غلبن * الى سيد جل عن مشبه

فشوقى اليه وشكرى له * وشعرى فيه وشغلى به

(وكتبت أنا) الى بعض الاصحاب

كتبت لمولى نأت داره * وسينات حالى وقف لديه

× فسعيى اليه سموى به * سؤالى عنه سلامى عليه ×

(وقلت أيضا)

لما توغل فى الكراع هجينهم
هلهلت أثأر مالكا أو صنبلا
يعنى قاربت وقيل لقب
مهلهل لانه أول من هلهل
نسج الشعر أى أرقه وهو
أول من قصد القصائد وقال
فيها الغزل وغنى بالتشبيب
من شعره وهو خال امرئ
القيس بن حجر ومنه ورث
اجادة الشعر وكان أيضا
كثير المحادثة للنساء حتى
كان أخوه كليب يسميه زير
النساء ولذلك يقول بعد
قتل كليب وطلب ثاره
فلونبش المقابر عن كليب
ليعلم بالذنائب أى زير
وكان من خبره فى هذه
الواقعة وطلب الثار والثار
بالثاء المثلثة طلب الدم
وأصله الهمز أن جساسا لما
قتل كليبا وفر هاربا كان
همام بن مرة أخو جساس
ينادم مهلهل بن ربيعة أخا
كليب وكان قد صادقه
وآخاه وعاهده أن لا يكتم
عنه شيأ فجاءت اليه أمه
فاسرت اليه قتل جساس
كليبا فقال له مهلهل ما قالت
لك فلم يخبره فذكره العهد
فقال أخبرت ان أخى قتل
أخاك فقال لست أخيك
أضيق من ذلك فسكت
همام وأقبلا على شرابهما
فجعل مهلهل يشرب شرب
الآمن وهمام يشرب شرب
الخائف فلم تلبث الخمرة أن

كتبت ودالات حالى كما * تراها الى سيدلم أخنه
دعائى ودمعى ودأبى دوائى * له وعليه وفيه ومنه

(وقلت فى المجون)

ملكت غلاما جميعى له * وخذ خبرى فيه أخبرك عنه
فدبى عليه ودأبى له * ودخلى فيه وخرجى منه

(رجع) الى قوله ولابد من شكوى البيت والعاقل من كتم أمره ولم يشك الى أحد عملا بقول القائل

لاتظهرن لعاذر أوعاذل * حالىك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الأعداء

فقد يكون بعض الاصحاب مثل ما قال الارجانى

أعيالك اسعافى فصرت معنفى * ليت الذى عدم الجميل تحملا
مالى شكوت اليك نار جوانحى * لتكون مطفئها فكنت المشعلا

(وقال) أبو بكر عبادة بن ماء السماء الأندلسى

لاتشكون اذا عثرت * ت الى خليط سوء حالك
فيريك ألوانا من الاذلال لم تخطر ببالك

والعلم المشهور فى هذا قول أبى الطيب

لاتشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وأما الانفراد فنقلت من خط السراج الوراق له

أفردتنى الايام عن كل خل * وأنيس وصاحب وصديق
فلوانى مشيت فى شهر آب * لأبى الظل ان يكون رفيقى

(ونقلت) من خطه له أيضا

أفردتنى الايام عن كل خدن * وأنيس وصاحب وخليل
فترانى فى شمس آب ولا ظل لشخصى مع الضحى والاصيل

(وقلت) أنا فى الوحدة

لزمت بيتى كلزوم البنا * فى الفعل والحرف على الاصل
واستوحشت نفسى حتى لقد * نفرت لو أمكن من ظلى

(وقلت أيضا)

وجدت فى عشرة صحبى أذى * لما لزمت البيت فى الوقت زال
ياعجبا من أشعرى غدا * يحمد رأى الناس فى الاعتزال

(وقلت أيضا)

كففت عن الانام فمى وكفى * كأنى بت فى خرس ورعشه
وكنت متيما فى كل شخص * فعندى من خيالى اليوم وحشه

(رجع القول) الى بيت الطغرائى لعمرى اذا كان الانسان فى بلد بهذه المثابة لا المثوبة فحقه أن يفارقها ولهذا قال أبو الطيب

صرعت مهلهل فانسل همام وأتى قومه وقد قوضوا الخيم وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا فرحل معهم فظهر أمر قتل كليب وأفاق مهلهل فصحح الخبر واجتمعت اليه وجوه قومه فقالوا لاتحملوا على قومكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من أشرافهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا اختر منا خصالا اما ان تدفع الينا جساسا فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله واما أن تدفع الينا هماما فنقتله واما ان تقيدنا من نفسك فسكت وقد حضرته وجوه بكر فقالوا تكلم غير مخذول فقال أما جساس فانه غلام حدث السن ركب رأسه فهرب حين خاف ولا علم لى به وأما أخوه همام فأخو عشرة وأبو عشرة ولو دفعته لكم ليصيح بنوه فى وجهى وقالوا دفعت أبانا ليقتل عن ثأر غيره وأما أنا فلا أتحمل الموت وهل ترتد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم فى غير ذلك هؤلاء بنى عمكم فخذوا أحدهم فشدوا نسعه فى رقبته فاقتلوه وان شئتم فلكم ألف ناقة ففضبوا وقالوا انا لم نأتك لتبذل لنا بنيك أو لتسومنا اللبن فتفرقوا

فقام مهلهل وشمر للحرب وبدا القتل واستمر بين الفريقين الى أن كان يوم واردات وقد عظم القتل فى بكر فاجتمعوا الى الحرث بن عباد بن مالك وكان قد اعتزل الحرب وقال لا ناقة لى فيها ولا جمل فذهبت مثلا فقالوا له قد فنى قومك فأرسل ابنه بجيرا وقيل ابن أخته الى مهلهل وقال له قل له أبو بجير يقرؤك السلام ويقول لك قد علمت أنى قد اعتزلت قومى لانهم ظلموك وخليتك واياهم وقد أدركت ثارك وقتلت قومك فأتى بجير مهلهلا وهو فى قومه فقال له خالى يقرؤك السلام فقال له من خالك يا غلام ونزا نحوه بالرمح فقال له امرؤ القيس ابن أبان التغلبى مهلا يا مهلهل فان أهل بيت هذا قد اعتزلوا حربنا ووالله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل عن خاله فلم يلتفت مهلهل الى قوله وشد عليه فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فقال الغلام ان رضيت بهذا بنو تغلب رضيت فلما بلغ الحرث بن عباد قتله قال نعم الغلام أصلح بين ابنى وائل وباء بكليب فلما سمعوا قول الحرث قالوا ان مهلهلا قال له بؤ بشسع نعل كليب فغضب الحرث ونهض للقتال واستمرت الحروب بين الحيين دهرا

شر البلاد بلادا لا أنيس بها * وشر ما يكسب الانسان ما يضم

وأين هذه البلدة التى وصفها الطغرائى من البلدة التى وصفها الحريرى فى قوله

وجدت بها ما يملأ العين قرة * ويسلى عن الاوطان كل غريب

وأين هؤلاء القوم الذين عاصرهم الطغرائى وعاشرهم من آل المهلب الذين وصفهم الشاعر (فقال)

نزلت على آل المهلب شاتيا * غريبا عن الاوطان فى زمن المحل
فما زال بى احسانهم وجميلهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلى

وزاد عليه القاضى الرشيد بن الزبير فقال

ولما نزلنا فى ظلال بيوتهم * أمنا ونلنا الخصب فى زمن المحل
ولو لم يزد احسانهم وجميلهم * على البر من أهلى حسبتهم أهلى

*(طال اغترابى حتى حن راحلتى * ورحلها وقرى العسالة الذبل)*

(اللغة) الاغتراب افتعال من الغربة تغرب واغترب بمعنى فهو غريب ومغترب وغرب بضم الغين والراء أيضا والجمع غرباء والغرباء الاباعد واغترب اذا تزوج غير أقاربه وفى الحديث اغتربوا لا تضووا معناه تزوجوا الاباعد دون الاقارب لئلا يحصل الحياء من القرابة فيجىء الولد ضئيلا نحيفا لعدم التمكن من الزوجة (حن) حنين الناقة صوتها فى نزاعها الى ولدها والحنين من الآدمى الشوق (راحلتى) الراحلة الناقة التى تصلح لان ترحل أى يوضع عليها الرحل (ورحلها) الرحل رحل البعير وهو أصغر من القتب والجمع رحال وثلاثة أرحل (وقرى) القارية من السنان أعلاه (العسالة) الرماح واحدها عسال وعسل الرمح اهتز واضطرب وعسل الذئب يعسل عسلا وعسلانا اذا أعنق وأسرع وكذلك الانسان وفى الحديث عليك بالعسل أى عليك بسرعة المشى (وما أحلى) قول القائل فى رمح

عجبت منه الى المران نسبته * جنسا وينعت فى الهيجا بعسال

(الذبل) جمع ذابل وهو من صفات الرمح كانه يصف الرماح بالخفة والدقة وقد عيب على أبى الطيب فى قوله

ان ترينى أدمت بعد بياضى * فخميد من القناة الذبول

قالوا ما الآخر منطبق على الاول وكان ينبغى أن يقول فخميد من القناة السمرة لان الادمة هى الحمرة بسوادوهو يقول ان ترينى حصل لى أدمة من الاسفار لمقابلة الشمس بعد بياضى فان الواجب أن يقول فخميد من القناة السمرة وهو ايراد متوجه وقد أجاب ابن جنى عنه بأشياء طول فيها وليست بطائلة (قلت) ويمكن أن يجاب عنه بأن الذبول يعطى السمرة لان الانسان اذا هزل اسمر واذا سمن ابيض (الاعراب) طال فعل ماض اغترابى فاعله ولم يظهر الرفع لانه مضاف الى الياء التى هى ضمير المتكلم فالرفع بضمة مقدرة على الياء الموحدة (حتى) أما حتى فقال الشيخ بدر الدين بن مالك دلالة حتى والى على انتهاء الغاية كثير بخلاف اللام الا أن الى أمكن فى ذلك وما أطال الكلام فى حتى فعدلت الى كلام غيره قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس اعلم ان حتى فى الكلام على أربعة اضرب تكون لانتهاء الغاية فتجر الاسماء على معنى الى وتكون عاطفة كالواو ويبتدأ بعدها الكلام وتضمر بعدها أن

فتنصب

فتنصب أما ان كانت عاطفة فشرطها أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو أكلت السمكة حتى رأسها أو يكون فيه معنى التعظيم كقولك مات الناس حتى الانبياء أو التحقير كاجترأ على السفلة حتى الزبالون (قلت) ينبغي ان يزاد هنا أو التعجب ليدخل فيه مثل قول أبي الطيب

ويا قلب حتى أنت ممن أفارق (رجع) الى كلام بهاء الدين قال وان كانت جارة فلا بد أيضا أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو أكلت السمكة حتى رأسها أو ملأ في آخر جزء كنمت البارحة حتى الصباح وان كانت حرف ابتداء بمعنى انه تقع بعدها الجمل الاسمية أو الفعلية كما تقع في ابتداء الكلام نحو قول الشاعر

سريت بهم حتى تكل مطيهم * وحتى الجياد ما يقدن بارسان

فلا بد أن يكون ما بعدها داخلا في حكم ما قبلها في جميع الاحوال الا ان دلت قرينة على خروجه نحو صمت الايام حتى يوم الفطر (قلت) حملت حتى على الواو لان الاصل في حتى أن تكون غائية واذا كانت غائية كان ما بعدها داخلا فيما قبلها تقول جاء القوم حتى زيد فزيد داخل في الذين جاؤا وهذا معنى الواو تقول جاء القوم وزيد لكنها تفارق الواو في أن الواو لا يجب أن يكون ما بعدها من جنس ما قبلها الان حتى للغاية والدلالة على آخر طرف الشيء فلا يتصور في طرف الشيء أن يكون من غيره فلو قلت جاء الرجال حتى النساء لكان النساء غاية للرجال وهو محال (مسئلة) تقول أكلت السمكة حتى رأسها برفع السين ونصبها وجرها فالرفع على ان تجعل حتى حرف ابتداء والخبر محذوف دل عليه أكلت تقديره ورأسها مأكول والنصب على أن تكون حتى عاطفة فالرأس مأكول أيضا وذكر محقارته والجر على ان حتى جارة فالرأس غير مأكول ومثله قول الشاعر

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

كان الفراء يقول أموت وفي قلبي من حتى لانها ترفع وتنصب وتجر (رجع) الى اعراب البيت حتى هنا بمعنى الى فهي هنا دخلت على جملة فعلية (حتّ) فعل ماض أصله حنن فاجتمع مثلان سكن أحدهما وأدغم في الآخر وحذف تاء التانيث ضرورة كما قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

كان ينبغي أن يقول أبقلت لان الارض مؤنثة ولكن اضطره الوزن الى ذلك فعني بالارض المكان وهو مذكر وكذلك الطغرائي عنى بالراحلة الجمل وهو مذكر (راحلتي) فاعل حتّ والضمة مقدرة على التاء لاتصالها بضمير المتكلم والياء في موضع جر على الاضافة (ورحلها) الواو حرف عطف وقد تقدم الكلام على الواو وتقسيمها في أول القصيدة رحلها معطوف على راحلتي ولهذا ضمت اللام والهاء والالف ضمير يعود على الراحلة وهو في موضع جر بالاضافة (وقري) الواو عاطفة قري معطوف على ما قبله فهو مرفوع ولكن لم يظهر الرفع لانه مقصور وسمي مقصورا لانه محبوس عن الحركات الثلاث (العسالة) مجرور على اضافته الى قري (الذبل) مجرور على أنه صفة للمجرور وهو العسالة والصفة لها شروط وهي أن يكون فيها أربعة من عشرة وهي الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتانيث والتعريف والتنكير والرفع والنصب والجر فالذبل فيها أربعة من هذه العشرة وهي الجمع لانه جمع ذابل والتعريف والتانيث والجر وانما قلنا التانيث لانه جمع وكل جمع مؤنث وما أحلى قول

طويلا وفني معظمهم وقتل همام وغيره الى أن قام في الصلح الحرث بن عوف المري كما سيأتي عند قوله وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك وآل أمر مهلهل الى أن رحل الى أخواله من بني يشكر فريدا وحيدا وأقام بين أظهرهم الى أن مات وقيل قتل وكان سبب قتله كما ذكر ابن الكلبي انه أسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملا منه وخرج بهما يريد سفرا فاناخا به في بعض الفلوات وعزما على قتله فلما عرف ذلك كتب بسكين على رحل ناقته هذا البيت وقيل في بعض الروايات انه أوصاهما أن يقولا لولديه

من مبلغ الحيين أن مهلهلا
لله درك ما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا الى قومه فقالا مات وأنشداهما قوله ففكر بعض ولده وقال ان مهلهلا لا يقول هذا الشعر الذي لا معنى له وانما أراد أن يقول

من مبلغ الحيين أن مهلهلا
أمسى قتيلا في الفلاة مجندلا
لله درك ما ودر أبيكما
لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا العبدين فأقرا بقتله فقتلا به وشعر مهلهل من أعلى طبقات المتقدمين ومن ذلك قوله

بكره قلوبنا يا آل بكر
تغاديكم بمرهفة النصال
لها لون من الهامات جون
وان كانت تفادى بالصقال
ونبكى حين نذكركم عليكم
ونقتلكم كأنا لا نبالى

وهذه الابيات هى أصل ما اعتمدت عليه الشعراء فى هذا المعنى وأميرهم البحترى فى قصيدته العينية * ومن ذلك قوله أعنى مهلهلا

X أليلتنا بذى حشم أنيرى
اذا أنت انقضيت فلا تحورى
فان يك بالذنائب طال ليلى
فقد أبكى من الليل القصير
وأنقذنى بياض الصبح منها
لقد أنقذت من شر كثير
كأن كواكب الجوزاء عود
معطفة على ربع كسير
كأن الفرقدين يدا بغيض
ألح على افاضته قيرى
فلو نبش المقابر عن كليب
لخبر بالذنائب أى زير
وانى قد تركت بوادرات
بجير فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بنى عباد
وبعض الغشم أشفى للصدور
على أن ليس عدلا من كليب
اذا ماضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب
اذا برزت مخبأة الخدور

ومنها بعد أن كرر قوله على أن ليس عدلا من كليب فى أبيات كثيرة على عادة العرب فى تكرار القول فى الامور العظيمة وتقريرها وبهذه

القائل

قلت لما تجمعوا * وبقتلى تحدثوا
لا أبالى بجمعهم * كل جمع مؤنث

وحن فعل يتعدى الى المفعول بحرف الجر تقول حننت الى كذا وانما حذف هنا النوع من البلاغة يعرفه أرباب المعانى لانه لو قال حن راحلتى الى الفها وذكر المفعول وقفت نفس السامع عند الغاية المذكورة ولما حذف ذلك تشعبت الظنون وتفرقت فى كل وجهة وظن بكل ما يوجد الحنين اليه وهذا مما يعطف عليه القلوب ويزيد فى توجعها له (المعنى) طال اغترابى وامتد سفرى الى ان حننت راحلتى وحن رحلها وحننت أعالى رماحى الى الدعة والسكون والاستقرار بدلا من الاضطراب والحركة والتنقل وقد حثت السنة على العود الى الوطن ووصفت الاسفار بالمشقة قال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب فاذا قضى أحدكم نهمته فليعجل الرجوع الى أهله قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر زاد بعضهم فى هذا الحديث السفر قطعة من العذاب فاقطعوه بالدلجة ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهما موت الغريب شهادة (أقول) هذا مما يؤكد مشقة الغربة لان النبى صلى الله عليه وسلم أدخله فى مشقة الشهداء كالقتيل فى سبيل الله عز وجل والمبطون والمطعون والغريق والميت عشقا والميتة فى الطلق والمراد بتسمية هؤلاء المذكورين خلا المقتول فى سبيل الله ان لكل منهم أجر شهيد وليس يجرى عليه أحكام الشهيد فى أنه لا يغسل ولا يصلى عليه وانما هذا فى حق من مات بقتال من الكفار قبل انقضاء الحرب سواء قتله كافر أم أصابه سلاح مسلم خطأ أو عاد اليه سلاحه أو سقط عن فرسه متقطرا أو رمحته دابة فمات أو وجد قتيلا عند انكشاف الحرب ولم يعلم سبب موته سواء كان عليه أثر دم أم لا وسواء كان جنبا أم لا أما اذا مات حتف أنفه أو باغتيال أو بقتال الكفرة بعده أو البغاة فقولان فى مذهب الشافعى فان جرح فى الحرب وبقيت فيه بعد انقضاء الحرب حياة مستقرة فقولان أظهرهما أنه ليس بشهيد وقيل ان مات عن قريب فقولان وان بقى أياما فليس بشهيد قطعا أما اذا انقضت الحرب وليس فيه الا حركة مذبوح فشهيد بلا خلاف وان انقضت وهو متوقع البقاء فليس بشهيد وحكمه أن لا يغسل لقوله صلى الله عليه وسلم زملوهم فى ثيابهم الحديث ولا يصلى عليه لانه مقطوع له بالجنة والصلاة انما هى شفاعة بالدعاء من المؤمنين له بالمغفرة ودخول الجنة ولقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية وفيه نظر لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم مقطوع لهم بالجنة وقد صلى على النبى صلى الله عليه وسلم وصلى هو صلى الله عليه وسلم على حمزة عمه رضى الله عنه يوم أحد سبعين مرة كلما قدموا ميتا صلى عليه معه (وما أحسن) قول ابن عنين فى موسوس

وبارد النية عاينته * يكرر الرعدة والهزه
مكبرا سبعين فى مرة * كأنما صلى على حمزه

وبه قالت الحنفية مستشهدين بالصلاة على حمزة وخالفوا الشافعية فى الصغير الذى يقتل فى المعركة فقالوا يغسل لانه لم يجب عليه فرض القتال وخالفوهم أيضا فى الصلاة على الباغى المقتول فقالوا بمنع الصلاة عليه لان عليا رضى الله عنه أوجب محاربتهم والصحيح الذى قاله

الاشاعرة ان القاتل والمقتول فى حرب على كرم الله وجهه ومعاوية من أهل الجنة لان كلا منهم اجتهد ولكن أصحاب على رضى الله عنه أصابوا وأصحاب معاوية أخطؤا وخالفوهم أيضا فى غسل الجنب الشهيد قائلين ان القتال لا يزيل الجنابة وقال الشافعية انما الغسل لاداء الفرائض ولا فرض فالشهيد بالشروط المذكورة هو أعلى رتب الشهادة وبعض الفقهاء اشترط فى الميت عشقا الكتمان والعفاف لقوله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد ورأيت الشيخ النووى فى الروضة قد أطلق ولم يشترط شيأ بل قال والميت عشقا والميتة طلقا وهذا عجيب منه كيف تساهل فى هذا الموضع وما هى طريقته وقد جزم بتحريم النظر الى الامرد بشهوة وغير شهوة وما أظن للفقهاء دليلا فى أن الميت عشقا شهيد غير حديث من عشق فعف وقد رواه الدارمى فى جزئه وفى طريقه سويد بن سعيد الحدثانى وهو من شيوخ مسلم الا أن يحيى بن معين ضعفه وقال فيه كلاما معناه لو ملكت فرسا ورمحا لقاتلته بسبب هذا الحديث قال شيخنا شمس الدين الذهبى هذا الرجل ممن لم يتورع ابن معين فى تضعيفه اه (قلت) جاء انه قال فيه حلال الدم وقد روى عن سويد المذكور مسلم وابن ماجه وتوفى فى حدود الاربعين والمائتين وقد روى هذا الحديث أيضا الدارقطنى عن المنجنيقى فتابع سويدا ورأيت بعضهم يقول انما سمى نور الدين الشهيد شهيدا لانه أحب مملوكا وعف عنه فاكمده الحب فقتله وهذا ليس بشئ فى سبب موته فانه مات بعلة الخوانيق وأشار عليه الاطباء بالفصد فامتنع وكان مهيبا فحار وجمع فمات بقلعة دمشق فان كان مقصده بتركه الفصد العمل بقول النبى صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقد تصدق عليه هذه التسمية وما أظنها الا غلبت عليه كقول الناس فى سلاطينهم فلان الشهيد وان كان قدمات على فراشه تفاؤلا فى حقهم فان قلت فكيف بقى هذا الاسم عليه ولم يبق على غيره قلت لانه ليس كغيره من الملوك لفتوحاته وغزواته وأوقافه وورعه وزهده وسائر أوصافه المحمودة وما تسمى غازان ملك التتار بمحمود الا تشبها به زاعما انه يسلك طريقه فى العدل قال الشاعر

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما * بأن قتيل الغانيات شهيد

(وما أحلى) قول ابن رواحة الحموى

لاموا عليك ومادروا * أن الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى * أو كان هجر فالشهاده

وعكسه أيضا فقال

ياقلب دع عنك الهوى قسرا * ما أنت منه بحامد أمرا
أضعت دنياك بهجرانه * ان نلت وصلا ضاعت الاخرى

ومن هذه المادة قول ابن التعاويذى

أفنيت شطر العمر فى مدحكم * ظنا بكم أنكم أهله
وعدت أفنيه هجاءكم * فضاع عمرى فيكم كله

(وقال أيضا)

ولقد مدحتكم على جهل بكم * فظننت فيكم للصنيعة موضعا

الابيات استشهد بعض المفسرين لقوله تعالى فى سورة الرحمن فبأى آلاء ربكما تكذبان وتكرير هذه الآية الشريفة

كأنا غدوة وبنى أبينا
بجنب عنيزة رحيا مدير
كأن رماحنا أشطان بئر
بعيد بين حالبها حرور
تظل الخيل عاكفة عليهم
كأن الخيل تنهض فى غدير
فلولا الريح أسمع من بحجر
صليل البيض تقرع بالذكور

يقال ان هذا أول كذب ورد فى الشعر وأبلغه فان بين الذئاب وحجر سبع ليال

ومن ذلك قوله

قتلوا كليبا ثم قالوا الاتئب
كلا ورب البيت ذى الاحرام

حتى يعض الشيخ بعد حمية
مما يرى جزعا على الابهام

وتجول ربات الخدور حواسرا
يمسحن عرض ذوائب الايتام

وقوله

طفلة شثنة المخلخل بيضا
ء لعوب لذيذة فى العناق
ضربت صدرها الى وقالت
ياعديا لقد وقتك الاواقى
ومنها يرثى كليبا
ان تحت الاحجار حزما وعزما
وخصيما الدذا مغلاق
حية فى الوعاء أربد لا ينـ
ـفع منه السليم نفثة راقى

قوله ذا مغلاق يروى بالعين وهو الرجل الكثير الخصومة الشديد كأنه يغلق بخصمه ويروى بالغين كأنه يغلق على

خصمه القول وجميع شعره
فى هذه الغاية من التمكن
والقوة
(والسموأل انما وفى عن عهدك)
هو السموأل بن عادياء من
يهود يثرب الذى يضرب به
المثل فى الوفاء فيقال أوفى
من السموأل وسبب ذلك
أن امرأ القيس بن حجر الكندى
لما قتل أبوه وكان ملكا فى
كندة خرج يستنجد بملك الروم
كما سيأتى ذكره فلما مر على
تيماء وبها حصن السموأل
المسمى بالابلق المذكور فى
شعره أودع السموأل مائة درع
وسلاحا ومضى فسمع الحرث
ابن ظالم وقيل الحرث بن أبى
شمر الغسانى بها فجاء ليأخذها
منه فأبى السموأل وتحصن
بحصنه فأخذ الحرث ابنا
للسموأل وناداه وقال له ان
لم تسلم الادراع والا قتلت
ابنك فأبى أن يسلم له الادراع
فضرب وسط الغلام بسيف
فقطعه وأبوه يراه وطرحه
وانصرف فقال السموأل
فى ذلك قصيدته المشهورة
أولها
أعاذلتى الا لا تعذليني
فكم من أمر عاذلة عصيت
وفيت بأدرع الكندى انى
اذا ما ذم أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بأن لا
تهدم بالسموأل ما بنيت

ورجعت بعد الاختبار أذمكم * فأضعت فى الحالين عمرى أجمعا

(ترجع الى الغربة) نقل عن أبى اسحق ابراهيم الغزى الشاعر أنه لما مرض ببلاد خراسان وأشرف على الموت قال أرجو أن الله يغفر لى لثلاثة أشياء لكونى من بلاد الامام الشافعى وكونى شيخا كبيرا وكونى غريبا وقد استعار الطغرائى الحنين للرحل كما استعاره لصدور الأسنة من الرماح طلبا للمبالغة لانه اذا كانت الاشياء التى لا تعقل ولا تدرك حصل لها الحنين فالعاقل الدراك بطريق الاولى وهذه فائدة الاستعارة وقال الشاعر فى التغرب

تتقاذف الاهوال بى فكانني * وليت أم مساحة الآفاق

(وقال أبو الطيب)

يخيل لى أن البلاد مسامع * وانى فيها ما تقول العواذل

معناه ان العاذل ماله كلمة مستقرة فى الاذن عند المحب والكلمة اذا صادفت موقعا من الخاطر قبلها السامع وثبتت فى الذهن فالسامع لها دائما يتذكرها ويستحضرها كأنها رنخت واستقرت فى سمعه وهذا من تشبيهاته الحسنة وقال الآخر

ولى سنة لم أدر ما سنة الكرى * كأن جفونى مسمعى والكرى العذل

يعنى أن الكرى ما دخل عينيه كالعذل الذى لم يجر فى مسمعه وهذا أبلغ من قول أبى الطيب أولا وما أحسن قول ابن سهل المغربى فيما أظن

كأن القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

وهو مأخوذ من قول أبى تمام الطائى

وكنت أعز عزا من قنوع * تعوضه صفوح عن جهول
فصرت أذل من معنى دقيق * به فقر الى فهم جليل

وقال أبو الطيب فى الغربة

غنى عن الاوطان لا يستفزنى * الى بلد سافرت عنه اياب

(وقال أيضا)

أخو هم رحالة لا تزال فى * نوى تقطع البيداء أو قطع العمرا
ومن كان عزمى بين جنبيه حثه * وخيل طول الارض فى عينه شبرا

(قلت) ما زال أبو الطيب يقطع البيد حتى انقطع منه الوريد فان فاتك بن أبى جهل الاسدى تتبعه الى ديرعاقول وقتله هناك وقتل ابنه محمدا وغلامه مفلحا وقال فى كثرة الاسفار

كريشة بهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق

(وقال) القاضى عبد الوهاب

أطال بين الديار ترحالى * قصور مالى وطول آمالى
ان بت فى بلدة مشيت الى * أخرى فما تستقر أجمالى
كأننى فكرة الموسوس ما * تبقى مدى ساعة على حال

(وقال أبو تمام)

بالشأم قومى وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط جيرانى
وما أظن النوى تلقى مراسيها * حتى تبلغ بى أقصى خراسان

(وقال)

(وقال) النور الاسعردى

أقول لقلبي حين جد به الأسى * لك الله من قلب صبور على الوجد
أفي حلب جسمي وقلبي بجلق * وصحبي ببغداد وأهلي باسعرد

يقال انه مارأى أحد قبورا خوة أكثر تباعدا من قبور بني العباس رضي الله عنهم قبر عبد الله بالطائف وقبر عبيد الله بالمدينة وقبر قثم بسمرقند وقبر عبد الرحمن بالشام وقبر معبد بافريقية (اتفاق عجيب لا بأس بذكره) كان يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة واليا على أفريقية وأخوه روح واليا على السند فلما توفي يزيد بافريقية قال الناس ما أبعد ما يكون ما بين قبرى هذين الاخوين فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وجهزه واليا مكان أخيه فدخل افريقية ولم يزل واليا الى أن مات بها ودفن مع أخيه في قبر واحد رحمهما الله تعالى

وقال الارجاني

وأخوا الليالي مايزال مراوحا * ما بين أدهم خيلها والاشهب
فالارض لي كرة أواصل ضربها * وصوالجي أيدي المطايا اللغب

(وقال الآخر)

ومشت العزمات لا يأوي الى * سكن ولا أهل ولا جيران
ألف النوى حتى كأن رحيله * للبين رحلته الى الاوطان

(وقال) ابن عنين

فالى متى أنا بالاسفار مضيع الايام بين الشد والايضاع
بينا أصبح بالسلام محلة * حتى أمسي أهلها بوداع

(وما أحسن قوله)

وحتام لا أنفك في ظهر سبسب * أهجر أوفي بطن دوية قفر
أشقق قلب الشرق حتى كأنني * افتش في سوداءه عن سنى الفجر

(وقال) ابن القيسراني ومن خطه نقلت

أشتاق قومي بدمشق وفي * بغداد حظ القلب والعين
ففي لقائي ذا فراقي لذا * قل لي متى أخلو من البين

(وقال) أبو الحسين الجزار

والارض قد ثقلت عليها وطأتي * اذ عمها الادبار والاقبال
حتام أمسحها فلولا أن لي * عينين قال الناس ذا الدجال

(وقال ابن اللبانة)

كأنما الارض عني غير راضية * فليس لي وطن فيها ولا وطر

وبالغ شهاب الدين أحمد المناوي في قوله

ان عشت عشت بلا أهل ولا وطن * وان قضيت فلا قبر ولا كفن
أظن قبري بطون الوحش ترحل بي * بعد الممات ففي الحالين لي ظعن

(أنشدني) من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

دعيني وارشدي ان كنت أغوى
ولا تغوى زعمت كما غويت
ومات امرؤ القيس قبل أن يعود الى تمامه ومنع السموأل الادراع الى أن مات هو أيضا فضرب به المثل وفي ذلك يقول الاعشى

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به
في جحفل كسواد الليل جرار
فقال غدر وثكل أنت بينهما
فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له
اقتل أسيرك اني مانع جاري

والسموأل هذا من شعراء الجاهلية المجيدين وله في الحماسة اللامية المشهورة عند أرباب البديع أولها يقول

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها ان الكرام قليل
فما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل

وله أيضا

اني اذا ما المرء بين شكه
وبدت عواقبه لمن يتأمل
وتبرأ الضعفاء من اخوانهم
وألح من حر الصميم الكاكل

ليت شعرى الى متى أتشكى * سفرا ماله ولومت آخر
بطن سارى الوحوش قبرى فما أبـ * ـرح فى الموت والحياة مسافر

والمناوى أخذ المعنى من قول أبى بكر بن العطار اليابسى حيث قال فى القتلى

وقد عوضتهم من قبور حواصلا * فيا من رأى ميتا يطير به القبر

ومن هذا المعنى قول أبى العلاء المعرى

لعـ ـل اناء منه يعـ ـمل مرة * فيأكل فيه من يشاء ويشرب
وينقل من أرض لاخرى ومادرى * فيا عجبا بعد البلى يتغرب

وهما من لزومياته وقوله

رب لحد قد صار لحدا مرارا * ضاحكا من تزاحم الاضداد

(وقال) أبو الحسين ابن الامام الغرناطى

ياليت شعرى والامانى كلها * برق يغـ ـرك أو سراب يلمع
هـل ترتعن ركائبى فى بلدة * أم هكذا خلقت تخب وتوضع
فى كل يوم منزل وأحبة * كالظل يلبس للقيـ ـل ويخلع

(وقال) سيف الدين بن قزل المشد

ان الذين عهدتهم سكنوا الحمى * رحلوا وما عطفوا عليك ودعوا
جدوا المسير فلا الحداة لظعنهم * تجفو السهاد ولا المطايا تهجع
لا تستقر بهم عراص خيامهم * ما قيل تضرب أو تراها تقلع
أقوت ربوعهم فشأن بيوتهم * بيتان ينصب ذا وهـ ـذا يرفع

(وقال) أبو الحسن على بن زريق البغدادى من قصيدته المشهورة

يكفيـ ـك من روعـ ـة التفنيد أن له * من النوى كل يوم ما يروعـ ـه
ما آب من سـ ـفر الا وأزعجـ ـه * رأى الى سـ ـفر بالرغم يزمعـ ـه
تأبى المطالب الا أن تجشـ ـمه * للرزق كدحا وكم ممن يودعه
كأنما هو من حـ ـل ومرتحـ ـل * موكل بفضاء الارض يذرعـ ـه
اذا الزماع أراه فى الرحيـ ـل غنى * ولو الى السند أضحى وهو مربعه
وما مجاهـ ـدة الانسان موصـ ـلة * رزقا ولا دعة الانسان تقطعه
قد وزع الله بين الناس رزقهـ ـم * لم يخلـ ـق الله من خلق يضيـ ـعه
لكنهـ ـم كلفـ ـوا رزقا فلست ترى * مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى الرزق والارزاق قد قسمت * بغى ألا ان بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى من حيث يمنعه * ارباو يمنعـ ـه من حيث يطمعه

قال الحافظ أبو عبد الله الحميدى من تختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وتفقه للشافعى وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف قاله أبو محمد على بن أحمد بن حزم (قلت) وبعضهم قال ولبس البياض وروى قصيدة ابن زيدون بدلا من قصيدة ابن زريق وما أرق قول العباس ابن الاحنف

كان رحيـ ـلى من أرضكم عجبا * أو حادثا من حوادث الزمن

أدع التى هى أرفق الحالات بى
عند الحفيظة للتى هى أجمل
وله أيضا
ياليت شعرى حين أندبها البكا
ماذا تؤبننى به أنواحى
أيقان لا تبعد فرب كريهة
فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم
ولقد بذلت الحق غير ملاحى
(والاحنف انما احتبى فى
بردتك)
هو الاحنف المضروب به
المثل فى الحلم والسيادة واسمه
الضحاك وقيل صخر بن قيس
ابن معاوية بن حصن السعدى
ويكنى أبا بحر أدرك النبى
صلى الله عليه وسلم ولم يره
ودعا له حدث الاحنف قال
بينما أنا أطوف بالبيت فى
زمن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه اذ لقينى رجل أعرفه
فاخذ بيدى فقال ألا أبشرك
قلت بلى قال أما تذكر اذ بعثنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قومك فى بنى سعد أدعوهم
الى الاسلام فجعلت أدعوهم
وأعرض عليهم فقلت أنت
انه يدعو كم الى خير ولا أسمع
الا حسنا فانى رجعت الى
النبى صلى الله عليه وسلم
فأخبرته بمقالتك فقال اللهم
اغفر للاحنف فما شئ أرجى
لى منها * وسمى الاحنف
لان أمه كانت ترقصه وهو
طفل وتقول
والله لولا احنف فى رجله

من قبل أن أعرض الفراق على * قلبي وأن أستعد للحزن

(وأحسن) ماقيل فى بغتة الرحيل قول محمد بن وهيب وقيل مالك بن أسماء بن خارجة

بيناهم سكن لجارهم * ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا
فظللت ذاوله يعاتبني * من لايرى أمرى له أمرا

يقال ان أبا السائب لما سمع الاول قال ما أسرع هذا وأبغته أما قد موا راكبا أما أوكؤا سقاء أما ودعوا صديقا وقال الزبير بن بكار رحم الله أبا السائب فكيف به لو سمع قول العباس ابن الاحنف

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعهم بالسؤال
ماحللنا حتى ارتحلنا فما يفـ * ـرق بين النزول والترحال

ومن هنا أخذ ابن الساعاتى قوله

ماضحكنا للقرب حتى بكينا * للبعاد الرسوم والآثارا

(وقال) ابن عنين فى مرثية على لسان الناصر فى أخيه وقد توفى صغيرا من أبيات

خانتنى الايام فيك فقربت * يوم الردى من ليلة الميلاد

وأحسن ما فى هذا الباب قول شهاب الدين العزازى

عجبا لمولود قضى من قبل أن * يقضى لايام الصبا ميقاتا
هجر الحياة وطلق الدنيا وقد * وافت بزخرفها اليه بتاتا
فكأنه من نسكه وصلاحه * وهب الحياة لوالديه وماتا

وقريب منه قول ابن النبيه

الناس للموت كخيل الطراد * فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد على كفه * جواهر يختار منها الجياد
والله لايدعو الى داره * الا الذى استصلح من ذى العباد

(وما أحسن) قول التهامى فى ولده

يا كوكبا ما كان أقصر عمره * وكذاك عمر كواكب الأسحار

والمشهور فى البغتة قول العكوك

رصد الخلوة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
كايد الاهوال فى زورته * ثم ماسلم حتى ودعا

(وقال) الحسين بن الضحاك

بأبى زور تلفت له * فتنفست عليه الصعدا
بينما أضحك مسرورا به * اذ تقطعت عليه كمدا

وقريب من هذه المعانى ماروى أن اعرابيا لقيه رجل لم يكن يعرفه قبل ذلك فقال له كيف كنت بعدى فقال له الاعرابى مابعد مالا قبل له وأما قول شرف الدين بن الفارض

حديثى قديم فى هواها وماله * كما عامت بعد وليس له قبل

فامر خارج عن العقل لان العقل لايمكن أن يتصور شيئا لاقبل له ولا بعد الا واجب الوجود ولكن الصوفية يحيلون مثل هذه الاشياء على الذوق ويقولون فى مثل هذه الامور انها من وراء

ما كان فى فتيانكم من مثله
تقول تحانف الرجل فى مشيته وهو أن تقبل الرجل بالابهام على الاخرى * وقال عبد الملك بن عمير وفد علينا الاحنف مع مصعب بن الزبير الكوفة فما رأيت منظرا يذم الا رأيته فيه كان ضئيلا أصلع الرأس متراكب الاسنان باخق العينين وكان اذا تكلم جلا عن نفسه وقال الشعبى أوفد أبو موسى الاشعرى وفد البصرة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيهم الاحنف بن قيس فلما قدموا على عمر تكلم كل رجل منهم فى حاجة نفسه وكان الاحنف فى آخر القوم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال أما بعد يا أمير المؤمنين فان أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه وأهل الشام نزلوا منازل قيصر وأهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه فى الانهار العذبة والجنان المخصبة وفى مثل عين البعير وكالحوار فى السلى تأتيهم ثمارهم قبل أن تتغير وان أهل البصرة نزلوا فى أرض سبخة زعقة نشاشة طرفها فى ملح أجاج والطرف الآخر فى الفلاة لا يأتيها الجلب الا فى مثل حلق القوم النعامة فارفع خسيستنا وانعش وكيستنا واعدل لنا قفيزنا ودرهمنا ومر لنا بنهر

نستعذب منه الماء فقال عمر رضى الله عنه أعجزتم أن تكونوا مثل هذا السيد هذا والله السيد فما زلت أسمعها منه ثم حدثه عنده سنة ثم قال يا أحنف انى بلوتك فاعجبتنى وانما حبستك لأعلم علمك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول احذروا المنافق العالم واشفقت عليك منه فوجدتك بريأ مما تخوفت عليك وسرحه وأحسن جائزته ولم يزل يشرف حتى مات وساد بعقله وحلمه حتى يكاد يجرد لامره مائة ألف سيف وكان أمراء الانصار يلتجئون اليه فى المهمات وكان اذا أراد حربا قال الناس قد غضبت زبراء فصار مثلا وزبراء جاريته كان مطيعا لها فكانوا يكنون عن غضبه فى الحرب بغضبها * وكان يقول كنا نختلف الى قيس ابن عاصم نتعلم منه الحلم كما نختلف الى العالم نتعلم منه العلم * وحكى خالد بن صفوان قال كنت بالرصافة عند هشام بن عبد الملك فقدم عليه العباس بن الوليد فغشيته الناس فدخلت عليه فقال حدثنى عن تسويدكم الاحنف وانقيادكم له فقلت ان شئت حدثتك عنه بواحدة تسود وان شئت باثنتين وان شئت بثلاث

العدل (أخبرنى) الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قال حضر يوما الشيخ كريم الدين عبد الكريم الايكى شيخ خانقاه سعيد السعداء عند الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله وأخذ يتكلم فى طريقهم وأحوالهم ويتحدث على العرفان زمانا والشيخ تقى الدين ساكت لا يفوه بكلمة فلما قام من عندهم قال الشيخ تقى الدين للحاضرين هل فيكم من فهم تراكيب كلامه فانى ما فهمت غير مفرداته اه (قلت) وهؤلاء القوم يسلم لهم حالهم فانهم قد جاء منهم علماء كبار مثل الشيخ محيى الدين بن عربى وقطب الدين بن معين وفى كلامهم من هذا النوع كثير وأما قول شرف الدين بن الفارض

شربنا على ذكر الحبيب مدامة * سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فيمكن فهم معناه بالتاويل (أنشدنى) من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قال أنشدنى من لفظه لنفسه خالى فخر الدين حسن بن على ابن مكزون السنجارى قصيدة تائية طويلة فى وزن تائية ابن الفارض حط فيها عليه منها

ولست كمن أمسى على الحب كاذبا * مضلا لارباب العقول السخيفة
يمن على الجهال من عصبة الهوى * بنسبته فى الحب من غير نسبة
فيزعم طورا أنه عين عينها * ويزعم طورا أنها فيه حلت
ويجمع ما بين النقيضين قوله * وذاك محال فى العقول السليمة

وما أحسن قول أمين الدين الحوبانى فى تهتكه

مت فى عشقى ومعشوقى أنا * ففؤادى من فراقى فى عنا
غبت عنى فى فنى أجمعنى * أنا من وجدى منى فى فنا
أيها السامع تدرى ما الذى * قلته والله لا أدرى أنا

وقد بالغ الشعراء فى وصف الخمرة بالقدم من ذلك قول ابن سنا الملك

عمسوها طينا وآدم طين * سبخة فى حشا الزمان جنين
قبل أن تغرس الكروم وتلتف عليها الاوراق والزرجون
وثريا السماء ماهى عنقو * دولا آية الدجاء رجون

ومثل هذه المعانى من الشعراء تحمل على المبالغة مجازا فى القدم لانهم يزعمون ان الخمرة كلما قدم زمانها كان تأثيرها فى الاسكار أكثر فاما كلام الصوفية فامر آخر وراء هذا كله ومبالغات الشعراء والكتاب لا مدخل لها فى هذا الباب وما ألطف ما أنشدنيه الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس من جملة قصيدة مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم

محبة ما عرفت الدهر سلوتها * تسرى الى النفس أو تجرى مع النفس
ومالها آخر لكن أولها * تعارف سابق فى حضرة القدس
فى عالم الذر ناجانى البشير بها * أهلا بمنتها طهرا من الدنس
أشهى الى القلب من أمن على وجل * ومن مجال الكرى فى أعين النعس

وعلى ذكر الصوفية حضرت يوما فى صفد سنة ست وعشرين وسبعمائة مجلس الشيخ الامام أبى الحسن على بن الصياد الفاسى وقد عمل درسا عاما تكلم فيه على سورة والضحى واستطرد الكلام الى قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه

يراك فقال ذهب بعض الصوفية الى أن معنى فان لم تكن تراه ان غبت عن وجودك ولم تكن رأيته وحسن ذلك واستحسنه من حضر فقلت انا هذا حسن لو ساعد الاعراب عليه فان هذا شرط وجوابه وهما مجزومان ويكون اللفظ الصحيح فان لم تكن تره حتى يصح المعنى فاعترف بذلك ووقفت على كلام ابن أبي جمرة في شرح الاحاديث التي انتقاها من البخاري وقد تكلم على الاستواء فقال ذهب بعض الصوفية في معنى هذا اللفظ الى شئ وهو حسن لولا مافيه من جهة العربية فقال الرحمن على ووقف هنا ثم قال العرش استوى اه (قلت) هذا حسن ولكن لا يوافقه رسم المصحف على ذلك فانه اذا وقف على علا ينبغي أن يكون من علا يعلو ولا يكتب علا من العلو الا بالالف لانه من علوت ولم يكتب على هنا في المصحف الا بالياء لانها حرف جر ومما يكاد يلحق بكلام الصوفية وليس منه ماذكره الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي رحمه الله في أنوار البروق قال أنشدني بعض الفضلاء

ما يقول الفقيه أيده الله ولازال عنده الاحسان
في فتى علق الطلاق بشهر * قبل ما بعد قبله رمضان

ثم انه بعد ذلك ذكر قريبا من كراسة من كلام شيخنا جمال الدين بن الحاجب ومن كلام نفسه وقال ان البيت الثاني ينشد على ثمانية أوجه بالتقديم والتأخير والتغيير مع استعمال اللفظ في الحقائق دون المجاز وصحة الوزن وكل بيت منها يشتمل على مسئلة من الفقه في التعاليق الشرعية والالفاظ اللغوية وتلك المسئلة تشتمل على سبعمائة وعشرين مسئلة من المسائل الفقهية والتعاليق اللغوية بشرط التزام المجاز في الالفاظ وطرح الحقائق وعدم الوزن ثم ذكر من كلام ابن الحاجب كيفية انشاد البيت الثاني على ثمانية أوجه بأن ما بعد ما قد يكون قبلين أو بعدين أو مختلفين فهذه أربعة أوجه كل منها قد يكون قبله قبل وقد يكون قبله بعد فصارت ثمانية أوجه وذكر قاعدة يبنى عليها تفسير الجميع وهي انه كلما كان قبل وبعد فألغهما لان كل شهر حاصل قبل ما هو بعده وحاصل بعد ما هو قبله فلا يبقى حينئذ الا بعده رمضان فيكون شعبان أو قبله رمضان فيكون شوالا فلم يبق الا ما جيعه قبل أو جميعه بعد والاول هو الشهر الرابع من رمضان وهو ذو الحجة والثاني هو الرابع ولكن على العكس وذلك جمادى الآخرة اه ما لخصته من أنوار البروق (قلت) وقد أطال الكلام في تقسيم ذلك وتقريره فاذا نظر الواقف عليه في ذلك تشعب ذهنه من كثرة التقسيم وتردده وقد وضعت أنا لذلك شجرة لان الاشياء اذا برزت الى الخارج زاد وضوحها وزال غموضها وصورة تلك الشجرة في الصحيفة التي تلي هذه فتدبرها مع مراعاة القاعدة التي ذكرها الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى يظهر لك صحة ذلك ومثل البيتين المتقدمين فيما ذكر قول بعضهم

وعدت في الخميس وصلا ولكن * شاهدت حولنا العدا كالخميس
أخلفت وعدها وجاءت الينا * قبل ما بعد قبل يوم الخميس

وان شئت خدثك عشيتك
حتى تنقضي ولم تشعر
بصومك وكان صائما يوم
خميس فقال هات الاولى
فقلت كان أعظم من رأينا
أو سمعنا سلطانا على نفسه
فيما أراد حملها عليه ودفعها
عنه ثم أدركني ذهني فقلت
غير الخلفاء فقال لقد ذكرتها
نجلاء كافية فما الثانية قلت
قد يكون الرجل عظيم
السلطان على نفسه ولا يكون
بصيرا بالمحاسن والمساوى
ولا نسمع باحد أبصر منه
بالمجلس في المساوى والمحاسن
فلا يحمل السلطنة الا على
حسن ولا يكفها الا عن قبيح
فقال قد جئت بصلة الاولى
لا تصلح الا بها فما الثالثة قلت
قد يكون الرجل عظيم
السلطان على نفسه بصيرا
بالمحاسن والمساوى ولا يكون
حظيظا ولا ينشرله ذكر وكان
الاحنف عند الناس مشهورا
فقال وأبيك لقد وصلت
الاثنتين فما بقية ما يقطع
عني الصوم قلت أيامه السالفة
مثل فتح خراسان اجتمعت
عليه الاعاجم بمرو الروذ
فجاءه ما لا قبل له به وهو في
مثل مضيعة وقد بلغ به الامر
فصلى العشاء الاخرة ودعا
وتضرع الى الله تعالى أن
يوفقه ثم خرج يمشي في العسكر
مثل المكروب متفكرا
يسمع ما يقول الناس فمر بعبد

يعجن وهو يقول لصاحب
له العجب لاميرنا يقيم بالمسلمين
فى منزل مضيعة وقد اطاف
بهم العدوّ من نواحيهم
واتخذوهم غرضا وله متحوّل
فجعل الاحنف يقول اللهم
وفق اللهم سدد فقال العبد
للعبد فما الحيلة قال أن ينادى
الساعة بالرحيل وانما بينه
وبين الغيضة فرسخ فيجعلها
خلف ظهره فيمنعه الله بها
فاذا امتنع ظهره بها بعث
بجنبتيه اليمنى واليسرى
فيمنع الله تعالى بهما ناحيته
ويلقى عدوّه فى جانب واحد
فسجد الاحنف ثم نادى
بالرحيل من مكانه حتى أتى
الغيضة فنزل فى قبليها
فاصبح فاتاه العدو فلم يجدوا
سبيلا الا من وجه واحد
وهوّلوا بطبول أربعة وركب
الاحنف وأخذ اللواء وحمل
بنفسه على طبل فشقه وقتل
صاحبه وهو يقول

ان على كل رئيس حقا
أن يخضب الصعدة أو ينشقا

وشق بقية الطبول فلما فقد
الاعاجم أصوات طبولهم
انهزموا وركب المسلمون
أكتافهم وكان الفتح ثم عدد
حاله بقية ايامه الى أن انقضى
النهار * وللاحنف حكايات
حسنة وألفاظ محكمة
ومؤاخذات معدودة عليه
* فمن حكاياته ما حدث بعض
غلمانه قال كان الاحنف يكثر

قبل ما قبل قبله رمضان (ذو الحجة)
قبل ما قبل بعده رمضان (شوّال)
قبل ما بعد بعده رمضان (شعبان)
قبل ما بعد قبله رمضان (شوّال)
قبل ما بعد قبله رمضان (شوّال)

ما يقول الفقيه أيده الله ولا زال عنده الاحسان فى فتى علق الطلاق بشهر

بعد ما قبل بعده رمضان (شعبان)
بعد ما قبل قبله رمضان (شوّال)
بعد ما بعد قبله رمضان (شعبان)
بعد ما بعد بعده رمضان (جمادى الآخرة)

ومن المسائل العجيبة فى بيت يتفرع الى ألوف من الصور فى تقديم ألفاظه وتاخيرها ما حكاه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى انه سئل أول قدومه الى القاهرة عن نهاية ما يمكن فى البيت الواحد من وجوه العدد بتقديم الاجزاء وتأخيرها بعضها عن بعض فأجاب بان هذا انما يتأتى فى بحرين من العروض خاصة وهما المتقارب والمتدارك لان ما عداهذين البحرين اما أن تكون تفاعيله متفقة فتكون سباعية كالكامل والرجز ونحوهما وهذا لا يتأتى نظمه من كلمات سباعية واما ان تكون تفاعيله مختلفة من سباعية وخماسية كالطويل والبسيط ونحوهما فلا يحفظ نظامه فى تبديل الاجزاء لاختلاف مقاديرها فتعين أحد البحرين المذكورين لان كل واحد منهما مركب من أجزاء خماسية يمكن أن تكون كلمات لا يختلف وزن البيت بتقديمها وتاخيرها ولاجل هذا المعنى يمكن أن تكون من الصفات الواردة فى الغزل والمديح ونحوهما ولما كان البيت من الشعر العربى لا يتجاوز مقدار ثمانية أجزاء فنهاية ما يمكن التعدد فى صورة البيت الواحد على شريطة أن لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يختلف عروضه ولا ضربه أربعون ألفا وثلثمائة وعشرون بيان ذلك ان البيت المفروض انما يفرض على صورة ما فاذا جعل الجزء الاول ثانيا والثانى أولا حدثت صورة ثانية فاذا أبدلنا الجزء الثالث تارة بأول وتارة بثان على الصورة الاولى حدث فى كل من الصورتين ثلاث صور فيكون المجموع الحاصل بتبديل الجزء الثالث وما قبله ست صور وعلى هذا القياس تضرب هذه الست صور فى أربعة فيحصل أربعة وعشرون أخرى بتبديل الجزء الرابع ثم تضرب هذا العدد فى خمسة فيبلغ مائة وعشرين عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء الخامس وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى ستة فيبلغ سبعمائة وعشرين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء السادس وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى سبعة فيبلغ خمسة آلاف وأربعين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء السابع وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى ثمانية فيبلغ أربعين ألفا وثلثمائة وعشرين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء الثامن وما قبله أعنى جميع أجزاء البيت فأخبره السائل ان الشيخ شهاب الدين القرافى رحمه الله ذكر بيتا من بحر المتقارب من العروض وهو

حبيب بقلبى مليح جميل * بديع ظريف رشيق عزيز

وذكر انه يتفرع منه هذا العدد ولم يذكر كيفية تفريعه ولا ذكر المتدارك اه

---

*(وضج من لغب نضوى وعج لما * ألقى ركابى وج الركب فى عذلى)*

(اللغة) (وضج) صاح والضجيج الصياح والضجوج من النوق هى التى تصيح اذا حلبت (لغب) اللغب بالغين المعجمة هو اللغوب وهو الاعياء والتعب وفى القرآن الكريم ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب قال بعض المفسرين هذا رد على اليهود لانهم قالوا بدأ الله خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى وما مسنا من لغوب ردا عليهم فى انه استراح من التعب والاعياء اه وهذا من اليهود تحريف فى المعنى وذلك أن الاحد والاثنين أزمنة متميز بعضها عن بعض وهى أعراض لمقادير حركات الافلاك فلو كان خلق السموات والارض وما بينهما ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان قبل الفلك والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل

الصلاة بالليل وكان يجىء الى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول حس ويقول ما حملك على أن صنعت كذا فى يوم كذا *وشكا اليه رجل وجع ضرسه فقال لقد ذهب نور عينى منذ ثلاثين سنة فما علم بذلك أحد *وقال له عمر رضى الله تعالى عنه أى الطعام احب اليك قال الزبد والكماة قال عمر ما هما بأحب الطعام اليه ولكنه يحب الخصب للمسلمين يعنى أن الزبد والكماة لا يكونان الا فى الخصب *ومثل به رجل فسبه سبا قبيحا فقام الاحنف وهو يتبعه فلما وصل الى قومه وقف وقال يا أخى ان كان قد بقى من قولك فضلة فقلها الآن والا يسمعك قومى فتؤذى *وقال له رجل بم سدت قومك ولست بأشرفهم فقال بتركى من أمرك ما لا يعنينى كما لم تترك من أمرى ما لا يعنيك *وقال له رجل لأشتمنك شتما يدخل معك قبرك فقال فى قبرك يدخل والله لا فى قبرى *وقيل له بم سدت قال لأن الناس كرهوا الماء ما شربته *وقال يوما ما يسرنى اذا نزلت بدار معجزة أنى ألبنت فأسمنت قيل له يا أبا بحر وما يراد من دار الحورم غير هذا فقال انى أكره سوء العادة ووفد على معاوية مع أهل العراق فقال آذنه ان أمير

خلق الاجسام أجسام أخر فلزم القول بقدم العالم قال الامام فخر الدين الرازى ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف لان الفلسفى لا يثبت لله تعالى صفة أصلا ويقول انه تعالى لا يقبل صفة بل واحد من جميع الوجوه بعلمه وقدرته وصفاته باسرها هى حقيقته وذاته والمشبهى يثبت لله تعالى صفات الاجسام من الحركة والسكون والاستواء والجلوس والهبوط والصعود وهذا غاية المنافاة ثم ان اليهودى فى هذا الكلام جمع بين المتنافيين وأخذ بمذهب الفيلسوفى فى المسئلة التى هى أخص المسائل بهم وهى القدم لانهم أثبتوا قبل خلق الاجسام أجساما معدودة وأزمنة محدودة وأخذ بمذهب المشبهة فى المسئلة التى هى أخص المسائل بهم وهى الاستواء على العرش فأخطؤا وضلوا فى الزمان والمكان جميعا اه (قلت) وتفسير هذه الآية ان ذلك اشارة الى ستة أطوار لا المفهوم من اليوم اللغوى لانه عبارة عن بقاء الشمس على وجه الارض من الشروق الى الغروب ولا شمس هناك ولا قرار لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت تقول أصوم يوم قدوملك وأسر يوم يأتيك ولدك وقد يقدم ليلا ويأتيه ولده ليلا فلا يخرج هذا عن مرادك لانك أردت مجرد الوقت والحين فنزه الله تعالى ذاته المقدسة عن لواحق الاجسام اه (نضوى) النضو البعير المهزول والناقة نضوة (وعج) العجيج رفع الصوت وفى الحديث أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية والنحر (ركابى) الركاب الابل التى يسار عليها وقد تقدم الكلام على الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس (ولج) اللجاج واللجاجة مصدر لججت بالكسر تلج بالفتح وهو لجوج ولججت بالفتح تلج بالكسر لغة وهو الحث (الركب) أصحاب الابل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها واحده راكب وليس بتكسير لانه يصغر فيقال ركيب والجمع أركب (عذلى) العذل بالتحريك هو الاسم وبالسكون هو المصدر وهو الملامة ورجل معذل أى يعذل لافراطه (الاعراب) (ضج) فعل ماض أصله ضجج فاجتمع المثلان فسكن الاول وأدغم فى الثانى (من لغب) جار ومجرور فى موضع النصب على انه مفعول لاجله قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب فى مقدمته المفعول له هو ما فعل لاجله فعل مذكور ثم قال وشرط نصبه تقدير اللام وانما يجوز حذفها اذا كان فعلا لفاعل الفعل المعلل اه (قلت) وقد نقضوه بمثل قعدت عن الحركة جبنا فان الجبن ليس فعلا لفاعل الفعل والجواب ان المراد بالفعل هنا أعم من ان يكون بالحواس الباطنة أو الظاهرة والجبن من فعل الحواس الباطنة ونقضوه أيضا بقوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا أجمعوا على انه منصوب بكونه مفعولا لاجله وليس فعلا لفاعل الفعل اذ الخوف والطمع مستحيلان فى حق الله عز وجل والجواب انه محمول على باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كانه قال تعالى هو الذى يريكم البرق لارادة خوفكم وطمعكم والمفعول لاجله الاصل فيه أن يقدر بلام العلة كقولك ارتحلت طلب العلم أصله لطلب العلم وجئتك رغبة فيك وأسلمت طمعا فى الجنة وقد يقوم مقام اللام من وفى كقوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم وقوله تعالى الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض والمفعول لاجله هو الباعث على ايجاد الفعل فاللغب هنا هو الباعث على الضجيج (نضوى) فاعل ضج وقد تقدم المفعول له عليه وهو جائز ولم يظهر الرفع فى الفاعل لاضافته الى ضمير المتكلم

(وعج)

المؤمنين يقسم عليكم أن لا يتكلم أحد منكم الا لنفسه فدخلوا فقال الاحنف لولا حرمة أمير المؤمنين لاخبرته ان نازلة نزلت ونائبة نابت وكلهم به فاقة الى رفد أمير المؤمنين فقال حسبك يا أبا بحر فقد كفيت من غاب ومن شهد * وذكره معاوية يوما بمحبته لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وأيام صفين فقال يا أمير المؤمنين القلوب التى أبغضناك بها بين جنوبنا والسيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا وان شئت استصفيت كدرنا بحلمك فقال أجل * ومما عيب به وأخذ عليه أمر الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك انه لما ترك القتال يوم الجمل ورجع عن الحرب مر ببنى تميم ذاهبا الى داره فأتى رجل الاحنف فقال هذا الزبير قد آنفا فقال ما أصنع به جمع بين غازين يقتل بعضهم بعضا ويريد أن ينجو الى أهله فتبعه ابن جرموز فقتله غدرا فقال الناس انما قتله الاحنف بكلامه ذلك وان ابن جرموز انما فعل عن رأيه * وحين أتاه كتاب الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما يستنصره فقال قد بلونا حسنا وآل حسن فلم نجد عندهم اية الملك ولا صيانة المال ولا مكيدة الحرب ولم يجبه * وقوله للحباب بن المنذر

(وعج) فعل ماض مثل ضج (لما) جار ومجرور الجار اللام وما مجرور وهو اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم الا بصلة وعائد ولم يظهر الجر فيه لانه مبنى لشبهه بالحرف فى الافتقار لان الحرف لا يدل على معنى فى نفسه لكن فى غيره وكذا الاسماء الموصولة لا تستقل بالدلالة على معنى بنفسها حتى يؤتى بالصلة والعائد فاشبهت الحروف من حيث الافتقار ووسموا الموصول بأنه ما افتقر الى الوصل بجملة معهودة مشتملة على ضمير لائق بالمعنى فلا يقال جاءنى الذى أكرمته الا والاكرام معهود عند المخاطب والا فالجملة التى وصل بها غير معهودة ولا يقال جاءنى الذى أكرمته الان العائد غير لائق بالمعنى فان التثنية لا تطابق الافراد وقد أورد بعضهم على هذا قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى وغشيهم من اليم ما غشيهم واقض ما أنت قاض وهو كثير لانه لا عهد للمخاطب بهذه الصلة (قلت) الجواب عن هذا أن الاتيان بالصلات فى هذه المواطن غير معهودة من أعلى طبقات البلاغة لانها اذا أوردت هكذا أخذ الذهن يسلك فى كل مسلك ويسرى فى كل مسرى فلو قال تعالى فغشيهم من اليم ما أغرقهم لكان الذهن قد وقف على ذلك من أول وهلة ولم يهبط واديا من الهول ولم يرتفع رابية من الجزع وكذا فأوحى الى عبده ما أوحى لو قال تعالى فأوحى الى عبده ما أقر به عينه أو أفرح به قلبه أو ما يسره به من ان لا أحدا من الانبياء يدخل الجنة قبله ولا أمة من الامم تدخل الجنة قبل أمته لما كان له فى القلب هذا الموقع فان الذى يظن بعموم هذا اللفظ لا يتناهى فظهرت الفائدة فى مجىء الصلة مبهمة غير معهودة ما هى وقد اختلف المفسرون فى الضمير فى عبده من هو فمن قائل انه النبى عليه الصلاة والسلام ومن قائل انه جبريل ويكون التقدير فاوحى الى عبده جبريل ما أوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم * وعلى ذكر الصلة والعائد فما ألطف قول شرف الدين بن عنين لما كتب وهو ضعيف الى الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل رحمهم الله

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال أنت لذى وأنا العائد وهذه الصلة ولقد استخدم ابن عنين العائد والصلة استخداما حسنا وفهم الملك المعظم أحسن منه (ومن نوادر النحاة) أن رجلا قرع الباب على نحوى فقال من أنت قال الذى اشتريتم الاجر فقال له قال لا قال أمنه قال لا قال اذهب فما لك فى صلة الذى شئ ويشبه هذه النادرة ما حكى أن بعض النحاة مر من تحت مئذنة والمؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله بنصب رسول فجعل النحوى يقول ماله ماله ما أتيت الى الآن بالخبر ومن هنا أخذ ابن سنا الملك قوله فى مدح الملك العادل

مكمل وسواه ناقص أبدا * كانه ان قد جاءت بلا خبر

وأما قول ابن عنين فيما تقدم فمثله قول الامير أمين الدين على بن عثمان السليمانى

وانى الذى أضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذى

(وقول الآخر)

لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذى بلبان وصلكم وغذى

اسكت يا آدر وكان الحباب آدر * وطاعته لجاريته زبراء حتى سئل عن ذلك فقال كيف لا أطيع من لى اليه كل يوم حاجة * وأتاه رجل فلطمه فقال لم لطمتنى قال جعل لى جعل على ان ألطم سيد بنى تميم قال لست بسيدهم وانما سيدهم حارثة بن قدامة فمضى الرجل اليه فلطمه فقطع يده فقال الناس انما قطع يده الاحنف * وأرسل اليه عمرو ابن الاهتم رجلا يكايده فقال ما كان مال أبيك فقطن له الاحنف فقال صرمة يقرى منها ضيفه ويكفى عياله ولم يكن أهتم سلاحا فهذا ما حفظ من سقطاته * وقريب منها انه خاط عند رجل ثوبا ثم تقاضاه دهرا فلما ضجر أخذ بيد ولده وجاء الى الخياط فقال اذا مت فادفع الثوب الى هذا ومن كلامه لا خير فى لذة تعقب ندما لن يفتقر من زهد اقبلوا عذر من اعتذر ما أقبح القطيعة بعد الصلة أنصف من نفسك قبل ان ينتصف منك لا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان اعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك أنفق فى حق ولا تكونن خازنا لغيرك لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب عجبت لمن يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين * وقال يوما

ورفعتمو مقداره بالابتدا * حاشا كمو أن تقطعوا صلة الذى

ومن كلام أبى العلاء المعرى * فقرى اليك كفقر الذى الى الصلة وبيت الشعر الى القافية المتصلة (رجع) الى اعراب البيت تقرر أن ما اسم ناقص فى موضع جر (ألقى) فعل مضارع مرفوع لانه عار عن الناصب والجازم ولم يظهر الرفع فيه لانه معتل الطرف بالالف فالضمة مقدرة فى آخره وهو الصلة للاسم الناقص وهو ما والعائد محذوف تقديره ألقاه وهو فى موضع النصب لانه مفعول وهذه الجملة من الجار والمجرور والصلة والعائد فى موضع نصب على انها مفعول لاجله (ولج) فعل ماض كما تقدم فى نظيره و (الركب) فاعله و (فى عذلى) جار ومجرور فى موضع النصب لتعلقه بلج كأنه قال أسرع الركب فى عذلى أى أعجلوا (المعنى) هذا البيت كالذى تقدم قبله أخذ يعدد مشاقه ويكرر أصناف نكده حتى ان النوق تصيح من تحته والابل ترفع أصواتها والرفاق يلومونه ويعذلونه على مواصلة الاسفار ومحاولة الاخطار وفى قوله وضج من لغب نضوى غنية عن أن يقول فيما بعده وعج لما ألقى ركابى لان المعنى واحد فكل منهما يغنى عن ذكر الآخر فان ضجيج النوق هو عج الركاب وقد عيب على أبى الطيب المتنبى فى قوله

وأنت بالامس كنت محتلما * شيخ معد وأنت أمردها

قال ابن وكيع فى اخباره أنه كان محتلما ما يغنى عن قوله وأنت أمردها أو يكتفى بقوله وأنت أمردها عن ذكر محتلم وليس هذا من الحشو الحسن بل هو كقول أبى الغياث الهذلى

ذكرت أخى فعاودنى * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس بعد الصداع حشو يستغنى عنه وكذلك قول ديك الجن

فتنفست فى البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنى اللهب

كتنفس الريحان خالطه * من ورد جور ناضر الشعب

فذكر الماء بعد المزج فضل يستغنى عنه والبيتان يكفى عنهما قول أبى نواس بلا حشو

فتنفست فى البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان فى الأنف

اه كلامه (قلت) ومن تكرار الالفاظ الثقيلة قول أبى الطيب أيضا

ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

وكذا قوله

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل هم كلهن قلاقل

وكذا قوله

عظمت فلما لم تكلم مهابة * تواضعت وهو العظم عظما على عظم

ولو سمى هذا البيت جبانة لكان لائقا به كما قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد ذكرت عنده قصيدة ابن الرومى التى أولها

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان * فيهن نوعان تفاح ورمان

فقال هذه دار البطيخ فاقرؤا نسيبها تعلموا ذلك (قلت) وقد بالغ ابن الرومى فى غزلها وأكثر من ذكر العناب والبان والنرجس وما شاكل ذلك وكذا قول أبى الطيب أيضا

أسد فرائسها الاسود يقودها * أسد تصير له الاسود ثعالبا

قال

ما رددت عن حاجة قط فقيل له ولم قال لانى لا أطلب المحال * وقال ما نازعنى أحد الا وأخذت فى أمره بثلاث ان كان فوقى عرفت له فضله وان كان دونى رفعت قدرى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه * وقال له رجل دلنى على المروءة فقال عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح ثم قال الا أدلك على ادوا الداء قال بلى قال اكتساب الذم بلا منفعة * وقال يوما كانت المودة محضا فليتها اليوم مذقا * ومن كلامه فى النظم وشعره قوله

ولو مد سروى بمال كثير
لجدت وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطاع
اذا لم يكن مالها فاضلا

وكان يجالسه رجل كثير الصمت فأعجب به الاحنف ثم تكلم يوما فقال يا أبا بحر تقدر تمشى على شرف المسجد فقال يا أخى انى كبرت ولا أقدر على ذلك ثم أنشد يقول

وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

فرواها قوم له وقيل تمثل بها وهى لغيره فانها أرفع طبقة من شعره * ومات بالكوفة سنة تسع وستين

قال ابن رشيق ما أدرى كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسودا وقال الاصمعى لمن أنشده

فما للنوى جذ النوى قطع النوى * كذاك النوى قطاعة لوصال

لوسلط الله على هذا البيت شاة لاكلت هذا النوى كله وأما قول أبى نواس

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس

فقال ابن الاثير فى المثل السائر مراده من ذلك انهم أقاموا أربعة أيام ويا عجبا له يأتى بمثل هذا البيت المخيف على العى الفاحش (قلت) أبو نواس أجل قدرا من ان يأتى بهذه العبارة لغير معنى طائل وهوله فى مثل هذا مقاصد جليلة يراعيها ومذاهب يسلكها ألا ترى الى ما حكى عنه من انه ذكر عند الرشيد قوله

فاسقنى البكرا التى اعتجرت * بخمار الشيب فى الرحم

فقال الرشيد لمن حضر ما معناه فقال أحدهم ان الخمر اذا كانت فى دنها كان عليها شئ مثل الزبد فهو الشيب الذى أراده وكان الاصمعى حاضرا فقال يا أمير المؤمنين ان أبا على أجل خطرا وان معانيه لخفية فاسألوه عن ذلك فأحضر وسئل فقال ان الكرم أول ما يخرج العنقود فى الزرجون يكون عليه شئ يشبه القطن فقال الاصمعى ألم أقل لكم ان أبا نواس أدق نظرا مما قلتم اه وأما معنى البيت الاول فان المفهوم منه ان المقام سبعة أيام لانه قال وثالثا ويوما أى آخره اليوم الذى رحلنا فيه خامس وابن الاثير لو امعن الفكر فى هذا بما كان يظهر له وأما قول أبى الطيب

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن * العارض الهتن ابن العارض الهتن

فقد عده بعضهم من التكرار الذى لا فائدة فيه وليس كذلك بل هو من باب قوله صلى الله عليه وسلم ذاك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم وأما ابن الاثير فانه عاب ألفاظ البيت من حيث هى واستثقل لفظ العارض والهتن قال ولو قال بدل العارض السحاب أو ما يجرى مجراها لكان أرشق (قلت) ليس ذلك بشئ ولفظ العارض والهتن فصيح عذب فى السمع وأما ابن وكيع فانه قال لولا انتهاء القافية لمضى فى العارض الهتن الى آدم عليه السلام وبانتهاء القافية أعلمنا ان نهاية عدد آبائه المستحقين للمدح ثلاثة ثم يقف هذا الامر قال وأحسن من هذا قول البحترى

الفاعلون اذا الذنا بجودهم * ما يفعل الغيث فى شؤبوبه الهتن

فجاء بالمعنى عاما بغير عدد متردد ولا لفظ مستبرد فهو أرجح كلاما وأحسن نظاما قال وما أشبه برد بيت أبى الطيب ببيت قاله امرؤ القيس

ألا انني بال على جمل بالى * يقود بنا بال ويتبعنا بالى

اه كلام ابن وكيع (قلت) كذا ذكره فى التنصيف وقد أخطأ فى هذا الكلام من عدة وجوه أولها انه قال لولا انتهاء القافية لمضى الى آدم ولو قال لولا انتهاء الوزن لكان أكثر تحقيقا لان القافية حصلت فى ربع البيت من أول ذكر المتن وهذا كلام سبقه اليه عبد الملك بن مروان وقد أنشد قول دريد بن الصمة

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذئاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وقال لولا القافية لوصل به الى آدم وثانيها انه قال أعلمنا ان عدد آبائه الممدوحين ثلاثة كذا

وخرج مصعب بن الزبير فى جنازته ماشيا بغير ازار وهو أول أمير فعل ذلك فى جنازة كبير ولما وضع فى قبره قامت امرأته فقالت لله درك من مدرج فى كفن نسأل الله الذى ابتلانا بفقدك ان يوسع لحدك ويكون لك يوم حشرك أما والذى كنت من أمره الى مدة لقد عشت حميدا مودودا ومت شهيدا مفقودا ولقد كنت من الناس قريبا وفى النفوس غريبا رحمنا الله وايالك فى الدنيا والآخرة وتوفانا بعدك مسلمين

(وحاتما انجاد بوفرك واتى الاضياف بشرك)

هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى وكنيته أبو سفانة وأبو عدى * وأجواد العرب فى الجاهلية ثلاثة حاتم الطائى وهرم بن سنان وكعب بن مامة وحاتم أشهرهم ذكرا أدرك مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه * وحكى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال يوما سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى خير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا لكان ينبغى له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح فقام اليه رجل فقال

يا أمير المؤمنين أسمعته من
النبي صلى الله عليه وسلم قال
نعم لما أتى بسبايا طيئ وقفت
جارية عيطاء لعساء فلما رأيتها
أعجبت بها وقلت لا طالبنها
من النبي صلى الله عليه وسلم
فلما تكلمت أنسيت جمالها
بفصاحتها فقالت يا محمد ان
رأيت أن تخلي عني ولا تشمت
بي أحياء العرب فاني ابنة
سيد قومي وان أبي كان يفك
العاني ويشبع الجائع ويكسو
العاري ولم يرد طالب حاجة
قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم
يا جارية هذه صفة المؤمن ولو
كان أبوك مسلما لترحمنا
عليه خلوا عنها فان أباها كان
يحب مكارم الاخلاق * وقال
عدي بن حاتم قلت للنبي صلى
الله عليه وسلم ان أبي كان
يطعم المساكين ويعتق الرقاب
ويصل الرحم فهل له في ذلك
أجر قال ان أباك رام أمرا فأدركه
يعني الذكر * وأول ما ظهر من
جود حاتم أن أباه خلفه في
ابله وهو غلام فمر به جماعة
من الشعراء فيهم عبيد بن
الابرص وبشر بن أبي حازم
والنابغة الذبياني يريدون
النعمان فقالوا لحاتم هل من
قرى ولم يعرفهم فقال تسألوني
القرى وقد رأيتم الابل والغنم
انزلوا فنزلوا فنحر لكل واحد
منهم وسألهم عن أسمائهم
فاخبروه ففرق فيهم الابل

قال والبيت يشتمل على أربعة اعداد ضرورة الوزن وأيضا فلا يلزم في المديح أن يؤتى بجميع
الآباء في الذكر ويكفي من مدح أصيلا ان يقول أنت كريم ووالده وقد مدح الشعراء
بالنسب القصير قال أبو العلاء المعري يرثي الشريف الطاهر الموسوي أبا الشريف الرضي

أنتم ذوو النسب القصير فطولكم * بادٍ على الكبراء والاشراف
والراح ان قيل ابنة العنب اكتفت * بأب عن الاسماء والاوصاف

أراد بهذا ما حكاه الفرزدق قال خرجت من البصرة أريد العمرة فرأيت عسكرا في البرية فقلت
عسكر من هذا قالوا عسكر الحسين بن علي قال فقلت لاقضين حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه فأتيته فسلمت عليه فقال من الرجل فقلت الفرزدق بن غالب فقال هذا نسب قصير
فقلت أنت أقصر مني نسبا أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحسن قول الامير
حظي الدولة أبي المناقب عبدا الباقي

لا تمدحنه بآبائه كرموا * وأحرزوا المجد الاقصى أبا فأبا
فالراح قد أكثر المداح وصفهم * لها ولم يذكروا مع وصفها العنبا

وثالثها انه مثل ببيت البحتري وليس من الباب الذي حاوله ولفظة الفاعلون وشؤبوبه ثقيلتان
على السمع ورابعها انه شبهه ببرد بيت امرئ القيس وليس منه وانما الجامع بينهما التكرار ولم
يكن بيت أبي الطيب في برد ذلك وقد تبع ابن النبيه ابا الطيب فقال

الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب

ومما يتعلق ببيت أبي الطيب ان الالف تثبت في ابن في سائر البيت لانه لم يقع بين علمين وقد
تعنت الناس على الشعراء وشاحوهم كثيرا في الالفاظ والمعاني ألا ترى الى قول الحاجري

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

لما سمعه الناصر بن العزيز قال عسى أن هذا الخد كان مسلخا وقال علي بن ظافر في قول أبي عامر
ابن شهيد في قصيدته

طاردتهن بفتية * صبر على حرب المسالم
فكأنني فيهم لقيـ * ـط قاد من آساد دارم

غفل عن نفسه اذ شبهها بولد زنا قوادوان كان قصد لقيط بن زرارة الدارمي وقود الفرسان وقال
في قول ابن شهيد أيضا من هذه القصيدة

ذكر على ذكر يصو * ل وصارم يسطو بصارم

قد غفل أبو عامر عن نفسه غفلة شديدة في قوله على ذكر وأساء من حيث ظن أنه أحسن ولا زلنا
نستحسن الحكاية المروية عن المخنث الذي أنشد أبو بكر الخالدي بحضرته قصيدته في سيف
الدولة وقد تأنق في معانيها وروق ألفاظها ومكنها بقوافيها فكان من جملتها قوله

وأنكرت شيبة في الرأس واحدة * فعاد يسخطها ما كان يرضيها

فقال له المخنث أما تستحي تخاطب الامير بان تقول له في الرأس واحدة فحن الخالدي
والحاضرون تعجبا فقال له الخالدي فما أقول قال قل لائحة أو واضحة وكذا لم أزل أعجب من
قول مهيار الديلمي على جلالة قدره واتقاد خاطره وحسن تخيله

وانك مذخور لاحياء دولة * اذا هي ماتت كان في يدك النشر

وكيف تفاءل لممدوحه بان تنشر يده وكذلك قوله يتغزل

في صدرها حجر وتحت صدارها * ماء يشف وبانة تتعطف

فقوله في صدرها حجر من أبشع لفظ لما فيه من ايهام الدعاء وقد لحنه أبو القاسم الصيرفي في قوله النشر وقال انه استعمله مكان الانشار الذي هو الاحياء وهو خطأ من أبي القاسم فقد ورد النشر بمعنى الانشار وورد الفعل ثلاثيا ورباعيا نشر الميت وأنشره وقد قرئ في السبع أيضا وانظر الى العظام كيف ننشرها وكذلك أعجب من أبي الفتوح بن قلاقس على أنه في الفضل شمس علاء وعطارد ذكاء في قوله

بطلاقة أبدت بصفحة وجهه * وضح الصباح لمن له عينان

فيقال له كيف تجعل في وجه ممدوحك وضحا وهذا الباب انما يقع فيه كثيرا من وثق بذهنه وكبر مقدار علمه عند نفسه واعتمد على ما ينتجه خاطره من بنات فكره ويقرب من هذا وان كان دونه ماجرى لجرير لما أنشد عبد الملك بن مروان قوله * أتصحو أم فؤادك غير صاحي *

فقال عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة كانه استثقل هذه المواجهة وكذلك لما أنشده ذو الرمة * ما بال عينيك منها الماء ينسكب * وكان بعين عبد الملك مرض لا تزال عينه تدمع منه فقال له وما سؤالك عن هذا يا جاهل وأمر باخراجه وكذلك فعل ابنه هشام بابي النجم لما أنشده

صفراء قد كادت ولما تفعل * كانها في الافق عين الاحول

وكان هشام يعرف بالاحول فظن أنه انما عرض به فامر باخراجه وطرده وكذلك ما وقع لابي نواس لما هنأ جعفر بن يحيى بانتقاله الى قصر جديد بناه بقصيدة أولها

أربع البلى ان الخشوع لبادي * عليك وانى لم أخنك ودادي

وختمها بقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بني برمك من رائحين وغادي

فتطير يحيى واشمأز وقال نعيت الينا نفوسنا وبعد أيام أوقع بهم الرشيد وقد قيل ان أبا نواس قصد التشاؤم لهم وكان في نفسه من جعفر وأنشد أبو تمام أبا دلف قصيدته التي أولها

* على مثلها من أربع وملاعب * وفي المجلس رجل يشنؤه فقال لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وكانت في أبي تمام حبسة شديدة فانقطع خجلا وأنشد ابن مقاتل أحد شعراء الجبل الداعي الى الحق العلوي السائر بطبرستان أبياتا في يوم المهرجان أولها

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعي ويوم المهرجان

فنفر منه وتطير به وقال غيره وأبدله بقولك * ان تقل بشرى فهذي بشريان * ولما أنشد الصاحب أبو القاسم بن عباد عضد الدولة قصيدته الملقبة باللاكنية لكثرة ما كرر فيها لكن وأولها

أشبب لكن بالمعالي أشبب * وأنسب لكن بالمفاخر أنسب
ولي صبوة لكن الى حضرة العلا * وبي ظمأ لكن من العز أشرب

فلما بلغ الى قوله منها

ضممت على أبناء تغلب تاءها * فتغلب ماكر الجديدان تغلب

قال عضد الدولة يكفي بالله تطيرا من قوله تغلب وروى ان شاعرا أنشد الشريف فخر الدولة

والغنم وجاء أبوه فقال ما فعلت قال طوقتك مجد الدهر تطويق الحمامة وعرفه فقال أبوه اذا لا أبالي * وحكي عن زوجته النوار قالت أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض وضنت المراضع على أولادها فوالله اني لفي ليلة صنبرة بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغى أولادنا عبد الله وعدي وسفانة فقام الى الصبيين وقت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل ثم ناموا ونمت أنا واياه فأقبل علي يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت وما يأتيني نوم فقال مالها انامت فسكت ثم تهورت النجوم اذا شيء قد دفع كسر البيت فقال ما هذا قالت جارتك فلانة قال مالك قالت الشر أتيتك من عند صبية يتعاوون عوى الذئاب من الجوع قال أعجليهم فهببت اليه فقلت ماذا صنعت فوالله لقد تضاغى صبيتك من الجوع فما أصبت ما يعللهم فقال اسكتي وأقبلت المرأة تجعل اثنين وتمشي بجانبيها أربعة كانها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه جلاب فنحره وكشط عن جلده ودفع المدية الى المرأة ثم قال ابعثي صبيانك فبعثتهم فاجتمعنا فقال تاكلون دون أهل الصوم ثم جعل يأتي بيتا بيتا ويقول دونكم النار

ابن أبى الحسن تقيب الطالبيين قصيدة يهنيه فيها بشهر رمضان وكان الشريف يتاذى بالصوم لمرض يجده فكان أولها * أيامنا بك كلها رمضان * فقال الشريف طوال والله مشؤمة مكروهة عندى منغصة على وحرمه ولم يعطه شيئا وروى أبو على حسن بن سعيد الكاتب المعروف بالمكربل قال أنشدنى أبو المناقب عيدة فى الملك الافضل وأولها

*نهنيك كلا بل نهنى بك الدهرا * فقلت له الابتداء هكذا مما يتطير به وذكرت له خبر ابن مقاتل فوافقنى على ما قلته وغير الابتداء * فقال نهنيك والاولى نهنى بك الدهرا * ثم قال ابن ظافر أما أنا فانى صنعت بالشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة قصيدة فى الملك الافضل أبى الحسن على ابن الملك الناصر نور الله ضريحه أولها

دعها ولا تحبس زمام المقود * تطوى بايديها بساط الفدفد

وانشدتها لمن كان بالعسكر من اصحابنا المنتسبين الى الادب فلم منهم الا من بذل جهده فى نقدها ورمى بافلاذ كبده فيها فكرته ثم حملتها الى حضرته فصادفت قبولا واتفق بعد ذلك ان أنشدتها لابن الاجل التكريتى فلما انشدته البيت الاول قال لى ما كان يؤمنك اذا اخذ مدرجها فى يده وفتحه فوجد أول ما فيها دعها أن يلقيها ويقول قد فعلت أ لست كنت تقتضح قلت بلى والله ولكن قد وقى الله وهذا من غريب الانتقاد (قلت) قد نقلت كلام ابن ظافر من أوله الى آخره من خطه ولا تستطل أيها الواقف على هذا الفصل ما ذكرته فانه من فقه الادب وبمثل هذه الاشياء يتنبه طرف المتادب ويلتفت الى ما يجاوزه فى حالة غفلته اه (رجع القول الى بيت الطغرائى) أقول قد أخذ بيت الشريف الرضى برمته من قوله

ولقد مررت على منازلهم * وديارهم بيد البلى نهب
ووقفت حتى ضج من لغب * نضوى وملّ بعذلى الركب
وتلفتت عينى فذ خفيت * عنى الطلول تلفت القلب

وما لاحد أحسن من هذه الاستعارة فى تلفت القلب ولا أرشق ولا أعذب وما أحسن قول أبى العلاء المعرى

الى كم تشكانى الى ركائبى * وتكثر عتبى خفية وجهارا
أسير بها تحت المنايا وفوقها * فتسقط فى شخص الحمام عثارا

وقول أبى تمام الطائى

يقول فى قومس قومى وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والناس يستحسنون هذا ويعدونه من النادر الجيد لابى تمام وقد أخذه بلفظه من مسلم بن الوليد واجترأ عليه اجتراء السادة على العبيد لان مسلما هو البادى وأبا تمام هو العادى قال مسلم بن الوليد

يقول صحبى وقد جدوا على عجل * والخيل تستن بالركبان فى اللجم
أمطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وهذا فى غاية الحسن التى تكبو الفحول دون بلوغها ويعجز الشعراء عن الظفر بمصونها والتحلى بمصوغها فان عين السها تطيل النظر الى رفعتها وتتأمل ومطايا التخيل تكل عن

فاجتمعوا فالتفع بثوبه ناحية ينظر الينا فوالله ما ذاق منها مزعة وانه لاحوجهم وأصبحنا وما على الارض الاعظم او حافر * وحكى ابن الاعرابى قال أسر حاتم فى غزة فقالت له امرأة يوما قم فافصد لنا هذه الناقة وكان الفصد عندهم ان يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوى ويؤكل فقام حاتم الى الناقة فعقرها فلطمته المرأة فقال لو غير ذات سوار لطمتنى فذهبت مثلا ثم قال له النسوة انما قلنا افصدها قال هذا فزدى يعنى انه فصدى وهى لغة طيئ * وحكى المدائنى قال أقبل ركب من بنى أسد ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا اليك رسالة قال وما هى فانشده الاسديون شعر النابغة فيه فلما أنشدوه قالوا انا نستحيى أن نسألك شيأ وان لنا الحاجة قال وما هى قالوا صاحب لنا قد رحل يعنى فقد راحلته فقال حاتم خذوا فرسى هذه فاحملوه عليها فاخذوها وربطت الجارية قلوصها بثوبها فأقلت تتبع أمه واتبعته الجارية فصاح حاتم ما تبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والقلوص والجارية * ولحاتم أخبار كثيرة وشهرة زائدة

النهوض بعبئها فتحمل وما تحمل وقد أخذه أبو اسحق الغزي وسبكه فلبكه لما قال

تقول اذا احتثثناها وظلت * تناجينا بألسنة الكلال

الى أفق الهلال مسير ركبي * فقلنا بل الى أفق النوال

(قلت) فأين معانى الشمس ممن يحاول وأين الثريا من يد المتناول ولكن هذه الاشياء تتفق فما تعارض ولا تقارض (أخبرنى) الشيخ الامام الاديب الكامل القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود قال قلت للشيخ نجم الدين بن اسرائيل لاى شئ قصر قولك

لكدت تشبه برقا من ثغورهم * يادر دمعى لولا الظلم والشنب

عن قول شهاب الدين بن الخيمى

يابارقا بأعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

فقال لانه شاعر جيد تناول المعنى بكرا فأجاد فيه ولم يدع فضلة لغيره ثم قال شهاب الدين محمود مامن شاعر فى الغالب الا وقد عارض الشريف الرضى فى قصيدته التى أولها

ياظبية البان ترعى فى خمائله * ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

ومامنهم من رزق سعادته اه (قلت) والذين رزقوا السعادة فى أشياء لم يات بعدهم من نالها جماعة كثيرة لا باس بسردهم هنا وهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى النسب فانه كان فرد زمانه على بن أبى طالب رضى الله عنه فى القضاء أبو عبيدة رضى الله عنه فى الامانة أبو ذر رضى الله عنه فى صدق اللهجة أبى بن كعب رضى الله عنه فى القرآن زيد بن ثابت رضى الله عنه فى الفرائض ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير القرآن الحسن البصرى فى التذكير وهب بن منبه فى القصص ابن سيرين فى التعبير نافع فى القراءة أبو حنيفة فى الفقه قياسا ابن اسحق فى المغازى مقاتل فى التأويل الكلبى فى قصص القرآن ابن الكلبى الصغير فى النسب أبو الحسن المدائنى فى الاخبار أبو عبيدة فى الشعوبية محمد بن جرير الطبرى فى علوم الاثر الخليل فى العروض فضيل بن عياض فى العبادة مالك بن أنس فى العلم الشافعى فى فقه الحديث ابو عبيد فى الغريب على بن المدائنى فى علل الحديث يحيى بن معين فى الرجال أحمد بن حنبل فى السنة البخارى فى نقد الصحيح الجنيد فى التصوف محمد بن نصر المروزى فى الاختلاف الجبائى فى الاعتزال الاشعرى فى الكلام أبو القاسم الطبرانى فى العوالى عبد الرزاق فى ارتحال الناس اليه ابن منده فى سعة الرحلة أبو بكر الخطيب فى سرعة القراءة ابن حزم فى الظاهرية سيبويه فى النحو أبو الحسن البكرى فى الصدق اياس فى التفرس عبد الحميد فى الكتابة والرقا أبو مسلم الخراسانى فى علو الهمة والحزم الموصلى النديم فى الغناء أبو الفرج الاصبهانى فى حسن المحاضرة أبو معشر فى النجوم محمد بن زكريا الرازى فى الطب عمارة بن حمزة فى التيه الفضل بن يحيى فى الجود جعفر بن يحيى فى التوقيع ابن زيدون فى سعة العبارة ابن القرية فى البلاغة الجاحظ فى الادب والبيان الحريرى فى المقامات البديع الهمدانى فى الحفظ أبو نواس فى المجون والخلاعة ابن حجاج فى سخف الالفاظ المتنبى فى الحكم والامثال الزمخشرى فى تعاطى العربية النسفى فى الجدل جرير فى الهجاء الخبيث حماد الراوية فى شعر العرب معاوية فى الحلم المامون فى حب العفو عمرو بن العاص فى الدهاء عطاء السلمى فى الخوف من الله

وكانت أمه أم عتب بنت عفيف اموسرة لا تمسك شيأ وكان اخوتها يمنعونها فتابى فجعروا عليها سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ثم مكنوها من صرمة من ابلها وقالوا استمتعى بها فاتتها امرأة من هوازن فسألتها فقالت دونك الصرمة فقد والله ذقت من الفقر ما آليت أن لا أمنع سائلا شيأ * وحاتم من فحول الشعراء ومن محاسن شعره قوله رحمه الله

ان شاء بكرمه
أعاذل ان المال غير مخلد
وان الغنى عارية فتزود
وكم من جواد يفسد اليوم جوده
وساوس قد ذكرنه الفقر فى غد
وكم ليم آبائى فما كف جودهم
ملام ومن أيديهم خلقت يدى
وقوله يخاطب امرأته
أماوى ان المال غاد ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوى ان يصبح صدائى بقفرة
من الارض لا ماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أهلكت لم يك ضرنى
وأن يدى مما بخلت به صفر

وقد علم الاقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر
وانى لا آلو بمالى صنيعة
فاوله زاد وآخره ذخر
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى
وكلا سقاناه بكاسيهما الدهر
فما زادنا بغيا على ذى قرابة
غنانا ولا أزرى باحسابنا الفقر
وقوله يصف طارقا
عراآيسا شبه الجنون ومابه
جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فاثقبت نارى ثم أبرزت ضوءها
وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
رشدت ولم أقعد اليه أسائله
وقمت الى البزل الهجان أعدها
لوجبة حق نازل أنا فاعله
وقوله أيضا
حننت الى الاجبال أجبال طيئ
وحنت قلوصى أن رأت شوط أحمرا
وانى لمزجاء المطى على الوجى
وما أنا من خلائك ابنة عفزرا
فلا تسالينى واسالى أى فارس
اذا الخيل جالت فى قنا قد تكسرا
فلا تسالينى واسالى بى صحابتى
اذا ما المطى فى الفلاة تضورا
رأتنى كاشلاء اللجام ولن ترى
أخا الحرب الا ساهم الوجه أغبرا

تعالى الوليد فى شرب الخمر أبو موسى الاشعرى فى سلامة الباطن ابن البواب فى الكتابة والخط القاضى الفاضل فى الترسل العماد الكاتب فى الجناس ابن الجوزى فى الوعظ أشعب فى الطمع أبو نصر الفارابى فى نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره حنين بن اسحق فى ترجمة اليونانى الى العربى ثابت بن قرة الصابى فى تهذيب ما نقل من الرياضى الى العربى ابن سينا فى الفلسفة وعلوم الاوائل الفخر الرازى فى الاطلاع على العلوم السيف الآمدى فى التحقيق والاصول النصير الطوسى فى المجسطى ابن الهيثم فى العلم الرياضى نجم الدين الكاتب فى المنطق أبو العلاء المعرى فى الاطلاع على اللغة أبو العيناء فى الاجوبة المسكتة مزيد فى البخل القاضى أحمد بن أبى دواد فى المروءة وحسن التقاضى ابن المعتز فى التشبيه ابن الرومى فى التطير الصولى فى الشطرنج أبو حامد الغزالى فى الجمع بين المعقول والمنقول ابن رشد فى تلخيص كتب الاقدمين الفلسفية والطبية محيى الدين بن عربى فى التصوف اه أقول وقصيدة ابن الخيمى البائية التى أولها

* يا مطلبا ليس لى فى غيره ارب * رويتها بقراءتى على الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس عن شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن الخيمى قال اجازة وفى غالب الظن سماعا منه (قلت) وقصته مع نجم الدين بن اسرائيل مشهورة وأنشدنى لنفسه الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود قصيدة بائية عارض بها ابن الخيمى وهى فى غاية الحسن جاء منها فى ذلك المعنى قوله

يا بارق الثغر لو لاحت ثغورهم * وشمت بارقها ما فاتك الشنب

وقد جمعت ما اتفق لابن الخيمى وابن اسرائيل والشهاب محمود والعفيف التلمسانى وصدر الدين بن الوكيل ولى أنا فى معارضة هذه القصيدة وأودعته الجزء الاول من التذكرة التى جمعتها وجاء لى فى معنى البيت المذكور قولى

يا برق لا تبتسم من ثغره عجبا * قد فات معناك منه الظلم والشنب

ولقائل ان يقول لنا أجمعين * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب * ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

ان تاه ثغر الاقاحى فى تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما تلقاه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(عاد القول الى ما ينخرط فى سلك بيت الطغرائى) وقد أحسن أبو العلاء المعرى كل الاحسان حيث قال

مواصلة بها رحلى كأنى * من الدنيا أريد بها انفصالا
سألت فقلت مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لمن فالا

هذا مما يطلب لحاقه فما تحمل الجواد قوائمه ويسبى له من كل حسن كرائمه ويفتح له فى البديع نور والقلوب كمائمه ويحلى الاسماع من الدر بسمط لم يثقبه ناظمه وقد استعمل المعرى الفال فى شعره أيضا فقال

بدت حية قصرى فقلت لصاحبى * حياة وشر بئسما زعم الفال

انما قال ذلك لان الحية موصوفة بالشر وطول العمر ولهذا سميت حية وقيل انها لا تموت حتف انفها ما لم يعرض لها شدخ رأسها أو قطعه وقال الآخر

فهو كالصل من بنات الافاعى * كلما طال عمره زاد شرا

ويعجبنى قول ابن خفاجة الاندلسى من قصيدة يصف فيها الحية

وأزب يبرد من حشاه مكرّع * خصر يسح وتلعة مخضال
ما بين خطى جدولين كلاهما * بسطت يمين منهما وشمال
مثل الحباب بمنحناه ذؤابة * خفاقة حيث الرباً كفال
ينساب ثانى معطفيه كانه * هميان نشوان هناك مذال
أو ظل أسمر باللوى متأطر * عطفت جنوب متنه وشمال
لم أدره ـل يزهو فيخطر نخوة * أم لاعبت اعطافه الجريال
فاذا استطار به النجاء فنيزك * واذا تهادى فالهلال هلال
زرت عليه حبيرة موشية * بقيـله أخت لها أسمال
مزق كما ينقد فى يوم الوغى * عن لبتى مستلئم سربال
ألقى به منها هناك درعه * بطل وجرد وشيه مختال
بيد الهجيرة منه سوط خافق * وبساق ليلة صرصر خلخال

وما أحسن قول القاضى محيى الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر من جملة كتاب تروع للمراعى والمراعى وتسمع منها السهام المنية فعاقبة تراكيش الافاعى من كل صل يفترس افتراس الضيغم وينملس انملاس الجدول المفعم تنقض انقضاض السهام وتروع رائيها فى المنام ومن جهتها يحم الحمام واذا انقبضت كانت للمنية عروة واذا انبسطت فهى للرزية حزام مانابها بنو ائبه ناب ولا لعابها فى جده بالاتيان على النفوس بلعاب ذوات ألوان كالدنيا تروق وتروع وذات معاطف كالليالى والايام منذرة كالفخ للوقوع قد غدت للخيام أطنابا عوضا عن الاطناب ونابت عن العمد فيها شر منناب فلو شاهدها بقراط لم ير أن غيرها الموت من العلل الخبائث والاسباب كم تصبحت الاعين منها بأسود سالخ وكم غدا مهرى بسمها مهريا من الحريق فهو فى كور على لغة العوام نافخ ومن عجب انها تمشى على بطنها ولا تأكل من نهشته بنابها النائب عن سنها تحترس وتفترس وترى لعينها فى الظلام نارا لا يجد عليها هدى طرف المقتبس كم غدت لبعير عقالا وكم اعتقل الموت منها للطاعنة رماحا طوالا وأرسل نبالا وفى كلام العوام مما يتحاجون به قولهم حية ميتة وقاعدة قائمة وجارية واقفة وبيضاء حراء ومسلم شماس وكثيرة قليلة ونقلت من خط السراج الوراق له فى استعمال الفال

ومسائـل عـنى يقو * ل وقد كفاه سوء حالى
كيف الزمان عليـك قلـت على هـذا منك فالى

ونقلت من خطه له أيضا يتقاضى عسلا من ابن العسال

قبـل يد الشرف التى هى قبـلة * أبدا لها تتوجـه الآمال
واذكر له شـوقا اليـه يهـزنى * فكأننى متأود عسال
ولعـل ذا فال جرى نطقى به * وأبوك يصدق فى نداه الفال

وعلى ذكر الفال فقد حكى ان طاهر بن الحسين خرج لقتال عيسى بن ماهان وفى كمه دراهم يفرقها على الضعفاء ثم انه سها واسبل كمه فتبددت فتطير من ذلك فقام اليه شاعر وقال

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقوله أيضا

وعاذلتين هبتا بعد هجعة
تلومان متلافا مفيدا ملوّما
لحا الله صعلوكا مناه وهمه
من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
ولله صعلوك يساور همه
ويمضى على الاحداث والهول مقدما
اذا مارأى يوما مكارم اعرضت
تيمم كبراهن ثم صمما

(وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك)

هو زيد بن مهلهل بن زيدان الطائى فارس مظفر بعيد الصيت أدرك الاسلام وأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وهو شاعر مفلق معدود من الشعراء والفرسان وانما سمى زيد الخيل لكثرة خيله فانه لم يكن لكثير من العرب غير الفرس والفرسين وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التى ذكرها فى شعره مثل الهطال وكامل ودول ولاحق وكان زيد الخيل عظيم الخلقة طويلا جدا ويسمى مقبل الظعن لانه كان يقبل المرأة من الارض وهى فى الهودج وكذلك أبو زيد الطائى وابن جندل الطعان كما ذكره

هذا تبدد جمعهم لاغيره * وذهابه مناذهاب الهم
شئ يكون الهم نصف حروفه * لاخير فى امساكه فى الكم

يقال ان ملوك مصر العبيديين قالوا فى أول دولتهم لبعض العلماء بمصر اكتب لنا فى ورقة ألقابا تصلح للخلفاء حتى اذا تولى منا أحد لقبناه بلقب منها فكتب لهم ألقابا كثيرة آخرها العاضد فاتفق ان آخر من ملك منهم العاضد وزالت فى أيامه دولتهم على يد السلطان صلاح الدين * قال بعضهم حضرت مجلس كافور الاخشيدى وقد دخل رجل فدعا له وقال فى دعائه أدام الله أيام مولانا وكسر الميم من أيام فتحدث جماعة من الحاضرين فى ذلك وعابوه فقام رجل من وسط الناس وأنشد مرتجلا

لاغروان لحن الداعى لسيدنا * أوغص من دهش بالريق أوقهر
فتلك هيبته حالت جلالتها * بين الاديب وبين الفتح بالحصر
وان يكن خفض الايام من غلط * فى موضع النصب لاعن قلة النظر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال نؤثره عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلانصب * وان أوقاته صفو بلاكدر

يقال انه أقبل رجل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ما اسمك قال شهاب بن حرقة قال ممن قال من أهل حرة النار قال وأين مسكنك قال بذات لظى فقال أدرك أهلك فقد احترقوا رواه مالك فى الموطأ فكان كما قال عمر رضى الله عنه ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل برجل من الانصار فنادى الرجل بغلمانه ياسالم ياياسار فقال صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار فى يسر (وحكى) ان بعض العرب مر على قوم فقال لاحدهم ما اسمك قال منيع وسأل آخر فقال شديد وسأل آخر فقال وثيق وسأل آخر فقال ثابت فقال ما أظن الا قفال وضعت الامن أسمائكم (وسأل) بعض العرب رجلا عن اسمه فقال بحر فقال ابن من قال ابن فياض قال فكنيتك قال أبو الندى فقال لاينبغى لاحد أن يلقاك الا فى فلك أو شختور جاء اثنان الى بعض الشهود ليكتب لهما حجة بدين على احدهما فقال له ما اسمك قال رحال قال ابن من قال ابن سابق قال ابن من قال ابن مسافر فقال له يا أخى بالله لاتعامل هذا فى شئ فما أظنه الا يطير اذا فارقك ولا تظفر به وقال أبو العلاء المعرى

وقد سماه سيده عليا * وذلك من علو القدر فال

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب

فى رتبة حجب الورى عن نيلها * وعلا فسموه على الحاجب

(وقال) ابن الرومى

كأن أباه حين سماه صاعدا * رأى كيف يرقى للمعالى ويصعد

لما سمع البحترى هذا قال أخذه من قولى

سماه أسرته العلاء وانما * قصدوا بذلك أن يتم علاه

(وقال آخر)

شم الانوف لذاك قد سموا بها * ومن المسمى تؤخذ الاسماء

وقال ابن سوار فى القاضى ابن حمدان

الرواة (وحكى) أبو عمرو الشيبانى قال وفد زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زر بن سدوس وغيره من طيئ فاناخوا ركابهم بباب المسجد ودخلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فلما رآهم قال انى خير لكم من العزى ومما حازت مناع من كل ضار غير نفاع ومن الجمل الاسود الذى تعبدونه من دون الله فقام زيد الخيل وكان من أتم الرجال يركب الفرس ورجلاه تخطان فى الارض كانه على حمار فقال أشهد أن لا اله الا الله واشهد أنك رسول الله فقال ومن أنت قال زيد الخيل بن المهلهل قال بل أنت زيد الخير ثم قال الحمد لله الذى جاء بك من سهلك وجبلك ورقق قلبك على الاسلام يازيد ما وصف لى رجل فرأيته الا كان دون ما وصف الا أنت فانك فوق ما قيل فيك وفى رواية أخرى ان فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الاناة والحلم فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رجل ان سلم من آطام المدينة فاخذته الحمى فمكث سبعا ثم اشتدت به الحمى فخرج وقال لاصحابه جنبونى بلاد قيس فقد كانت بيننا حماسات فى الجاهلية ولا والله لا أقاتل مسلما حتى

من معشر حمدوا فأحمد سعيهم * ولذاك قد سموا بنى حمدان

وقال البحترى

سماه سعد المتفاؤل باسمه * حقا لقد ألفاه سعد الذابحا

كان شهاب الدين القوصى يوما عند الملك الاشرف وقد دخل اليه سعد الدين الحكيم وكانت بينهما وحشة فقال الاشرف ما تقول يا شهاب الدين فى سعد الدين فقال يا خوند اذا كان عندك فهو سعد السعود وعلى السماط سعد بلع وفى الخيام عن الضيوف سعد الاخبية وعند المرضى سعد الذابح * حدثنى الشيخ المولى القاضى علاء الدين على بن غانم قال عتبنى يوما القاضى شهاب الدين محمود وقال قد بلغنى أن جماعة ديوان الانشاء يذمونى وأنت حاضر ما ترد غيبتى فكتبت اليه

ومن قال ان القوم ذموك كاذب * وما منك الا الفضل يوجد والجود
وما أحد الا لفضلك حامد * وهل عيب بين الناس أو ذم محمود

فكتب الى أبياتا منها

علمت بانى لم أذم بمجلس * وفيه كريم القوم مثلك موجود
ولست أزكى النفس اذ ليس نافعى * اذا ذم منى الفعل والاسم محمود
وما يكره الانسان من أكل لحمه * وقد آن أن يبلى ويأكله الدود

فلم يبق بعد ذلك الا أيام قلائل وتوفى رحمه الله وأكله الدود (رجع القول) الى بيتى المعرى اللذين فيهما * فكان اسم الامير لهن فالا * أخذ هذا المخلص من قول أبى تمام الطائى

اذا بعثت على أمل بعيد * فقد قربت من الامل البعيد
أبين فما يزرن سوى كريم * وحسبك أن يزرن أبا سعيد

ومن حسن التخلص قول أبى الطيب

نودعهم والبين فينا كأنه * قنا ابن أبى الهيجاء فى قلب فيلق

وقال على بن الجهم

وليلة كحلت بالنعس مقلتها * ألقت قناع الدجى فى كل اخدود
قد كاد يغرقنى أمواج ظلمتها * لولا اقتباسى سنى من وجه داود

وقال يذكر سحابة

أتتنا بها ريح الصبا فكأنها * فتاة تزجيها عجوز تقودها
فما برحت بغداد حتى تفجرت * بأودية ما تستفيق مدودها
فلما قضت حق العراق وأهله * أتاها من الريح الشمال بريدها
فمرت تفوت الطرف سعيا كأنها * جنود عبيد الله ولت بنودها

يريد انصراف عبيد الله بن خاقان عن الجعفرى الى سر من رأى عند قتل المتوكل وقال ديك الجن

وعزيز يقضى بحكمين فى الرا * ح يجور وفى الهوى بمحال
للنقا رد فيه وللخوط ما حمل لينا وجيده للغزال
فعلت مقلتاه بالصب ما تفـ * ـعل جدوى يديك بالاموال

ألقى الله عز وجل فنزل بماء لجرم يقال له فردة واشتدت به الحمى فقال

أمرتحل صحبى المشارق غدوة * وأترك فى بيت بفردة منجد
فليت اللواتى عدننى لم يعدننى * وليت اللواتى غبن عنى عوّدى

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب معه لبنى نبهان كتابا بفدك فمكث زيد الخيل بفردة سبعا ثم مات فاقام عليه قبيصة بن الاسود النياحة سبعا ثم بعث راحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظرت امرأته وكانت على الشرك الى الراحلة وليس عليها زيد ضربتها بالنار فاحترق الكتاب فيما احترق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربها الراحلة بالنار واحتراق الكتاب قال ويل لبنى نبهان (وحكى) الشيبانى عن شيخ من بنى عامر قال أصابتنا سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل من القوم بعياله حتى أنزلهم الحيرة فقال لهم كونوا قريبا من الملك ليصيبكم من خيره حتى أرجع اليكم وأتى اليه لا يرجع حتى يكسبهم خيرا فتزود وزادا ثم مشى سبعة أيام حتى انتهى الى عطن ابل مع تطفل الشمس فاذا خباء عظيم وفيه قبة من أدم قال فقلت فى نفسى ما لهذا

وقال البحترى

كأن سناها بالعشى وصبحها * تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

وقال محمد بن هانئ المغربى

كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وقال ابن الساعاتى

كم وقفنا فيها مع الغيث مثلين جفونا وكافة وغماما
أتحفته ظبا البروق جراحا * منهرات سالت عليه ركاما
فكأن الغمام نقع وقد جرّد فيه الملك المعز حساما

وقال أيضا

منعت ظباء المنحنى بأسوده * وأشد ما أشكوه فتك ظبائه
فعلت بنا وهى الصديق لحاظها * كظبا صلاح الدين فى أعدائه

وقال أيضا

أبكى العقيق بمثله وتهب أنـ * ـفاس الغضا بضرامه المتسعر
وجدى وان كنت الذليل بديضه * وجد العزيز بكل لدن أسمر

وقال ابن سناء الملك

لا يرجع الكلف الذليل عن الهوى * أو يرجع الملك العزيز عن الندى

والاول أكمل وأحسن وقال أيضا

فالوجد لى وحدى دون الورى * والملك لله وللظاهر

وما أحسن قول أبى الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بطاقة

وكم ليلة قد بتها معسرا ولى * بزخرف آمالى كنوز من اليسر
أقول لقلبى كلما اشتقت للغنى * اذا جاء نصر الله تبت يدا الفقر

قلت انظر الى هذا الشاعر كيف تخلص ووثب الى المديح وما تربص وصدق نظمه فى الحسن وما تخرص فاحذ على مثاله ان كنت تحذو واغذ بلبان بيانه ان كنت تغذو (وقال) أيضا يمدح جمال الدين موسى بن يعمور

جسرت على لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه فى سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لانى بموسى قد أمنت من السحر

(وقال) النفيس القطرسى يمدح شجاع الدين جلدك

يا قلب من لانت معا * طفه علينا ما أشد ك
أتظنى جلد الهوى * أو أن لى عزمات جلدك

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

غصن نقا حل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

قلت انظر الى حسن هذا التخلص ولطفه وجنى البيان وقطفه مع ما فيه من التورية الحسنة والبلاغة التى تبيت لها الجفون وسنة أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن

الخباء بد من أهل وما لهذا
العطن بد من ابل فنظرت
فى الخباء فاذا شيخ قد اختلفت
ترقوتاه كأنه نسر فجلست
خلفه مختفيا فلما وجبت
الشمس اذا بفارس قد
أقبل لم أر قط فارسا أعظم
منه ولا أجسم على فرس
مشرف ومعه عبدان يمشيان
جنبيه واذا مائة من الابل
مع فحلها فبرك الفحل وبركن
معه وحوله فقال لاحد عبديه
احلب فلانة ثم اسق الشيخ
فحلب فى عس حتى ملأه ثم
وضعه بين يدى الشيخ
وتنحى فكرع الشيخ منه مرة
أو مرتين ثم نزع فثرت اليه
مختفيا فشربته فرجع العبد
فقال يا مولاى قد أتى على
آخر العس ففرح وقال له
احلب فلانة فحلبها ثم وضع
العس بين يدى الشيخ
فكرع منه واحدة ثم نزع
فثرت اليه فشربت نصفه
وكرهت أن آتى على آخره
فجاء العبد فأخذه ثم أمر
مولاه بشاة فذبحها وشوى
للشيخ منها ثم أكل هو
وعبداه فأهملت حتى اذا
ناموا وسمعت الغطيط ثرت
الى الفحل فحللت عقاله
فأندفع وتبعته الابل فهمست
ليلتى حتى الصباح فلما علا
النهار اذا أنا بفارس قد أقبل
واذا هو صاحبى فعقلت
الفحل ونثلت كنانتى

نباتة رحمه الله يمدح الملك المؤيد صاحب حماة

كيف الخلاص لمطوى على شجن * وقد تمالت عليه أعين سحره
تغزو لواحظه فى المسلمين كما * تغزو سيوف عماد الدين فى الكفره

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال أنشدنى لنفسه الشيخ العلامة تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذى * يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل لى تعريسهم ساعة * وقلت بل ذكراك وهو الصحيح

قلت انظر الى هذا النظم ما ألطف تركيب ألفاظه وأحلاه وكونه استعمل طريق الفقهاء فى البحث فى ذكر اختلاف الاصحاب وأنه قيل كذا وقيل كذا وقلت كذا وهو الصحيح كانه امام الحرمين وقد ألقى درسا فى مسئلة فيها خلاف بين الاصحاب وقد رجح ما رآه هو عنده من الدليل وما رأيت أحسن من هذا بينهما هو يصف أحوالهم فى السرى ومشاقهم فى التعب وتشاورهم فيما بينهم وما أشار به كل منهم فى ازالة ما حصل لهم من العناء اذا به قد برز من بينهم برأى أدخل فيه ذكر الممدوح ونص على تصحيحه فكانه فى حلقة الدرس وقد شرع فى مسئلة خلافية ويحرم هذا النظم على غير الشيخ تقى الدين

فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الالها

وما أحقه لو أنشد قول الارجانى

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع * فى العصر لا بل أفقه الشعراء

وليس هو كما قال الآخر فى بعض الناس

هو فى الفقه شاعر لا يبارى * وهو فى الشعر أوحد الفقهاء
لا الى هؤلاء ان طلبوه * وجدوه ولا الى هؤلاء

والارجانى فيما تقدم أخذ قوله من قولهم كلام الملوك ملوك الكلام وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة ما كتبه لصاحب اليمن جوابا عن هدية وردت منه قرين كتاب

أتانى كتابك والمكرمات * تسير لديه مسير السحب
لئن جاء فى موكب من ندالك * فكتب الملوك ملوك الكتب

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

وليلة بتهامن ثغر حبى * ومن كاسى الى فلق الصباح
أقبل أقحوانا من شقيق * وأشرب ها شقيقا من أقاح

ومن كلام الناس كتب الاحباب أحباب الكتب والعلم المشهور فى هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدة أولها * أهن عوادى يوسف أم صواحبه * أنكر عليه أبو سعيد الضرير وأبو العميثل هذا الابتداء وقالا له لا تقول ما يفهم فقال لهما لا تفهمان ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور (يقال) انه عرض على القاضى الفاضل رقعة باسم مؤذنين

ووقفت بينها وبين الابل فوقف بعيدا وقال احمل عقاله فقلت كلا لقد تركت نسيات بالحيرة وآليت أن لا أرجع اليهن حتى أفيدهن خيرا أو أموت قال فانك ميت حمل عقاله لا أبا لك فقلت هو ما أقول لك انك لمغرور ثم قال انصب لى خطامه وفيه ثلاث عجر ففعلت فقال أين تحب أن أضع سهمى فقلت فى هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم رمى الثلاثة صائبا فرددت نبلى ووقفت مستسلما فدنا منى فأخذ السيف والقوس ثم قال اركب وعرف أنى الذى شربت اللبن عنده فقال كيف ظنك بى قلت أحسن ظن قال وكيف قلت لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بى فقال أترانى كنت أهيجك وقد بت تنادم مهلهلا قلت أزيد الخيل أنت قال نعم فقلت كن خير آخذ قال لا بأس عليك ومضى بى الى موضعه ثم قال أما لو كانت هذه الابل لى لسلمتها لك ولكنها لابنة مهلهل فأقم على فانى على شرف غارة فأقمت أياما ثم غار على بنى عمير بالملح فاصاب أبلا فاعطانيها وبعث معى خفيرا من ماء الى ماء حتى وردت الحيرة (وحكى) الاصمعى قال أسر

يستخدمان اسم أحدهما مرتضى والآخر زيادة فوقع على رأسها أما زيادة فمرتضى وأما مرتضى فزيادة فاستخدم زيادة وصرف مرتضى وهذا فى غاية الحسن وهو من لطف القاضى الفاضل وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

يا بأبى معاطف واعين * يصول منها رامح ونابل
فهذه ذوابل نواضر * وهذه نواظر ذوابل

هذا من أعلى طبقات هذا النوع لانه رد العجز على الصدر بالفاظه مع اختلاف المعنى وقلت انا فى مثل هذا النوع

اضاع نسكى عذار مسكى * فكيف تركى لحاظ تركى
قد شكك قلبى برمح قد * قد فؤادى بغير شكك

وقلت فى النوع الاول أيضا

قد فاق غصن النقا حبيبى * واخجل البدر فى التمام
ذاك قوام بلا محيا * وذا محيا بلا قوام

وكان نجم الدين بن اسرائيل يقول أنا شاعر الفقراء بل وفقير الشعراء (وقال) بعضهم فى صاحب الشذور هو اما شاعر الحكماء أو حكيم الشعراء (وقال آخر) من رد الاعجاز على الصدور قبور الاحياء أحياء القبور (رجع القول) الى أبيات الشيخ تقى الدين رحمه الله وقد أخذ الشيخ كلامه من قول ذى الرمة

ونشوان من طول النعاس كأنه * بجبلين من مشطونة يترجح
اذا مات فوق الرحل أحييت روحه * بذكراك والعيس المراسيل جنح

ولكنه أخذه جسدا فارغا فزاده روحا وأوحى الى الاسماع أطيب ما يوحى ولابى نواس شئ من هذا المذهب فى الشعر يذكر البحث والجدل فى قوله

فاخرت كل شراب فسمت * رتبة ليس يضاهيها شراب
لا تماريك على تحريمها * ان نقل ما حرمت طال الخطاب
حرمت ما حرمت بل حرمت * جاء فى التنزيل نهى واجتناب
قال هل أنتم فقلنا نحن لا * وسكتنا كلنا واستدباب

كان يقال أبو نواس فقيه غلب عليه الشعر والشافعى شاعر غلب عليه الفقه والشافعى والخليل ابن أحمد وأبو بكر بن دريد معدودون من العلماء الشعراء ومن شعر الشيخ تقى الدين ما أنشدنيه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال أنشدنى شيخنا تقى الدين لنفسه

قالوا فلان عالم فاضل * فأكرموه مثل ما يرتضى
فقلت لما لم يكن ذا تقى * تعارض المانع والمقتضى

وكل من عانى النظم وغلب عليه فن من الفنون مال به الى ذلك الفن وغلبت عليه قواعده واستعملها فى مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه وظهر على ما يرومه اصطلاح ذلك الفن وأحكامه ألا ترى الى أبى الفتح البستى ومقاطيعه المشهورة فى الآداب والحكم كيف يغلب عليها ألفاظ المنجمين (حكى) ان بعض الاطباء كان فى خدمة بعض الملوك فى غزوة لم يكن معه وقت النصرة كاتب ترسل فأمر الطبيب أن يكتب للوزير يعلمه بذلك فكتب أما بعد فانا قد

زيد الخيل الحطيئة الشاعر
وكعب بن زهير فى حرب فاما
كعب ففداه قومه وأما
الحطيئة الشاعر فشكا
الحاجة فقال زيد
أقول لعبدى جرول اذ أسرته
أثبنى ولا يغررك أنك شاعر
فقال الحطيئة
ان لا يكن ما قلت آنفا فانى
سيأتى ثنائى زيد بن مهلهل
فما نلتنا غدرا ولكن لقيتنا
غداة التقينا فى المضيق
بأخيل
تفادى حماة الخيل من وقع
رمحه
تفادى ضعاف الطير من
وقع اجدل
فرضى عليه زيد ومن عليه
فلما رجع الحطيئة الى قومه
قام شاكرا لزيد ذاكرا لنعمته
فلما أسرت طيئ بنى بدر
طلبت فزارة الى شعراء
العرب أن تهجو بنى لام وزيدا
فتحاماهم الشعراء فصاروا
الى الحطيئة فابى عليهم
فقالوا نجعل لك مائة من
الابل فقال لو جعلتموها ألفا
ما فعلت ثم قال
كيف الهجاء وما تنفك
صالحة
من آل لام بظهر الغيب
تأتينى
ومن شعر زيد الخيل قوله

كنا مع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت ببيضة لما وقع الا على قيفال فلم يكن الا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسعادتك يا معتدل المزاج (قلت) ما رأيت أحسن من هذا ولا أوجز ولا أبلغ ولا أحسن ضرب مثل ولا أحسن تشبيها وهو فى غاية الفصاحة ولما أنكر على القرش النقاش بسبب لوح البريد الذى نقشه لعز الدولة وطلب طلبا مزعجا اختفى مدة ثم كتب الى القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر رقعة فيها يقبل الارض ويذكر أن له ثلث سنة محقق وهو مختف فى حواشى البيت خوفا من الاشعار فان المملوك يخشى الرقاع من صاحب الطومار والمملوك يسأل نسخ هذه القضية بحيث لا يقع عليه غبار فانه والله ما يحمل عود ريحان فأعجبه ذلك ولم يزل يتلطف له عند سلار والجاشنكير الى أن خمدت قضيته وسكنت (قلت) الكل مناسب الا قوله الاشعار فانه فى الاصل بفتح الهمزة لأنه الذى يكتب الأشعار والقرش رحمه الله استعمله مكسور الهمزة مصدر أشعر به اشعارا ولكنه لحن خفى خفيف على القلب والسمع * وقريب من هذا قول من كان يعرف الرياضى حين احتضر اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ونهاية العدد والجذر الاصم اقبضنى اليك على زاوية قائمة واحشرنى على خط مستقيم قلت لا بأس بالكلام على ما يتعلق بهذا (قطر الدائرة) هو الخط الذى يمر بالمركز ويقطع الدائرة بنصفين وقيل هو أطول خط فى الدائرة والخط قال أوقليدس فى رسمه الخط طول لا عرض له قالوا فى هذه العبارة تجوز لان الطول انما هو صفة الخط والخط هو المقدار المتصف بالطول فقط فالعبارة السديدة فى ذلك أن يقال الخط هو ماله طول فقط لان الخط من مقولة الكم والطول من مقولة الكيف ويتصور وجود الخط فى الحس اذا كان فصلا مشتركا بين لونين كالفصل المشترك بين الماء والزيت فأنت ترى طولا بلا عرض وهذا أحرى الامثلة له فى الخارج والدائرة رسمها أوقليدس فقال كل شكل مسطح محيط به خط واحد فى داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة الخارجة منها الى الخط المحيط متساوية وتسمى تلك النقطة مركز الدائرة قالوا أشار الى معنى ليس بموجود لانه ليس يوجد فى الحس شكل على هذه الصفة أى على غاية الاستدارة وفى وسطه نقطة كل الخطوط الخارجة منها كما قال متساوية على غاية التساوى فالصفة مفهومة والعنقا غير موجودة لان الحس كثير الغلط فما يوجد بالحس لا يوثق به ولأن الاشياء المحسوسة مستحيلة كائنة فاسدة ليست ثابتة على صفة واحدة ولا آن واحد والجواب أنها متحققة فى الذهن فهى معقولة فهى ثابتة الوجود هذا كلام الكركى وكأنه حاول اثبات الدائرة فى الخارج فعجز عن ذلك فوقف عند اثباتها فى الذهن وذهل عن الفلك أنه موجود فى الخارج وهو كرة صحيح الاستدارة بالاجماع من الرياضيين والطبيعيين حسبما تقتضيه البراهين من الفريقين ومتى وجدت الكرة وجدت الدائرة أقل ذلك منطقة الكرة فانها محيط دائرة بلا شك فعلى هذا قطر الدائرة خط مستقيم ومحيطها خط مستدير وهما متباينان بالنوع فلا نسبة بينهما فمتى كان محيط الدائرة معلوما كان القطر مجهولا ضرورة وانما قرب به ارشميدوس بأن جعل القطر سبعة من اثنين وعشرين بأقرب تقريب فعلى هذا لا يعلم نسبة قطر الدائرة من محيطها تحقيقا الا الله تعالى وكذلك نهاية العدد لا يعلمها الا الله تعالى لان كل عدد نفرضه تمكن الزيادة عليه دائما فلا نقدر على تحصيل النهاية وكذلك الجذر الاصم لا يعلمه الا الله تعالى لان الجذر مقدار اذا

بنى عامر هل تعرفون اذا غدا
أبو مكنف قد شد عقد الدوائر
بجيش تظل البلق فى حجراته
ترى الاكم منه سجدا للحوافر
أبت عادة للورد أن تكره الفنا
وحاجة رمحى فى غير وعامر
وقوله وقد غزا غزوة فظلع فرس من خيله فلم يتبع الخيل فاخذه بنو الصيداء
يا بنى الصيداء ردوا فرسى
انما يصنع هذا بالذليل
لا تذيلوه فانى لم أكن
يا بنى الصيدا لمهرى بالمذيل
عودوه بالذى عودته
دلج الليل وايطاء الفتيل
وقوله أيضا
جلبنا الخيل من أجا وسلمى
تخب ترابعا خبب الذئاب
ضربن بغمرة فخرجن منها
خروج الودق من خلل السحاب
وقد علموا بنو عبس وبدر
ومرة أننى شقب عقابى
(والسليك بن السلكة انما عدا على رجليه)
هو السليك بن عمرو بن يثربى أحد بنى مقاعس وأمه السلكة جاهلى قديم وهو أحد صعاليك العرب ولصوصهم العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تتعلق بهم الخيل (حكى) ابن شهاب قال كان السليك السعدى اذا

ضرب فى نفسه قام منه العدد وجذر الواحد مساوله لانه واحد وجذر العدد الصحيح أقل منه كالتسعة جذرها ثلاثة وجذر الكسر أكثر منه لان الربع جذره نصف والاعداد منها ما له جذر ويسمى المفتوح كالواحد والاربعة والتسعة والستة عشر وغير ذلك ومنها ما لا جذر له معلوم وان كان لابد له من جذر فى نفس الامر كالعشرة ويسمى الاصم فانه أى كسر أضفناه الى الثلاثة وضربنا المجموع فى نفسه لابد ان يزيد عن العشرة أو ينقص عنها فلا نعلمه على التحقيق بوجه ولهذا يحكى عن فلاسفة الهند انهم يقولون سبحان العالم بخارج الجذور الصم واما الزاوية القائمة فكل خط يقوم على خط قياما معتدلا لا ميل فيه الى احدى الجهتين يسمى عمودا فان الزاويتين اللتين عن جنبتى العمود متساويتان فهما قائمتان وهذه صورته لانك اذا أقمت على خط اب عمود جد فالزاويتان اللتان عن جنبتى العمود متساويتان فهما قائمتان فلو كان العمود القائم على خط اب مائلا كانت زاوية اجد منفرجة وكانت زاوية دجب حادة فقوله اقبضى على زاوية قائمة أراد بذلك أنها أعدل الزوايا وانه لا ميل لواحد من خطيها على الآخر ولا عنه ولذلك ينسب اليها سائر الزوايا الحادة والمنفرجة كما تقول زاوية المثلث ثلثا زاوية قائمة وزاوية المسدس قائمة وثلث وكذلك الجميع وأما الخط المستقيم فقد رسمه أوقليدس بأن قال انه الموضوع على مقابلة أى النقط كانت عليه بعضها البعض ومراده بذلك أن تكون النقط كلها متقابلة فى سمت واحد أعنى أن لا يكون بعضها أرفع وبعضها أخفض كالقوس مثلا فانا اذا اعتبرناها من جهة الحدود كانت النقط المتوسطة أرفع من المتطرفات وان اعتبرناها من جهة المقعر كان الامر بالعكس بخلاف الخط المستقيم ورسمه ارشميدوش بأنه أقصر خط يصل بين نقطتين وهذا يرد عليه أنه غير شامل لانه انما حد من الخط المستقيم ما هو متناه بين نقطتين والمستقيم أعم من ذلك ورسمه أبو على بن الهيثم بأنه الذى اذا ثبت طرفاه وأدير دورة تامة لم يحدث من دورانه سطح ويرد عليه ما يرد على ارشميدوش وأنه استعمل فى رسمه الحركة وليست من موضوعات الهندسة وكأن القائل لمح من هذا الصراط المستقيم (رجع الى قوله كل من قال الشعر غلب على معانيه ما يعانيه من الفنون) هذا الشيخ صدر الدين بن الوكيل لما كان الفقه يغلب على فنونه تجد كلامه فى الغالب اذا خلا من القواعد الفقهية ينحط عن رتبة الحسن الا ترى ما أحسن قوله فى القصيدة البائية

ما الكاس عندى باطراف الانامل بل * بالخمس تقبض لا يحلولها الهرب
شججت بالماء منها الرأس موضحة * فبن أعقلها بالخمس لا عجب

لا يخفى ما فى هذا الثانى من المحاسن التى تقف الافهام دون غايتها وتؤمن الاسماع بآيتها وتمتد كف الثريا الى رفع رايتها ولولا خوف الاطالة لاعطيت هذا المقام ما يستحقه ونبهت على ما تضمنه من أنواع البديع الذى يتملك القلب الغليظ ويسترقه وان كان قد أخذه من قول عكاشة الصوفى فى أصل المعنى

حمراء مثل دم الغزال وتارة * بعد المزاج تخالها زرقا با
واذا المزاج علا فتح جبينها * نفثت بألسنة المزاج حبابا

ولكنه أخذه ذهبا فجعله يتوقد لهبا وتناوله قبسا فاطلعه فى أفق البلاغة شهبا وزاده من

كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار وكان أدل من قطاة فيجىء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مضر بل على اليمن فاذا لم يفد أغاره على ربيعة وكان يقول اللهم انك تهيئ ما شئت لمن شئت اللهم انى لو كنت ضعيفا لكنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة اللهم انى أعوذ بك من الخيبة فاما الهيبة فلا هيبة فذكروا انه أملق حتى لم يبق له شئ فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بابله حتى أمسى فى ليلة من ليالى الشتاء مقمرة فاشتمل الصماء ثم نام فبينما هو نائم اذ جثم عليه رجل فقعد على جنبه فقال له استأسر فرفع السليك رأسه وقال الليل طويل وأنت مقمر فذهبت مثلا فجعل الرجل يلهزه ويقول ياخبيث استأسر فلما آذاه أخرج السليك يده وضم الرجل ضمة ضرط منها وهو فوقه فقال السليك أضرطا وأنت الاعلى فذهبت مثلا ثم قال السليك من أنت قال رجل افتقرت فقلت لأخرجن فلا أعود الى أهلى حتى أستغنى قال فانطلق معى فانطلقا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما فاصطحبوا

الفقه زيادة رقصت بها الاعطاف طربا وهزت الرؤس عجبا ومن تأمله وجد التورية قد مدت فيه على المجرة طنبا وأخذت محاسن النيرين سلبا (قال صاحب الاغانى) ان المهدى لما سمع الابيات قال لعكاشة لقد وصفت الخمر فاحسنت فى وصفها احسان من شربها وقد استحققت الحد فقال أيؤمننى أمير المؤمنين حتى أتكلم بحجتى قال قد أمنتك فقال وما يدريك يا أمير المؤمنين أنى قد أجدت وصفها ان كنت لا تعرفها فقال له المهدى اعزب قبحك الله وما أحسن قول الشيخ صدر الدين أيضا

لم يصلب الراووق الا عندما * قطع الطريق على الهموم وعاقها

وقوله أيضا

ارقت دم الراووق حلالا أننى * رأيت صليبا فوقه فهو مشرك
وزوجت بنت الكرم بابن غمامة * فصح على التعليق والشرط أملك

هذا الآخر من نمط الاول فى استعماله قواعد الفقهاء والتورية بالتعليق مع تضمين المثل والاول أخذه من قول سيف الدين بن المشد فى مليح نصرانى

يصبو الحباب الى تقبيل مبسمه * وتكتسى الراح من خديه أنوارا
من أجل ذا أصبح الراووق منعكفا * على الصليب وشد الكاس زنارا

واستعمله صدر الدين أيضا فقال

ياغاية منيتى ويا معشوقى * من بعدك لا أصبو الى مخلوق
ياخير نديم كان لى يؤنسنى * من بعدك صليت على الراووق

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال فيما ينقش على مشراط حجام وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين

أنا لا أكلم واصبا * الا باذن منه يملك
شرطى شفاء الها لكين من الاذى والشرط أملك

لا يخفى حسن التورية فى أكلم والشرط أملك (رجع الى حسن المخلص) ومن أحسن ما فيه قول القائد أبى عبد الله السنبسى يمدح سيف الدين صدقة بن منصور بن دبيس

ونرجس خضل تحكى أزاهره * أحداق تبرع على أجفان كافور
كأنما نشره فى كل باكرة * مسك تضوع أو ذكرا بن منصور

وأما ابن حجاج فاشق غباره فى حسن المخلص الى المديح ولا سابقه برق فضلا عن الريح بيناهو يهذر سخفا اذا به قد رفع الى المديح سخفا يتصل مديحه بجونه اتصال الزهر بغصونه والحديث بشجونه ويتحد منه الجد بالهزل اتحاد الذل بالعزل والجد بالازل فمن ذلك قوله من قصيدة

النيك من قدام فى * هذا الزمان قد ترك
فدورتلى فقحة * مثل اللجين المنسبك
فقلت ياسيدتى * أحسنت لا جفعت بك
أحسنت يا أوسع من * فتوح مولانا الملك

وقال أيضا من أبيات

جميعا حتى أتوا الجوف وهو جوف مراد فلما أشرفوا عليه اذ فيه نعم كثيرة فهابوا أن يغزوا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب فقال لهم السليك كونوا قريبا حتى آتى الرعاة فأعلم الكماة لم الحى أقريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت اليكم وان كان بعيدا قلت لكم قولا أومئ اليكم به فاغزوا فانطلق حتى أتى الرعاة فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فاذا هو بعيدان طلبوا لم يدركوا فقال السليك للرعاة ألا أغنيكم قالوا بلى فرفع صوته وغنى

ياصاحبى ألا لاحى بالوادى
الا عبيد قيام بين اذواد
هل تنظران قليلا ريث غفلتهم
أم تغدوان فان الرايح الغادى

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فطردا الابل فذهبوا باكرا بأكثرها ولم يبلغ الصريخ الحى حتى فاتوهم (وحكى) أبو عبيدة قال بلغنى أن السليك رأى طلائع لبكر بن وائل وكانوا منحدرين ليغزوا على بنى تميم ولا يعلم بهم فقالوا ان علم السليك أنذر بنا قومه فبعثوا له فارسين على جوادين فلما هايجاه خرج يحضر كأنه طلبى وطارداه عامة يومهما ثم قالا اذا كان الليل أعيا ثم سقط وأقصر عن العدو فنأخذه فلما

أصبحا وجدا أثره قد عثر
بأصل شجرة فتبرأ عنها
وندرت قوسه فانحطمت
فوجدا قصدة منها قد أثرت
بالارض فقالا يالله أخزاه الله
وهما بالرجوع ثم قالا لعل
هذا كان من أول الليل ثم
فتر فتبعاه فاذا أثره متنضحا
قد بال فرغا فى الارض
وخدها فقالا يالله قاتله الله
فما رأينا أشد منه لا نتبعه
أبدا فانصرفا ووصل الى
قومه فأنذرهم فكذبوه لبعد
الغاية فأنشد يقول

يكذبنى العمران عمرو بن جندب
وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
ثكلتهما ان لم أكن قد رأيتها
كراديس يهديها الى الحرب موكب

وجاء الجيش فأغاروا (وحكى)
الاصمعى أن السليك لقى
رجلا من خثعم ومعه امرأة
فأخذه فقال له الخثعمى أنا
أفدى نفسى منك فقال له
السليك ذلك لك على أن
لا تخبر بى ولا تطلع على
أحدا من خثعم فحالفه
وخلف عنده امرأته رهينة
ورجع الى قومه فنكحها
السليك وجعلت تقول له
احذر خثعم فانى أخافهم
عليك فقال

وقد بادلتها فبادلتها * بمشورة استها ولها قذالى
كالابن العميد جميع مدحى * ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن حسن التخلص قول ابن المعتز

والله لا كلمتها ولوانها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

وقد أشار ابن سناء الملك الى هذا فى قوله

وملاحة بالحسن يسخر وجهها * بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف
لا أرتضى بالشمس تشبيها لها * والبدر بل لا أكتفى بالمكتفى

وتعنت عليه ابن جبارة فى تعليقته التى أملاها على شعر ابن سناء الملك وقال عند هذا البيت هذا نوع من الجنون والاختلاط وذلك ان هذا الشاعر كثيرا ما يسمع الشعر ويختلط فيه ذهنه فيأتى به على غير ما يقتضيه فان ابن المعتز أنشد البيت وأراد كونها فى الحسن كالشمس التى هى آية النهار أو كالبدر الذى هو آية الليل أو كالمكتفى الذى هو خليفة الارض فى عظم الشان وكبر السلطان فنقله هذا الشاعر الى الحسن ومن أين للمكتفى صفة الحسن والذى دلت عليه التواريخ انه كان أسمر أعين قصيرا وليست هذه من صفات الحسن وانما ظن أن ابن المعتز وصفه بالحسن فمشى على ظنه وأخذ فى مهيع فنه وليس كما ظنه واعتقد ولا قصد ما قصد وأحسن ابن أبى السحناء فى قوله

الشعر كالروض ذا ظام وذا خضل * أو كالصوارم ذا ناب وذا خضم
مثل العرانين هذا حظه خنس * يزرى عليه وهذا حظه شمم

(قلت) ليس ابن سناء الملك ممن يخفى عليه هذا الذى ذكره وانما ذكر ابن المعتز المكتفى خروجا الى المديح بعلاقة الحسن وما زال الشعراء يصفون الممدوح بالحسن والصباحة والطلاقة ويشبهونه بالشمس والبدر والصبح وذلك مشهور لا يحتاج الى شاهد يؤيده وانما قول ابن المعتز قد شاع وذاع وملأ الاسماع وسار وطار فى الاقطار بالاشتهار فلما ذكر ابن سناء الملك حسن محبوبته وذكر الشمس والقمر والقافية فائية كان المكتفى جالسا فى طريقها وكان فى ذكره اشارة الى قول ابن المعتز مع زيادة الجناس فقال بل لا أكتفى بالمكتفى الذى جعله ابن المعتز غاية فى الحسن عنده لانه انتقل من أدنى الى أعلى ألا ترى ان قول ابن سناء الملك فيه بل التى هى للاضراب وهذا من الادب غاية فى حسن النظم والتلعب بالكلام وما ينكر هذا الا من ليس له ذوق بالادب فانه قد جاء من هذا النوع كثير فى كلام المتأخرين أنشدنى لنفسه بالباب وبراعة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة المولى صفى الدين الحلى

يقبل الارض عبد من عبيدكمو * عليكمو بعد فضل الله يعتمد
ما دار ميه من أسنى مطالبه * يوما وأنتم له العلياء فالسند

وقال ابن سناء الملك أيضا

ودمية من أهواه فى الحسن دمية * وصدق قولى أنها لم تكلم

(وقال أيضا)

اذا قيل لا تهلك أسى فلعالة * لقائل هذا قوله وتجمل

(وما أحسن) ما أشار ابن حجاج الى قول ابن نباتة السعدى فى فرس أغر محجل

غضبت صباح وقد رأتنى قابضا * أيرى فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا ما لطمت جبينه * حتى يحقق فيك قول الشاعر

اشارة الى قوله

فكانما لطم الصباح جبينه * واقتص منه فخاض فى أحشائه

وهذا من المرتص وليس بعد هذا مزيد ولا غاية فى الحسن وراءه وما أحسن ما قال ابن سناء الملك رحمه الله فى موضع آخر من شعره

بأبى وأمى من يكون المكتفى * بجماله كالمقتدى

هنا لم يرد بالمكتفى الخليفة ولكنه هنا اسم فاعل من اكتفى ولما وصل الى المقتدى ترشح المكتفى للتورية لان المكتفى والمقتدى خليفتان من بنى العباس وقولى كان المكتفى جالسا فى طريق القافية ذكرت به ما اتفق لبشار بن برد مع تسنيم فان بشارا عرض له يوما نظم بيت فقال

ما ان تحرك ابر فامتلا شبقا * الا تحرك عرق فى است

ثم قيل له فى است من فربه تسنيم بن الحوارى فسلم عليه فقال بشار فى است تسنيم فقال له ابش والك قال له لا تسل قال سمعت ما أكره فاذكر لى سببه فانشده البيت فقال ما حملك على هذا قال سلامك على قال لا سلم الله عليك ولا على ان سلمت بعدها عليك (رجع) وقد ذم بعض المتأخرين التخلص فى بيت واحد ولكنه حسن ما قبح فقال

بينا ذوائب من يحب بكفه * حتى تعلق لحية الممدوح

وقد جاء التخلص فى القرآن الكريم فى قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون الآيات الى قوله تعالى فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين فهذا تخلص من قصة ابراهيم وقومه الى قولهم وتمنى الكفار فى الدار الآخرة الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا بالرسل وهذا تخلص خلافا لابى العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى فانه أنكر وقوع التخلص فى الكلام وفى القرآن كثير منه والله تعالى أعلم

*(أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلى)*

(اللغة) الارادة المشيئة وأصله الواو لقولك راوده الا أن الواو سكنت فنقلت حركتها الى ما قبلها فانقلبت فى الماضى الفا وفى المستقبل ياء وسقطت فى المصدر لمجاورتها الالف الساكنة وعوض منها الهاء فى الآخر تقول راودته على كذا مراودة وروادا أى أردته (البسطة) السعة وانبسط الشئ على الارض ومنه قوله تعالى وزاده بسطة فى العلم (الكف) تقدم الكلام عليه فى قولنا عن الاهل (أستعين) أصله أستعون ويأتى الكلام على ذلك فى الاعراب ومعناه أطلب الاعانة (القضاء) الحكم قال الله تعالى وقضى ربك أى حكم وقد يكون بمعنى الفراغ من قضيت حاجتى وقد يكون بمعنى الاداء والانهاء تقول قضيت دينى وهذا المعنى هو المراد هنا (الحقوق) جمع حق وهو خلاف الباطل والمراد به هنا ما يلزم ذمة الانسان من المروءة فى الجود وما أشبهه (العلا) هو الرفعة والشان والشرف والجمع المعالى فاذا فتحت العين مددت فقلت العلاء واذا ضممت قلت العلا بالقصر (القبل) الطاقة تقول مالى به قبل أى طاقة فهو كانه احتمال الذى يلتزم بالقيام بما فى ذمته (الاعراب) أريد فعل مضارع ماضيه

وما خشم الالئام أذلة
الى الذل والاسحاق تنمى
وتنتمى

وبلغ خبره شبل بن قلادة وأنس بن مدرك الخثعمى فخالفا الى السليك فلم يشعر الا وقد طرقاه بالخيل فانشأ يقول

من مبلغ قومى أنى مقتول
يا رب قرن قد تركت مجدول
ورب زوج قد فككت عطبول
ورب عان قد فككت مكبول

ثم عطفا عليه وليس له طريق للعدو فقتلاه * ومن شعره وقد أغار بقوم فانصرفوا عنه خوفا من العطش وبقى معه رجل يسمى صردا فبكى فقال السليك منشدا

بكى صرد لما رأى الحى أعرضت
مهامه رمل دونه وسهوب
فقلت له لا تبك عينك انها
قضية ما يقضى لنا فنؤوب
سيكفيك ضرب القوم لحم مغرض
وماء قدور فى القصاع مشوب
أقول اضرب اللبن الحامض
وماء القدور المرق كأنه يقول ستستغنى وتاكل اللحم بعد اللبن وقوله

ألا عتبت على فصار متنى
وأعجبها ذوو اللمم الطوال
أشاب الرأس أنى كل يوم
أرى لى حالة وسط الرجال

يشق على أن يلقين ضيما
ويقصر عن تخلصهن مالى
(وعامر بن مالك انما لاعب
الاسنة بيديك)
هو عامر بن مالك بن جعفر
من بنى صعصعة المعروف
بملاعب الاسنة ويكنى أبا براء
وأمه أم البنين أنجب امرأة
فى العرب وذلك أنها ولدت
من مالك بن جعفر خمسة أبا
براء والطفيل أبا عامر بن الطفيل
وربيعة أبا لبيد ونزارا ومعاوية
ويسمى معوّد الحكماء وقد
افتخر بها لبيد عند النعمان
فقال
نحن بنى أم البنين الاربعه
وانما قال الاربعة لضرورة
الشعر ونصب بنى على المدح
وأبو براء هو رجل من فرسان
العرب المشهورين وكبارهم
وانما لقب ملاعب الاسنة
لقول أوس بن حجر فيه
يلاعب أطراف الاسنة عامر
فراح له حظ الكتائب أجمع
وقيل لقول آخر وقد فرّ عنه
أخوه فى حرب
فررت وأسلمت ابن أمك عامرا
يلاعب أطراف الوشيج المزعزع
وقيل لقول حسان بن نمير
وقد رآه بين فرسان أطافوا
به يقاتلهم ماهذا الا ملاعب
الاسنة * ووفد عامر على
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يسلم وزعم بنو جعفر انه

أرادوا القاعدة فى حرف المضارعة أنه اذا دخل على رباعى كان مضموما تقول تريد تحسن تقيم
لان الماضى أراد أحسن أقام وان كان الفعل ثلاثيا مثل ضرب وذهب أو خماسيا مثل انطلق
واقتتل أو سداسيا مثل استخرج واحرنجم فان حرف المضارعة يكون مفتوحا فى ذلك كله تقول
يضرب ويذهب وينطلق ويقتتل ويستخرج ويحرنجم وانما اعرب الفعل المضارع دون الامر
والماضى لان المضارع شابه الاسم بجواز شبهه ما وجب له قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك
فى شرح التسهيل لذلك ينبغى أن يعلم أن المعانى التى تعرض للكلام على ضربين أحدهما
ما يعرض قبل التركيب كالتصغير والجمع والمبالغة والمفاعلة والمطاوعة والطلب فهذا
الضرب بازاء كل معنى من معانيه صيغة تخصه فلا حاجة الى الاعراب بالنسبة اليه والثانى
من الضربين ما يعرض مع التركيب كالفاعلية والمفعولية والاضافة وكون الفعل المضارع
مأمورا به أو علة أو معطوفا أو مستأنفا فهذا الضرب تتعاقب معانيه على صيغة واحدة فيفتقر
الى اعراب يميز بعضها عن بعض والاسم والفعل المضارع شريكان فى قبول ذلك مع التركيب
فاشتركا فى الاعراب لكن الاسم عند التباس بعض ما يعرض له ببعض ليس له ما يغنيه
عن الاعراب لان معانيه مقصورة عليه فجعل قبوله لها واجبا الا ان الواجب لا محيص عنه
والفعل وان كان قابلا بالتركيب لمعان يخاف التباس بعضها ببعض فقد يغنيه عن الاعراب
تقدير اسم مكانه مثل لا تعن بالجفاء وتمدح عمرا فانه يحتمل أن يكون نهيا عن الفعلين مطلقا
وعن الجمع بينهما وعن الجفاء وحده مع استئناف الثانى فالجزم دليل على الاول والنصب
دليل على الثانى والرفع دليل على الثالث ويغنى عن ذلك وضع اسم موضع كل واحد من
المجزوم والمنصوب والمرفوع تقول لا تعن بالجفاء ومدح عمرو ولا تعن بالجفاء مادحا عمرا
ولا تعن بالجفاء ولك مدح عمرو فقد ظهر بهذا تفاوت ما بين سببى اعراب الاسم واعراب
الفعل فى القوة والضعف فلذلك جعل الاسم أصلا والفعل فرعا والجمع بينهما باذكرته أولى
من الجمع بينهما بالابهام والتخصيص ولام الابتداء ومجاراة الفعل المضارع لاسم الفاعل فى
الحركة والسكون لان المشابهة بهذه الامور بمعزل عما جىء بالاعراب لاجله بخلاف المشابهة
التى اعتبرتها الان فى الفعل الماضى من مشابهة الاسم ما يقابل المشابهة المعزوة للمضارع ولعله
كمل فمن ذلك ان الماضى اذا ورد مجردا من قد كان مبهما فى بعد المضى وقربه واذا اقترن
بقد تخلص للقرب فهذا شبيه بابهام المضارع عند تجرده من القرائن وتخلصه للاستقبال
بحرف التنفيس وأما لام الابتداء وان كان للمضارع بها مزيد شبه بالاسم لكونها لا تدخل الا
عليهما فتقاومها اللام الواقعة بعد لو فانها تصحب الاسم والفعل الماضى خاصة كقوله تعالى
ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة ولو أسمعهم لتولوا ليس اعتبار تلك أولى من اعتبار هذه ولم نظفر
بهذه لقاوم تلك تاء التأنيث فانها تتصل بآخر الفعل الماضى كما تتصل بآخر الاسم فحصل
للماضى بذلك من مشابهة الاسم مثل ما حصل للمضارع بلام الابتداء ويقاوم لام الابتداء
مباشرة مذ ومنذ فان الماضى يشارك الاسم فيها دون المضارع وأما مجاراة المضارع اسم
الفاعل فى الحركة والسكون فالماضى غير الثلاثى شريكه فيها وانما يختص بها المضارع اذا
كان الماضى على فعل مطلقا أو على فعل متعديا وللماضى ما يقاوم الغائب من اتحاد وزنه
ووزن الصفة والمصدر وتقاربهما فالاتحاد نحو طاب طلبا وجلب جلبا وغلب غلبا وفرح وأشر

وبطر فهو فرح وأشر وبطر والمقاربة نحو تعب تعبا وحسب حسبا وكذب كذبا ولا ريب ان هذا التوازن فى هذا الضرب أكمل منه فى يضرب فهو ضارب فبان بما ذكرناه تفصيل ما اعتبرناه (قلت) انما أثبت هذا الفصل بطوله من كلام الشيخ جمال الدين لما فيه من الفوائد وقد خالف الاقدمين فى تعليل اعراب المضارع ومال الى هذا الرأى الذى استنبطه وقد خالفه ولده الشيخ بدر الدين ومال الى مذهب المتقدمين ولكن جمال الدين اجتهد فى الاستقراء ولطف القياس * ومثل لا تعن بالجفاء وتمدح عمر امثال النحاة فى قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن يجوز فى تشرب الرفع والنصب والجزم أما اذا نصبت فيكون النهى عن أكل السمك فى حال شرب اللبن كانك قلت لا تأكل السمك شاربا اللبن واذا رفعت يكون النهى عن أكل السمك والاباحة فى شرب اللبن كانك قلت لا تأكل السمك ولك شرب اللبن وأما اذا جزمت فيكون النهى عن الجمع بينهما قيل ان الجاحظ ناظر يوحنا بن ماسويه فى هذه المسئلة فقال الجاحظ لا يخلو الجمع بين السمك واللبن اما أن يكونا جميعا متساويين أو متضادين فان تساويا كان الجمع بينهما بمثابة استعمال الكثير من احدهما وان تضادا كان كل واحد منهما يقوم بدفع ضرر الآخر فلا فائدة فى منع الجمع بينهما فقال ابن ماسويه هذا البحث ما أعرفه ولكن متى جمعت بينهما انفلجت (قلت) فات تقسيم الجاحظ قسم آخر وهو أن يكونا متخالفين كالحموضة والبياض فانها ليست ضد البياض ولا مشابهة له بل مخالفته وأما العلة فى الفالج وغيره من الآفات اللاحقة للجمع بين السمك واللبن دون انفرادهما وان تضاعف مقدار كل واحد منهما على الانفراد فهو أن المزاج يحدث للممتزج صورة لم تكن لكل واحد من البسائط كما ان السكنجبين اليسير منه يقمع الصفراء ويكسر عاديتها على الفور ولا يفعل ذلك السكر ولا الخل عند انفرادهما واعتبر ذلك بالحبر فان كل واحد من العفص والزاج ليس باسود والماء المستخرج فيه قوة كل واحد منهما يقرب من الصفرة فاذا امتزجا حدث السواد الحالك وعجائب المركبات انما تتبع الصور اللاحقة للمزاج ألا ترى أن الماء المعبر عنه بلبن العذراء كيف تختلف ألوانه بحسب السبق فى الاختلاط وصورته ان يدق المرتك ويعمل عليه أربعة أمثاله خل ويغلى ويصفى بالملعقة ويعزل ماؤه فى اناء ويدق القلى ويعمل عليه أربعة أمثاله ماء قراح ويغلى ويصفى بالملعقة ويعزل ماؤه فى اناء ثان فهذان الماآن اذا جمع بينهما فى اناء ثالث ظهر بلون غير لونيهما اسود أو أبيض فاذا جمع بينهما فى اناء رابع وخولف بين الصب من أحدهما على الآخر على ما تقدم جاء لون آخر ضد اللون الاول وهلم جرا تبارك الله الذى أوجد عجائب هذا العالم فى مخلوقاته لا اله الا هو الفعال لما يريد (رجع الى اعراب البيت) أريد فعل مضارع مرفوع مخلوه من الناصب والجازم (فان قلت) هذه علة عدمية والعدم لا يكون علة للوجود (قلت) معنى خلوه عن الناصب والجازم وجوده على أول حالاته قبل طريان الجازم والناصب واستعمال الكلمة على أول حالاتها ليس بأمر عدمى وانما اخترت هذه العبارة وان كانت رأى الكوفيين لانها أقوى حجة من مذهب البصريين فانهم قالوا أعرب بالرفع لوقوعه موقع الاسم وهو باطل لانهم اما أن يريدوا موقعا هو للاسم بالاصالة سواء جاز وقوع الاسم فيه كما فى نحو يقوم زيد أو امتنع منه كما فى نحو جعل زيد يفعل واما موقعا هو للاسم مطلقا فان أرادوا الاول فهو باطل برفع المضارع بعد لو وحرف التحضيض لانه ليس للاسم بالاصالة وان أرادوا الثانى فهو باطل أيضا

مات مسلما حيث حدث
خالد بن عبد الله قال قدم عامر
ابن مالك أبو براء ملاعب
الاسنة وأمه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأهدى له
فرسين وراحلتين فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو
قبلت هدية مشرك لقبلت
هديتك وعرض عليه
الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال
يا محمد انى أرى أمرك هذا
حسنا شريفا وقومى خلفى فلو
أنك بعثت نفرا من أصحابك
لرجوت أن يجيبوا دعوتك
ويتبعوا أمرك فان تبعوك فما
أعز أمرك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انى أخاف
عليهم أهل نجد فقال عامر
لا تخف انى جار لهم ان
تعرض لهم أحد من أهل
نجد فبعث معه أربعين
رجلا من الانصار وقيل
سبعين وأمر عليهم المنذر بن
عمرو فلما نزلوا بماء من مياه
بنى سليم يقال له بئر معونة
عسكر واوسرحوا ظهورهم
وبعثوا مع سرحهم الحرث بن
الصمة وعمرو بن اميه
وقدموا حزام بن ملحان
بكتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عامر بن الطفيل
فى رجال من بنى عامر فلما
انتهى حزام لم يقرؤا الكتاب
ووثب عامر بن الطفيل على
حزام فقتله واستصرخ عليهم
بنى عامر فابوا وقد كان عامر

لعدم رفع المضارع بعد ان الشرطية لانه موضع صالح للاسم فى الجملة كقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فاجره (بسطة) مفعول به فلهذا نصبه وفى المفعول به كلام طويل وبحث حسن ادخرتهما لغير هذا المكان (كف) مضاف اليه فلهذا جر (أستعين) فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم كما تقدم وأصله أستعون من العون فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى العين ثم قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وموضعه النصب على ثلاثة أوجه اما على انه مفعول لاجله أى أريد بسطة كف للاعانة على قضاء الحقوق أو على أنه حال أى أريد بسطة كف مستعينا على كذا أو على الصفة لبسطة أى بسطة كف معينة لى (بها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية لشبهها بالحروف فى الوضع وسيأتى الكلام على الضمائر (على قضاء) على حرف جر وسيأتى الكلام على تقسيمها قضاء مجرور بعلى (حقوق) مجرور بالاضافة الى قضاء (للعلا) جار ومجرور ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور واللام تكون للملك نحو المال لزيد ولشبه الملك نحو الباب للدار وللتعدية نحو قوله تعالى فهب لى من لدنك وليا وللتعليل نحو جئتك لاكرامك وزائدة لتقوية عامل ضعف بالتأخير أو بكونه فرعا عن غيره فالاول نحو قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون وقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون والثانى نحو قوله تعالى مصدق لما معهم وقوله تعالى فعال لما يريد فاللام فى بيت الطغرائى معناها شبه الملك وقد رأيت مصنفا لابى القاسم الزجاجى قد قسم اللام فيه الى أحد وثلاثين قسما وفصلها وذكر على كل قسم شواهده ولا باس بسردها هنا من غير تمثيل وهى لام التعريف ولام الملك ولام الاستحقاق ولام كى ولام الجحود ولام ان ولام الابتداء ولام التعجب ولام تدخل على المقسم به ولام جواب القسم ولام المستغاث به ولام المستغاث من أجله ولام الامر ولام المضمر ولام تدخل فى النفى بين المضاف والمضاف اليه ولام تدخل فى النداء بين المضاف والمضاف اليه ولام تدخل فى الفعل المستقبل لازمة فى القسم لا يجوز حذفها ولام تلزم ان المكسورة اذا خففت من الثقيلة ولام العاقبة وسماها الكوفيون لام الصيرورة ولام التبيين ولام لو ولام لولا ولام التكثير ولام تكون بمعنى عند ولام تزاد فى لعل ولام ايضاح المفعول من أجله ولام تعاقب حروفا وتعاقبها ولام البين ولام تكون بمعنى الى ولام الشرط ولام توصل الافعال الى مفعولين (قبلى) منصوب بنزع الخافض على انه ظرف مكان معنى كانه قال على قضاء حقوق للعلا فى طوقى ووسعى وما أقدر على الاتيان به والعامل فيه متعلق الجار والمجرور فى العلا تقديره حقوق استقرت للعلا فى قبلى (المعنى) أحاول من الزمان بسطة كف من المال المتسع لاجل الاعانة على وفاء حقوق استقرت فى ذمتى للعلا وكنى عن الغنى ببسطة الكف لان الغنى يبسط كفه بالنفقة وكل غنى منفق باسط كفه ومازال الانفاق يسمى بسطا والامساك قبضا قال الله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وفى الآية الاولى اشكالان فى الظاهر تمسك بهما الملاحدة أحدهما أن اليهود مطبقون على أنهم لم يقولوا هذا الكلام فى حق الله تعالى فكيف يخبر الله تعالى عنهم بما لا يقولونه ولا يعتقدونه * والجواب من وجوه الاول وهو مذهب الحسن رضى الله عنه أن المراد بهذا الكلام قولهم ان الله لا يعذبنا الا على قدر الايام التى عبدنا فيها العجل الا أنهم عبروا عن هذا المعنى بهذه العبارة

ابن مالك خرج قبل القوم الى ناحية نجد وأخبرهم انه جار أصحاب محمد فلا تتعرضوا لهم فقالوا ان نخفر جوار أبى براء وأبوا أن ينفروا مع ابن الطفيل فاستصرخ قبائل من بنى سليم فنفروا معه ورأسوه عليهم فقال ابن الطفيل أقسم بالله ما أقتل هذا وحده فاتبعوا أثره حتى وجدوا القوم فقاتل القوم حتى قتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى المنذر ابن عمرو فقالوا له ان شئت أمناك فقال لن أقبل منكم أمانا حتى آتى مقتل حرام فأمنوه حتى أتى مصرعه ثم برئوا من أمانه فقاتلهم حتى قتل وأقبل الحرث بن الصمة وعمرو بن أمية بالسرح وقد ارتابا بعكوف الطير قريبا من منزلهم فجعلا يقولان قتل والله أصحابنا ثم أوفيا على نشز من الارض فاذا أصحابهما مقتولون والخيل واقفة فقال الحرث لعمرو ما ترى قال أرى أن ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال الحرث ما كنت لاتأخر عن موطن قتل فيه المنذر فقبلا فلقيا القوم فقاتلهم الحرث حتى قتل منهم اثنين ثم أخذوه فاسروه وأسروا عمرو بن أمية وقالوا للحرث ما تحب ان نصنع بك فانا لا نحب قتلك فقال أبلغوا

الفاسدة * الثانى قال المفسرون ان اليهود كانوا أكثر الناس أموالا وثروة ولما بعث صلى الله عليه وسلم ضاقت عليهم معايشهم ومنعوا من التكسب لاشتغالهم بأمره ومحاربته والجاهل اذا وقع فى البلاء والشدة يقول مثل هذه المقالة * الثالث انهم لما رأوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى غاية الفقر والحاجة قالوا على وجه السخرية والاستهزاء ان اله محمد فقير مغلول اليد لا ينفق عليهم شيأ * الرابع لعله كان فيهم من يرى رأى الفلاسفة ويقول انه يوجب بالذات لا يحدث الحوادث الا على نهج واحد وسنن واحد ولا يتعدى ذلك والفاعل المختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو كما قال تعالى كل يوم هو فى شان أى لا يزال فى ابداع شؤن فعبر الفلسفى من اليهود عن هذا المعنى بهذه العبارة * الخامس لعل هذا الكلام صدر منهم على هذا النظام فى ذلك العصر وان لم يكن الآن فيهم من يعتقده كما نسبوا الى عبادة العجل وقولهم عزير ابن الله وان لم يكن الآن فيهم من يعتقده * والاشكال الثانى فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان قالوا تقرر بالدليل القطعى والبرهان العقلى أن الله تعالى ليس بجسم وهذه الآية تشعر بالجسمية والجواب ان اليد فى اللغة تطلق على معان منها الجارحة ومنها النعمة تقول له على يد أى نعمة ومنها القوة تقول مالى بهذا الامر يد أى قوة تدفع قال الله تعالى أولى الأيدى والابصار فسروه بذوى القوى والعقول ومنها الملك تقول هذه الضيعة فى يدى قال الله تعالى الذى بيده عقدة النكاح أى يملك ذلك فالاولى يمتنع اثباتها فى حق الله تعالى ولا يمتنع فى حقه تعالى اثبات البواقى * بقى سؤال آخر ما الفائدة فى تثنية اليد ههنا الجواب ان فسرنا اليد بالنعمة فالمراد نعمة الدنيا ونعمة الدين أو الباطنة والظاهرة أو ما يتعلق بالدنيا والآخرة وان أردنا القوة فالمراد الاقتدار على الموت والحياة أو الخذلان والنصر أو الغنى والفقر وما أشبه ذلك وان أردنا الملك فالمراد ملك الدنيا والآخرة أو الايمان والكفر أو السعادة والشقاوة وما أشبه ذلك فعلى كل تقدير من التفسير يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء أى متمكن من اعطاء الدنيا والدين أو الاماتة والاحياء أو الاسعاد والاشقاء رداً عليهم فيما زعموه (حكى) أن بعضهم كان من المسرفين على نفسه فلما توفى رآه بعض من كان يعلم حال باطنه فقال له ما فعل الله بك قال غفر لى قال بماذا قال كنت اذا تلوت هذه الآية قلت غلت أيديهم وأطلت التشديد فى اللام كالمتشفى بهم اه ولم أطل الكلام هنا الا لأن لفظ اليد يقع فى القرآن والحديث كثيرا وفى هذا ما يزيل تلك الشكوك وكتاب تاسيس التقديس للامام فخر الدين فى هذا الباب جيد نافع للغاية ولقد رأيت بعضهم بالغ فى اثبات اليد واستشهد على ذلك بقوله تعالى والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون فسقطت من كلامه مقهقها وتقهقرت متدهدها وقلت له الايد هنا القوة كالآد والتأييد ومنه المؤيد ولو كان المراد به جمع يد لأثبت الياء فى آخره[٣] فقال بايدى لان هذه أصلية لا يجوز حذفها لان أصل يديدى والجمع يرد الاشياء الى أصولها فلم يحر جوابا (رجع) الى معنى البيت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا وما ظلم الطغرائى فى طلب المال لانفاقه فيما يكتسب به الحامد ويغنم به الاجور قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح مع الرجل الصالح وقال الحسن رضى الله عنه اذا أردت أن تعرف من أين أصاب الرجل ماله فانظر فيما ينفقه فان الخبيث ينفق فى السرف وقال أبو ذر أموال الناس تشبه الناس وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأمر

بى مصرع المنذر وبرثت
ذمتكم فبلغوا به مصرع الرجل
ثم أطلقوه فقاتلهم وقتل
منهم اثنين فشرعوا له الرماح
حتى نظموه فيها قتلا وقال
عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية
وهو أسير فى أيديهم لم يقاتل
انه كانت على أمى نسمة
فأنت حر عنها وجز ناصيته
فلما جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم خبر بئر معونة
جعل يقول هذا عمل أبى براء
قد كنت لهذا كارها وداعا
على من قتلهم بعد الصبح فى
الركعة الثانية من صبح تلك
الليلة التى جاءه فيها الخبر
فلما قال سمع الله لمن حمده
قال اللهم اشدد وطأتك على
مضر اللهم عليك ببنى ذكوان
وعصية فانهم عصوا الله ورسوله
قال ذلك خمس عشرة ليلة حتى
نزلت الآية ليس لك من الامر
شئ ثم أقبل أبو براء سائرا وهو
شيخ كبير هرم فأخبر بما فعل ابن
الطفيل فشق ذلك عليه
ولا حركة به من الضعف
وقال أخفرنى ابن أخى مرتين
وسار حتى لحق ابن الطفيل
فطعنه بالرمح فأخطأ مقتله
وقيل كان الطاعن ربيعة
ولده فتصايح الناس فقال
ابن الطفيل انها لم تضرنى
وقد وهبتها لعمى وانصرف
عنه ونزل عامر بن مالك
بقومه فدعاهم الى الارتحال
الى النبى صلى الله عليه وسلم

٣ قوله لأثبت الياء الى آخره هذا سهو لان الياء لا تثبت فيه رفعا وجرا اه

الاغنياء باتخاذ الغنم ويامر الفقراء باتخاذ الدجاج وفى المثل مال المرء موئله وقوته قوته وقال بعضهم اثنان لا أدرى أيهما أمر موت الغنى أم حياة الفقير قال بعض الشعراء

وما رفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس الشريفة كالفقر

وقال ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة فى الورى * فأنت المسوّد فى العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر أنك من آدم

(ولما) توجه المعز أبو تميم معد بن منصور العبيدى الى الديار المصرية بعد ما وصل غلامه القائد جوهر وملك مصر واختط له القاهرة وكان العبيديون ينتسبون الى فاطمة رضى الله عنها خرج الناس الى لقائه ولما قرب من مصر واجتمع به الاشراف قال له من بينهم أبو محمد عبد الله بن طباطبا العلوى الى من ينتسب مولانا فقال له المعز سنعقد لكم مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى مجلس عام وجلس لهم وقال هل بقى من رؤسائكم أحد فقالوا لم يبق معتبر فسل عند ذلك سيفه ونثر عليهم ذهبا كثيرا وقال هذا حسبى فقالوا جميعا سمعنا وأطعنا ومازال هؤلاء الخلفاء بمصر يدعون الشرف ويقولون نحن من ولد فاطمة يريدون بذلك التبجح على بنى العباس خلفاء بغداد فيقولون أبونا على بن أبى طالب وأمنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم الحاكم وكان فى كل جمعة يقول مثل هذا على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فى أشغال الناس فرفعت اليه رقعة فيها

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا * فانسب لنا نفسك كالطائع
أو كان حقا كل ما تدعى * فاعددلنا بعد الاب السابع
أو فدع الاشياء مستورة * وادخل بنا فى النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد والقيمون بعلم الانساب والتواريخ لا يثبتون لهم هذه النسبة (قلت) كذا رأيت جماعة من الفضلاء يروون هذه الواقعة للحاكم وليس بشئ لان الحاكم توفى سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان الخليفة ببغداد اذ ذاك القادر بالله لانه توفى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة والطائع لله تقلد الامر سنة ثلاث وستين وثلثمائة وخلع من الخلافة سنة احدى وثمانين وثلثمائة وتوفى مخلوعا سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة والذى كان خليفة بمصر فى أيامه انما هو العزيز أبو منصور نزار بن المعز لانه ولى الامر سنة خمس وستين وثلثمائة ومات سنة ست وثمانين وثلثمائة واذا كان كذلك فصاحب الواقعة انما هو العزيز وهو والد الحاكم بل الذى اتفق للحاكم أنه كان يدعى علم الغيب فيقول فلان قال فى بيته كذا وكذا وفعل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللاتى يدخلن بيوت الناس ويتجسسن أخبارهم فرفعت اليه رقعة مكتوب فيها

بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكذب والحماقه
ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا كاتب البطاقه

فسكت بعد ذلك عن الكلام فى المغيبات وقيل ان ذلك اتفق للعزيز أيضا (رجع) وما بعد

وطلب ثار القتلى الذين كانوا فى جواره فقتلوا عليه وقال له بعض بنى أخيه انهم يقولون انه حدث لك عارض فى عقلك فدعا ابن أخيه لبيدا وقينة له فشرب وقال لها غنى ثم قال يا لبيد لو حدث بعملك حدث ما كنت قائلا فان قومك يزعمون ان عقله ذهب والموت خير من ذهاب العقل وبعضهم يرويها من عزوب العقل وقال يا لبيد اسمع

قوما تنوحان مع الانواح
فأبنا ملاعب الرماح
أبا براء مدره الشياح
كان غياث المرمل المعتاح

وهى من أبيات ثم شرب أبو براء الخمر صرفا حتى مات وهو يقول لا خير فى العيش وقد عصتنى بنو عامر و بنو جعفر يزعمون انه مات مسلما وكان شريف بيته يزعمون انه لما تنافر ابن أخيه عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة سأل عمه الاعانة فأعطاه نعليه وقال استعن بهما فى مفاخرتك فانى ربعت فيهما أربعين مربعا مع انه كان كارها للمنافرة وفى ذلك يقول

أؤمر أن أسب بنى شريح
ولا والله افعل ما حييت
ومن احسن ما سمعت من شعره قوله

أن الطغرائى كان ذا نفس شريفة سخية وهمة عالية يؤثر المال لينفقه فى مصارفه ومن شعره رحمه الله وقد تقدم ذكره فى المقدمة

سأحجب عنى أسرتى عند عسرتى * وأبرز فيهم ان أصبت ثراه
ولى أسوة بالبدر ينفق نوره * فيخفى الى أن يستجد ضياه

وهذه نفوس الاشراف تظهر عند الثروة طلبا للانفاق وتخفى عند الفقر طلبا للكتمان حالها فلا تكاف الناس سؤالا وما أحسن قول القائل

اسقنى خمرة كرقة دينى * أو كعقلى ولا أقول كحالى
خيفة من توهم الناس أنى * قلت هذا فى معرض لسؤالى

ولقائل أن يقول على كل حال تعرض للسؤال كما قالوا فى حق الغزالى لما أنشد قوله

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن العناء تفردى بالسودد

قالوا أراد بهذا التواضع وهو قد ترفع لانه ادعى انفراده بالسودد ومن قول الاول قول الآخر

ولكنه زاد فى تعداد المتصف بالرقة حيث قال

ولم أدر اذ رق النسيم وعيشنا * وصوت مغنينا وصهباء قرقف
أعيشى أم صوت المغنى أم الصبا * أم الكاس أم دينى أرق وأضعف

وقد ظرف فى تأخير ذكر دينه لانه اخر ما فى السمع قبل ذكر الرقة والضعف وأما الاول فان ذكر دينه اندمج وطال عهد السامع به وهذا من أنواع البلاغة وقلت أنا

أقول لهم قد رق عيشى والصبا * وعقلى وكاساتى وصوت الذى غنى
فقال الذى أهوى وحصرى نسبته * فقلت له والله قد جئت فى المعنى

وقول الطغرائى * وأبرز فيهم ان أصبت ثراء * من قول الآخر

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

(حكى) ان الامير بدر الدين بيلبك الخازندار أحضره الى القاهرة تاجر كان يحسن اليه وهو فى رقة فلما باعه تنقلت به الايام الى ما صار اليه وافتقر التاجر فيما بعد فحضر اليه بالديار المصرية وكتب له رقعة فيها هذان البيتان

كنا جميعين فى بؤس نكابده * والقلب والطرف منا فى أذى وقذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما * تهوى فلا تنسنى ان الكرام اذا

اشارة الى البيت المتقدم فأعطاه عشرة آلاف درهم (قلت) وهذا عندى أشرف من التضمين الكامل وأطرب للفهم وأعذب للسمع وفيه من البلاغة حسن التضمين مع ما فى ذلك من الاختصار الذى هو من أشرف أنواع البلاغة لانه يرفع عن المخاطب مؤنة الاصغاء وقرع السمع بما هو محفوظ مقرر فى الذهن (أنشدنى) من لفظه لنفسه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى بالباب وبراعة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة من أبيات

لا ترك مالى ترك * ما دين حبى شرك
حواجب وعيون * لها بقلبى فتك
كالقوس يصمى وهذى * تشكى المحب وتشكو

(وقال آخر)

لحا الله أناسا عن الضيف بالقرى
وألأمنا عن عرض والده ذبا
وأدخلنا للبيت من قبل استه
اذا القور ابدى من جوانبه ركبا

القور الاكم والجبال الصغار يعنى ان البخيل اذا كان جالسا بفنائه فرأى راكبا قد لاح من القور زحف بظهره داخلا الى بيته فرارا وخشية من الضيف كيلا يراه فيطرقه

(وقيس بن زهير انما استعان بدهائك)

هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسى صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين داحس والغبراء كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه كان فارسا شاعرا داهية يضرب به المثل فيقال أدهى من قيس (حكى) المدائنى ان رجلا مر بحى الاحوص فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فأتى شجرة فعلق عليها وطبا من لبن ووضع فى بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وصرة من شوك ثم أتى راحلته فاستوى عليها وذهب فنظر الاحوص والقوم فى أمره فعمى به فقال أرسلوا الى قيس بن زهير فجاء فقال له الاحوص ألم تخبرنى انه لا يرد عليك أمر الا عرفت مأتاه فما

يتبادلان فينصفا * ن وليس بينهما ارتياب
فيصيب هذا ماءذا * كالبحر يمطره السحاب

(وقال) ابن سناء الملك

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فيا باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهجم * فيا ليته لو كان يدفع بالتي

(وقال أيضا)

والمجد مرطعمه * لاتحسبن المجد تمرا

(وقال) شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة

راموا فطامي عن هوى * غذيته طفلا وكهلا
فوضعت في جيبي يدي وقلت خلوني والا

أنشدني من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين الحسيني ابن قاضي العسكر كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة من جملة قصيدة طويلة

ولما وقفنا بالمطايا عشية * على الطلل البالي وقلنا له ألا
أذنا لاخلاف الدموع فاخلفت * وفاضت الى ان أنبت العشب والكلا

الاشارة في البيت الاول وقلت أنا

علقتها من بنات الترك قد غنيت * بدمع عاشقها عن منة الشنف
يلقى المتيم من تثقيف قامتها * مالا يلاقيه كوفي من الثقفي
اني لاعجب للعذال كيف رأوا * شخصي وقد رحت ذا روح تردد في

(وقلت أيضا)

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لي صبر
وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

(وقلت أيضا)

فك من هجالك شعرا * أوشانه نزحاف
وقل لمن لام فيه * على تحت القوافي

وقال ابن القيسراني ومن خطه نقلت

أهيم الى العذب من ريقه * اذا هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته * يقينا ولكن من الغيب غيب

قيل ان المبرد بعث غلامه الى غلام يحبه وقال له بحضرة الناس امض اليه فان رأيته فلا تقل له وان لم تره فقل له فذهب الغلام ورجع فقال لم أره فقلت له فجاء فلم يجئ فسئل الغلام عن معنى ذلك فقال أنفذني الى غلام يهواه فقال ان رأيت مولاه فلا تقل له شيأ وان لم تر مولاه فادعه فذهبت فلم أر مولاه فقلت له فجاء مولاه فلم يجئ الغلام (رجع) الى ذكر الامير بدر الدين بيلبك الخازندار حكى أن الملك الظاهر لما استعرضه ليشتريه قال له التاجر ياخوند انه يحسن الكتابة والقراءة فأحضرت له دواة وقلم وقدما اليه ليكتب شيأ يراه فكتب

لولا الضرورات ما فارقتكم أبدا * ولا تنقلت من ناس الى ناس

فأعجب

ترنو اصي الخيل قال فما الخبر
فاعلموه فقال وضح الصبح
لذي عينين فصار مثلا
يضرب في وضوح الشيء ثم
قال هذا رجل أسره جيش
قاصد لكم ثم أطلق بعد أن
أخذت عليه العهود والمواثيق
أن لا ينذركم فعرّض لكم
بما فعل أما الصرة من التراب
فانه يزعم انه قد أتاكم عدد
كثير وأما الحنظلة فانه يخبر
أن بني حنظلة غزتكم وأما
السلك فانه يخبر أن لهم شوكة
وأما اللبن فهو دليل على
قرب القوم أو بعدهم ان كان
حلوا أو حامضا فاستعد
الاحوص وورد الجيش كما
ذكر (وحكى) أن النعمان بن
المنذر ارسل الى أبيه زهير
يخطب ابنته وسأله أن يبعث
اليه ببعض بنيه فأرسل اليه
ولده شاسا فلما قدم عليه
اكرمه وأحسن جائزته ورده
الى أبيه وعرض عليه ان
يتبعه قوما يخفرونه فقال
لا شيء أمنع لي من نسبتي الى
أبي وحرج وحده فربما من
مياه بني غني فأكل وشرب
ونزل الى الماء يغتسل وكان
رباح بن الاشل الغنوي نازلا
في بيته على الماء ومعه امرأته
فرآها تحد النظر الى جسد
شاس وقد شمر منه رائحة
المسك فاخذته غيرة ففوق
اليه سهما فقتله وغيب أثره
وأخذ ما معه وكان معه عيبة

فأعجب الملك الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك فى مشتراه (وحكى) ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فأعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها الى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذى يحمل مداسه وكان عنده فى حال غير مرضية فقال هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتى من هو الذى أوقفك عليها فقال يا مولانا كنت اذا وقعت لاحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة على حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة فامره ان يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجى * وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط ورفع منزلته عنده حينئذ وقد عرض بعض أهل العصر بذكر الشيخين صدر الدين وكمال الدين فقال

مولاى صدر الدين ان زرته * أسعده الله على كل حال
رأيت حظى عنده وافرا * فصح ان النقص عند الكمال

(رجع الى قوله أريد بسطة كف) أما حب المال وطلبه للانفاق فما زال الشعراء يتداولون معناه قال أبو اسحق الغزى

لو تملك الدنيا يدى لأرحت من * يمسى ويصبح طالبا محتاثا
وقسمتها بينى وبين أصادقى * وعداى غير مميز أثلاثا

وقال بعض أهل الاندلس وهو مشهور

لحا الله دهرا خصنى بخصاصة * وأقعدنى عما سعى فيه أمثالى
تنوب صديقى نائبات زمانه * فيقعدنى عن رفده قلة المال
فوا أسفا من مكرمات أرومها * فينهضنى عزمى ويقعدنى حالى

وأشهر منه قول الآخر

والهف نفسى على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ما ليس عندى من احدى المصيبات

(وقال آخر)

النفس ملأى من المعالى * والكيس صفر الجنان خالى
فليت مالى كمثل فضلى * وليت فضلى كمثل مالى

وقال أبو الحسين الجزار

لقد رضى الرحمن عن كل منفق * فيا بانا لاقى رضا الله بالسخط
معيب على الانسان يعطيه ربه * بغير حساب وهو يحسب ما يعطى

وقال صالح بن صالح الشنترينى

أحب لذى قربى وصل ذا وسيلة * وقم بالحقوق الواجبات اللوازم
أما انى لو نلت أيسر يسرة * لكانت لكفى بسطة فى المكارم
فآه العصر مثل أهليه جاهل * ودهر لابناء المروءة ظالم

(وقال آخر)

يعز على أن أرى ذا مروءة * من الناس لا أستطيع تغيير حاله

مملوءة مسكا وعطرا من عطر النعمان وحللا من ثيابه وأبطأ خبر شاس عن زهير فاخبر بما انصرف به من عند النعمان ولم يدر من قتله فقلق لذلك فقال قيس يا أبت أنا أكشف لك خبر أخى ثم دعا بامرأة حازمة من نساء قومه وكانت لسنة شديدة فامرها ان تاخذ لحما سمينا فتقدده وتخرج به الى بنى عامر وغنى وتعرض ذلك عليهم وتقول انى قد زوجت ابنتى وأنا أبتغى لها طيبا وثيابا ففعلت الى ان وقعت على امرأة الغنوى فقالت لها ان كتمت على أعطيتك حاجتك وأخبرتها بامر شاس وأعطتها مسكا وثيابا وباعتها ذلك بما معها من الشحم واللحم وخرجت العبسية حتى أتت قيسا فأخبرته فاخبر أباه فركب فى قوم من بنى عبس وأغار على غنى فقتلهم وفرقهم (وحكى) انه فى بعض حروبه لبنى ذبيان وهو يوم الشعب المشهور صعد بالجيش والنعم الى الجبل وعقل الابل عشرة أيام لا تشرب والماء كثير تحت الجبل فلما هممت بنو ذبيان بالصعود الى الجبل حل عقال الابل وأمسك بذنب كل بعير رجل معه سلاحه فمرت الابل طالبة الماء لا تمر بشئ الا طحنته والرجال فى

أعقابها تضرب من مرت
به فكانت الهزيمة على بنى
ذبيان (وحكى) انه لما
تطاولت الحروب بينه وبين
حذيفة وحمل ابنى بدر
الذبيانيين جمع جمعا عظيما
وبلغ بنى عبس انهم قد ساروا
اليهم فقال قيس أطيعونى
فوالله لئن لم تفعلوا لا تكثن
على سيفى الى أن يخرج من
ظهرى قالوا فانا نطيعك
فارهم فسرحوا السوام
والضعاف بليل وهم يريدون
أن يظعنوا من منزلهم ذلك ثم
ارتحلوا فى الصبح وأصبحوا
على ظهر العقبة وقد مضى
سوامهم وضعفاؤهم فلما
أصبحوا اطلعت عليهم الخيل
من الثنايا فقال قيس خذوا
غير طريق المال فلا حاجة
للقوم أن يقعوا فى شوكتكم
ولا يريدون غير ذهاب أموالكم
فاخذوا غير طريق المال فلما
أدرك حذيفة الاثر ورآه قال
أبعدهم الله وما خيرهم بعد
ذهاب أموالهم وسارت ظعن
عبس والمقاتلة من ورائهم
وتبع حذيفة وبنو ذبيان
المال فلما أدركوه ردوا
أوّله على آخره ولم يفلت منهم
شئ وجعل الرجل يطرد ما
قدر عليه من الابل فيذهب
بها وينفرد واشتد الحر فقال
قيس يا قوم ان القوم قد
فرق بينهم المغنم واشتغلوا
فاعطفوا الخيل فى آثارهم

ولو كان لى مال لصادف مالكا * يجود ببذل المال قبل سؤاله

وقال مسلم بن الوليد

عند الحوادث من أخيك عزيمة * حصداء مبرمة وعقل فاضل
عرف الحقوق وقصرت أمواله * عنها وضاق بها الغنى الباخل

(وقال آخر)

أرى نفسى تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالى
فلا نفسى تطاوعنى بخيل * ولا مالى يبلغنى فعالى

(وقال آخر)

رزقت لبا ولم أرزق مروءته * وما المروءة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقاعدنى * عما أحاول منهارقة الحال

(وقال آخر)

الناس صنفان فى زمانك ذا * لو تبتغى غيرذين لم تجد
هذا بخيل وعنده سعة * وذا جواد بغير ذات يد

زعمت الرواة انها لم تسمع للاحنف بن قيس الا هذين البيتين وهما

فلو مد دهرى بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وما أحسن قول ابن نباتة السعدى

مثل خلعت على الزمان رداءه * عدم الدراهم آفة الأجواد

وقال الوزير سهل بن هرون

ولكنما أبكى بعين سخينة * على حدث تبكى له عين أمثالى
وما الفضل الا أن تجود بنائل * والا لقاء الخل ذى الخلق الغالى
فواحسرتى حتى متى أنا موجع * بفقد خليل أو تعذر افضالى
فراق خليل لا يقوم به الاسى * وخلة حرّ لا يقوم بها مالى

وقال ابن سناء الملك

ثقل الزمان على حتى خف بين الناس وزنى
ألقى الصديق بلا ثرا * ه والعدوّ بلا مجنّ

ومما نظمته أنا

وقائلة فيم اجتهادك للغنى * وقد رقدت للحظ منك عيون
فقلت لها والله مالى حاجة * لتحصيل دنيا فالامور تهون
ولكن حقوق للعلا قد ترتبت * على ذمتى مفروضة وديون
فلو وجدت كفى لبرأت ساحتى * وكنت أريك الجود كيف يكون

ومما قلت أيضا

أنا ان لم أجدّ فى كسب مال * هات قل لى بالله كيف أجود
واذا لم أسدّ خلة حر * هات قل لى بالله كيف أسود

ومايطلب المال الا للانفاق وبلوغ المقاصد وابلاغ القاصد كما ان السيف للذب والردع والمدية للقط والقطع ومما أحسن قول أبي العتاهية في عبد الله بن معن من أبيات

فضع ما كنت حليت * به سيفك خلخالا
فما تصنع بالسيف * اذا لم تك قتالا

يقال ان عبد الله قال ما لبست سيفي قط فرأيت انسانا يلمعني الا ظننته يحفظ قول أبي العتاهية في ومثل هذا ما قاله ابن نفيل في عبد الملك بن عمير القاضي

اذا كلمته ذات دل لحاجة * فهم بأن يقضي تبختر أو سعل

قال عبد الملك تركني والله وان المسألة لتعرض لي في الخلاء فاذكر قوله فأهاب أن أسعل ومدح عبد الله بن الزبير الاسدي أسماء بن خارجة الفزاري فقال * تراه اذا ما جئته متهللا * البيتين فأثابه ثوابا لم يرضه فغضب عبد الله وقال يهجوه

فوالله لولا رهن هند بنظرها * لعد أبوها في اللئام المفالس
بنت لكم هند بتلديغ بظرها * دكاكين جص عاليات المجالس

فركب اليه أسماء وأرضاه وكان يقول بعد ذلك والله ما رأيت جصا في بناء ولا غيره الا ذكرت بظر أختكم هند يقال ان الهادي كان بنو العباس يسمونه موسى أطبق لانه كان يفتح فاه كثيرا فرتب المهدي في خدمته خادما يلاحظه أبدا فتى سها عن نفسه وفتح فاه قال له موسى أطبق (رجع) عن أبي ذر رضي الله عنه انما مالك لك أو للحاجة أو للوراثة فلا تكن أعجز الثلاثة وقال سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يكسب المال ليكف به وجهه ويؤدي به أمانته ويصل به رحمه وما أحسن ما عبر به ابن الجهم عن جمع المال طلبا للانفاق في قوله

وما تجمع الاموال الا لبذلها * كما لا يساق الهدي الا الى النحر

ومثله قول مسلم بن الوليد

تاتي البدور فتغنيها صنائعه * وما تدنس منها كف منتقد
لا يعرف المال الا عند نافلة * ويوم يجمعه للنهب والبدد

وقال النضر بن جؤبة

قالت طريفة ما تبقي دراهمنا * وما بنا سرف فيها ولا خرق
انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق
لا يالف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق

وبالغ أبو الطيب في قوله

وكلما لقي الدينار صاحبه * في ملكه افترقا من قبل يصطحبا
مال كأن غراب البين يرقبه * فكلما قيل هذا مجتد نعبا

هذا البيت الاول من معاني ابي الطيب التي يناقض آخرها أولها لانه قرر أولا أن الدينار يلقى صاحبه ثم قال يفترقان قبل اصطحابهما وهذا تناقض وكذا قوله

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به * ولقد يكون به الزمان بخيلا

فقرر ان سخاءه أعدى الزمان فهذا دليل على وجوده ثم قال فسخا الزمان به أي أوجده والشيء لا يتقدم على وجود نفسه ولكن هذا النوع من المبالغات التي تخرج الى حد الاستحالة فتفيد

فلم يشعر بنو ذبيان الا بالخيل فلم يقاتلهم كثيرا أحد وانما كان هم الرجل في غنيمته أن يحوزها ويمضي فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية ولم يكن لهم هم غير حذيفة فارسلوا الخيل تقص أثرهم وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه فنزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة أن يقص أثره ثم شد الحزام فعرفوا حنف فرسه والحنف أن تميل احدى اليدين على الاخرى فتبعوه ومضى حتى استغاث بحفر الهباءة وهو موضع بماء الهباءة وقد اشتد الحر وقد رمى بنفسه ومعه حمل بن بدر أخوه وورقاء بن بلال وقد نزعوا سلاحهم وطرحوا سروجهم ودوابهم تتمعك وجعل رئيسهم يتطلع فاذا لم ير شيأ رجع فنظر نظرة فقال اني رأيت شخصا كالنعامة فلم يكترثوا بقوله وبينما هم يتكلمون اذ دهمهم شداد ابن معاوية فحال بينهم وبين الخيل ثم جاء قرواش وقيس حتى تتاموا خمسة فحمل بعضهم على خيلهم فطردها وحمل البقية على من في الحفر فقال حذيفة يا بني عبس فاين العقول والاحلام فضربه أخوه حمل بن كتفيه وقال اتق مأثور القول فذهبت مثلا يعني انك تقول قولا

المعنى قوة لم تكن فى غيره وقال أبو الحسين الجزار فى الحث على الانفاق

اذا كان لى مال علام أصونه * وما سادنى الدنيا من البخل دينه
ومن كان يوما ذا يسار فانه * خليق لعمرى أن تجود يمينه

وقلت أنا وفيه نكتة نحوية

لا تجمع الدينار واسمح به * ولا تقل كن فى حمى كفى
ما الدهر نحوى فينحو الهدى * ويمنع الجمع من الصرف

لان جمع دينار دنانير وهذا الوزن أحد الاوزان الثلاثة التى جاءت على صيغة منتهى الجموع وهى مساجد ومصابيح وشواب والكل ممنوع من الصرف وأردت بالصرف فى الظاهر ما يريده النحاة وفى الباطن ما هو من حوادث الدهر ويخدم أيضا فى مصارفة الدينار بالدراهم فتأمله يظهر لك والمال قد يطلب لذاته وهذا مذموم نطق القرآن بالتوعد عليه فيمن يكنز الذهب والفضة ولا ينفقهما وأى أرب فى جمع المال وعدم انفاقه وأى فرق بين أن يكون ما فى الصندوق ذهبا وفضة وجواهر وبين أن يكون حجارة وترابا وبين أن يكون خاليا قال أبو الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم تردبها * سرورا محب أو اساءة مجرم

وهذا البيت مضطرب الصنعة لانه كان ينبغى له ان يقول سرور محب أو حزن عدو وهذا مما يقع له كثيرا وسيأتى من كلامه نظائر لهذا البيت وقول الطغرائى فى هذا البيت والذى بعده يشبه قول أبى الطيب

وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهى النفس وجده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده
وفى الناس من يرضى بيسور عيشه * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبى ماله * مدى ينتهى بى فى مراد أجده

والدنيا كل أمورها غريبة وكلها عجائب وعلى الحقيقة ما فيها عجيبة هذا الطغرائى منشى السلطان محمد كما تقدم وصاحب ديوان الطغراء له يد فى الكيميا وحل رموزها ومع هذا يقول * أريد بسطة كف أستعين بها * ولكن الزمان حرب الفضل وسلم الجهل والظاهر من أمره أنه كان يعرف الكيميا علما لا عملا أو علما وعملا ولكن الايام ما ساعدته على التمكن من عملها حتى يبرزها من القوة الى الفعل لانه قال

ومن أعجب الاشياء أنى واقف * على الكنز من يظفر به فهو مبخوت
وأن كنوز الارض شرقا ومغربا * مفاتيحها عندى ويعجزنى القوت
ولو لا ملوك الجور فى الارض أصبحت * وحصباؤها درا لدى وياقوت

ذكرت بهذه الابيات قول المعتمد لما ترقت حال الموفق أحمد بن المتوكل الى غاية لم يبلغها الخليفة المعتمد وغلب الموفق على أمره

أليس من العجائب أن مثلى * يرى ما هان ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شئ فى يديه

* (والدهر يعكس آمالى ويقنعنى * من الغنيمة بعد الكد بالقفل) *

تخضع فيه وتقتل ويشتهر عنك وقتل حذيفة وحمل ومن معه وتمزقت بنو ذبيان وأسرف قيس فى النكاية والقتل ثم ندم على ذلك ورثى حمل بن بدر بالابيات المشهورة فى الحماسة وهو أول من رثى مقتوله ولما أطال الحروب ومل أشار على قومه بالرجوع الى قومهم ومصالحهم فقالوا سر نسر معك فقال لا والله لا نظرت فى وجهى ذبيانية قتلت أباها أو أخاها أو زوجها او ولدها ثم خرج على وجهه حتى لحق بالنمر بن قاسط فقال يا معشر النمر انا قيس بن زهير غريب حرب فانظروا لى امرأة قد أدبها الغنى واذلها الفقر فزوجوه امرأة منهم ثم قال انى لا اقيم فيكم حتى اخبركم باخلاقى انى امرؤ غيور فخور انف ولست افخر حتى أبتلى ولا اغار حتى ارى ولا آنف حتى اظلم فرضوا باخلاقه فاقام فيهم زمانا ثم اراد التحول عنهم فقال يا معشر النمر انى ارى لكم على حقا بمصاهرتى لكم ومقامى بين اظهركم وانى آمركم بخصال وانهاكم عن خصال عليكم بالاناة فبها يدرك الحاجة وتسويد من لا تعابون بتسويده والوفاء فبه تتعايشون واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسئلة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح

(اللغة) الدهر الزمان قال الشاعر

ان دهرا يلف شملى بليلى * لزمان يهم بالاحسان

ويجمع على دهور ويقال الدهر الابد وقولهم دهر داهر كقولهم أبد آبد وقولهم دهر دهارير أى شديد كقولهم ليلة ليلاء ونهار أنهر ويوم أيوم وساعة سوعاء وفى الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر لانهم كانوا يضيفون النوازل اليه فقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك بكم فان ذلك الفاعل هو الله تعالى والدهرى بفتح الدال هو الملحد وبضمها المسن وقال ثعلب هما جميعا منسوبان الى الدهر والدهرى هو الذى يعتقد عدم الصانع وينكر البعث والنشور والمجازاة (العكس) رد آخر الشئ الى أوله ومنه عكس البلية عند القبر لانهم يربطونها معكوسة الرأس الى ما يلى كلكلها وبطنها ويقال الى مؤخرها مما يلى ظهرها ويتركونها على تلك الحال حتى تموت (الآمال) جمع أمل وهو الرجاء تقول أملت خيره آمله بالضم أملا وكذا التأميل وقولهم ما أطول املته بكسر الهمزة أى أمله فهو كالجلسة والركبة (القناعة) الرضا بما قسم وقد قنع بالكسر يقنع قناعة فهو قنع وقنوع وأقنعه الشئ اذا أرضاه (الغنيمة) واحدة الغنائم وهى ما تظفر به من ملك غيرك ولم يكن لك (الكد) الشدة فى العمل وطلب الكسب والتعب (القفل) الرجوع من السفر وقد قفل يقفل بالضم ومنه القفل والقافلة الرفقة الراجعة من السفر فلا يقال لمن خرج من بلدة يريد مكانا آخر قافل الى أن يرجع وتسمى الرفاق قافلة قبل العود تفاؤلا لهم بالرجوع كما تسمى المهلكة مفازة واللديغ سليما وأول من نطق بهذا المثل امرؤ القيس فقال

* وقد طوّفت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب *

وقال عبيد بن الابرص

* ولو لاقيت غلباء بن عمرو * رضيت من الغنيمة بالاياب *

(الاعراب) (والدهر) الواو للابتداء الدهر مرفوع على انه مبتدأ (يعكس) فعل مضارع رفع لتجرده من الناصب والجازم وقد تقدم الكلام عليه وهو ثلاثى فلهذا فتح حرف المضارعة منه على ما تقدم (آمالى) جمع أمل وهو منصوب بيعكس ولم يظهر النصب فيه لانه مضاف الى ياء المتكلم والمفعول به قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب هو ما وقع عليه فعل الفاعل قال النيلى فى الشرح يريد بالوقوع التعلق لا المباشرة والا لخرج مثل أردت الطلاق لعدم المباشرة واحترز بقوله عليه من الظرف لان الفعل يقع فيه لا عليه ومن المفعول له فان الفعل يقع لاجله ومن المفعول معه لانه يقع معه لا عليه ومن المفعول المطلق لانه نفس الفعل الواقع من الفاعل وقيل المفعول به هو المقول فى جواب من سأل بمن تعلق هذا الفعل فيقول المجيب بزيد فلتقييده فى السؤال والجواب بالباء سمى المفعول به (قلت) كيفما حاول النحاة رسم المفعول به لا يخلصون من ايراد عبد القاهر الجرجانى فى اعراب خلق الله العالم لانه قال العالم هنا مصدر لا مفعول به لان المفعول به هو الذى كان موجودا أو أثر فيه الفاعل شيأ آخر بفعله والمصدر هو الذى لم يكن موجودا بل كان عدما محضا والفاعل موجده ومخرجه من العدم الى الوجود بفعله والعالم فى قولنا خلق الله العالم كذلك فكان مصدرا واعترض عليه بأنه لو كان مصدرا لكان نفس الخلق ولا يجوز ان يكون ذلك لوجهين أحدهما أنا نعلم العالم مع الشك فى

وخلط الضيف بالالزام وايا كم والرهان فبه شكلت مالكا
أخى والبغى فانه صرع زهيرا أبى وجلا والسرف فى الدماء فان قتل أهل الهباءة أورثنى العار ولا تعطوا فى الفضول فتهجزوا عن الحقوق ثم رحل الى عمان فأقام بها حتى مات وقيل انه خرج هو وصاحب له من بنى أسد عليهما المسوح يسيحان فى الارض ويتقوتان مما تنبت الى أن دفعا فى ليلة قرة الى أخبية لقوم من العرب وقد اشتد بهما الجوع فوجدا رائحة القتار فسعيا يريدانه فلما قاربا أدركت قيسا شهامة النفس والانفة فرجع وقال لصاحبه دونك وما تريد فان لى لبشا على هذه الاجارع أترقب داهية القرون الماضية فمضى صاحبه ورجع من الغد فوجده قد لجأ الى شجرة باسفل واد فنال من ورقها شيأ ثم مات وفى ذلك يقول الحطيئة من أبيات

ان قيسا كان ميتته
أنفا والحر منطلق
فى دريس لا يغيبه
رب حر ثوبه خلق

ومن شعر قيس بن زهير يرثى جمل بن بدر يقول

تعلم ان خير الناس ميت
على جفر الهباءة لا يريم
ولو لا ظلمه ما زلت أبكى
عليه الدهر ما بدت النجوم

كونه مخلوقا لله تعالى الى أن نعلم ذلك بدليل منفصل فالعالم على هذا معلوم وكونه مخلوقا له تعالى غير معلوم لتوقفه على الدليل والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم فكان الخلق غير العالم الثانى ان الله تعالى يوصف بالخلق فلو كان الخلق العالم لكان الله موصوفا بالعالم وهو لا يجوز لانه يلزم من ذلك وصف القديم بالحادث أو قدم العالم (قلت) الجواب عن الايراد الذى أورده الامام عبد القاهر هو أن الكلام انما هو فى اصطلاح النحاة وهذا المصطلح انما هو فيما يعرض لاواخر الكلام من الرفع والنصب والجر لاتصاف الكلمة تارة بالفاعلية وتارة بالمفعولية وتارة بالاضافة الى غير ذلك فاذا قلنا خلق الله السموات والارض قلنا هذه الكلمات المركبة المسموعة نسميها فى اصطلاحنا فعلا وفاعلا ومفعولا فرفعنا اسم الله تعالى على أنه فاعل ونصبنا السموات والارض على المفعولية لوقوع فعل الفاعل عليهما ولا يلزمنا من هذه العبارة التى أوقعناها على هذه الالفاظ أن يكون المعنى فى الاصل قد وقع وتجدد لان الالفاظ أدلة على المعانى والدليل غير المدلول ولان الاسم غير المسمى والا لزم احتراق فم من تلفظ بالنار ولزم اذا قلنا أعدم الله العالم وأقام القيامة وأمات زيدا أن يكون هذا كله قد وقع الآن وتجدد ونحن نجد هذا باطلا على أنى أعتقد أن الامام رحمه الله كان يعتقد بطلان هذا الايراد انما أورده مغالطة واظهار صناعة فى البحث لا غير (رجع) واختلف فى ناصب المفعول به فذهب سيبويه انه الفعل ولذلك تعددت المفاعيل بحسب اقتضاء الفعل لها لان الفعل ان اقتضى مفعولا نصبه أو اثنين نصبهما أو ثلاثة نصبها ومذهب ابن هشام أنه الفاعل لانه الذى أثر فيه فى المعنى فيؤثر فيه فى اللفظ (قلت) وهذا ليس بشئ لان الفاعل يضمر والمضمر لا يعمل فى المظهر ولانهم قسموا الفعل الى لازم ومتعد فدل على أن العمل له ومذهب الفراء انه الفعل والفاعل قياسا على الابتداء والمبتدا فى الخبر والشرط وحرف الشرط فى الجزاء على قول من يراه ومذهب الاخفش أن العامل فيه هو الفاعلية وليس بشئ والصحيح مذهب سيبويه وقد أشبعت القول على ما يتعلق بهذا فى التعليقة على الحاجبية (ويقنعنى) الواو عطفت الفعل على الفعل يقنعنى فعل مضارع مرفوع لانه معطوف على مرفوع ورفعه ضم العين والنون نون الوقاية والياء ضمير المتكلم وموضعها النصب بالمفعولية ليقنع والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع الى الدهر كما استتر فى يعكس (من الغنيمة) جار ومجرور ومن هنا للتبغيض وهو أحد معانيها وسيأتى الكلام عليها فى غير هذا الموضع ان شاء الله تعالى (بعد الكد) ظرف ومخفوض به فبعد ظرف زمان ولهذا نصب والعامل يقنع والكد جر باضافته الى الظرف (بالقفل) جار ومجرور والباء هنا للتعدية وتقدم الكلام على تقسيم الباء فالدهر فى البيت مبتدأ وخبره يعكس كانه قال والدهر عاكس آمالى ويقنعنى موضعه الرفع عطفا على الخبر والياء فيه مفعول أول وبالقفل مفعول ثان له ومن الغنيمة متعلق بيقنع فالجملة كلها من يقنعنى الى آخر البيت فى موضع رفع على أنها خبر معطوف على خبر المبتدا والبيت كله من أوله الى آخره فى موضع نصب على أنه حال من فاعل أريد بسطة كف كانه قال أريد بسطة فى حال أن الدهر عاكس آمالى وقال الجوهرى فى صحاحه أقنعه الشئ اذا أرضاه فعلى هذا لا يتعدى الى مفعول ثان الا أن يشدد تقول قنعته بالقليل من الرزق (المعنى) والدهر يعكس ما أؤمله وأرجوه من البسطة والرفعة حتى أقنع من الغنيمة بالرجوع بعد التعب والمشقة وهذا

ولكن الفتى حمل بن بدر
بغى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومى
وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسونى
فعوج على ومستقيم
وقوله أيضا
تعرفن من ذبيان من لو لقيته
بيوم حفاظ طار فى اللهوات
ولو أن سافى الريح يجعلكم قذى
لاعيننا ما كنتم بقذاة
وقوله أيضا
اذا أنت أقررت الظلامة لامرئ
رمالك باخرى شعبها متفاقم
فلا تبد للاعداء الا خشونة
فمالك منهم ان تمكن راحم
(واياس بن معاوية انما
استضاء بمصباح ذكائك)
هو اياس بن معاوية بن قرة
المزنى قاضى البصرة وكنيته
أبو واثلة صاحب الفراسة
والاجوبة البديعة يضرب
به المثل فيقال أزكن من اياس
والزكن التفرس بالشئ
بالظن الصائب قال الشاعر
زكنت منهم على مثل الذى
زكنوا
وبعض الناس يقول اذكى من
اياس وهو الذى أراده أبو
تمام فى قوله
فى حلم أحنف فى ذكاء اياس
(حكى) ابن عائشة قال اول
ما عرف من ذكاء اياس انه
دخل الشام وهو صغير فقدم

المثل يضرب لمن خفق مسعاه وطال سفره وتمنى العود الى بلده نعوذ بالله من هذا الحال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من طمع فى غير مطمع ومن طمع يعود الى طبع وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والدهر ما زال يعكس المقاصد ويراقب الخيبة ويراصد ويكمن المنايا فى الامانى ويثنى غصون الامل ذاوية بعد أن كانت عذبة المجانى خلقا ألفه الناس فى سجاياه وطبعا رمى الخلق به من سهام جناياه

فقد تدنو المقاصد والامانى * فتعترض الحوادث والمنون

والشعراء ما زالوا يكثرون فى هذه المعانى قال أبو الطيب

أريد من زمنى ذا أن يبلغنى * ما ليس يبلغه فى نفسه الزمن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

(وقال أيضا)

أهم بشئ والليالى كأنما * تطاردنى عن كونه وأطارد

وقال المعتمد بن عباد يرثى ولديه المأمون والراضى بأبيات منها

بكيت فتحا فاذ دانيت سلوته * أودى يزيد فزاد القلب أشجانا
فكنت كالمبتغى ما تخيله * حتى انتهى فرأى الغدران نيرانا

(وقال) ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

الى كم أسوم الدهر غير طباعه * وأصدقه عن شيمتى وهو حانث
وأسمو مجدا فى العلا وتحطنى * خطوب كأن الدهر فيهن عابث

وقال مسلم بن الوليد

ما قصر السعى ولا علات * عن مطلب نفسى أمانيها
بل خانها الدهر وأزرى بها * عثرة جد لا تواتيها

ومن أصوات ابن جامع فى الاغانى

لئن فاتنى فى مصر ما كنت ارتجى * وأخلف لى منها الذى كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى نازل به * ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل
ووالله ما فرطت فى وجه حيلة * ولكنه ما قدر الله نازل
وقد يسلم الانسان من حيث يتقى * ويؤتى الفتى من أمنه وهو غافل

(وقال) أبو فراس بن حارث الحمدانى

قد كنت عدتى التى أسطو بها * ويدى اذا اشتد الزمان وساعدى
فرميت منك بغير ما أملته * والمرء يشرق بالزلال البارد

(حكى) الخالديان فى اختيار شعر مسلم بن الوليد انه كان فى بعض أطراف البصرة رجل يخيف السبيل فأعيا أمره السلطان ثم ظفر به فأمر بقتله وصلبه فلما قدم لذلك قال للموكل به ان رأيت أن تتوقف عنى قليلا وتدنينى الى الجذع وتأمر لى بدواة وقرطاس أكتب شيئا فى قلبى فاذا فرغت من ذلك فشأنك وما أمرت به فأجابه الى ما سأل وقربه من الجذع فكتب ثم قال للموكل بقتله افعل ما بدا لك فنظر الى ما كتب فاذا هو

خصمك له شيخا الى قاضى عبد الملك بن مروان وكان القاضى يعرف الخصم فقال لاياس اما تستحيى تقدم شيخا كبيرا فقال اياس الحق أكبر منه قال له اسكت قال فمن ينطق بحجتى اذا سكت قال ما أحسبك تقول حقا حتى تقوم قال أشهد أن لا اله الا الله فقام القاضى فدخل على عبد الملك فاخبره الخبر فقال اقض حاجته واصرفه عن الشام لئلا يفسد علينا الناس (وحكى) غيره قال أول ما عرف من ذكاء اياس أنه كان صبيا فى المكتب فاجتمع قوم من النصارى يضحكون من المسلمين وقالوا ان المسلمين يزعمون انه لا يكون فى الجنة ثفل الطعام يعنون الغائط فقال اياس لمعلمه يا معلم أليس تزعم أن أكثر الطعام يذهب فى البدن قال نعم قال فما ينكر أن يكون الباقى يذهبه الله فى البدن فسكت النصارى وأعجب به المعلم وحكى انه دخل الى الشام مرة ثانية وأراد الحج فقال للحكارى انظر لى انسانا غريبا فانى أريد أن أخرج سرا يعنى عديله فاكراهما فلبثا فى الحمل ثلاثا لا يسأل هذا هذا شيأ فقال اياس يا عبد الله بعد ثلاث لا أصبر من أنت قال غيلان فقال غيلان العذرى قال نعم فمن أنت قال اياس

قال أبو وائلة قال نعم ان شئت
سألتنى وان شئت سألتك
فقال له غيلان تكلم قال ان
شئت أخبرتك بخبر أهل
الجنة والنار والملائكة
والشيطان والعرب والعجم
فقال غيلان أخبرنى بها قال
قال أهل الجنة حين دخلوها
الحمد لله الذى هدانا لهذا وما
كنا لنهتدى لولا أن هدانا
الله وقال أهل النار حين
دخلوها ربنا غلبت علينا
شقوتنا وقالت الملائكة لا علم
لنا الا ما علمتنا وقال الشيطان
رب بما أغويتنى وقالت
العرب
ولا يمنعنك الطير شيأ أردته
فقد خط بالاقلام ما كنت
لاقيا
وقالت العجم هرجه بايدبان
بود همان از بيش
وكان سبب ولايته القضاء
أن عمر بن عبد العزيز رضى
الله عنه أرسل رجلا من أهل
الشام وأمره ان يجمع بين
اياس والقاسم بن ربيعة
ويولى القضاء أحدهما فجمع
بينهما فكان كل منهما يمتنع
من الولاية فقال اياس للشامى
سل عنى وعن القاسم فقيهى
المصر الحسن البصرى وابن
سيرين فعلم القاسم أنه ان سأل
عنهما أشار به فقال للشامى
لا تسأل عنه فوالله الذى لا اله
الا هو ان اياسا الافضل منى
وأعلم بالقضاء فان كنت عن

قالت سليمى كم تمنينا * وعدك وعد ليس يأتينا
يا قانعا بالدون من عيشه * حتى متى تصبح محزونا
فحركت أشرس ذامرة * من بعد ثنتين وخمسينا
ان كنت قصرت ولم أجتهد * فى طلب الرزق فلومينا
وأى باب يرتجى فتحه * وما قرعناه بايدينا
ما قصر السعى ولكنها * مقادر جارية فينا

فرفع خبره الى من أمر بقتله فصفح عنه وأمر باطلاقه

(وقال آخر)

أسمو الى الامل الاقصى فيلفتنى * جد عثور ودهر مهتر خرف
لا الحظ يسعدنى فيما أحاوله * من العلو ولا الى عنه منصرف

خرج الوزير نظام الملك أبو الحسن على الى الصلاة فجلس قليلا ثم التفت الى الحاضرين وقال هنا بيت شعر أريد له أولا وهو

فكأننى وكأنه وكأنها * أمل ونيل حال بينهما القضا

وكان فى الجماعة أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندى الشافعى فقال

أفدى حبيبا زارنى متنكرا * فبدا الوشاة له فولى معرضا

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين يوسف الصوفى بدمشق سنة سبعمائة وعشرين

كأنما البدر وقد أشرقت * أنواره بين غصون الغصون
وجه حبيب زار عشاقه * فاعترضت من دونه الكاشحون

وقلت أنا فى هذا التشبيه

كأنما الاغصان لما انثنت * أمام بدر التم فى غيهبه
بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

(وقلت أيضا)

كأنما الاشجار فى روضها * والبدر فى غيهبه مسفر
بنت مليك خلف شباكها * قامت الى موكبه تنظر

(وقلت أيضا)

وكأنما الاغصان تثنيها الصبا * والبدر من خلل يلوح ويحجب
حسناء قد عامت وأرخت شعرها * فى لجة والموج فيه يلعب

(رجع) أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى بالديار المصرية سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال أنشدنى لنفسه الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

الحمد لله كم أسمو بعزمى فى * نيل العلا وقضاء الله ينكسه
كأننى البدر يبغى الشرق والفلك الأعلى يعارض مسراه فيعكسه

قلت أخذه الشيخ تقى الدين من ناصح الدين الارجانى حيث قال

سعيي اليكم فى الحقيقة والذى * تجدون عنكم فهو سعى الدهر بى
أنحوكم ويردعنى زمى القهقرى * دهرى فسيرى مثل سير الكوكب
فالقصد نحو المشرق الاقصى له * والسير رأى العين نحو المغرب

لكن الشيخ تقى الدين أتى بالمعنى كاملا فى بيت واحد والارجانى أتى بما يحتاج فيه الثالث الى الثانى فكان ذلك أكمل (قلت) لا بأس بايضاح هذا المعنى وذلك أن كل كوكب من الكواكب السيارة فى فلك يخصه وهو مرصع فى فلكه كالفص فى الخاتم والافلاك السبعة دائرة من المغرب الى المشرق بدليل أن الهلال يرى فى الليلة الاولى فى مكان وفى الثانية ينتقل الى مكان آخر آخذا الى جهة الشرق وفى الثالثة والرابعة كذلك الى آخر الشهر حتى يتكمل لفلكه الدورة وهو أن يعود الى النقطة التى كان عليها أولا وهذه الحركة للفلك لا للكوكب وهى الحركة الذاتية المختصة بكل فلك وهذه الافلاك السبعة وفلك البروج وهو فلك الثوابت يحيط بها فلك تاسع يسمى الاطلس لانه لم يظهر للعين فيه شئ من الكواكب ولعل فيه كواكب لا ترى للبعد المفرط وهذا الفلك الاطلس يدور بما فى باطنه من الافلاك الثمانية فى كل يوم وليلة من المشرق الى المغرب دورة كاملة فحينئذ لكل فلك من الثمانية دورتان ذاتية وهى التى من المغرب الى المشرق وقسرية وهى التى من المشرق الى المغرب وقربوا تفهيم ذلك بنملة ماشية الى اليسار على رحى دائرة الى اليمين فللنملة فى هذه الحالة حركتان ذاتية وقسرية وانما سميت هذه الحركة العظمى قسرية لانها تقسر الافلاك وتديرها الى غير جهة حركتها الذاتية فتعكس دورانها وهذه الحركة هى التى بها ترى الشمس كل يوم فى شروق وغروب والا ففلك الشمس لا يدور الدورة الكاملة الا بعد مضى سنة شمسية وذكر ابن أبى جمرة فى مسئلة الرحمن على العرش استوى أنه يقال علا القوم زيد أى ارتفع ومعلوم أنه لم يستقر عليهم قاعدا وكما يقال علت الشمس فى كبد السماء أى ارتفعت وهى لم تستقر ويشهد لذلك قول جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم حين سأله هل زالت الشمس فقال جبريل عليه السلام لا نعم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم قلت لا ثم قلت نعم فقال بينما قلت لك لا ونعم جرت الشمس مسيرة خمسمائة عام وقد نص عز وجل على ذلك فى كتابه فقال والشمس تجرى لا مستقر لها على قراءة من قرأ بالنفى اه (قلت) الذى قرأ ذلك هو ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن أبى رباح وأبو جعفر محمد بن على وأبو عبد الله جعفر ابن محمد وعلى بن حسين نص على ذلك ابن جنى فى المحتسب وهذه الحركة التى ذكرها جبريل عليه السلام هى حركة الشمس القسرية لا الذاتية وهى حركة الفلك الاعظم قال الامام فخر الدين رحمه الله انه بقدر ما يرفع الفرس سنبكه من الارض ويضعه وهو فى أقوى جريه يتحرك الفلك الاطلس كذا كذا ألف ميل أو كما قال فسبحان الله العظيم ذى القدرة والجلال والعظمة لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون سبحان من أبدع هذا العالم وأوجده على غير مثال وقدر حركات الافلاك * يقال ان الامام فخر الدين كان يقول وهو على المنبر سبحان خالق تدوير فلك كرة المريخ قال العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم ابن ساعد الانصارى انما خص الامام تدوير فلك المريخ دون غيره من الافلاك لانه أعظم تداوير الافلاك حتى انه أعظم من الفلك الممثل للشمس الذى يحيط بالافلاك السفلية وفلك

يصدق فينبغى لك أن تصدق قولى وان كنت كاذبا فما يحل لك أن تولينى القضاء وأنا كذاب فقال اياس للشامى انك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بيمين كاذبة يستغفر الله عز وجل منها وينجو من النار فقال الشامى أما اذ فطنت لها فانى أوليك فاستقضاه فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب ولما ولى القضاء دخل عليه الحسن البصرى فبكى اياس وقال يا أبا سعيد بلغنى أن القضاة ثلاثة رجل مال به الهوى فهو فى النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو فى النار ورجل اجتهد فأصاب فهو فى الجنة فقال الحسن ان فيما قضى الله تعالى فى النبى داود ما يرد قول مولاى ثم قرأ قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فحمد سليمان ولم يذم داود (وحكى) المدائنى قال أودع رجل آخر كيسا فيه دنانير وغاب مدة طويلة فلما طال الامر فتق الرجل الكيس وأخذ الدنانير ووضع عوضها دراهم والخيط والخاتم على حاله ثم قدم صاحب المال فطلب ماله فدفع له الكيس بخاتمه فلم يقبله وقال هذه دراهم ومالى دنانير فقال هذا كيسك وخاتمك فرفعه لابن هبيرة

القمر والعناصر والمولدات ويتفرع على ذلك أنه يكون حين مقارنته للشمس أبعد عنها مما يكون عند المقابلة وذلك أن الكواكب العلوية انما تقارن الشمس فى ذرى تداويرها وانما تقابلها فى الحضيضات فعلى هذا اذا قارن المريخ الشمس كان بينها وبينه قطر تدويره واذا قابلها كان بينه وبينها قطر ممثلها وقطر تدوير المريخ أعظم من قطر ممثل الشمس اه أقول اذا كانت الكواكب العلوية النيرة تعاكس فى السير فاعسى أن يكون حال من هو فى هذا العالم الارضى وهو عالم الكون والفساد (رأيت) فى بعض المجاميع لبعض المغاربة

لست وجيها لدى الهى * هذا مدى دهرى اعتقادى
لو كنت وجها لما برانى * فى عالم الكون والفساد

وقد خطر لى عند تعليق هذا الفصل ان أرد على الطغرائى فى قوله والدهر يعكس آمالى البيت بحيث يكون ذلك نظما فى وزنه ورويه فقلت

تقول يعكس آمالى وأنت كما * علمت فى عالم الترب مستفل
أما ترى الشمس تلقى عكس مقصدها * فى كل يوم ولولا ذاك لم تفل

وكنت نظمت قبل هذا

لا يعجب المرء لعكس المنى * ما فكره فى مثل ذا نافع
فالانجم السبع العلا ما نجت * من عكسها بالفلك التاسع

وليس عكس المقاصد عند الدهر مطردا بل هو مع الاذى جار وعلى نهج الردى سار فان تمنى الانسان شرا قربه وان تمنى خيرا قلبه قال أبو الطيب الذى جربه

وأحسب أنى لو هويت فراقكم * لفارقتكم والدهر أخبث صاحب
فيا ليت ما بينى وبين أحبتى * من البعد ما بينى وبين المصائب

يقال من تمكد الوجود أن الانسان يرى فى منامه أنه وجد مالا أو أصاب جوهرا أو ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئا ورب ما يرى أنه قد أحدث فاذا انتبه وجد ذلك يقينا قال الشاعر

أرى فى منامى كل شئ يسوءنى * ورؤيا ى بعد النوم أدهى وأفجع
فان كان خيرا فهو أضغاث حالم * وان كان شرا جاءنى قبل أصبح

وقال أبو العلاء المعرى

الى الله أشكو أننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لا بد واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

وقال الاحنف العكبرى

وأحلم فى المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يرانى
ولو أبصرت شرا فى منامى * لقيت الشر من قبل الاذان

وما أرق قول القائل

وزارنى طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيل لى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

وقال ابن المعتز

فقال لاياس انظر بينهما
فقال اياس منذ كم أودعك
قال منذ عشرة أعوام فقال
فضوا الخاتم ففضوه ونثروا
الدراهم فوجدوا فيها ضرب
خمس سنين وست سنين وأقل
وأكثر فقال اياس قد أقررت
انه عندك منذ عشر سنين
وفى الكيس ضرب خمس
سنين فاقر بالدنانير وألزمه
اياها ونظر اياس يوما الى
رجل لم يره قط فقال هذا
غريب واسطى معلم صبيان
هرب له غلام فوجدوا الامر
كذلك فسئل عن ذلك فقال
رأيته يمشى ويلتفت فعلمت
انه غريب وأيضا رأيت على
ثوبه حمرة تراب واسط فعلمت
انه من أهلها ورأيته يمر
بالصبيان و يسلم عليهم ولا
يسلم على الرجال فعلمت انه
معلم ورأيته اذا مر بذى هيئة
لم يلتفت اليه واذا مر باسود
ذى أسمال تأمله فعلمت
انه يطلب آبقا * ووجده
يوما الحكم بن أيوب عامل
البلد فسبه وقال انك خارجى
منافق فائتنى بكفيل فقال
أنت أيها الامير تكفلنى ولا
أعلم أحدا أعرف منك بى
فقال وما علمى بك وأنا من
أهل الشام وأنت من أهل
العراق فقال اياس ففيم
الشهادة منذ اليوم * وتبصر
الناس هلال شهر رمضان
فلم يره أحد غير أنس بن مالك

أبصرته فى المنام معتذرا * الى مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به انتبهت عند الصباح لاكانا

وما ألطف قوله وان لم يكن من هذه المادة

ألم الخيال بلا جده * وأبدانى الوصل من صده
وكم نومة لى قوادة * أتت بالحبيب على بعده

وهذا يشبه قول الآخر

تركت هجاء ابليس ثم مدحته * وذاك لان عزعندى سلوكه
يقرّب من أهوى الى فان أبى * حكاه خيالا فى الكرى فانيكه

وما أشبه هذا بقول أبى حفص الشطرنجى

قل لمن شئت انى بك مغرى * ثم دعه يروضه ابليس

أنشدنى لنفسه بالديار المصرية من لا أوثر ذكره هنا

لو أن طيفك فى المنام أنيسى * مابت أشكو وحشتى لجليسى
قرأدار على خمر ريقه * ولحاظه وحديثه المأنوس
ماعمدتى فى قربه وحضوره * ووفاقه الا على ابليس

ومارمى ابليس بحجر من بنى آدم أدمغ له من قول أبى نواس

عجبت من ابليس فى تيهه * وخبث ما أضمر فى نيته
تاه على آدم فى سجدة * وصار قوّادا لذريته

وهذا المعنى الذى تخيله فى غاية الحسن وهو الذى فتح على ابليس هذا الباب ودخله الناس أفواجا قال بعضهم

عجلام تتيه أبامرة * وتزهى كثيرا على آدم
وانك فى الخزى من بعده * تقود على جملة العالم

وأما على ذكر الخيال فما ولع به أحد ولوع البحترى ولا أبدع فيه مثل ابداعه حتى صار لاشتهاره بذلك مثلا يقال خيال البحترى فمن ذلك قوله

بلى وخيال من أثيلة كلما * تأوهت من وجد تعرض يطمع
ترى مقلتى مالا يرى من لقائه * وتسمع أذنى رجع ماليس يسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل * تردبه نفس اللهيف وترجع

(وقوله أيضا)

اذا ما الكرى أهدى الى خياله * شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
ولم أر مثلينا ولا مثل شاننا * نعذب أيقاظا وننعم هجدا

(وقوله أيضا)

قد كان منى الوجد غب تذكر * اذ كان منك الصد غب تناسى
تجرى دموعى حين دمعك جامد * ويلين قلبى حين قلبك قاسى
ماقلت للطيف المسلم لاتعد * نفسى ولا نهضت حامل كاسى

وما أحسن قول أمين الدولة ابن التلميذ

وقد قارب المائة سنة من العمر فشهد عند اياس فقال اياس أشر لنا الى موضعه فجعل يشير ولا يرونه فتأمل اياس واذا بشعرة بيضاء من حاجب أنس قد انثنت وصارت على عينيه فمسحها اياس وسواها ثم قال يا أباحمزة أرنا موضع الهلال فنظر فقال ما أرى شيأ * وقيل لاياس يوما ان فيك عيوبا دمامة الشكل واعجابك بما تقول وعجلة بالحكم فقال أما الدمامة فليس أمرها الى وأما الاعجاب بالقول أفليس يعجبكم ما أقول قالوا نعم قال فانا أحق بالاعجاب بقولى وأما العجلة بالحكم فكم هذه ومد أصابع يده فقالوا خمس فقال أعجلتم بالجواب ولم تعدوها أصبعا أصبعا فقالوا كيف نعد مانعلمه فقال وأنا كيف أوخركم ما أعلمه * ودخل الى واسط فقال يوم قدمت بلدكم عرفت خياركم من شراركم من غير أن أكشف عنهم قالوا كيف قال معنا قوم خيار ألفوا منكم قوما وقوم شرار ألفوا قوما فعلمت أن خياركم من ألفه خيارنا وكذلك شراركم * وكان يقول عرفت الزكن من أمى وكانت خراسانية وأهل بيتها يزكنون أى يتفرسون ولاياس أخبار كثيرة من

عاتبت اذلم يزر خيالك والنوم بشوقى اليك مسلوب
فزارنى منعما وعاتبنى * كما يقال المنام مقلوب

دخل ابن القطان الشاعر البغدادى يوما على الوزير الزينى وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لايمكن أن يعمل لهما ثالث لاننى قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وماهما فأنشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فاشفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول فى دعواه فقال ان أعادهما سمع لهما ثالثا فاعادهما فقال الحيص بيص

ومادرى ان نومى حيلة نصبت * لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

يقال اول من طرد الخيال طرفة بن العبد فانه قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فانى واصل حبل من وصل

وتبعه جرير فقال

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

(وقلت أنا)

ياخجلة لجرير من * قول كفانا الله عاره
طرقتك صائدة القلو * ب وليس ذا وقت الزياره
هل كان يلقى ان أتا * ه خيال من يهوى خساره
أو كان قلب قد حوا * ه من حديد أو حجاره

وأين قول جرير وطرفة من قول الآخر يعنف من عتب على الخيال حيث قال

الطيف أعشق منك اذ * يأتى اليك وأنت راقد

وفضل التهامى الخيال على الحقيقة فقال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * سيان ما أشبه الوجدان بالعدم
الطيف أحسن وصلا ان لذته * تخلو من الاثم والتنغيص والندم

واعتذر كشاجم عن تأخر الخيال على لسان الحبيب فقال

لقد بخلت حتى بطيف مسلم * على وقالت رحمة لنحيبى
أخاف على طيفى اذا جاء طارقا * وسادك أن يلقاه طيف رقيبى

نقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر له

ان يكن يضحك فى الطيف حديثى ومقالى
كيف لا يضحك مما * قص منه فى الخيال

ومما قلته فى الخيال

لم يرنى الطيف اذ أتانى * لذوب جسمى بك انتحالا
وعند ماله أنينى بات كلانا يرى خيالا

(وقلت أيضا)

هذا الباب مجموعة فى كتاب يسمى زكن اياس * ومات رحمه الله سنة احدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة وقال فى العام الذى مات فيه رأيت فى المنام كانى وأبى على فرسين نجريا جميعا فلم أسبقه ولم يسبقنى وكان أبوه أيضا قد مات وهو ابن ست وتسعين سنة

(وسحبان انما تكلم بلسانك)

هو سحبان بن زفر بن اياس الوائلى وائل باهلة خطيب مفصح يضرب به المثل فى البيان أدرك الاسلام وأسلم ومات سنة أربع وخمسين (وحكى) الاصمعى قال كان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ * وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان فطلب سحبان فلم يوجد فى منزله فاقتضب من ناحية اقتضابا وأدخل عليه فقال تكلم فقال انظروا الى عصا تقوم من أودى قالوا وما تصنع بها وانت بحضرة امير المؤمنين قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه فى يده فضحك معاوية وقال هاتوا عصا فجاؤا بها اليه فركلها برجله ولم يرضها وقال هاتوا عصاى فاتوا بها

ضمنت خيالك لما أتى * وقبلته قبلة المغرم
وقمت ومن فرحتي بالقا * حلاوة ذاك اللمى فى فمى

ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله هذا على ان الطيف لا أعتد له بمنة وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطى الى أغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الخبال وحل وأعين الشهب اليه حول دوان ودنا وأطراف القسى دوان وكيف أعتد له بمنة والفكر يدنيه وأنا يقظان و يمثل مالم يكن من قربه كما مثلت العين منه ما كان ويخليني منه ورب أحباب خلون به دوني ويوجدنيه وأنا رهن شوق لو طلبوني عنده لما وجدوني ذكرت بقوله والفكر يدنيه وأنا يقظان ما أنشدنيه لنفسه شهاب الدين أبو الثناء محمود

سرى والدجى شوق اليه وتذكار * خيال أضاءت من ضلوعى له نار
أموّه بالتوهيم سر قدومه * اذا ما استزارته شجون وأفكار

كتب شرف الدين بن عنين من اليمن الى أخيه

سامحت كتبك فى القطيعة عالما * ان الصحيفة أعوذت من حامل
وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل

الثانى لابى العلاء المعرى وهذا مبالغة فى البعد بكون الخيال يعجز عن قطع مسافته ومن المعلوم ان الخيال يجتاب آفاق الارض فى طرفة عين * سئل بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا فقال السائل فى الليلة الواحدة بل الساعة الواحدة يراه جماعة فى أماكن شتى من أطراف الارض فقال نعم هو

كالشمس فى كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

البيت لابى الطيب وهو مأخوذ من قول ابن الرومى

كالشمس فى كبد السماء محلها * وشعاعها فى سائر الآفاق

وأخذ هذا من قول البحترى

عطاء كضوء الشمس عم فغرب * يكون سواء فى سناها ومشرق

ومثل هذا السؤال ما سئل عنه أبو الفرج بن الجوزى قيل له يا امام قتل الحسين رضى الله عنه بكربلاء ويزيد فى دمشق فكيف ينسب قتله اليه فقال

سهم أصاب ورامیه بذى سلم * من بالعراق لقد أبعدت مرماك

البيت للشريف الرضى وقد أخذه ابن سناء الملك فقال

رميت من مصر قلبا بالشآم فما * أسرك سهما الى أحشاء أسراك

وقد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وأمره بامر هل يلزمه العمل به أولا قالوا ان أمره بامر يوافق أمره يقظة ففيه خلاف وان أمره بما يخالف أمره يقظة فان قلنا ان من رآه صلى الله عليه وسلم على الوجه المنقول من صفته فرؤياه حق فهذا من قبيل تعارض الدليلين والعمل بارجحهما وما ثبت باليقظة أرجح فلا يلزمه العمل بامره فيما يخالف أمره يقظة اه

* أورد ابن الاثير فى المثل السائر قول بعضهم

وقد أشق الحجاب الصعب بادية * دونى وتأبى ولوجا فيه ان طرقا
كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحا * وليس يدخله الا اذا انطبقا

فاخذها ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر الى ان قامت صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ فى معنى فخرج منه وقد بقى عليه منه شئ فما زالت تلك حاله حتى اشار معاوية بيده فاشار اليه سحبان ان لا تقطع على كلامى فقال معاوية الصلاة قال هى أمامك ونحن فى صلاة وتحميد ووعد ووعيد فقال معاوية انت أخطب العرب فقال سحبان والعجم والجن والانس * ومما روى عنه فى بعض خطبه البليغة يقول ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار

أيها الناس خذوا من دار ممركم لدار مقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان يخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله قدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا كلا يكون عليكم * ومن شعره يمدح طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله الخزاعى

يا طلح اكرم من بها
حسبا وأعطاهم لتالد
منك العطاء فأعطنى
أو على مدحك فى المشاهد

فيقال أن طلحة قال له احتكم

قال فرسك الورد وقصرك
بكذا فقال طلحة أف لك لو
سألتنى على قدرى أعطيتك
كل فرس لى وكل قصر ولكن
أبيت الا باهليتك

(وعمرو بن الاهتم انما سحر
ببيانك)

هو عمرو بن سنان الاهتم بن
سمى التميمى المنقرى وانما
لقب سنان بالاهتم لانه
هتمت ثنيته يوم الكلاب
وعمرو من أكابر سادات بنى
تميم وشعرائهم وخطبائهم فى
الجاهلية والاسلام وهو بليغ
القول طلق العبارة وكان
يدعى المكحل لجماله وفد
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو والزبرقان بن بدر
فاسلما وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكرمهما فسأل
يوما عمرا عن الزبرقان
بحضوره فقال مطاع فى ناديه
شديد العارضة فى قومه
مانع لما وراء ظهره فقال
الزبرقان يارسول الله انه
ليعلم منى أكثر مما قال ولكنه
حسدنى فقال عمرو أما والله
لئن علمت ما قد علمت فانه
زمن المروءة أحمق الاب لئيم
الخال ضيق العطن حديث
الغنى فرأى تغير النبى صلى
الله عليه وسلم لما اختلف
قوله فقال يارسول الله
لا تغضب لما رضيت قلت
أحسن ما علمت ولما غضبت
قلت أقبح ما علمت فوالله

ثم قال ورأيت ابن حمدون البغدادى صاحب التذكرة قد أورد هذين البيتين فى كتابه وقال قد أغرب هذا الشاعر ولكنه خلط وجرى على عادة الشعراء لان الطيف لا يدخل الجفن وانما تتخيله النفس قلت وهذا كلام من لم يطعم من شجرة الفصاحة والبلاغة وليس يمائله عندى الا ما يحكى عن ملك الروم اذ أنشد عنده بيت المتنبى وهو

كأن العيس كانت فوق جفنى * مناخات فلما ثرن سالا

فسال عن المعنى ففسر له فقال ما سمعت بأكذب من هذا الشاعر أرأيت من أناخ الجمل على عينه الا يهلكه اه (قلت) القوة المخيلة لا يختص فعلها باليقظة دون النوم بل تفعل فى النوم أقوى لانها لا تحتاج الى تحريك أعضاء البدن وانما تستعمل عين الروح النفسانى المتكون فى البطن المقدم من الدماغ وهو لا يتحلل بالاستعمال فلهذا القوة المخيلة قادرة على أفعالها فى جميع الاحوال الا أنها لا تتصور الاشياء باختيارها لانها ليست قوة ارادية وانما فى اليقظة كانت القوة الارادية تصرفها على حسب اختيارها فاذا أتى النوم أتى أمر آخر فاضطرها الى أفعالها وذلك الامر لا يخلو من أحد امور أربعة الاول ارتسام صور المحسوسات التى أدركتها الحواس فى ذلك اليوم فى الخيال فاذا نام الانسان تصرفت القوة المخيلة فى رسوم الصور لقرب عهدها بها ويسمى هذا اتصال الحس بالخيال وعكسه اتصال الخيال بالحس كالاحلام وكمن يرى انه يأكل شيئا فى النوم فيستيقظ وطعمه فى فمه والثانى أن تنظر القوة الفكرية فى أمر من الامور مثل سفر أو ملاقاة صديق أو رجاء أو خوف واستخدم الخيال فى احضار صورها وبقيت تلك الصور فى النوم فتصرفت القوة فيها وفى معانيها ويسمى حديث النفس وعده بعضهم ضربا من الوسواس والثالث ان يتغير المزاج من الروح الذى هو محل القوة فتختلف أفعالها بحسب تغيره فان غلب على مزاجها الحرارة رأت الحمام والشمس والنيران وما أشبه ذلك وهى طبيعة الصفراء وان غلب على مزاجها البرودة رأت الامطار والسيول والبحار والثلوج وما أشبه ذلك وهى طبيعة البلغم وان غلب على مزاجها الحرارة المعتدلة رأت المطاعم الحلوة والالوان المصبغة والملاهى والمجامعة والفصد وما أشبه ذلك وهى طبيعة الدم وان غلب على مزاجها البرودة اليابسة رأت المخاوف والظلمات والسواد وما أشبه ذلك وهى طبيعة السوداء وان غلب على مزاجها الخفة رأت الطيران والطفرة والعدو وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها الثقل رأت الاحمال الثقيلة والانحصار والانضغاط وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها عفونة الاخلاط رأت الاماكن القذرة والرائحة المنتنة وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها الاعتدال فى الاخلاط رأت الرياض والرائحة الطيبة وما أشبه ذلك (وعلى الجملة) فاذا خرج مزاج الروح الحامل للقوة المخيلة عن الاعتدال رأت المنامات المضطربة بغير نظام لان المزاج لا يثبت على حالة واحدة وهذه هى أضغاث الاحلام فما تعلق من الرؤيا بهذه الاضغاث لم يكن له تعبير وقل أن تصدق رؤيا الشعراء لانهم يستعملون قوتهم المخيلة فى اليقظة كثيرا لما يحاولونه فى معانى التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك (والرابع) ما يفيضه واهب الصور على القوة المخيلة حال النوم بمثال تدركه النفس وعلم تعبير الرؤيا هو معرفة تطبيق ذلك المثال على ما قصد به وربما القاه صريحا بغير مثال فيستغنى عن التأويل ويسمى رؤية المثل بالمثل (فمن ذلك) المرائى التى ذكرها جالينوس فى كتاب حيلة البرء ومنامات الشيخ محيى

الدين بن عربى قدس سره التى ذكرها ضمن كتابه المسمى بالفتوحات المكية وناهيك به من كتاب وما أحسن قول القائل

له آمر بالرشد فى يقظاته * وفى النوم يهديه لخير الطرائق
فان قام لم يدأب بغير فضيلة * وان نام لم يحلم بغير الحقائق

وما أليق هذا بجناب النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان فى مبدا الامر قبل النبوة لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح واعلم أن القوة المخيلة لا تستقل بنفسها فى رؤية المنام بل تفتقر الى قوة الرؤية المفكرة والحافظة وسائر القوى العقلية فمن رأى كأن أسدا تخطى اليه وتمطى ليفترسه فالقوة المفكرة تدرك ماهية سبع ضار والذاكرة تدرك افتراسه وبطشه والحافظة تدرك حركاته وحياته والمخيلة هى التى ارتسم فيها ذلك جميعه وتخيلته * واعلم أن المنامات التى تحتاج الى التعبير هى الرؤيا التى تكون من الله تعالى اما بشارة أو نذارة لطفا من الله تعالى لينبه الانسان على ما يحدث له فى المستقبل ولهذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يبق من الوحى الا الرؤيا الصادقة وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وفسر ذلك القاضى عياض بأن قال ما معناه ان مدة ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعبد بغار حراء قبل النبوة تكون قد رجزء من ستة واربعين جزأ من مدة النبوة وهى احدى وعشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة (قلت) قالوا أصح الاقوال أنه عاش صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة وأنه نبئ على رأس الاربعين سنة فمدة النبوة ثلاث وعشرون سنة وثبت أنه كان يوحى اليه منامات قبل البعثة بستة أشهر وهى نصف سنة فاذا نسبناستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة كان جزأ من ستة وأربعين وهو كما جاء فى أشهر الاقوال * واعلم أن السبب فى تاخير تحقيق المنامات السارة وسرعة تحقيق المنامات الضارة هو أن القوة الالهية المظهرة لهذه المنامات تعجل البشارة بالخيرات الكائنة قبل أوانها بمدة طويلة لتكون مدة الفرح والسرور أطول فتكون النفس منبسطة بالبشارة مرتاحة بتوقع وصولها قبل حصولها وفى الجهة الاخرى تظهر الانذار بالشرور الكائنة فى زمان يقرب من حصولها ليقصر زمان الهم والغم وكثيرا ما لا يشعر بالهم ولا ينذر به اذا لم يكن للانسان منبه اشفاقا عليه لئلا ينضاف الى ذلك الشر الهم الحاصل من الشعور بحصوله وليس حصول الشر سريعا وحصول الخير بطيئا من القواعد المطردة قيل لجعفر الصادق رضى الله عنه كم تتاخر الرؤيا فقال رأى النبى صلى الله عليه وسلم كلبا أبقع يلغ فى دمه فكان شمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين وكان أبرص وكان تاخير الرؤيا خمسين سنة وقال بعضهم تتاخر الرؤيا الى عشرين سنة فان يوسف عليه السلام انما رأى تاويل رؤياه بعد عشرين سنة قال الرئيس أبو على بن سينا فى الشفاء فى كتاب الحيوان والصبى لا يحلم حلما يعتد به الى أربع سنين ومن الناس من لم يحلم الى أن يسن ومنهم من لم يحلم البتة ثم قال فى اثناء الكتاب ويضحك الصبى بعد أربعين يوما وذلك أول ما تفعل النفس الناطقة فى بدنه ويرى المنامات بعد شهرين فيما يظن به وينساها لانه فى مثل ذلك الوقت بالتقريب تختلف عنده المحسوسات ويميز بينها وترتسم فى خياله وقال أيضا كل حيوان دموى مشاء فانه ينام ويستيقظ وكل ذى جفن فانه يطبقه عند النوم وقد يحلم غير الانسان من ذوات الاربع يظهر ذلك من شمائلها وحركاتها وأصواتها اه ومن نوادر الخيال ما حكى أن بعضهم

ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الثانية فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا واختلف فى معنى الحديث ان من البيان لسحرا فقال قوم أريد به المدح فان البيان الفهم وانما سمى سحرا لحدة عمله وسرعة قبول القلب له والتعجب منه كما يتعجب من السحر وقد اتفق الناس على أن تصوير الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق من أعلى درجات البلاغة وقال قوم أريد به الذم لان السحر تمويه والبيان كثرة الكلام والنفاق واحتجوا بقوله عليه السلام الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق والاول أصح وانما سمى البيان هنا نفاقا اذا كان من البذاء (وحكى) العتبى قال وفد الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاراد أن يقرع بينهما فى الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم قال الاحنف وهى من سقطاته

ثوى قدح عن قومه طول ما ثوى
فلما أتاهم قال قوموا ففاخروا

فقال عمرو انا كنا نحن وأنتم فى دار جاهلية وكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا دماءكم وسبينا نساءكم

والیوم فی دار الاسلام والفضل
فیها لمن حلم فغفر الله لنا ولك
فغلب یومئذ عمرو علی الاحنف
ووقعت القرعة لآل الاهتم
فقال عمرو
ولما دعتنی للریاسة معشر
لدی مجلس أضحی به النجم
بادیا
شددت لها ازری وقد کنت
قبلها
لامثالها قدما أشد ازاریا
وتوفی فی سنة سبع وخمسین
*وکان یقول أشجع الناس
من رد جهله بحلمه *وکان
یقول أف للخمر وکان ممن
حرمها فی الجاهلیة وقال لو
کان شیء یشتری ما کان شیء
أنفس منه یعنی العقل
فالعجب لمن یشتری الحمق
بماله فیدخله فی رأسه فیبقی
فی جیبه ویسلح فی ذیله
*ومن شعره وهو فی أعلی
الطبقات قوله
ومستنبح بعد الهدو دعوته
وقد حان من ساری الشتاء
طروق
یعالج عرنینا من اللیل باردا
تلف ریاح ثوبه وبروق
أضفت فلم أفحش علیه ولم أقل
لأمه ان المکان مضیق
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
فهذا مبیت صالح وغبوق
وقمت الی البزل الهواجد
فاتقت
مقاصید کوم کالمجادل روق

کتب الی امرأة کان یهواها مری خیالك أن یلم بی فکتبت الیه ابعث الی بدینارین حتی أجیء الیك بنفسی فی الیقظة ومثل هذا ما حکی أن بعض البخلاء کتب الی غلام یهواه ووضعت علی الثری خدی لترضی فکتب الیه الغلام ابعث الی بدینار حتی أدعك تضع خدك علی خدی وقیل ان بعض المغفلین تعب فی تحصیل من کان یهواه مدة طویلة فلما حصل عنده وضع العاشق رأسه ونام فقال له لای شیء تفعل هذا قال من عشق فیك أنام لعلی أری خیالك فی المنام وما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

فسر لی عاجلا منا ما * فصل فی قوله واجل
وقال لابد من طلوع * فکان ذاك الطلوع دجل

أنشدنی من لفظه الشیخ الامام الحافظ فتح الدین محمد بن سید الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرین وسبعمائة قال أنشدنی لنفسه الحکیم شمس الدین محمد بن دانیال الموصلی

کم قیل لی اذ دعیت شمسا * لابد للشمس من طلوع
فکان ذاك الطلوع داء * یرقی الی السطح من ضلوعی

وقال الشیخ تقی الدین السروجی

بی طلوع أنابه فی نزول * وطلوع بلا ارتفاع نزول
قیل لابد أن یزول سریعا * قلت أخشی أزول قبل یزول

وذکرت بما أوردته مما نقله ابن الاثیر من البیتین اللذین أولهما وقد أشق الحجاب الصعب ما نقلته من خط ناصر الدین حسن بن النقیب

نصبت جفونی للخیال حبائلا * لعل خیالا فی الکری منه یسنح
وکیف اذا أغمضتهن أصیده * ومن عادة الأشراك للصید تفتح

وهو مأخوذ من قول ابن سناء الملك

سری طیفه لا بل سری بی سرابه * وقد طار من وکر الظلام غرابه
وما کان یدری الطیف قبل طروقه * بان انفتاح الجفن منی حجابه

وأنشدنی من لفظه لنفسه المولی جمال الدین محمد بن نباتة

کفی حزنا أن لا أراقب لمحة * ولا أشهد اللذات الا تخیلا
ولا استزر الطیف خوف فراقه * لما ذقت من طعم التفرق أولا
وأقسم لو جاد الخیال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(رجع) ذکرت بقول الطغرائی ویقنعنی من الغنیمة بعد الکد بالقفل ما نظمته أنا وهو

قنعت بالعود الی منزلی * وذلك دأب المرء فی خیبته
کالحجر الملقی الی صاعد * لیس له هم سوی عودته

اختلف أهل النظر فی هذا الموضع فقال قوم ان السهم أو الحجر أو غیرهما اذا رمی به صعدا وتناهی صعوده کانت له فی آخر صعوده لبثة ما ثم یتصوب منحدرا وقال آخرون لا لبث هناك وانما أول وقت حدوره عقیب آخر صعوده قال ابن جنی وهذا القول أشبه بسیاق هذا الکلام علی قول أبی الطیب

وما أنا غیر سهم فی هواء * یعود فلم یجد فیه امتساکا

(قلت) القول الاول ذهب اليه الرئيس أبو على بن سينا لانه يقول اما ان يحصل بين الحركة الصاعدة والحركة الهابطة زمان أولا والثانى محال والا لزم تتالى الآنات فيلزم من ذلك تركب الحركة الصاعدة والحركة الهابطة من أجزاء لا تتجزأ هذا خلف فتعين الاول فالجسم ساكن فى ذلك الزمان هذا ملخص ما حكاه أثير الدين الابهرى فى كشف الحقائق ثم قال وفيه نظر لان الآن لا وجود له فى الاعيان والا لكان فى الحركة جزء لا يتجزأ فيكون فى الجسم جزء لا يتجزأ وهو محال (قلت) هذا مبنى على اثبات الجوهر الفرد وهو الجزء الذى لا يتجزأ وهى مسئلة عظيمة تدور عليها قواعد كثيرة فى علم الكلام واثباته يشق على من ناظر الفيلسوف قال الذى منع ثبوته كل جزء تفرضه فان يمينه يتميز عن يساره ومتى كان كذلك قبل القسمة وقال المتكلمون لابد أن ينتهى القول الى اثبات جزء فاصل بين كل يمين ويسار فرضا فى قسمة الاجزاء وهو المطلوب (مسئلة فرضية فيها اثبات الجوهر الفرد) وهى أختان اشتريتا أمهما ثم أن أمهما وأجنبيا اشتريا أباهما يعنى أبا الاختين فماتت احدى الاختين ولم تخلف الا أختا والاجنبى فلها النصف بالاخوة والباقى لمعتقى الاب وهما الام والاجنبى والام ميتة فنصيبها وهو الربع للاختين لانهما معتقتاها واحداهما ماتت فنصيبها وهو الثمن لمعتقى الاب وهما الام والاجنبى والام ميتة فنصيبها وهو نصف الثمن للاختين وواحدة ميتة فنصيبها وهو ربع الثمن للام والاجنبى والام ميتة فنصيبها وهو ثمن الثمن للاختين وهكذا الى ما لا نهاية له ويبقى شئ لا ينقسم على هذا النمط فتأمله يثبت لك الجوهر الفرد والله أعلم واحتال الفرضيون على قسمة هذا الميراث فقالوا نحن رأينا هذا الثمن الدائر ثلثاه للاجنبى وثلثه للبنت الموجودة اذ لها نصف بالاخوة وثمن بالجر وثلث الثمن الدائر أيضا بما قررناه وللاجنبى ربع وتلثا الدائر فيكون للبنت الثلثان فنجعل من ستة ثلاثة للبنت بالاخوة والباقى ثلاثة سهمان منها للاجنبى وسهم واحد للبنت بالولاء الذى انجر اليها من المعتق فيكون للبنت أربعة أسهم وللاجنبى سهمان والله أعلم وبالغ أبو اسحق النظام من المعتزلة فى القول بعدم اثبات الجوهر الفرد وما أحلى قول ابن سناء الملك

* ولو عاين النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه أنه الجوهر الفرد *

(وقوله أيضا)

وقد حرر النظام جوهر ثغره * ألست تراه قد تقسم بالفلج

وما أحسن قول المعتضد بن عباد يضمن قول أبى الطيب

وما كنت بعد البين الا موطنا * لنفسى على أن لا يكون اياب
ولكنك الدنيا الى حبيبة * فما عنك لى الا اليك ذهاب

ومثل الاول قول ولده المعتمد

ما سرت قط الى القتا * ل فكان من أملى الرجوع
شيم الالى أنا منهم * والاصل تتبعه الفروع

والاصل فيه قول قيس بن الخطيم

* فانى فى الحرب الضروس موكل * بتقديم نفس لا أريد بقاها *

قال أبو دلامة كنت فى عسكر مروان بن محمد أيام زحف الى طبرستان فخرج رجل منهم ينادى

بأدماء مرتاع النتاج كأنها
اذا عرضت دون العثار
عنيق
فقام اليها الجازران فاغلوا
يطيران عنها الجلد وهى تفوق
فجرا اليناضرعها وسنامها
وأزهر يحبو للقيام عتيق
وبات لنا منها وللضيف موهنا
عشاء سمين آهن ووشيق
وكل كريم يتقى الذم بالقرى
وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق
تمنى عروق من زرارة للعلا
ومن فدك والاسد عز عروق
مضاريب يجعلن الفتى فى
أرومة
يفاع وبعض الوالدين رقيق
وقوله أيضا من أبيات
وذى لوثة منهى الرقاد بعينه
بغام رخيم الصوت ألوث فاتر
فقلت له كمش ثيابك وارتحل
والا يكايدك السرى والهواجر
اذا ما نجوم الليل صارت
كأنها
هجائن يطلعن الفلاة صوادر
شآميه الا سهيلا كأنه
فنيق غدا من شولة وهو
جافر
وقوله وهو أحسن ما للمتقدمين
فى هذا المعنى
تطاردنى يوم جديد وليلة
هما أبليا جسمى وكل فتى بالى

البراز فخرج اليه أحد الا أعجله فجعل مروان يندب الناس على خمسمائة درهم فقتل أصحاب الخمسمائة فندبهم على ألف ولم يزل الى خمسة آلاف فلما سمعت الخمسة آلاف اقتحمت الصف فلما نظر الخارجي الى برزو هو يقول

وخارج أخرجه حب الطمع * فر من الموت وفي الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع *

قال فلما وقعت في أذني وليت هاربا ودخلت في غمار الناس وكان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه فدعا رجل الى البراز فقال أبو مسلم لابي دلامة اخرج اليه فقال

ألا لا تلمني ان هربت فانني * أخاف على نفسي وان تحطما
فلو أنني أبتاع في السوق مثلها * وجدك ما باليت أن أتقدما

ولما خرج أبو دلامة مع روح المهلبي لقتال الشراة وأمره بالمبارزة قال

اني أعوذ بروح أن يقدمني * الى القتال فتخزى بي بنو أسد
ان البراز الى الاقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا اذ صمدت لها * وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
ان المهلب حب الموت أورثكم * ولم أرث أنا حب الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجد

وقال ابن أبي قيس

قامت تشجعني ضلالا بتضليل * وللشجاعة قلب غير مجهول
هاتي شجاعا بغير القتل ميتته * أريك ألف جبان غير مقتول
لما رأيت سيوف القتل مصلتة * مني تحيرت في عرضي وفي طولي
الله سلمني منهم وخلصني * مصفر الوجه مخضوب السراويل
والله لو أن جبريل تضمن لي * نفسي لما وثقت نفسي بجبريل

(قيل) ان بعض الجبناء ولى هاربا عند التقاء الصفين فقيل له ان الامير يغضب عليك لفرارك فقال غضبه علي وأنا حي خير لي من رضاه علي وأنا ميت

(وذي شطاط كصدر الرمح معتقل * بمثله غير هياب ولا وكل)

(اللغة) ذي بمعنى صاحب (الشطاط) بالفتح والكسر اعتدال القامة يقال جارية شاطة بينة الشطاط (الاعتقال) هو أن يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه واعتقلت الشاة اذا وضعت رجليها بين فخذيك (هياب) رجل هيوبة وهيابة وهياب وهيبان بتشديد الياء أي جبان وكذلك الهيوب وفي الحديث الايمان هيوب أي صاحبه يهاب المعاصي (الوكل) رجل وكل بالتحريك ووكلة مثل همزة أي عاجز يكل أمره الى غيره ويتكل عليه وموكل مثل موحد وهو شاذ (الاعراب) الواو واو رب قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك رب حرف تقليل وتستعمل في التكثير كما قال الشاعر

رب رفد هرقته ذلك اليو * م وأسرى من معشر أقيال

وقال تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فرب هنا معناها التكثير كما جاء في كلامهم وهو كثير مثل رب ساع لقاعد ورب غافل ينتظره الموت اه ثم قال بدر الدين وتختص

بالنكرات

اذا ما سلخت الشهر أهلت بعده
كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي

(وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك)

بكر وتغلب هم بنو وائل الذين قامت بينهم حرب البسوس كما تقدم في ذكر جساس ومهلهل واستمرت أعواما كثيرة الى أن تفاني الحيان وقتل عظماؤهم فخرج مهلهل الى أخواله ضجرا من الحرب وتطاول المدة ومال من بقي من القوم الى صلح بعضهم بعضا وراسلهم الحرث بن عمرو بن معاوية الكندي ملك كندة وهو جد امرئ القيس الشاعر في الصلح بينهم والتملك عليهم وقد كانوا قالوا ان سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا وأكل القوى الضعيف والرأي أن نملك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القوي ويرد المظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فلا تنقطع الحروب فأجابوا الحرث ابن عمرو الى ما أراد فقدم عليهم وتلافى بقيتهم وأصلح أمرهم وشغلهم بغزو اللخميين من بني غسان ملوك الشام وكان الحرث ملكا جليلا رفيع الهمة ويسمى آكل المرار وانما سمي بذلك لان

بالنكرات نحو رب رجل لقيته قلت لان النكرة تدل على الشيوع فيجوز فيها التقليل لقبولها التقليل والتكثير واما المعرفة فمعلومة المقدار فلا تحتمل تقليلا ولا تكثيرا اه ثم قال بدر الدين وقد تدخل فى السعة على المضمر كما تدخل على المظهر مثل دخول الكاف فى الضرورة كقول العجاج

خلى الزنابات شمالا كثبا * وام اوعال كها أو أقربا

الا ان الضمير بعد رب يلزم الافراد والتذكير والتفسير بتمييز بعده نحو ربه رجلا عرفته وربه امراة لقيتها أنشد أحمد بن يحيى * وربه عطبا انقذت من عطبه * قلت قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس اختلف فى الضمير العائد الى النكرة هل هو معرفة أو نكرة فان قلنا بان ضمير النكرة نكرة وبه قال السيرافى والزمخشرى وجماعة فلا اشكال فى دخول رب على الضمير وان قلنا بان ضمير النكرة معرفة وبه قال أكثر النحاة وهو الصحيح فانما جاز دخول رب على الضمير لانه لما أبهم من جهة تقدمه على المفسر ومن جهة وقوعه للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد وشاع من جهة تفسيره بالنكرة صار فيه من الابهام والشيوع ما قارب به النكرة فجاز دخول رب عليه قال بدر الدين وتجرى رب مع افادتها التقليل مجرى اللام المقوية للتعدية فى دخولها على المفعول به وتختص بوجوب تصديرها ونعت مجرورها ومضى معداها وهو وما بعد النعت من فعل مفرغ [٣] ظاهر أو مقدر مثال الظاهر رب رجل كريم عرفت ومثال المقدر رب رجل عرفته أى عرفت وكذلك قولك رب رجل رأيت ورب رجل كريم رأيته (قلت) قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس لابد للمخفوض بها أو بما ناب منابها من الصفة وفى هذه المسئلة خلاف وهو هل المجرور برب لازم الصفة أولا فمن الناس من قال بعدم اللزوم ومنهم من قال باللزوم كابى على والزمخشرى وابن عصفور ومن تبعهم واحتجوا لذلك بان الصفة فى النكرة للتخصيص فهى تفيد الموصوف تقليلا فيوافق المعنى المقصود فى ان رب للتقليل وقال الشيخ بهاء الدين أيضا انما جاز رب رجل وأخيه ولم يجز رب أخيه لان الثوانى يجوز فيها ما لا يجوز فى الاوائل بدليل قولهم كل شاة وسخلتها بدرهم ومررت برجل قائم أبواه لا قاعدين ولو قلت كل سخلتها ومررت برجل لا قاعدين أبواه لم يجز وانما جاز فى الثوانى ما لم يجز فى الاوائل من قبل انه اذا كان ثانيا يكون ما قبله قد وفى الموضع حقه فيما يقتضيه فجاز التوسع فى ثانى الامر بخلاف ما لو أتينا بالتوسع فى اول الامر فانا حينئذ لا نعطى الموضع شيأ مما يستحقه هذا اذا لم نقل ان المضاف الى ضمير النكرة نكرة فان قلنا انه نكرة كان الجواز أسوغ قال ولا يكون العامل فيها الا بمعنى المضى كقولك رب رجل جواد لقيته أو أنا لاق أو هو ملتق ولا تقول رب رجل جواد سألقى أو لالقين لان التقليل فى الماضى شائع ولا كذلك فى المستقبل لانه لم يعلم فيتحقق تقليله قال وتلزم ابدا الصدر لشبهها بحرف النفى من جهة مقاربة التقليل للنفى لان النفى اعدام الشئ وتقليله تقريب من اعدامه ولان العرب استعملوا التقليل فى موضع النفى قال الشاعر

قلما يبرح المطيع هواه * كلفا ذا صبابة وجنون

معناه ما يبرح المطيع هواه كلفا قال وتدخل عليها ما فتكون ما حينئذ كافة ويسميها بعضهم مهيئة لانها هيأت رب للدخول على الفعل الذى لم تكن تدخل عليه (قلت) وتحذف رب ويبقى عملها وهو بعد الفاء وبل قليل وبعد الواو كثير فمن حذفها بعد الفاء قول امرئ القيس

زياد بن الهبولة أحد ملوك الشام غزا أرضه والقوم خلوف بالبحرين فاصاب سبيا وغنائم وسبى هند بنت ظالم زوجة الحرث بن عمرو فبلغ الحرث الخبر فخرج للقاء ابن الهبولة وأرسل سدوس ابن سنان وخليع بن وهب يتجسسان له الخبر فى عسكر ابن الهبولة فخرجا حتى هجما على العسكر ليلا وقد أمن الطلب وقسم النهب وأخذ الرباع وأوقد نارا عظيمة ونادى مناديه من جاء بحزمة حطب فله قدره من عمر فاخذ كل منهما حزمة من الحطب وألقاها عند النار وأخذا التمر فاما خليع فقال يكفى هذه آية وانصرف وأما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه بامر جلى فلما دخل ابن الهبولة قبته قرب سدوس منها بحيث يسمع كلامه وأقبل ناس يحرسون القبة فضرب سدوس يده الى جليس له مخافة أن يستنكره فقال من أنت فقال فلان ودنا ابن الهبولة من هند امرأة الحرث فقبلها وداعبها وقال ما ظنك الآن بالحرث قالت ما هو الظن بل هو اليقين انه ان يدع طلبك حتى يعاين القصور الحمر يعنى الشام وكانى أنظر اليه فى فوارس من شيبان يدمرهم ويدمرونه وهو شديد الكلب كانه بعير

[٣] قوله من فعل مفرغ الى آخر العبارة هكذا بالاصل ولتحرر اه

أكل مرارا فسمى آكل المرار والمرار نبت فيه مرارة اذا أكلت منه الابل قلصت مشافرها وقيل بل سمعها سدوس يعنى هندا تقول لابن الهبولة وقد سألها عن حبها الحرث فقالت والله ما أبغضت نسمة قط بغضى له وما رأيت أحزم منه نائما ومستيقظا وكان اذا أراد النوم أمرنى أن أجعل عنده عسا من لبن فبينما هو نائم يوما وأنا قريب أنظر اليه اذ أقبل سالخ الى العس فشرب منه ثم مج فيه فقلت يستيقظ فيشربه فيموت فاستريح منه فانتبه من نومه فقال على بالاناء فناولته اياه فشمه ثم ألقاه فهرق ثم قال أين ذهب الاسود فقلت ما رأيته فقال كذبت فلما سمع سدوس هذه المقالة أمهل حتى نام الحرس وخرج يسرى ليلته حتى صبح الحرث فدخل عليه وهو ينشد

أتاك المرجفون برجم ظن
على دهش وجئتك باليقين
ثم قص عليه ما سمع وكان الحرث جالسا فى موضع فيه شئ كثير من نبت المرار فجعل يسمع الحديث ويعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا وهو لا يعلم انه يأكله

٣ (قوله فان قلت الخ) فى هذا نظر ظاهر فليتأمل اه

فتلك حبلى قد طرقت ومرضع ومن حذفها بعد بل قول رؤبة بن العجاج
بل بلد مثل الفجاج قتمه وحذفها بعد الواو كثير لا يحتاج الى شاهد وانما حذفها مع عدم الواو والفاء وبل فنادر كقول الشاعر

رسم دار وقفت فى طلله * كدت أقضى الحياة من جلله

وفى رب تسع لغات رب ورب ورب وربت وربت وربت ورب ورب ورب (رجع) ذى أصله ذوو وانما جر بالياء لانه أحد الاسماء الستة المعتلة المضافة التى تعرب بالواو رفعا وبالالف نصبا وبالياء جرا وذو هذه أطلق المتقدمون لفظها فى هذه الاسماء الستة ولم يحترزوا من ذو التى بمعنى الذى فى لغة طيئ فانها مبنية لا دخول للاعراب فيها ولهذا أورد واعلى الشيخ جمال الدين بن الحاجب فى قوله وذو مال فى مقدمته قالوا كان ينبغى ان يقول وذو التى بمعنى صاحب احترازا من ذو الطائية كقول الحماسى

فان الماء ماء أبى وجدى * وبئرى ذو حفرت وذو طويت

يريد الذى حفرت والذى طويت وكما قال أبو زيد الطائى فى صفة الاسد لعثمان رضى الله عنه فلا وذو بيته فى السماء ولذلك قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك

من ذاك ذو ان صحبة أبانا * وأجيب عن جمال الدين بن الحاجب بانه قال وذو مال فاستغنى بالمثال عن الاحتراز لانها فى المثال بمعنى صاحب فتعين ان لفظة ذى فى بيت الطغرائى بمعنى صاحب وهى مجرورة برب مضمرة وعلامة جرها الياء (شطاط) مضاف الى ذى وسيأتى الكلام على الاضافة فيما بعد (كصدر) الكاف بمعنى مثل وهى فى موضع جر لانها صفة لذى المجرورة برب وصدر مجرور بالاضافة (الرمح) مجرور بالاضافة الى صدر (معتقل) مجرور على انه صفة بعد صفة لذى (بمثله) جار ومجرور والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى ترجع الى الرمح والجار والمجرور فى موضع نصب مفعول لاسم الفاعل وهو معتقل كأنه قال معتقل مثله (غير هياب) غير مجرور على انها صفة لمعتقل (فان قلت) ٣ معتقل نكرة وغير هياب معرفة فكيف توصف النكرة بالمعرفة (قلت) غير لا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين متضادين وكانا معرفتين كما تقول عجبت من قيامك غير قعودك أو عجبت من الحركة غير السكون وهياب لم يضاد معتقلا فغير نكرة هنا مع وجود الاضافة ومن خواص غير أن لا تدخلها الالف واللام (ولا وكل) الواو عاطفة ولا حرف نفى وغير للنفى فعطفت النفى على النفى ووكل مجرور بالعطف على هياب (المعنى) وصاحب قامة معتدلة مثل صدر الرمح معتقل برمح غير جبان ولا عاجز أخذ يصف صاحبه ويعدد ما هو عليه من كمال الخلق والخلق والصفات التى تطلب من رفاق السفر فى الليل من الشجاعة والاقدام وغير ذلك فقد التفت الى هذا فاقتضب مما كان يشرحه ويوضحه من حاله ومقامه فى بغداد وغربته وفقره وعدم أصحابه وعكس مقاصده وصف هذا الرفيق والالتفات عادة البلغاء فيلتفتون من فن الى فن ومن أسلوب الى أسلوب على عادة العرب فى كلامهم وأرى الاقتضاب نوعا من الالتفات كقول أبى نواس فى قصيدته النونية يبناهو يصف الخمر ويقول من ذلك

ما استقرت فى فؤادفتى * فدرى مالوعة الحزن

اذا اقتضب ذلك وقال بعده

تضحك الدنيا الى ملك * قام بالاسنة والسنن

وكذلك الظغرائى بيناه وفى ذكر حاله وماهو عليه من شكوى الزمان اذا اقتضب ذلك وأخذ فى وصف الصاحب الذى ذكره فهذا التفات من نوع الى نوع وقول ابن الأثير فى المعانى المبتدعة وتغلطه الناس فى الالتفات ومشاحة من أدخل فى الالتفات ما ليس من شرطه وهو ان الالتفات الرجوع من الخطاب الى الغيبة أو بالعكس تحكم منه وانما الالتفات هو الخروج من نوع الى نوع وسلوك سبيل بعد سبيل حتى ان التخلصات هى نوع من الالتفات ولكن خروجها متصل بمناسبة بين الغزل والوصف أو غير ذلك وبين المدح وأرباب البلاغة يسمون الالتفات شجاعة العربية وهو ينقسم ثلاثة أقسام الاول الرجوع من الغيبة الى الخطاب وبالعكس فالاول كقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الآيات ثم قال اياك نعبد واياك نستعين انتقل من الغيبة الى الخطاب والثانى كقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم انتقل من الخطاب الى الغيبة (وأقول) انما عدل فى الاول من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة الاتراك تحمد نظيرك ولا تعبده فكأن القارئ توسل الى الاعلى بالادنى والى الخطاب بالغيبة على سبيل التدريج الى الغاية ولم يخاطب الله من أول وهلة

قدم يدا من قبل أن تدنى يدا * ومبرة من قبل ان تدنى فما

فكأنه أثنى أولا ثم خاطبه ثانيا وفى الثانى انما عدل عن الخطاب الى الغيبة لان المقام مقام سؤال وتعطف وطلب هداية ورحمة من الله تعالى فلو قال غير الذين غضبت عليهم لكان قد نسب الغضب اليه تعالى وكان بمنزلة من يقول أنت تنعم وتنتقم وتعفو وتؤاخذ وفى هذا من المواجهة لمن يطلب احسانه ورحمته وهدايته ما فيه لانك تذكره بما له عليك أما اذا قلت أنت المنعم الذى لا يغضب والعفو الذى لا يؤاخذ كنت قد أتيت بما زاده عطفا عليك وأغراه بالعفو عنك وما أحسن قول القائل

حجبى عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانى مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى * والله يعلم أننى مظلوم

والثانى من أقسام الالتفات الرجوع عن الفعل المستقبل الى الامر وعن الماضى الى الامر فالاول كقوله تعالى ان تقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى انتقل من الاستقبال الى الامر والثانى كقوله تعالى قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين أقول انما عدل فى الآية الاولى عن المستقبل الى الامر لئلا يساوى بين شهادة الله تعالى وشهادتهم فلم يقل أشهد الله وأشهدكم وانما عدل فى الآية الثانية عن الماضى الى الامر لان لفظ الامر فيه العناية بما أمر به فاذا قلت أمرتك بالقيام وصل لله تعالى كان أبلغ من قولك أمرتك بالقيام والصلاة والثالث الاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وبالعكس فالاول كقوله تعالى الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا الآية انتقل من المضى الى الاستقبال والثانى كقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم وقوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات الآية انتقل من الاستقبال الى المضى وأقول انما عدل فى الاول عن الماضى الى

من شدة الغيظ الى أن فرغ الحديث ووجد طعمه فسمى آكل المرار ثم لحق ابن الهبولة فقاتله وظفر عليه ولم يزل ملكا على بنى وائل الى أن مات ومن شعره يقول

رب هم جشمته فى هواكم
وبعير تركته محسور
وغلام كلفته دلج الليـ
ـل فاضحى كأنه مخمور
ان من غره النساء بشئ
بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين واللسان وسن
كل شئ يحن منها الضمير
كل أنثى وان بدا لك منها
آية الحب حبها خيتعور

(والحمالات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك)

(الحمالات) جمع حمالة وهو ما يتحمله الرجل عن القوم من دية أو غرامة وأصل الحرب بين بنى عبس وذبيان أن قيس بن زهير المقدم ذكره كان قد اشترى من مكة درعا حسنة تسمى ذات الفضول وورد بها الى قومه فرآها عمه الربيع بن زياد وكان سيد بنى عبس فأخذها منه غصبا فانتقل عنه قيس بن زهير بأهله وماله ونزل على بنى ذبيان وسيدهم حمل بن بدر بن حصين وأخوه حذيفة فأكرموه وأحسنوا جواره وكانت لقيس خيل كريمة من جملتها داحس وانما سمى

الاستقبال طلبا لاستحضار حال تلك الصورة البديعة فان المستقبل فى الانتظار والتوقع فيطلب بذلك التهيئ والتطلع لوقوع الحال بخلاف الماضى فانه أمر فرغ منه وليس للنفوس اليه تطلع وفى الثانى انما عدل عن الاستقبال الى الماضى لان الماضى أمر وقع وصح وثبت وتحقق كونه ولما كان الحشر وفزع أهل السموات والارض أمرا مطلوبا ثبوته وتحققه أخبر عنه بالماضى الذى وقع وجزم العقل به بخلاف الاستقبال فانه أمر مظنون يحتمل وقوعه وعدمه فانظر الى ما أعطى الالتفات فى هذه المواضع من المعانى وأفادها من الحكم فتبارك الله الذى أنزل القرآن وجعله معجزا نأت غايته عن البشر وبعدت مرامى معانيه وحكمه عن المعارضة والاتيان بمثله أو بسورة منه تنزيل من حكيم حميد * قال الزمخشرى والالتفات من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وطلب للاصغاء اليه قلت ألا ترى أن الطغرائى لما أخذ فى وصف حاله وما هو فيه من النكد وضيق الحال كانه أطال على المخاطب فى ذلك وأحس منه بالملل فالتفت الى وصف هذا الصاحب الذى رافقه فأنشأ للسامع معنى غير الاول بعث له نشاطا جديدا واستأنف له اصغاء آخر وجدد له تطلعا يتشوف معه الى الوقوف على هذا الخبر الثانى وهذا غير خاف وصدر بيت الطغرائى هو بعينه صدر بيت الحريرى فى مقامته الرابعة والاربعين من قصيدته البائية لانه قال

وذى شطاط كصدر الرمح قامته * صادفته بمنى يشكو من الجدب

ومثل هذا لا يعد سرقة لان المعنى ليس ببديع ولا لفظه بفظيع ولا الطغرائى بعاجز عن الاتيان بمثله بل جرى على لسانه ونسى أن هذا لغيره لعدم الاحتفال بأمره اذ هو ليس بامر كبير وهذا كثير الوقوع للناس لا يكاد يسلم الفحول منه ولهذا قال أشياخ الادب ما حفظ المقامات أحد ونسيها الا نظم ونثر وقوله كصدر الرمح معتقل بمثله من الايجاز والاختصار لانه استغنى بمثله عن ان يقول برمح طويل قويم معتدل وما أحسن المثل المشهور يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق وقال البحترى

والشعر لمح كفت اشارته * وليس بالهدر طوّلت خطبه

وأحسن ما ورد فى الايجاز قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين وقد تكلم أرباب البلاغة فى هذه الآية وأكثروا قال ابن أبى الاصبع وما رأيت فيما استقريت من الكلام كآية استخرجت منها احدا وعشرين ضربا من المحاسن وذكرها ثم فسر ذلك وشرحه والكلام عليها يطول ههنا وهذه الآية مشهورة بين أرباب البلاغة بالابداع وأعظم ما فيها شرح شأن نوح عليه السلام فى الطوفان من أوّله الى آخره فى هذه الالفاظ القلائل ومن جملة اعجاز القرآن ايجازه وهو مشحون بذلك ومثل قول الطغرائى بمثله فى كلام الشعراء كثير كقول أبى تمام الطائى

وركب كأطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

فاستغنى بقوله على مثلها عن أن يقول على نوق كاطراف الاسنة وما أحلى قول ابن الساعاتى

يا لقومى وقد أقام فريق * ليلة النصف واستقل فريق
كل قدّ ومثله لكن الذا * بل قدّ والناضر الممشوق

وقلت

داحسا لانه كان لرجل من بنى يربوع يقال له قرواش وكان له فرس تسمى جلوى ولرجل منهم يقال له حوط فرس يقال له ذو العقال وكان لا يطرقه شيأ وانهم توجهوا فى نجعة والفحل مع ابنتين لحوط يقودانه فمرت به جلوى وديقا فلما استنشاها ودى فضحك شباب منهم فاستحيت الفتاتان فأرسلتا مقوده فوثب على جلوى ثم جاء حوط وكان سيئ الخلق فرأى عين فرسه فقال ثار والله فأخبر بالخبر فنادى بنى يربوع فاجتمعوا فقالوا والله ما أكرهناه قال أريد ماء فرسى فقالوا دونك فأوثقها حوط ثم جعل فى يده ترابا وسطا عليها فادخل يده فى فرجها وأخرجها فاشتملت الرحم على ما فيها فنتجها قرواش مهرا فسماه داحسا لسطوة حوط عليه ودحسه اليد اليها وخرج داحس كانه أبوه * ثم ان قيس بن زهير أغار على بنى يربوع فغنم وسبى وركب داحسا فتيان من بنى دريم فنجوا وقطعا الخيل فلما رآه قيس أعجب به فدعا الى أن يجعل فداء السبى ففعلوا وصار لقيس فتراهن رجلان من بنى ذبيان عليه وعلى فرس لحذيفة تسمى الغبراء أيهما

وقلت أنا فى هذا النوع

يا قومى من سطوة الترك سلوا * بيض أجفانهم لحز النحور
كل لحظ ومثله لكن النصـ * ـر تراه فى الحرب للمكسور

وقلت أيضا

رب يوم تقابل الورد فيه * بين روض و بين خد تضرج
كل شئ ومثله لكن الأحـ * ـسن ما كان بالعذار مسيج

وقلت أيضا

يقابل بدر التم منه بطلعة * هى البدر لكن حسنها منه أشهر
وفى خده ورد وفى الروض مثله * ولكن ما تحت النواظر أنضر

وقريب من هذه المادة أعنى قول الطغرائى وغيره قول أبى العتاهية فيما أظن

حلقت لحية موسى باسمه * وبهرون اذا ما قلبا

قوله باسمه أوقع فى النفس من ان يقول حلقت لحية موسى بموسى لان خفاء التدبير أحسن من وضوحه وعلى ذكر موسى فما أحلى قول مجد الدين بن الظهير الاربلى فى القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان وولده موسى

وكيف يؤتى رشده حاكم * حكم فى لحيته موسى

كتب الشيخ جمال الدين الموقانى الى جمال الدين موسى بن يعمور وقد أهدى له موسى

وأهديت موسى نحو موسى وان يكن * قد اشتركا فى الاسم ما أخطا العبد
فهذا له حد ولا فضل عنده * وهذا له فضل وليس له حد

وقد اختلس قول أبى العتاهية المتقدم أبو الحسن على بن عبد الغنى الضرير الحصرى وهو ابن أخت أبى اسحق ابراهيم صاحب زهر الآداب فقال

يا حرفة الشعراء انك مفهم * حيث ابتغوا رزقا بالمرصاد
توحل بالوادى المقدس ركبهم * لشفاء غلتهم بجف الوادى
ولو ابتغوا حلق الرؤس بمكة * حضر الرشيد بها وغاب الهادى

يريد اسم الرشيد وهو هرون واسم أخيه الهادى وهو موسى ومثل هذا قول أبى بكر محمد بن عمار وقد دخل حماما بحصن شقورة فالتمس نورة يطلى بها عورته فلم يجد فاستعمل الموسى بدلا منها فقال

شقورة شردار * وشرها زاد بوسا
عدمت هرون فيها * فظلت أطلب موسى

وقول ابن عمار الحصرى فيه شئ يؤاخذ به وهو انما أراد بهرون قلب حروفه ليعود نورة وليس فى اللفظين ما يدل على القلب وان كان يمكن التاويل للحصرى بانه ما أراد الاغيبة موسى الهادى وحضور الرشيد هرون لا غير ولكن المتبادر الى الذهن ذاك فعلى كل حال قول أبى العتاهية أكمل وقلت أنا ملغزا فى الموسى

وماشئ له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس يصبح تحت حلقه

السابق على عشر قلائص وقد قيل ان داحسا والغبراء فرسا قيس والخطار والحنفاء فرسا حذيفة وانهم أجروا الجميع وقيل تراهنا على فرسى قيس أيهما سبق وللرواة فى ذكر هذا السباق أخبار مختلفة مطولة جدا تشتمل على أمثال وأشعار اختصرتها لكثرة ما فيها من الموضوعات ثم ان الرجلين أخبرا حذيفة بن بدر بالرهان على فرسه وفرس قيس فرضى به وأرضاه فاتيا قيسا فقالا انا راهنا على فرسك فقال راهنا من شئتما وجنبانى بنى بدر فانهم قوم يظلمون فقالا قد أوجبنا الرهان مع حذيفة فقال والله ليستعلن علينا شرا ثم جاء قيس الى حذيفة فقال انما جئتك لاواضعك الرهان عن صاحبى فقال لا والله حتى تاتى بالعشر قلائص فأحفظ ذلك قيسا فغضب وتزايدا حتى بلغا مائة قلوص ووضعا الرهان على يد رجل من بنى ثعلبة وجعلا الغاية مائة غلوة ثم قادا الفرسين الى الغاية وركبهما فتيان منهما وكان حمل بن بدر قد جعل شجاها ئلا ووضعه فى شعب من شعاب هضب القليب على طريق الفرسين وأكمن فيه فتيانا وأمرهم ان جاء داحس سابقا أن يردوا

وجهه الى أن تسبقه الغبراء
فسبق داحس فأشار اليه من
كان فى الشعب فردوا وجهه
وجاءت الغبراء وعلم قيس
والذى على يده الرهان بذلك
فقال قيس لحذيفة أعطنى
سبقى وقال الذى على يده
الرهان يا حذيفة أعطوه
سبقه فقد سبق داحس
فاعطاه السبق ثم ان جماعة
من قوم حذيفة ندّموه على
دفعه السبق الى قيس ونهاه
آخرون عن الشر وقالوا ان
قيسا لم يسبق الى كرمه وانما
سبق دابة دابة فابى وبعث
ابنه ندبة بن حذيفة الى قيس
يطلب منه السبق فقال هذا
سبقى فكيف أعطيكم اياه
فتناول ابن حذيفة من
عرض قيس وشتمه وأغلظ
له وكان الى جانب قيس رمح
فطعنه فدق صلبه واجتمع
الحيان وأدوادية المقتول
وأخذها حذيفة دفعا للشر
ثم ان قومه ندّموه فعاد الشر
بينهم فتحمل قيس بمن معه
من قومه ورحل وجمع
الفرسان وقامت الفتن بين
الحيين الى أن قتل مالك بن
زهير أخو قيس وكان الربيع
ابن زياد عمهما معتزل الحرب
فلما سمع بمقتل ابن أخيه
مالك شق ذلك عليه وقاتل
بنى ذبيان وأنشد

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبعمائة

رأيت فى جلق غزالا * تحار فى حسنه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى * قلت هنا تحلق الذقون

وهذا النوع يسميه أرباب البديع القول بالموجب وهو ان يقع فى كلام المتكلم شئ يعنى به نفسه فيثبته المتكلم لغيره من غير تصريح بثبوته له ولا بنفيه وقد جاء فى القرآن العظيم منه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل الآية فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن المؤمنين فأثبت الله عز وجل صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج بصفة العزة ولا لنفيه وهذا نوع عزيز الوقوع لا يطيع من يرومه لتوعر مسلكه ولا باس بايراد ما حضرنى منه قرأت على الشيخ الامام الكاتب أبى الثناء محمود كتابه الذى وسمه بحسن التوسل الى صناعة الترسل وأورد فيه لنفسه قوله

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

ثم قال ومن أحسن ما سمعت فيه قول محاسن الشواء

ولما أتانى العاذلون عدمتهم * ومافيهم الا اللعمى قارض
وقد بهتوا لما رأونى شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

قلت ومن هنا أخذ ناصر الدين بن النقيب قوله

ومالى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

وأصل هذا المعنى قول الاوّل

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به نظرة الانس

وأورد فى حسن التوسل قول الارجانى

غالطتنى اذ كست جسمى الضنا * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

قلت أخذه ابن نقادة أخذا قبيحا واستحق به اللوم صريحا لانه قال

غالطتنى حين حاكى خصرها * جسمى الممرض وجدا وغراما
ثم قالت أنت عندى ناظرى * ولعمرى صدقت لكن سقاما

وأخذه آخر فقال

شكوت صبابتى يوما اليها * وما قاسيت من ألم الغرام
فقالت أنت عندى مثل عينى * لقد صدقت ولكن فى السقام

وأورد فى حسن التوسل قول القائل

قلت ثقلت اذ أتيت مرارا * قال ثقلت كاهلى بالايادى

قلت طوّلت قال لا بل تطوّلت وأبرمت قال حبل ودادى

انتهى ما أورده فى الكتاب المذكور وما ألطف قول صدر الدين بن الوكيل

وبى من قساة قلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى
أقر برق اذ أقول أناله * وكم قالها أيضا ولكن لتهديدى

ونقلت من خط السراج الوراق له

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى * لهموم نفس ليت لا حملتها
قد كان عندك يا فلان صريمة * فأجبتهم بعت الحمار وبعتها

ونقلت منه له

وسائل يسألنى وقد * أنشدت شعرا يشبه الشعرى
يقول لى اذ كنت لدى معشر * قد عبدوا البيضاء والصفرا
ما حصلت دائرة بينهم * قلت نعم بطيخة خضرا

ونقلت منه له

متمارض جعل التغا * شى من خبائثه سبب
ويقول ما أنا طيب * صدق اللعين وما كذب

ونقلت منه له

لقنته العذر عن ترك * حاجتى لو تصوّر
فقلت أنسيتها والنسيان أمر مقدر
فقال لست بناس * فقلت مولاى أخبر

ونقلت منه له

أطعموا العلقة شيخا * ذقنه كالثلج بيضا
ثم قالوا خذ دواء * يستغيض الداء غيضا
يحلق السوداء حلقا * قلت والبيضاء أيضا

ونقلت منه له

قلت صدّق فيك مدحى * وثناء فاض فيضا
قال ما صدقت عمرى * لو لا صليت أيضا

ونقلت منه له

لقنته الاعذار عن * وعدثناه عنه افكك
وصرفت للنسيان ذا * لك وقلت لم يك منك ترك
فأجاب بل أنا غيرنا * س قلت ما فى ذاك شك

ونقلت منه له

كملت لابنى بنات أربع * والنى جاءت تمام الخاتمه
قلت قد سميتها رابعة * قال اياك وأخرى طارمه

ونقلت منه له

وقائل قال لى لما رأى فلقى * لطول وعدو آمال تعنينا

من كان مسرورا بمقتل مالك
فليات نسوتنا بوجه نهار
يجدن النساء حواسرا يندبنه
بالصبح قبل تبلج الاسحار
أفبعد مقتل مالك بن زهير
يرجو النساء عواقب الاطهار
يعنى انه أخذ ثار مالك فندبته النساء وكذلك عادة العرب لا تندب القتيل حتى يؤخذ ثاره ولبعض الادباء اعتراض فى قوله
بالصبح قبل تبلج الاسحار
فان الصبح لا يكون الا بعد تبلج الاسحار وأجيب بأقوال منها ان الصبح ههنا الحق الواضح من وصف القتيل الذى هو كالصبح كأن النساء ندبنه بخلاله الحسان الواضحة والبيت الثالث ٣ يستشهد به العروضيون على دخول الحذف فى عروض الطويل كما يدخل فى ضربه وهو زوال السبب من

٣ قوله يستشهد به العروضيون الخ فيه أن البيت المذكور من الكامل لا من الطويل فلم يصادف الاستشهاد به على ما ذكره محلا لان أواخر تفاعيل الكامل أوتاد لا أسباب كما لا يخفى هذا ولم يتعرض أبو الفداء فى تاريخه لهذا البيت الثالث فليحرر اه مصححه الاول

مفاعلن المقبوضة وهو قليل
ولا يستعمل * ثم توالت أيام
الحروب بينهم وكان أعظمها
يوم الهباءة كما تقدم وسئم
قيس من القتال فذهب
الى أخواله كما ذكر فى
ترجمته وكان الربيع قدمات
وأكل بعض القوم بعضا
فقام فى الصلح الحرث بن
عوف وهرم بن سنان المريان
وحملا الحمالات واجتهدا فى
اصلاح ذات البين وفى ذلك
يقول زهير بن أبى سلمى الشاعر
تداركتما عبسا وذبيان
بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وكانت اليد الطولى للحرث
ابن عوف أولا وآخرا
والسبب فى ذلك أن الحرث
قال يوما لخارجة بن سنان
أترانى أخطب الى أحد فيردنى
قال نعم قال ومن ذلك قال
أوس بن حارثة بن لام الطائى
فقال الحرث لغلامه ارحل
فركبنا حتى لقينا أوس بن
حارثة فى بلاده فوجدناه فى
فناء منزله فلما رأى الحرث
ابن عوف قال مرحبا بك
ياحرث قال وبك قال وما
حاجتك قال جئتك خاطبا
قال لست هناك فانصرف
ولم يكلمه ودخل أوس الى
امرأته مغضبا وكانت من
عبس فقالت من الرجل
الذى وقف عليك قال ذلك
سيد العرب الحرث بن عوف

عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

ونقلت منه له

قالت جمعت لفاقة كسلا * فانهض وقم وادأب لهم العائله
فأجبت هل تدرين لى سببا * قالت ولا وتداوهذى الفاصله

وقال ابن سناء الملك

لهفى على عشاقك الطرش * العمى فى عشقك لا العمش
عاشقك القش ولا غرو أن * تلتهب النيران فى القش
قالوا لقد أحدث من بعدنا * مالا يرى قلت على الفرش

ونقلت من خط الشيخ محمد التلمسانى

اسم حبيبى ومايعانى * قد شغلا خاطرى ولبى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوانى فقلت قلبى

وقال النور الاسعردى

سالت الوزير أتهوى النسا * أم المرد جار واعلى مهجتك
فقال وأبدى الخلاعات لى * كذا وكذا قلت من زوجتك

وقال أيضا عند ما عمى فى آخر عمره

سالت الله يختم لى بخير * فعجل لى ولكن فى عيونى

وقال أيضا فى مملوك باعه

سمحت ببيع المملوك يمانعنى * ولو أراد رضائى ماتعدانى
قالوا أينسب للعلان قلت لهم * ماكنت بائعه لو كان علانى

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن أحمر المشروب ماتنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى شمس الدين محمد بن الصائغ

عارضنى العذال فى عارض * قالوا بلطف بعد ما أطنبوا
ما آن بالعارض أن تنتهى * قلت ولا بالشيب لا تتعبوا

وقلت أيضا

وصاحب لما اتاه الغنى * تاه ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منعيدا * تشكرها قلت ولا راحه

وقلت أنا

ولقد أتيت لصاحب وسالته * فى قرض دينار لامر كانا
فاجابنى والله دارى ماحوت * عينا فقلت له ولا انسانا

وقلت أيضا

يقولون لما رأونى * وقد أخجل الغصن والجؤذرا
أتشتاق من طرفه أبيضا * فقلت ومن قده أسمرا

وقلت

وقلت أيضا

يقول لى العذال لما عشقته * وبعض جواب الصب فيه لطائف
أيسبيك منه يا أخا الوجد ناظر * مهنده ماض فقلت وسالف

وقلت أيضا

قد سالت النسيم وهو خبير * بسؤالى اذ غاب وجهك عنى
قلت قل لى هل ورد خديه غض * قال قد ضاع نشره قلت منى

وقلت أيضا

بدا فى الخد عارضه فاضحى * عليه معنفى باللوم يغرى
وحاول أن يرى منى سلوا * فقال لقد تعذر قلت صبرى

وقلت أيضا

سالت نسيم أرضك حين وافى * فقلت صف القوام ولا تحاشى
فقال يلين قلت لكل صعد * وقال يميل قلت لكل واشى

وقلت أيضا

صدق خلى نسمات الصبا * فيما روت عنك وما شكا
وقال لا أخبر منها بما * جاءت به قلت ولا أذكى

وقلت أيضا

يقول صحبى اذ اتى منكم * مشرف بالغت فى شكره
هل يلتقى اكرم من طيه * قلت ولا اطيب من نشره

ولا باس بقول من قال موالیا

عبر على حبيبى قلت كلمنى * فقال بحبك لحسنى قلت تقبلنى
فقال لى بشماز أو تجاوبنى * ضحكت لو قال بارد قلت سبلنى

وبعضهم أراد ان يشترى جارية عرضت عليه فقال لها كم دفعوا فيك فقالت وما يعلم جنود ربك الا هو وقيل ان رجلا رمى عصفورا فاخطاه فقال له آخر أحسنت فغضب وقال أتهزأ بى قال انما قلت أحسنت الى العصفور ذكر أبو الحسن المدائنى ان رجلا من أهل الحجاز قال لابن شبرمة العلم من عندنا خرج فقال صدقت الا انه لم يرجع اليكم لقى شيخ شيخا آخر مثله فقال له ماذا يصنع الشيخ النحس اليوم فقال له يشتمنى وقال بعضهم لولده والله لا أفلحت فقال له والله يا أبى ولا أنا حكى ان الصاحب جمال الدين بن مطروح قال يوما لشهاب الدين القوصى ياشهاب الدين أنت عندنا مثل الوالد فقال لاجرم أنى مطروح وقال له بعض الرؤساء أنت عندنا مثل الاب وشدد الباء فقال لاجرم انكم تأكلونى (أقول) لايخفى ما فى هذا التنذير من اللطف لان الأب مشدد الباء هو المرعى وقال بعضهم هو للدواب بمنزلة الخبز للاناسى ومن يشدد الباء من الاب الذى هو الوالد لا يكون الادابة وقيل ان أبا الفرج بن الجوزى كان له ولد يدعى عليا فدخل يوما الى البيت فرأى تحت سجادة الشيخ أربعة دنانير فأخذها فلما أحس بمجىء الشيخ نام فطلب الشيخ الدنانير فلم يجدها فعرف أنه أخذها فحركه وقال ويلك أكانت الدنانير بنجا قال لا والله الا جيادا فضحك الشيخ وقال خذها لا جعل الله لك فيها بركة

قالت فما لك لم تستنزله قال انه استحمق قالت وكيف قال جاءنى خاطبا قالت أفتريد أن تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب فمن قال قد كان ذلك قالت فتداركك ما كان منك قال بماذا قالت بان تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط منى ما فرط اليه قالت تقول انك لقيتنى وأنا مغضب بامر لم تقدم فيه قولا فانصرف ولك عندى ما تحب فانه سيفعل فركب أوس بن حارثة فى أثره قال خارجة فوالله انا لنسير اذ حانت منى التفاتة فرأيته فاقبلت على الحرث وما يكلمنى غما فقلت له هذا أوس بن حارثة فقال وما نصنع به امض فلما رآنا لا نلتفت صاح يا حرث اربع على فوقف له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا فبلغنى أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لى فلانة لا كبر بناته فاتته فقال يا بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب وقد جاءنى خاطبا وقد أردت أن ازوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لانى امرأة فى وجهى ردة وفى خلقى بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمى وليس بجارلك فى البلد فيستحيى منك ولا آمن أن يرى منى

مايكره فيطلقني فتكون على وصمة فقال قومي بارك الله فيك ثم دعا الوسطى فاجابته بمثل ذلك أو بقريب منه ثم دعا الصغيرة فقال لها كما قال لاختيها فقالت أنت وذاك فقال انى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه فقالت لكني الجميلة وجها الصناع يدا الحسيبة أبا فان طلقني فلا أخلف الله عليه قال بارك الله عليك ثم خرج الينا فقال قد زوجتك بهيسة بنت أوس قال قد قبلت فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه فلما أدخلت اليه لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شانك قال لا والله لما مددت يدى اليها قالت مه أعند أبى واخوتى هذا لا يكون قال فامر بالرحلة فارتحلنا بها فسرنا ماشاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت فعدل بها عن الطريق فما لبث أن لحقني فقلت أفرغت قال لا والله قالت لى كما يفعل بالامة الخليعة والسبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل مايعمل لمثلى قلت والله لأرى هيئة عقل وانى لارجو أن تكون المرأة النجيبة ثم سرنا الى أن دخلنا بلادنا فاحضرنا الابل والغنم ثم دخل اليها وخرج فقلت

(حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة البأس منه رقة الغزل)

(اللغة) الحلو نقيض المر يقال حلا يحلو حلاوة واحلولى افعوعل وقد عداه حميد بن ثور فى قوله

فلما أتى عامان بعد انفصاله * عن الضرع واحلولى دمانا برودها

ولم يجئ افعوعل متعديا الا هذا وحرف آخر وهو اعرورى يت الفرس والطعوم تسعة وهى الحلو والمر والحامض والمزوا لمالح والحريف والعفص والدسم والتفه لان الجسم اما ان يكون كثيفا أو لطيفا أو معتدلا والفاعل فيه اما الحرارة أو البرودة أو الاعتدال بينهما فيعمل الحار فى الكثيف مرارة وفى اللطيف حرافة وفى المعتدل ملوحة وتعمل البرودة فى الكثيف عفوصة وفى اللطيف حموضة وفى المعتدل قبضا ويعمل الاعتدال فى الكثيف حلاوة وفى اللطيف دسومة وفى المعتدل تفاهة وقد يجتمع طعمان كالمرارة والقبض فى الحمض ويسمى البشاعة والمرارة والملوحة فى السبخة ويسمى الزعوقة وبعضهم زعم أن أصول الطعوم أربعة الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة وماعداها مركب منها أنشدنى لنفسه المولى صفى الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الحلى اجازة

يا قابض المال الذى لم يزل * طرفى الى بهجته يطمح
ومن اذا حرجنى لحظه * غدا بلحظى خده يجرح
تالله لا أنفك مستهزأ * فيك بأشعارى ولا أبرح
يعذب لى الاحماض فى قابض * حلو اذا ما مر يستملح

وما أرشق قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى أنشدنيه الحاج لاجين الذهبى قال أنشدنى البدر يوسف لنفسه

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

(فائدة) قولهم فلان يحب الحموضة معناه انه يأتى الدر لان الاحماض فى اللغة الانتقال من شئ الى شئ لان الابل اذا ملت الحلة اشتهت الحمض فتحول اليه وفى حديث الزهرى الاذن مجاجة وللنفس حمضة أى شهوة للانتقال فكأن اللائط انتقل من الامر الطبيعى المعتاد الى غيره (الفكاهة) بالضم المزاح وبالفتح مصدر فكه فهو فكه فكاهة اذا كان طيب النفس مزاحا (الجد) نقيض الهزل وهو الاجتهاد فى الامور تقول جد فى الامر يجد بالكسر والضم وأجد فى الامر مثله قال الاصمعى ان فلانا لجاد مجد باللغتين (المزج) الخلط يقال مزجت الشراب اذا خلطته بغيره ورسم المزاج عند الحكماء بانه حصول كيفية متشابهة عن تفاعل كيفيات متضادة موجودة فى عناصر متصغرة الاجزاء متلاقية باكثرها اذا وقف فعلها عند حد وقيل عليه ان هذا التفاعل ان كان فى آن واحد كيف يمكن ان يكون الكاسر مكسورا وان كان على التعاقب كيف يصير المنكسر كاسرا بعد انكساره ولابد من انكسار سورة كل واحد منهما لتحصل الكيفية المتشابهة متوسطة بينهما (والجواب) ان الحكماء بينوا أن الجسم مركب من جزءين قابل ومقبول ويسمى القابل منهما الهيولى والمادة ويسمى المقبول الصورة فالفاعل فى حال المزاج انما هو الصورة بواسطة الكيفيات والمنفعل انما هو المادة فيكون التفاعل فى آن واحد ويقع انكسار السورات ولا يلزم كون الفاعل منفعلا وتقريب ذلك ان النار تفعل بواسطة كيفيتها التى هى

الحرارة فى مادة الماء والماء يفعل بواسطة كيفيته التى هى البرودة فى مادة النار (رجع) (الشدة) ضد اللين (البأس) الشجاعة (الرقة) ضد الغلظ (الغزل) مغازلة النساء وهى محادثتهن ومراودتهن وتغزل اذا تكلف الغزل وزعم بعض الادباء ان الغزل فى الذكور والتشبيب فى الاناث (الاعراب) حلو صفة لذى فى البيت الذى تقدم (الفكاهة) مجرور بالاضافة والاضافة تنقسم الى قسمين معنوية ولفظية فالمعنوية هى التى لا ينوى بها الانفصال وتحدث بين المضاف والمضاف اليه تعلقا لم يكن قبلها وتفيد الاول تعريفا كغلام زيد وتخصيصا كغلام رجل واللفظية هى التى فى تقدير الانفصال ويكون بين المضاف والمضاف اليه تعلق من غير جهة الاضافة ولا تفيد تخصيصا ولا تعريفا ولكن فائدتها التخفيف والذى عمل فى الثانى الجر تقدير حرف الجر وهو اما من التى لبيان الجنس مثل خاتم فضة واما اللام التى للملك أو الاختصاص بطريق الحقيقة أو المجاز فان كان المضاف بعض ما أضيف اليه وصالحا لحمله عليه كما فى خاتم فضة وثوب خز وباب ساج وخمسة دراهم فالاضافة بمعنى من وان لم يكن كذلك كما فى غلام زيد ولجام فرس وبعض القوم ورأس الشاة فالاضافة بمعنى اللام ومن النحاة من ذهب الى انها تكون بمعنى فى كقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر وقوله تعالى يا صاحبى السجن وقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهذا اختيار الشيخ جمال الدين محمد بن مالك قال ولده بدر الدين فى شرح الخلاصة يعنى أن الاضافة على ثلاثة أنواع والضابط فيها ان تعين تقديرها بمن لكون المضاف اليه اسما للجنس الذى منه المضاف فهى بمعنى من أو تقديرها بفى لكون المضاف اليه ظرفا وقع فيه المضاف فهى بمعنى فى وان لم يتعين تقديرها بهما فهى بمعنى اللام ثم قال بدر الدين والذى عليه سيبويه وأكثر المحققين ان الاضافة لا تعدو أن تكون بمعنى اللام أو بمعنى من وموهم الاضافة بمعنى فى محمول على انها فيه بمعنى اللام على المجاز ثم أخذ يستدل على ذلك بأمور فيها طول اضربت عن اثباتها خوف الاطالة وعلى ذكر الاضافة أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

يا ملكا يجبر قصاده * جبرا له الله مكاف عليه
شكر لهذا الجود من نعمة * يبسط ضيف الباب فيها يديه
اذا أتته وهو فى صحبة * صار مضافا ومضافا اليه

وقال ابن سناء الملك

تجىء الملوك لابوابه * فيغمرهم جوده الشامل
ويخفضهم انه كالمضاف * ويرفعه انه الفاعل

وظرف الشهاب محاسن الشواء فى قوله

وكنا خمس عشرة فى التئام * على رغم الحسود بغير آفه
فقد أصبحت تنوينا وأضحى * حبيبى لا تفارقه الاضافه

قلت ويعجبنى قول ابن هانئ الاندلسى من أبيات

علمته باب المضاف تفاؤلا * ورقيبه يغريه بالتنوين

(رجع) الاضافة فى الفكاهة اضافة لفظية وليست بمعنى من لان من شرط ذلك أن يحسن وصف الاول بالثانى لكونه بعضا له ولا بمعنى اللام التى للملك لا بطريق الحقيقة ولا المجاز الا

أفرغت قال لا والله قلت
ولم ذاك قال دخلت عليها
أريدها قلت قد أحضرنا من
المال ما ترين قالت والله لقد
ذكرت لى من الشرف بما
لا أراه فيك قلت كيف قالت
أتتفرغ لنكاح النساء
والعرب يقتل بعضها بعضا
يعنى بنى عبس وذبيان
قلت فتريدين ماذا قالت اخرج
الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم
ثم ارجع الى وانى لست فائتك
قلت والله انى لارى عقلا
وهمة ولقد قالت قولا فاخرج
بنا فخرجنا حتى أتينا القوم
فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا
على أن يحسبوا القتلى من
الفريقين ثم يؤخذ الفضل
ممن هو عليه فحملنا عنهم
الديات وكانت ثلاثة آلاف
بعير وعاش الحرث الى أن
أدرك النبى صلى الله عليه
وسلم ووفد عليه وأسلم وبعث
معه رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من الانصار
فى جواره يدعو قومه الى
الاسلام فقتله رجل من بنى
ثعلبة فبلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخبر فقال
لحسان قل فيه فأنشد يقول
يا حار من يغدر بذمة جاره
فيكم فان محمدا لا يغدر
وأمانة المرى حيث لقيته
مثل الزجاجة صدعها لا يجبر
فتألم الحرث لهذا القول وأرسل
يعتذر وبعث اليه بدية

الرجل سبعين بعيرا فقبلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومات الحرث عقيب ذلك
ومن شعره قوله
فان أكبر فانى فى لداتى
وعاقبة الاصاغر أن يشيبوا
وما كثرت فائدتى بغدر
كفانى فى الفوائد ما يطيب
ولم يكن للشاعر الا هذا
القول لكفاه وقوله
كم من يد لا أوذى حق
نعمتها
عندى لمختبط طار ومن منن
اذجاء يسعى الى رحلى
لأسعفه
أليس قد ظن بى خيرا ولم
يرنى
(وأن احتيال هرم لعلقمة
وعامر حتى رضيا كان ذاك
عن اشارتك)
هو هرم بن قطبة بن سنان
الفزارى حكم من حكام
العرب يقضى بين السادات
فيرضون بقضائه ولا يرد
قوله اذا فضل أحد المتنافرين
على الآخر ومعنى المنافرة
المحاكمة فى الحسب والفضل
بين الرجلين يقال نافره اذا
حاكمه ونفره اذا غلبه
(وعلقمة) هذا هو علقمة
ابن علاثة بن جعفر من بنى
عامر بن صعصعة (وعامر)
هو ابن الطفيل بن مالك بن
الاحوص وكل منهما سيد
من سادات قومه فارس
شاعر وسؤدد من أخبارهما

بتكلف أعنى تقدير اللام ويحسن أن تكون بمعنى فى ويكون التقدير حلو فى الفكاهة (مر
الجد) صفة أخرى والجد مضاف اليه والكلام فيه كالكلام فيما تقدم ولك فى هذه الصفات
التى تعددت كلها الرفع على أنها خبر مبتدا محذوف تقديره هو حلو الفكاهة والنصب على أن
العامل أعنى مضمرا والجر على الصفة لذى وهو أقواها وقد قرئ الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك برفعها ونصبها وجرها الان الصفات اذا تعددت جاز فيها ذلك وعليه اعرب قوله
تعالى والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة وقول الخرنق

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

فمن قوله معتقل فى البيت الاول الى قوله فى الثانى مر الجد يجوز فى الجميع الاعرابات الثلاثة
الا قوله وكل فانه معطوف على هياب وهو مجرور فلا يجوز فيه الا الجر (فارق بين الصفة
والوصف) قالوا الوصف ما يجوز انتقاله كحمرة الخجل وصفرة الوجل والصفة ما لا تتغير
كالطول والقصر والسواد للزنجى والبياض للصقلى (قد مزجت) قد حرف يعجب الافعال
ويقرب الماضى من الحال وهى هنا لتحقيق الفعل وسيأتى الكلام عليها فى قوله
نؤوم ناشئة بالجزع قد سقيت * (مزجت) فعل مغير لما لم يسم فاعله والتاء علامة تأنيث الفاعل
(بشدة البأس) الباء حرف جر وشدة مجرور بالباء والبأس مضاف اليه والاضافة هنا بمعنى اللام
(منه) جار ومجرور و(رقة) مرفوع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله لمزجت وقد تقدم الكلام على
مفعول ما لم يسم فاعله فى قوله ناء عن الاهل البيت (الغزل) مضاف اليه والاضافة بمعنى اللام
وفيه تقديم وتاخير تقديره قد مزجت رقة الغزل فيه بشدة البأس والجملة كلها فى موضع الجر
على أنها صفة لذى والتقدير ممزوجة فيه رقة الغزل (المعنى) انه صاحب حلو المزاح طيب
الاخلاق كريه الجد وهذه صفة مدح لان الشدة فى الاجتهاد محمودة فهو قد مزجت فيه الحلاوة
من رقة الغزل بالمرارة من شدة البأس وما أحق هذا الصاحب بقول القائل

وكالسيف ان لا ينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه وجلساءه ويمزح ويلين جانبه لمن حضره ويؤنسه
فاذا كانت الحرب واحتد الجد وحمى الوطيس وخارت القوى وذهلت الابطال تقدم أصحابه
واتقى بنفسه صلى الله عليه وسلم ومن خصائصه انه كان صلى الله عليه وسلم اذا جرد سيفا
لا يغمده حتى ينال به من عدوه ومنها تحريم الهزيمة عليه من العدو فى الحرب ولا شك فى لطفه
ورأفته ورقة قلبه وحنوه على قومه وهم به كافرون يؤذونه ويكذبونه ويصدون عنه ويحاربونه
وهو يحلم عليهم ويشق عليه عنادهم قال الله تعالى عزيز عليه ما عنتم وقال صلى الله عليه وسلم
يوم كسر سنه اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى وصفه الله تعالى فى كتابه فقال وانك لعلى
خلق عظيم ثناء على صفاته الحميدة وخلاله الجميلة وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها ولا
شك فى انه كان صلى الله عليه وسلم من النجدة والشدة والبأس والاقدام ولقاء العدو فى الغاية
التى تكبو دونها سوابق الابطال وتتبرقع الفرسان بغبارها فانه كان فى حروب الكفار أقرب
الناس الى العدو قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى
الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ترقوة أبى بن

خلف من فرجة من سابغة الدرع والبيضة وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فطعنه صلى الله عليه وسلم بحربته فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم قال سعيد بن المسيب فكسر ضلعا من أضلاعه فمات منها ومع هذا فقد مزح صلى الله عليه وسلم ولم يقل الا حقا قرأت على الامام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي أودعها تاريخه ومنها قال زيد بن أبي أوفى عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس تفرد به ابن لهيعة وضعفه معروف وجاء من طريق آخر لابن لهيعة كان النبي صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع صبي انتهى وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله احملني على جمل قال أحملك على ولد الناقة قالت لا يطيقني قال الناس وهل الجمل الا ولد الناقة وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله ان زوجي مريض وهو يدعوك فقال لعل زوجك الذي في عينيه بياض فرجعت وفتحت عين زوجها فقال مالك فقالت أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في عينيك بياضا فقال وهل أحد الا وفي عينيه بياض وقالت أخرى يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة قال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهي تبكي فقال عليه السلام أخبروها انها لا تدخل وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وبالجملة فصفاته وشمائله وما انطوى عليه أجل من أن يحيط بها وصف وأشرف من ان يضم جواهرها نظم أو رصف فلو جرى القلم الى أن يخفى وصر لسانه الى أن يخفت ويخفى ما جنى زهرا أنبتته حدائق تلك الحقائق ولا التقط درا ملأ حقائب هاتيك الخلائق ولا اجتلى من ذلك الافق الذي كله شموس وأقمار غير شهبه الخفية ولا نال على ظمئه من ذلك البحر غير بقية وكل موارده عذبة شهية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ان في الموج للغريق لعذرا * واضحى ان يفوته تعداد

نعم قد دون الناس جملة من شمائله وصفاته ووضعوا كتبا كانها رياض تتأرج بنسمات سماته وأودعوها تاريخه ومنها كتابدورها في التمام ورصعوها جواهر تروق في التاليف والانتظام

في بطن قرطاس رخيص ضمنت * احشاؤه درر الكلام الغالي

وبوبوا ورتبوا وهذبوا وذهبوا وذكروا ونصوا وخبروا وقصوا وحبروا وبجوا وحكوا الصحيح ومارجوا

وعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فما كتاب القاضي عياض الارياض ولا الشمائل الاخمائل ولا كتاب الدلائل الا فوائد جلائل ولا الشهاب الا مطفئ التهاب

أساميا لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

ويعجبني ابيات العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه سمعت الشيخ الامام فتح الدين الحافظ محمد بن سيد الناس اليعمري في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بالديار المصرية وهو يقرأ علينا من لفظه كتابه الذي وسمه بنفح المدح قال روينا من طريق الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد وأحمد بن عمرو البزار ومحمد بن موسى بن حماد اليزيدي قالوا حدثنا أبو السكن زكريا بن يحيى حدثني عم أبي ٣ رحز بن حصن عن جده حميد بن منهب قال قال خزيمة بن أوس كنا

شيأ * فاما سبب منافرتهما كما حكى أبو عبيدة وغيره قال أول ما هاج النفار بين علقمة ابن علاثة وعامر بن الطفيل ان علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول فنظر اليه عامر وقال لم أر كاليوم سوأة رجل أقبح فقال علقمة لانها لا تثب على جاراتها ولا تنازل الاكفاءها يعرض بعامر فقال عامر وما أنت والقدوم والله لفرس أبي المسمى حجرة أذكر من أبيك ولفحل أبي المسمى الغيهب أعظم ذكرا منك فقال علقمة أما فرسكم فعارة وأما فحلكم فغدرة وكانه اقد استعاروا هذا الفحل من رجل من كلب يستطرقونه فغلبوه عليه ولكن ان شئت نافرتك قال قد شئت فقال علقمة والله اني لبر وانك لفاجر واني وفي وانك لغادر فبم تفاخرني يا عامر فقال عامر والله اني لانزل منك للقفرة وأنحر للبكرة وأطعن للثغرة ثم تنافروا على مائة من الابل يعطيها للحكم أيهما نفر عليه صاحبه ثم خرج علقمة بمن معه من بني خالد وخرج عامر بمن معه من بني مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه ملاعب الاسنة فقال يا عماه أعني قال يا ابن أخي سبني قال لا أسبك وأنت عمي قال دونك نعلي فاني ربعت فيهما أربعين مرباعا فاستعن بهما في نفارك وجعل منافرتهما

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمه العباس يا رسول الله انى أريد ان أمتدحك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشا يقول

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وهو من نظمه

يا أحمد المبعوث فينا لقد * بلغت المجد الى منتهاه
كم رمت امداحك لولا أنى * لفظا بوافى ذا المثانى ثناه
انى لا أحصى ثناء على * ذى خلق أثنى عليه الاله

وما أحلى قوله

لقد قال كعب فى النبي قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

وله فى غالب الظن

يقولون لم لا تمتدح سيد الورى * وتطنب فى تعظيمه وامتداحه
فقلت لهم جبريل جاء بمدحه * وليس مديحى ريشة فى جناحه

٣ قلت جزم الناظم الحاء فى تمتدح وهى مرفوعة وهو لحن من توهم أن لم حرف جزم وانما هى لم التى يستفهم بها والقاعدة حينئذ حذف الالف منها * وقد جمع الشيخ فتح الدين المشار اليه كتابا فيمن مدح النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضى الله عنهم وسماه منح المدح وله قصائد على حروف المعجم سماها بشرى اللبيب بذكرى الحبيب كلها فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت منها الجزء الاول وسمعته من مصنفه الى ترجمة ابن الزبعرى والباقى اجازة والثانى كتبته وقرأته غير مرة ولشهاب الدين محمود قصائد طنانة فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم كتبتها وقرأتها عليه رغبة فى البركة وطلبا للدخول فى زمرة من دون مدحه وكتبه وقرأه صلى الله عليه وسلم (رجع) ومن جمع الشجاعة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وصحابته كان فينا كاحدنا لين الجانب كثير التواضع سهل القياد وكنا نهابه مهابة الاسير المربوط للسياف الواقف على رأسه وقال معاوية رضى الله عنه لقيس بن سعد رحم الله أبا الحسن فلقد كان هشا بشاشا فكاهة فقال قيس نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ويتبسم الى أصحابه وأراك تسر فى نفسك وتعيب أبا الحسن بذلك والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذى لبدتين قدمسه الطوى وتلك هى هيبة التقوى ليس كما يهابك طغام الشام ولما عزم عمر بن الخطاب رضى الله عنه على استخلافه قال له الله أبوك لولا دعابة فيك وشجاعته اشهر من أن تذكر وأغنى

من

الى أبى سفيان بن حرب فلم يقبل منهما وكره ذلك الامر لحالهما وحال عشيرتهما فانطلقا الى هرم بن قطبة حتى نزلا به فقال هرم لاحكمن بينكما ثم لافصلن ثم لست أثق بواحد منكما فاعطيانى موثقا أطمئن اليه أن ترضيا بما أقول وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى اذا بلغ الاجل خرجا اليه فخرج علقمة يبنى الاحوص معهم القباب والجزر والقدور ينحرون فى كل منزل ويطعمون وجمع عامر بنى مالك وخرجوا على الخيل عليهم السلاح فقال رجل من غنى يا عامر ما صنعت أخرجت بنى مالك تفاخر بنى الاحوص معهم القباب والجزر وليس معك شئ تطعم الناس ما أسوأ ما صنعت فقال عامر لرجلين من بنى عمه أحصيا كل شئ مع علقمة من قبة أو قدر أو لقحة ففعلا فقال عامر يا بنى مالك انها المقارعة عن أحسابكم فاشخصوا مثل ما شخصوا ففعلوا فأتوا هرما فاقاموا عنده أياما وأرسل الى عامر فأتاه سرا لا يعلم به علقمة فقال يا عامر قد كنت

٣ قوله قلت جزم الناظم الخ الظاهر ان الجزم ضرورة فلا داعى الى الجزم باللحن اه

من ان تمدح أو تشكر ولما دعا الامام على معاوية الى البراز قال له عمرو بن العاص لقد أنصفك
فقال له معاوية رضى الله عنه ما غششتنى منذ نصحتنى الا اليوم أتأمرنى بمبارزة أبى الحسن أراك
طمعت فى امارة الشام بعدى (عاد القول) الى معنى بيت الطغرائى هذه الصفات التى ذكرها
قلما تجتمع فى انسان الامن اختصه الله بهذه الموهبة لانها مع تضادها محمودة ولا يتفق ذلك
الامن اعتدال المزاج وقد اختلف الحكماء فى وجوده وعدمه قال الامام فخر الدين فى الطب
الكبير الذى ذكره الشيخ فى الشفاء يعنى الرئيس ابن سينا وساق كلاما يدل على ان المركب
المعتدل قد يكون موجودا الا انه لا يستمر ولا يدوم ثم قال بعد كلام طويل وأما المعتدل
الذى امتزج من العناصر على أكمل أحواله فقد قالوا لما كان الاعتدال الحقيقى ممتنعا وجب
ان يكون كلما كان أقرب اليه أولى باسم الاعتدال اه قال الشيخ الامام العلامة شمس
الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى احتجوا على تعذر وجود المعتدل بامتناع
مكان يستحقه لان مكان الجسم المركب هو مكان ما يغلب عليه من البسائط وهذا بسائطه
متعادلة فيجب ان لا يستحق مكانا فيمتنع وجوده وأقول فى هذه الحجة نظر وذلك ان عنينا
بالمعتدل ما تكافأت فيه الكيفيات فهذا لا يجب ان لا تتكافأ فيه الكميات لان الجزء
اليسير من النار يقاوم بحرارته كثيرا من جوهرى الماء والارض فعلى هذا يجوز وجود
المعتدل باعتبار الكيفيات دون الكميات ويكون مكانه الذى يستحقه هو مكان ما غلب
عليه من العناصر بكميته لا بكيفيته لان الاعتبار فى المزاج انما هو بالكيف فقط والاعتبار
فى الجزء انما هو بالكم والثقل والخفة فالحجة المذكورة غير موجهة والمزاج لا يخلو اما ان
تتكافأ فيه الكيفيات الاربع الاول وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أولا فان
كان الاول فهو المعتدل وان كان الثانى فلا يخلو اما ان تغلب فيه كيفية واحدة أولا والاول
هو الذى خروجه فى كيفية بسيطة وأقسامه أربعة بعدد الكيفيات الاربع وهى الحار والبارد
والرطب واليابس والثانى هو الذى خروجه فى أكثر من كيفية واحدة فلا تجتمع فيه كيفيتان
متضادتان غالبتان فبقى ان يكون احدى الفاعلتين أعنى الحرارة والبرودة مع احدى
الانفعالتين أعنى الرطوبة واليبوسة فاقسامه أربعة الحار الرطب والحار اليابس والبارد
الرطب والبارد اليابس فجملة أنواع المزاج تسعة واحد منها معتدل وثمانية خارجة عن
الاعتدال انتهى * وقول الطغرائى رحمه الله تعالى يشبه قول أبى تمام الطائى وهو

الجد شيمته وفيه فكاهة * سمح ولاجد لمن لم يلعب
شرس ويتبع ذا كلين خليقة * لا خير فى الصهباء مالم تقطب

ما أحسن قوله لا خير فى الصهباء مالم تقطب لان الخمرة اذا كانت صرفا كانت حادة لا يمكن
استعمالها فاذا مزجت بالماء وهو طبع بارد تولد عنهما كيفية أخرى تقارب الاعتدال فامكن
استعمالها وقول أبى تمام أيضا

لا طائش تهفو خلائقه ولا * خشن الوقار كانه فى محفل
فلكه يجد الجد أحيانا وقد * يمضى ويهزل عيش من لم يهزل

وقول أبى الحسين الجزار

أنت الكريم وجل من قد أنبأت * عمن مضى فى كتبها الاخبار

أرى لك رأيا وفيك خيرا وما
حبستك هذه الايام الا
لتنصرف عن صاحبك أتفاخر
رجلا لا تفخر أنت ولا قومك
الا بآبائه فما الذى أنت به
خير منه فقال عامر ناشدتك
الله والرحم أن لا تفضل على
علقمة فوالله ان فعلت لا أفلح
بعدها هذه ناصيتى جزها
واحتكم فى مالى فان كنت ولا
بد فاعلا فسوّ بينى وبينه فقال
انصرف فسوف أرى رأيا
فخرج عامر وهو لا يشك انه
ينفر عليه ثم أرسل هرم الى
علقمة سرا لا يعلم به عامر فاتاه
فقال يا علقمة والله ان كنت
لاحسب فيك خيرا أتفاخر
رجلا هو ابن عمك فى النسب
وأبوه أبوك وهو أعظم منك
عناء وأحد لقاء فما الذى
أنت به خير منه فقال له علقمة
نشدتك الله أن لا تنفر على
عامر افأجابه بما أجاب به الآخر
وانصرف ثم ان هرما أحضر
بنيه وبنى أبيه فقال انى قائل
غدا بين هذين الرجلين
مقالة فاذا فعلت ذلك فليطرد
أحدكم عشرة جزائر فينحرها
عن عامر ويطرد بعضكم عشرة
جزائر وينحرها عن علقمة
وفرقوا بين الناس لئلا يكون
لهم جماعة وأصبح هرم
فجلس فى مجلسه واقبل
الناس وأقبل علقمة وعامر
حتى جلسا فقام لبيد فقال

خلق كلين الماء وق لشاربه * ظام وعزم فى التوقد دنار

وقول القائل

ملك تقر المشركون ببأسه * فتقر بالاقرار عين الدين
فعلى العداة بغلظة وتجهم * وعلى العفاة برقة وبلين

وقول ابن أبى العرب المغربى

من كل مشتمل بمنصل عزمه * ذى همة تطأ السماك همام
نشوان من خمر الكرى صاحى الندى * ريان من ماء المحامد ظامى

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ملك يقاس مجاريه بسودده * اذا يقايس غير الدارب الفرس
مظفر الجد مشاء على جدد * من حمله اللدن أو من حربه الشرس

ومن أحسن ما حضرنى فى صاحب جمع الاخلاق التى يعز وجودها فى شخص واحد قول القائل

تلطفت الايام حتى تفضلت * على بندمان كريم الخلائق
له سمت عدل واستكانة عاشق * وهمة جبار ولطف الزنادق

وما أحسن قول أبى الفتح البستى فى عبد الملك الثعالبى صاحب اليتيمة وغيرها

أخ لى ذكى النفس والاصل والفرع * يحل محل العين منى والسمع
تمسكت منه اذ بلوت اخاءه * على حالتى وضع النوائب والرفع
بأوعظ من عقل وآنس من هوى * وأوفق من طبع وأنفع من شرع

ذكرت بتنسيق الصفات هنا ما أنشدنيه من لفظه لنفسه القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزى الحاكم بصفد سنة أربع وعشرين وسبعمائة يصف الشبابة وهو مليح

وناطقة بأفواه ثمان * تميل بعقل ذى اللب العفيف
لكل فم لسان مستعار * يخالف بين تقطيع الحروف
تخاطبنا بلفظ لا يعيه * سوى من كان ذا طبع لطيف
نصيحة عاشق ونديم راع * وعزة موكب ومدام صوفى

وقد أحسن أبو بكر الخوارزمى حيث قال فى الخمرة

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر محرم
مسرة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسى وفتنة مسلم
حمات لأحياء حياة لميت * وعدم لمن أثرى ثراء لمعدم

وما أحسن قول شهاب الدين العزازى ملغزا فى الشبابة

وما صفراء شاحبة ولكن * يزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها انقلاب
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديثا تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وما هى لا سعاد ولا الرباب

قوله تصيح عداه الى أحاديث وهو غير جائز الا على تأويل حمله على المعنى أى تسمع وهو ضعيف

وأما

يا هرم ابن الاكرمين منصبا
انك قد وليت حكما معجبا
فاحكم وصوب رأى من تصوبا
فقام هرم وقال يا بنى جعفر
قد تحاكمتما عندى والله
انكما كركبتى البعير الآدم
يقعان معا على الارض وليس
أحد منكما الا وفيه ما ليس
فى صاحبه وكلاكما سيد كريم
وعمد بنو هرم الى الجزر
فنحروها وفرقوا الناس
وكره أن يفضل بينهما وهما
ابنا عم فيوقع بذلك عداوة
بين الحيين وخرجا من عنده
راضيين وقد قيل انه قال لهما
أنتما كغربى السيف فانه
لو قال كركبتى البعير لقيل
أيهما اليمين وقيل انه لم يقل
شيأ من ذلك وانما اكتفيا
بما قال سرا وذهبا عنه وادعى
الاعشى انهما حكماه وحكم
لعامر على علقمة وقال فى
ذلك قصائد * ومات علقمة
مسلما وله وفادتان احداهما
على النبى صلى الله عليه وسلم
أسلم فيها والثانية على عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه
وجرت له معه حكاية لطيفة كان
علقمة صديقا لخالد بن الوليد
رضى الله عنه وكان عمر يشبه
بخالد فالتقاه فى الليل فقال
يا خالد ا عزلوك وهو يظن
انه خالد وكان عمر قد عزل
خالدا عن جيش الشام غيظا
منه بسبب قتل مالك بن
نويرة وتزوج زوجته كما تقدم

وأما التشبيب فهو مأخوذ من قول سيف الدين بن المشد

يا مطربا أغنى النديم غناؤه * عن طيب مشموم وعن مشروب
شبب اذا غنيتني بحديثهم * ان الغناء يطيب بالتشبيب

وأخذه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر فنقله وقصره على الحسن وعقله فقال

كتبت لكم من أعين القصب التي * جرى في نواحيها بذكركم طرب
فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

وأنشدني الشيخ الاديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدني من لفظه لنفسه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

وناطقة بالنفخ من روح ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاسمعت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

وقال محيي الدين بن قرناص في مليح مشبب

مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وله فيه أيضا

علقته مشببا مهفهفا * أخضع في حبي له فيشمخ
لا غرو أن تشب من تشبيبه * نار الهوى أما تراه ينفخ

وأنشد يوما بحضرة شرف الدين الحلاوي لغز وهو

وناطقة خرساء باد شحوبها * تكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سد منها منخر جاش منخر

فأجاب في الحال

نهاني النهى والشيب عن وصل مثلها * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

ما أحلى هذا الجواب وأبدعه حيث أجاب التضمين بتضمين مثله حل به معناه ونقله الى الشبابة وكلاهما من أبيات الحماسة لتابط شرا ومثله قول زين الدين بن عبد الله

ونائحة صفراء تنطق عن هوى * فتعرب عما في الضمير وتخبر
براها الهوى والوجد حتى أعادها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وقول مجير الدين محمد بن تميم

قيان ملاهيها يلذ سماعها * ويطربنا منهن عود ومزهر
وأكثر ما ينشي لنا السكر بينها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وقوله أيضا

ولما حضرنا للسماع وضربنا الـ * ـملاهي وكل بالجوى يترنم
أصخنا الى تشبيبهم وغنائهم * فنحن سكوت والهوى يتكلم

وأنشدني القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود لشمس الدين عبد الوهاب

منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثما وينظرها شزرا
وتصحيفها في كف من شئت فلتقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

فقال عمر نعم فقال علقمة ما هو الا والله نفاسة عليك وحسد لك فقال عمر فما عندك معونة على ذلك فقال معاذ الله ان لعمر علينا سمعا وطاعة ولا نخرج عليه ولا نخالفه وانصرفا فلما أصبح دخل علقمة على عمر وعنده خالد فقال عمر رضي الله عنه له يا علقمة أنت القائل البارحة لخالد ما قلت فقال علقمة لخالد أفعلتها فقال والله ما لقيتك البارحة ولا رأيتك الا في هذه الساعة ففطن علقمة وعرف انه انما لقي عمر وظنه خالدا فقال يا أمير المؤمنين ما سمعت الا خيرا قال أجل ثم ولاه حوران وخرج اليها فقصده الحطيئة مادحا له فمات علقمة قبل أن يصل اليه فقال

لعمري لنعم المرء من آل جعفر
بحوران أمسى غيبته الجنادل
وما كان بيني لو لقيتك سالما
وبين الغنى الا ليال قلائل

فلما وصل وجد علقمة قد أوصى له بسهم من ماله وأما عامر بن الطفيل فكان شجاعا مشهورا شاعرا مقدما قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني ثعلبة صياد الفرسان وفارس ربيعة بسطام بن قيس وفارس قيس عامر بن

يعنى أن الشبابة بالشين المعجمة تصحيفها سبابة بالمهملة وقال سيف الدين على بن قزل المشد

ومطرب قد رأينا فى أنامله * براعة لسرور النفس أهلها
كأنما عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال أيضا

وعارية من كل عيب حبيبة * الى كل قلب ظل بالبين مجروحا
لها جسد ميت يعيش بنفخة * اذا دخلته الريح صارت به روحا
تعيد الذى يلقى عليها بلذة * تزيد فؤادا الصب وجدا وتبريحا
وتنطق بالسحر الحلال عن الهوى * وتوحى الى الاسماع أطيب ما يوحى

(قلت) غالب ما سقته من المقاطيع مأخوذ من قول سيف الدين بن قزل المشد حسبما تراه ذكرت هنا قول السراج المحارى يهجو زامرة سوداء

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أنملها على ضرباتها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

شبه ثلاثة بثلاثة فابدع وان كان قد لمحه من قول الاول يهجو زامرا أسود

كأنها فى حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان

وعلى قول السراج المحارى يليق قول القائل أبصر الحامل والمحمول ودار الوكالة خنافس تسعى على خيار الشنبر الى الكنيف وقال آخر يمدح زامرا

وزامر يبعث فى زمره * الى قلوب الناس أفراحا
كأن اسرافيل فى نايه * ينفخ فى الاموات أرواحا

وقلت أنا فى ذمه

يقول فى مجلس ازامر * لم نلق ما ألقى باصغاه
ما عندكم ميل الى حاضر * قلنا ولا شوق الى ناء

(رجع) وفى بيت الطغرائى من حسن الصناعة ما يشهد لقائله بفوز قدحه فى البلاغة فانه جمع فيه بين ثمانية أشياء الحلاوة والمرارة والفكاهة والمزح والقسوة والرقة والبأس والغزل وهى ثمانية لم تجتمع لغيره بهذا الانسجام والعذوبة وأرباب البديع يسمون هذا النوع المقابلة واستشهدوا عليه بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الآيتين ففى كل آية ما يقابل الاخرى هكذا قرره الجميع وأقول انه فات فيه ذلك فان لفظة فسنيسره تكررت فى الآيتين ولم يختلف معناها فاتت المقابلة ويحتمل أن يكون فسنيسره فى معنى فسنعسره لانه اذا تيسر تعسيره كان معسرا لكن ذلك غير صريح ومن أحسن ما استشهدوا به فى هذا النوع من الشعر قول أبى الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

قالوا قابل فيه خمسة بخمسة * كنت عند الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود أقرأ عليه كتابه حسن التوسل فجاء هذا البيت فى أثناء القراءة فى مكانه وعنده جماعة من الطلبة وغيرهم فقال عدوا هذه الخمسة التى ذكرها أرباب البديع فكلهم قالوا

الطفيل وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أربد بن قيس مع قوم من بنى عامر فقال يا محمد مالى ان أسلمت قال النبى صلى الله عليه وسلم لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال لا الا أن تجعل لى الامر من بعدك قال ليس ذلك لقومك قال فتجعل لى الوبر ولك المدر قال لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل قال أو ليست لى ثم قال يا محمد والله لأملأنها عليك خيلا ورجلا ولأربطن بكل نخلة فرسا وولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى عامرا وأربد واهد بنى عامر وأغن الاسلام عن عامر ثم انصرفوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فاندلع لسانه من فيه كضرع الشاة فمال الى بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ثم مات فواراه أصحابه وجعلوا على قبره أنصابا ميلا فى ميل وجعلوه حمى فقيل ان بعض ولده رأى ذلك فيما بعد فقال لقد ضيقتم على أبى وأما أربد فأرسل الله تعالى عليه صاعقة فقتلته وفى ذلك يقول أخوه

أخشى على أربد الحتوف ولا
أرهب نوء السماك والاسد

أزورهم يقابل أنثنى وسواد يقابل بياض والليل يقابل الصبح ويشفع يقابل يغرى ووقفوا فقال هذه أربعة لاربعة وبقى القسم الخامس فلم يتنبهوا له فقلت لفظة لى تقابل لفظة بى لان الشفاعة له تقابل الاغراء به كأنه قال ذلك لى وهذا على قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

الا تراه قابل ما عليهم بما لهم لما فى ذلك من الاساءة والسرور فأعجبه ذلك وقد أخذ بعضهم قول أبى الطيب أخذا مليحا فقال وقد أجاد

أقلى النهار اذا أضاء صباحه * وأظل انتظر الظلام الداميا
فالصبح يشمت بى فيقبل ضاحكا * والليل يرثى لى فيدبر عابسا

وفيه مقابلة خمسة بخمسة * حكى لى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى قال كان شيخنا الامام العلامة تقى الدين بن دقيق العيد يقول قل لعلماء المعانى والبيان والبديع أتحسنون أن تقولوا مثل أزورهم البيت فاذا قالوا الاقل لهم فأى فائدة فيما تصنعونه اه يريد بهذا أن العلم غير العمل والمباشرة دون الوصف والطعن فى الهجاء غير الطعن فى الميدان وحكى ان بعض الوعاظ كان على منبره يتكلم فى المحبة وأمور العشق وأحواله ومد أطناب الاطناب فى ذلك فقام اليه بعض الجماعة وقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل زفت اليك فروع ليلى * زفيف الاقحوانة فى نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فاقصر ما شئت وما أحسن قول عبد الله بن سباط الكاتب القيروانى

قال الخلى الهوى محال * فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب * ان أنت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع * ان لم تردجر به كففته
فقلت من بعد كل وصف * لم تعرف الحب أذو صفته

وقال علماء الادب ان معنى بيت أبى الطيب مسروق من قول ابن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

ولبعضهم فى المقابلة

عذيرى من الايام مدت صروفها * الى وجه من أهوى يد النسخ والمحو
وأبدت بوجهى طالعات أرى بها * سهام أبى يحيى يسددها نحوى
فذاك سواد الخد ينهى عن الهوى * وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

أبو يحيى كناية عن الموت وفى المقابلة من هذه الابيات نظر وأحسن من هذا المعنى وأرشق قول الارجانى

شبت أنا والتحى حبيبى * حتى برغمى سلوت عنه
وابيض ذاك السواد منى * واسود ذاك البياض منه

ومن المقابلة قول أبى تمام الطائى

يا أمة كان قبح الجور يسخطها * دهرا فاصبح حسن العدل يرضيها

ولعامر بن الطفيل شعر جيد سرى ممكن فمن ذلك قصيدته الرائية التى ذكر فيها غور عينه وذلك ان مسهر بن يزيد كان فارسا شريفا فجنى جناية فى قومه فلحق ببنى عامر فشهد يوم فيف الريح مع عامر بن الطفيل وكان عامر يتعهد القوم يومئذ فيقول يا فلان ما رأيتك فعلت ويا فلان ما صنعت فيقول الرجل الذى قد أبلى انظر الى سيفى ومافيه ورمحى ومافيه وان مسهرا قد أقبل فى تلك الهيئة فقال يا أبا على يعنى ابن الطفيل انظر الى ما صنعت اليوم انظر الى سنان رمحى حتى اذا أقبل عليه عامر وجأه بالرمح فى وجهه ففلق الوجنة وانشقت عين عامر فقأها وترك مسهر الرمح فى عينه وضرب فرسه ولحق بقومه قالوا وانما دعا مسهرا الى الغدر بعامر أنه كان يراه يصنع بقومه هذا فقال هذا والله مبير قومه فأراد قتله وارتاحتهم منه فقال عامر

لقد علمت عليا هوازن أننى
انا الفارس الحامى حقيقة جعفر
وقد علم المزنوق أنى أكره
على جمعهم كر المنيح المشهر
ألست ترى ارماحهم فى شرعا
وأنت حصان ماجد العرق فاصبر

لعمرى وما عمرى على بهين
لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
فيئس الفتى ان كنت اعور عاقرا
جبانا فما اغنى لدى كل محضر
ومن ذلك قوله
وكم مظهر بغضا لنا ود أننا
اذا ما التقينا كان اخفى الذى ابدى
مطاعيم فى اللأوى مطاعين فى الوغى
شمائلنا تتلى وأيماننا تندى
وقوله ايضا
وصاحب صدق قد أخذت بضبعه
وقلت له وازر أخاك فأزرا
ضروب بنصل السيف خلف صحابه
اذا أغبر أولاد المقاريف اسفرا
(وجوابه لعمرو قد ساله عن أيهما كان ينفر وقع عن ارادتك)
يعنى هرم بن قطبة المقدم ذكره وذلك انه كان أسلم وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يحبه فقال له يوما يا اباعمرو ايهما كنت تنفر يعنى علقمة وعامرا ومن كان عندك الافضل منهما فقال لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة يعنى الحرب بين الحيين فأعجب بهذا القول منه وقال بحق حكمتك

حكى الشيخ العلامة غرس الدين أبو بكر الاربلى صاحب كتاب الالفية فى الالغاز المخفية ان الصاحب شرف الدين مستوفى اربل أنشده لغيره

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

فقال غرس الدين المذكور بديها

تسر لئيما مكرمات تعزه * وتبكى كريما حادثات تهينه

قلت هذا أحسن فى البديهة ولكنه ناقص عن الاول من وجهين الاول ان الاول قابل ستة بستة لاشك فيها وهو قابل أربعة بأربعة الثانى ان المقابلة فى قوله تحتاج الى تأويل لان السرور يقابله الحزن فكان ينبغى أن يقول وتحزن لكن لما كان الغالب ان البكاء انما يكون من الحزن أطلق البكاء هنا على الحزن ولان المكرمات لا تقابل الحادثات الا بتأويل أن المكرمات تكون فى الخير والحادثات تكون فى الشر وأكثر ما عد الناس فى المقابلة بيت أبى الطيب لانه قابل فيه بين خمسة وهذا قابل فيه بين ستة كما تراه فهذا أبلغ ما يمكن أن ينظم فى هذا المعنى والله أعلم * وما أحلى قول القاضى الفاضل والقدوم على كريم ترتجى مبرته خير من المقام مع لئيم تخشى معرّته وقال شرف الدين الحلاوى

وبدت نظائر ثغره فى قرطه * فتشابها متخالفين فأشكلا
فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

قلت لو اتفق له أن يقول سالفة الطلا لكان أحسن ولكن هذا من الجناس المعنوى لانه أراد ذلك فلم يساعده الوزن فعدل الى ما يرادف ذلك المعنى وهذا النوع استدركه المتأخرون وهو عندى باطل لان هذا الباب اذا فتحناه كان غالب الشعر جناسا معنويا وقد أشبعت القول على هذا فى مكانه من كتابى المسمى جنان الجناس ولم تتفق المقابلة فى قول الحلاوى صريحة الا فى قوله تحت وفوق وأما البدر والدر فبتأويل بعيد أى ان ذلك فى كبد السماء والدر أصله من قعر البحر وأما سالفة الطلا ومسكرة الطلا فليس من التقابل فى شئ وأى تقابل بين سالفة الغزال والخمر ثم حكى السراج الوراق قال خرجنا الى الدير وصحبتنا جمال الدين أبو الحسين الجزار ومعنا غلام مليح زامر فلما اجتمعنا فى مشرف الدير حضر عندنا صبى راهب مليح فشرب معنا وأطمعتنا أنفسنا فيه فأنكر الرهبان عليه وأخذوه منا وهرب الزامر فقلت

فى فخنا لم يقع الطائر
لا راهب الدير ولا الزامر

فقال أبو الحسين الجزار

فالقلب فى اثرهما هائم
والعقل من أجلهما حائر

فقلت

فقال أبو الحسين

فسعدنا ليس له أول
ونحسنا ليس له آخر

فقلت

ويعجبنى قول القائل

الشعر خطة خسف * لكل طالب عرف

وقول الآخر

للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف

ذكرت هنا واقعة عبد الجليل بن وهبون المرسى مع خاله وان لم تكن من باب المقابلة قيل انه كان دون الحلم وهو الى جانب خاله وقد صنع له عريش فانكسرت دعائمها ثم رفعت على أخشاب الجوز فانكسرت فقال له خاله أجز

مال عليها العريش فانكسرت * فقال كانها من سلافة سكرت
لم ترعيني ولا وعت أذني * سلافة أسكرت وما عصرت

وكتاب بدائع البدائه لابن ظافر والدلائل عليه له فى هذا الباب كتاب حسن يدل تأليفه على سعة باع مصنفه فى الاطلاع ومن المقابلة قول القائل فى مأبون

يأتى الى الاحرار يجلس فوقهم * وينام من تحت العبيد ويوتى

ذكرت هنا قول الآخر

لنا عالم يؤتى فيأتى بحجة * على ذاك من أنباء علم وآيات
فقلنا له الاسلام يعلو ولم يكن * ليعلى فقال العلم يوتى ولا ياتى

أنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود

يا راكبا يفرى جيوب الفلا * على أمون جسرة أو جواد
يسرى فتبديه ظهور الربا * طورا وتخفيه بطون الوهاد

وهذا أرشق من قول عبد الصمد بن بابك

ألوح وأخفى والعيون رواصد * وشمس الضحى تنأى منالا وتقرب
فيضمرنى جو من الارض غابر * ويطلعنى حقف من الرمل أجدب

قلت كذا نقلته من خط ابن خروف النحوى ولو قال بدل جو وهد لكان أحسن لان الجو لا يقابل الحقف وانما يقابله وهد ولو قال بدل الارض والرمل السهل والحزن كان أبدع فانه لا تضاد بين الارض والرمل فاعرفه (وقلت أنا)

غنى بشعر سمج فانثنى * مشبب الجوقة يدعولى
وقال ما مقطوعه داخل * لذاك يستخرج موصولى

أنشدنى لنفسه اجازة المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى

جاء وفى قده اعتدال * مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد * تثنى الى نحوه العقول
يجول ما بيننا بوجه * فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا * حف به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

وعلى ذكر ثقالة الردف فما أحلى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى وأرشقه

تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبى فى العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما أنت الا ثقيل

وأين هذا من قول الآخر

يا خصره كم جفاء * تبدى وأنت نحيل

العرب

(وأن الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك)

(الجد) الحظ والجد الاجتهاد فى الامور وكلا الوجهين يصلح ههنا * وهذا المذكور هو الحجاج بن يوسف ابن ابى عقيل الثقفى السفاك المشهور ولد سنة احدى واربعين ونشأ بالطائف وزعم بعض الرواة انه كان اول امره معلم صبيان ويسمى كليبا وفيه يقول الشاعر

اينسى كليب زمان الهزال
وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلك دائر
وآخر كالقمر الازهر

يشير الى خبز المعلمين فانه مختلف فى الصغر والكبر على قدر بيوت الصبيان ثم صار دباغا ويستدل على ذلك بحكايته مع كعب الاسقرى ايام ولايته وذلك ان المهلب ابن ابى صفرة لما اطال قتال الازارقة فى ولاية الحجاج كتب اليه يستبطئه فى تأخير مناجزة الازارقة ويحثه فقال المهلب لرسوله قل له ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وقام كعب الاسقرى وكان من جند المهلب فانشد

ان ابن يوسف غره من غزوكم
خفض المقام بجانب الامصار
لو شاهد الصفين حين تلاقيا
ضاقت عليه رحيبة الاقطار

ورأى معاودة الدباغ غنيمة
أيام كان محالف الاقتار
فبلغت أبياته الحجاج فكتب
الى المهلب يأمره باشخاص
كعب فاعلم كعبا بذلك
وأوفده من ليلته الى عبد
الملك بن مروان وكتب اليه
يستوهبه منه فقدم كعب
برسالته من المهلب الى عبد
الملك فاستنطقه واستنشده
فاعجبه ماسمعه منه وكتب الى
الحجاج يقسم عليه أن يعفو
عنه فلما دخل كعب على
الحجاج قال ايه يا كعب
ورأى معاودة الدباغ غنيمة
فقال أيها الامير والله لوددت
فى بعض ماشاهدته من تلك
الحروب وما يوردناه المهلب
من خطرها أن أنجو منها
وأكون جاسا أو حائكا
فقال الحجاج أولى لك لولا
قسم أمير المؤمنين لما نفعك
ما أسمع فالحق بصاحبك
وبعض الرواة ينكر هذا
القول ويقول هذه من
أكاذيب الشعراء ويزعم
ان الحجاج لم يزل فى كنف
أبيه وكان أبوه رجلا نبيلا
جليل القدر الى أن اتصل
يعنى الحجاج بروح بن زنباع
ثم بعبد الملك بن مروان ولم
يزل يترقى الى أن ولى العراق
والمشرق وطار ذكره وعظم
سلطانه وأول ماعرف من
شهامته وجوده أن أباه خرج
من مصر يريد عبد الملك

يارد فه نح عنى * ما أنت الا ثقيل

قلت الاول أحسن وأرشق وأكمل من وجوه الاول ان المعنى كامل فى بيت واحد وهنا فى بيتين
الثانى انه أتى بالمثل خاليا من ثقل الاعراب كما هو جار على ألسنة العوام ولم يأت به ملحونا
الثالث أن فى قوله نح عنى مالا يليق بالعشاق من الجفوة لانه يطلب بعد الردف عنه ألا تراهم
عابوا على ابن بقى قوله فى الابيات القافية

حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كى لا ينام على وساد خافق

وفضلوا عليه قول الحكم بن عيال

ان كان لابد من رقاد * فأضلعى هاك عن وساد
ونم على خفقها هدوا * كالطفل فى نهنه المهاد

وقلت أنا رادا على ابن بقى فى وزنه ورويه

أبعدت من زحزحته عن أضلع * ما أنت عند ذوى الغرام بعاشق
هذا بدل الناس منك على الجفا * اذ ليس هذا فعل صب وامق
ان شئت قل أبعدت عنه أضالعى * ليكون فعل المستهام الصادق
أو قل فبات على اضطراب جوانحى * كالطفل مضطجعا بمهد خافق

أنشدنى لنفسه اجازة المولى صفى الدين الحلى

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمسانى منقولا من خطه

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ثغره وهو بارد
وكم يدعى صونا وهذى جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد

قلت هذا هو السحر الحلال الذى يلعب بالعقول ويدع الالباب بحسنه يقوم ويقول أنشدنى
من لفظه لنفسه بالديار المصرية سنة تسع وعشرين وسبعمائة شرف الدين عيسى الناسخ

شكوت الى ذاك الجمال صبابة * تكلف جفنى انه قط لا يغفو
فلانت لى الاعطاف والخصر رق لى * ولكن تجافى الشعر واثاقل الردف

قلت لا أعرف يغفو انما هو غفى يغفى وان كان فهو لغة رديئة غير فصيحة لان غفا يغفو لم يرد فى
كلام فصيح والله أعلم

*(طردت سرح الكرى عن ورد مقلته * والليل أغرى سوام النوم بالمقل)*

(اللغة) الطرد الابعاد وكذا الطرد بالتحريك يقال طردته فذهب ولا يقال منه انفعل ولا
افتعل الا فى لغة رديئة والرجل مطرود وطريد (السرح) المال السائم تقول سرحت الماشية
وأنفشتها وأرحتها واسمتها واهملتها وسرحتها سرحا هذه وحدها بلا ألف ومنه قوله تعالى
وحين تسرحون وسرحت هى بنفسها سروحا يتعدى ولا يتعدى تقول سرحت بالغداة
وراحت بالعشى وسرحت فلانا الى مكان كذا اذا ارسلته (الكرى) النعاس تقول منه كرى
الرجل بالكسر يكرى كرى فهو كر وامرأة كرية على فعيلة بكسر الراء وفتحها قال الشاعر

لا يستمل ولا يكرى مجالسها * ولا يميل من النجوى مناجيها

وأصبح فلان كريان الغداة أى ناعسا (الورد) خلاف الصدر وهو فعل القوم الذين يأتون الماء ليردوه (المقلة) شحمة العين التى تجمع البياض والسواد وتجمع على مقل والحدقة السواد الاعظم والناظر هو السواد الاصغر والانسان يكون فى الناظر لانه كالمرآة اذا استقبلتها رأيت شخصك فيها قال أبو الطيب

جارية طالما خلوت بها * تبصر فى ناظرى محياها

يصف شدة قربها منه والعامة تسمى الانسان النؤ ونؤوذبابة العين مؤخرها واللحظ طرف العين مما يلى الصدغ والموق طرفها مما يلى الانف والحملاق باطن جفن العين وشفر العين طرف الجفن الذى ينبت عليه الشعر والحاجب العظم المشرف على العين * ذكرت بالشفر ما أنشدنيه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

يقولون من وطء النساء خف العمى * فقلت دعوا قصدى ففيه من شين
اذا كان شفر العين دون محلها * فعندى أن الشفر خير من العين

قلت هذا يشبه قولهم تصدقت ببصرى على ذكرى وقول نور الدين على الاسعردى

يا سائلى لما رأى حالتى * والطرف منى ليس بالمبصر
لست أحاشيك ولكننى * سمعت بالعينين للأعور

(رجع) الاغراء ضد التحذير (السوام) والسائمة بمعنى وهو المال الراعى يقال سامت الماشية تسوم سوما أى رعت فهى سائمة وجمع السائم والسائمة سوائم وأسمتها أنا أخرجتها الى الرعى قال الله تعالى فيه تسيمون (النوم) معروف وهو ضد اليقظة يقال نام ينام فهو نائم والجمع نيام وجمع نائمة نوم على الاصل ونيم على اللفظ وسيأتى الكلام على تصريف ذلك فى الاعراب (الاعراب) (طردت) طرد فعل ماض أدغمت الدال فى التاء لقرب المخرج والتاء ضمير الفاعل (سرح) مفعول به وتقدم الكلام عليه و (الكرى) مجرور بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور والاضافة هنا مقدرة باللام التى هى لشبه الملك (عن ورد) عن حرف جر وورد مجرور به وهو فى موضع نصب لانه مفعول ثان لطردت وعن هنا للتجاوز وقد تقدم الكلام على عن وتقسيمها (مقلته) مجرور بالاضافة وهى بمعنى اللام أيضا والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى راجعة الى ذى الذى تقدم فى قوله وذى شطاط (والليل) الواو واو الحال وهى التى للابتداء والليل مرفوع على انه مبتدأ (أغرى) فعل ماض سد مسد الخبر للمبتدا والفاعل فيه ضمير مستتر يرجع الى الليل والخبر اذا كان فعلا وجب تاخيره لانه لو تقدم خرج عن باب المبتدا والخبر الى باب الفعل والفاعل ومن المواطن التى يجب فيها تقديم المبتدا وتاخير الخبر اذا كان المبتدا يساوى الخبر فى المعرفة والنكرة وليس هناك قرينة تدل على المحكوم عليه ولا المحكوم به كقولك صديقى صديقك وأفضل منى أفضل منك فهنا استويا فى المعرفة والنكرة وليس ثم قرينة توضح المخبر به من المخبر عنه وأحدهما يمتاز عن الآخر بالتقديم لانه محكوم عليه فوجب حفظ المرتبة فقدم المبتدأ فاى الجزءين قدمت كان هو المبتدأ وهذا يطرد فى باب الفاعل والمفعول اذا لم يكن ثم قرينة لا عقلية ولا لفظية مثل ضرب موسى عيسى فالمقدم هو الفاعل لانه تراعى له المرتبة وتحفظ فى التقديم (مسئلة) قولهم أبو يوسف أبو حنيفة هذا مبتدأ وخبر وقد استويا

ابن مروان ومعه ابنه الحجاج فاقبل سليم بن عمرو القاضى وكان من أورع الناس وأتقاهم فقام اليه يوسف فسلم عليه وقال انى أريد أن آتى أمير المؤمنين فان كانت لك حاجة فأعلمنى قال نعم حاجتى ان تسأله أن يعزلنى عن القضاء فقال يوسف والله لوددت قضاة المسلمين كلهم مثلك فكيف أساله هذا ثم انصرف فقال ابنه الحجاج من هذا الذى قمت اليه فقال يا بنى هذا سليم بن عمرو قاضى أهل مصر وقاصهم فقال يغفر الله لك يا أبت أنت ابن أبى عقيل تقوم الى رجل من كندة أو تحييه فقال والله يا بنى انى أرى الناس ما يرحمون الا بهذا وأشباهه فقال والله ما يفسد الناس على أمير المؤمنين الا هذا وأشباهه يقعدون ويقعد اليهم أحداث الناس ويذكرون سيرة أبى بكر وعمر فيخرجون على أمير المؤمنين والله لوصفا هذا الامر الى لسألت أمير المؤمنين أن يجعل لى السبيل فاقتل هذا وأشباهه فقال أبوه والله يا بنى انى لاظن أن الله تعالى خلقك شقيا * وأول ما أعجب عبد الملك منه انه كان قد اتصل بروح بن زنباع وصار من جملة أصحاب شرطته وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك ثم ان عبد الملك توجه الى الجزيرة لقتال زفر بن

فى التعريف ومع ذلك فلا تحفظ لهما المرتبة بل هما سواء تأخر أحدهما أو تقدم لان لنا قرينة عقلية تدل على أن أحدهما مخبر عنه والآخر مخبر به اذا الغرض تشبيه أبى يوسف بابى حنيفة وأبو يوسف محكوم عليه وأبو حنيفة محكوم به عقلا فلا يضر التقديم والتاخير لفظا ومن هذا النوع قول الشاعر

تعيرنا أننا عالة * ونحن صعاليك أنتم ملوكا

هذا البيت سال على بن زيد الفصيحى أبا القاسم بن على الحريرى عن اعرابه فقال تقديره تعيرنا اننا عالة صعاليك ملوكا أنتم ونحن عالة جمع عائل صعاليك منصوب به وملوكا صفة لهم وأبطل هذا الجواب علم الدين السخاوى وقال الملوك لا تكون صفة للصعاليك وفى تقديره صعاليك ملوكا أنتم ونحن لا معنى له والصواب ان عالة من عانى الشئ بمعنى أثقلنى أى تعيرنا باننا عالة ملوكا فى حالة التصعلك فهو منصوب على الحال ونحن أنتم مبتدأ وخبره أى نحن مثلكم ومن المواطن التى يجب فيها تقديم المبتدا اذا كان الخبر محصورا كقولك انما زيد شاعر وما عمرو الا كاتب لمن يتوهم أن زيدا غير شاعر وعمرا غير كاتب فهنا يجب حفظ المرتبة لهما ومنها أن يكون الخبر مسندا الى مبتدا مقرون بلام الابتداء نحو لزيد قائم ومنها أن يكون له صدر الكلام كقولك من ابوك لان الاستفهام له صدر الكلام (سوام النوم) منصوب على انه مفعول به والنوم مضاف اليه والاضافة هنا بمعنى اللام التى هى لشبه الملك (بالمقل) جار ومجرور موضعه النصب متعلق بأغرى والباء هنا للتعدية وقوله والليل أغرى سوام النوم بالمقل فى موضع النصب على الحال كأنه قال طردت الكرى عنه فى حالة اغراء الليل سوام النوم بالمقل (المعنى) منعته النوم بالمحادثة ونحن فى ليل قد أقبل بالنوم على العيون وحببه الى المقل واستعار الطرد للمنع كما استعار للكرى سرحا اذ هو من متعلق السرح ولذلك أكده بالاستعارة الثانية لانه ابدل السرح للنوم بالسوام وهما من باب واحد وحسن الاستعارة هنا أن السرح السائم اذا ورد الماء كانه يذهب بالشرب واذا سام فى النبات رعاه واذهب ما فيه من العشب وقد يكون فيه زهر يشبه العيون اليقظى فاذا ذهب بالرعى اشبه العين التى زال رونقها وغاب بياضها وسوادها بالنوم وكذلك الماء المورود للسرح يشبه العين اليقظى فاذا ذهب أشبه تغميضها وقد ناكد الطغرائى هذا الرفيق ومنعه نومه فكان كما يقال لا ينام ولا يدع الناس ينامون ولو كفاه شره لسره فان الخلى لا يلزم بحال الشجى والوزير المغربى أنصف دونه اذ قال

لى كلما ابتسم النهار تعلة * بحدث ماشان قلبى شانه
فاذا الدجى وافى وأقبل جنحه * فهنالك يدرى الهم أين مكانه

وهو ماخوذ من قول مجنون بنى عامر

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

ولمح المعنى فيه محمد بن يحيى بن حزم فقال

اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وقال المجنون أيضا

الحرث عند ما عصى عليه بقر قيسا فامر روح بن زنباع جماعة من أصحابه وأصحاب شرطته يحثون المتأخرين من أهل العسكر فى كل منزلة وكان الحجاج من جملتهم وكان يجتهد فى ذلك الى ان مر يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص غلمان روح فى خيمة يأكلون فأمرهم بالرحيل فسخروا منه ادلا لا بمحلهم ومحل سيدهم وقالوا له انزل كل واسكت فضرب بسيفه أطناب الخيمة فسقطت عليهم وأطلق فيها نارا فاحرقت أثاثهم عليهم فامسكوه وأتوا به الى روح وسمع عبد الملك الخبر فطلبه وقال من فعل هذا بغلمان روح فقال أنت يا أمير المؤمنين أمرتنا بالاجتهاد فيما ولينا فعلنا ما أمرت وبهذه الفعلة يرتدع من بقى من أهل العسكر وما على أمير المؤمنين ان يعوض عليهم ما ذهب وقد قامت الحرمة وتم المراد فاعجب عبد الملك فقال ان شرطيكم لجلد ثم أقره على ما هو عليه ولما طال القتال والحصار بينه وبين زفر بن الحرث أرسل عبد الملك رجاء بن حيوة وجماعة منهم الحجاج الى زفر بكتاب يدعوه الى الصلح فاتوه بالكتاب وقد حضرت الصلاة فقام رجاء فصلى مع زفر وصلى الحجاج وحده فسئل عن ذلك فقال لا أصلى مع

وشغلت عن فهم الحديث سوى * ماكان منك وحبكم شغلى
وأديم نحو محدثى نظرى * أن قد فهمت وعندكم عقلى

ومن هنا أخذ أمين الدين جوبان قوله دوبيت

لا أستمع الحديث عن غيركم * من لذة فكرى واشتغالى بكم
ألوى نظرى كأنى أفهمه * من قائله وخاطرى عندكم

ولعمرى ان هذه الاستعارات التى فى كلام الطغرائى واقعة موقعها وهى فى غاية الحسن والاستعارة عند أرباب البيان هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا أو تقديرا ألا ترى انه شبه الليل وايراده النوم على المقبل بالراعى الذى يسوق الماشية الى المرعى وشبه منعه النوم صاحبه وشغله عنه بالطرد كالذى يطرد السرح عن ورود الماء ولا شك ان الاستعارة أبلغ من التشبيه وأوقع فى النفس وانظر الى قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والى مافيه من الطلاوة بخلاف ما اذا قيل وشيب الرأس كالنار يشتعل فهو ادعى أن حقيقة الاشتعال فى الشيب دون النار ووجه المناسبة التى حسنت هذه الدعوى ان الشيب لما كان بياضا يأخذ فى الشعر الاسود شيأ فشيأ الى ان يقوى ذلك ويشتد حتى يأتى على السواد جميعه فيذهبه حسن ادعاء الحقيقة هنا كما ان النار تأخذ فى الفحم شيأ فشيأ وتدب دبيب الشيب فى الشعر حتى تاتى على الفحم ومن هنا عيب على القائل

والشيب ينهض فى الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فان الصياح هنا لا مناسبة له ولا معنى وقيل ان بعضهم لما سمع قول أبى تمام

لا تسقنى ماء الملام فانى * صب قد استعذبت ماء بكائى

جهزله قدحا وقال له ابعث لى فى هذا قليلا من ماء الملام فقال أبو تمام حتى تبعث لى ريشة من جناح الذل وما ظلم من جهزله القدح فانه استعار قبيحا وليست استعارته كاستعارة جناح الذل فى الآية بل الاستعارة فى الآية فى غاية الحسن وما أحلى قول الحسن بن وهب شربت البارحة على وجه الجوزاء فلما انتبه الفجر نمت فما غفلت حتى لحقنى قميص الشمس وما أحلى قول البدر الذهبى

ما نظرت مقلتى عجيبا * كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الراس منه شيبا * واخضر من بعد ذا عذاره

سال رجل عمرو بن قيس عن الحصاة يجدها الرجل فى ثوبه أو فى خفه من حصى المسجد قال ارم بها فقال الرجل زعموا أنها تصيح حتى ترد الى المسجد فقال دعها تصيح حتى ينشف حلقها فقال الرجل سبحان الله أولها حلق قال فمن أين تصيح ومثل هذا ما حكاه أشعب الطماع قال جاءت لى جارية بدينار فقالت أودعه لى عندك فقلت ضعيه تحت المصلى فلما راحت وضعت الى جانبه درهما فلما كان بعد جمعة جاءت تطلبه وقالت أين الدينار قلت محله لكن انظرى لعله ولد فان كان ولد شيأ فخذيه فنظرت اليه فقالت نعم هنا درهم فقلت مادام هو تحت المصلى فهو بلد لك كل جمعة درهما فاخذت الدرهم وتركت الدينار وانصرفت وحضرت بعد جمعة وطلبت الدينار فلم تجده فسألت عنه فقلت لها مات فى النفاس فقالت ويلى كيف يموت فقلت يا بظراء

منافق خارج على أمير المؤمنين وعن طاعته فسمع عبد الملك بذلك فزاد عجبا بالحجاج ورفع قدره وولاه بلدا تسمى تبالة وهى أول ماولى فخرج اليها فلما قرب سال عنها فقيل انها وراء هذه الاكمة فقال أف لبلدة تستر هذه الاكمة فرجع فقيل فى المثل أهون من تبالة على الحجاج ثم قدم على عبد الملك ملازما خدمته فلما فرغ عبد الملك من قتال مصعب ابن الزبير ورجع الى الشام قال من لابن الزبير يعنى عبد الله القائم بمكة والحجاز وندب الناس الى قتاله فقام الحجاج فقال يا أمير المؤمنين أنا له ابعثنى اليه فلقد رأيت فى المنام كأنى سلخته ولبست جلده فبعثه اليه وجهز معه جيشا فقدم الى مكة ونصب المنجنيق على الكعبة وفعل ما فعل حتى قتل ابن الزبير وصفت الخلافة لعبد الملك فسر باجتهاده وأرسل اليه عهده على مكة والمدينة والطائف فاستخف أهل الحرمين وأهانهم ثم كتب الى عبد الملك يقول انى حزت الحجاز بشمالى وبقيت يمينى فارغة يعرض بالعراق فبعث اليه عهده على العراق وهذا أحد الاقوال فى سبب ولايته العراق * والقول الآخر انه وفد على عبد الملك ومعه ابراهيم ابن طلحة بن عبيد الله التيمى

كيف تصدقين بولادته ولا تصدقين بموته فى النفاس وما أحسن قول ابن خفاجة الاندلسى

وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والشمال عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقوله من أبيات

فى خصر غور بالاراك موشح * أو رأس طود بالغمام معمم
أو نحر نهر بالحباب مقلد * أو وجه خرق بالضريب ملثم

وقول محيى الدين بن قرناص

قد أتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الأغصان

ذكرت بعمامة الغمامة هنا قول القاضى الفاضل ووصلنا حصن كوكب وهو نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأسلة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة قلت ما أحسن هذا التخييل وألطف هذه الاستعارات وقد عاب ضياء الدين بن الاثير هذا الفصل فى المثل السائر وأجبت عنه فى كتابى المسمى بنصرة الثائر على المثل السائر ويعجبنى قول ابن خفاجة

الا رب يوم حثت الكاس خطوه * فطار وأيام السرور قصار
عثرت بذيل السكر فيه عشية * وللريح فى موج الخليج غبار
وقد فضض النوار كل رباوة * وسال عليها للاصيل نضار

قلت كل هذه الالفاظ فى الابيات فصيحة الا قوله رباوة فانه غير مستعمل لان فى ربوة أربع لغات تثليث الراء بالضم والفتح والكسر والضم أفصحها واللغة الرابعة رباوة ولكنها غير مستعملة الا فيما قل ولغة القرآن أفصح ولو قال

وقد فضضت جيد الروابى أزاهر * يسيل عليها للاصيل نضار

لكان أعذب موقعا فى السمع من ذلك وقول أبى نصر عبد العزيز بن نباتة السعدى

خرقنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب
لقوا نبلنا مرد العوارض وانثنوا * لاوجههم منها لحى وشوارب

وقول الشريف أبى الحسن على العقيلى من أبيات

وفرق تيجان نواره * فلم ينس من غصن مفرقا

وقوله أيضا

اذا أبدى مؤامرة التجنى * أقمت له وجوه الاحتمال

وقوله أيضا

لنا أخ يحسن ان يحسنا * رضاه للجانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه * بانها تنبت زهر الغنى
اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

وقوله أيضا

وكان من رجال قريش علما ونبلا وعملا وزهدا ومهابة وكان الحجاج مسخرا له لا يترك من اجلاله شيأ فلما قدما على عبد الملك أذن للحجاج فى الدخول فلما دخل سلم ولم يبدأ بشئ الا أن قال يا أمير المؤمنين قدمت عليك برجل من أهل الحجاز ليس له نظير فى كمال المروءة والديانة وحسن المذهب والطاعة مع القرابة ووجوب الحق قال ومن هو قال ابراهيم بن طلحة التيمى فليفعل أمير المؤمنين معه ما يفعله بامثاله فقال عبد الملك ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبة ثم أذن له فلما دخل قربه وأدناه ثم قال له ان أبا محمد ذكر لنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل وحسن المذهب فلا تدعن حاجة الا ذكرتها فقال ابراهيم ان أولى الامور أن يفتتح به الحوائج ما كان لله فيه رضا ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أداء ولجماعة المسلمين نصيحة قال وما هو قال لا يمكن القول الا وأنا خال فأخلنى قال أو دون أبى محمد قال نعم فاشار عبد الملك الى الحجاج فخرج وقال قل فقال يا أمير المؤمنين انك عهدت الى الحجاج مع تعطرسه وتجبره وبعده عن الحق وركونه الى الباطل وولايته الحرمين وبهما من أولاد المهاجرين والانصار من قد

خلص بجاه الوصل قلب متيم * غمز الصدود عليه أعوان الضنى

وقوله أيضا

كلما لاح وجهه بمكان * كثرت زحمة العيون عليه

وقوله أيضا

فلما تبدى لنا وجهه * نهينا محاسنه بالعيون

وقوله أيضا

الغرب بالليل مسك * والشرق بالفجر ند
وروضة الجام فيها * من زهرة الراح ورد
فاشرب على وجه أرض * له من الماء خد
جيد يومك فيه * من الملاحة عقد

وقوله أيضا

الى كم ذا ترد الغيث لا يروى من الغدر
أظن الغيث قد تمت * عليه حيلة العذر

وقوله أيضا

قد ضاقت الحيلة بى فى رشا * لا يقبل الرشوة من ود
ما سرت بالشكوى الى سمعه * قط فاشرفت على وعد

وقوله أيضا

وأوحشت من رؤياك طرفى فلم يزل * تنزهه فى ورد وجنتك الغض
فان كنت تخشى من لسان بكائه * فما الرأى الا أن تبر طل بالغمض

وقول ابن الساعاتى

ولو لا رواة بل وشاة تخبر صوا * أحاديث ليست فى سماع ولا نقل
لثمنا ثغور النور من شنب الندى * خلال جبين النهر فى طرر الظل

وقول ابن النبيه

تبسم ثغر الروض عن شنب القطر * ودب عذار الظل فى وجنة النهر

وقوله أيضا

والنهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء فى سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

وقول محيى الدين بن قرناص

لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم لقضبه خصرا نحيلا
ودب مع العشى عذار ظل * على نهر حكى خدا اسيلا

وكلهم أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة حيث قال

وما الانس الا فى مجاج زجاجة * ولا العيش الا فى صرير سرير
وانى وان جئت المشيب لوامع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

علمت يسومهم الخسف
ويقودهم بالحتف ويطؤهم
بطغام أهل الشام ورعاع لا روية
لهم فى اقامة حق ولا فى ازاحة
باطل ثم تظن أن ذلك ينجيك
من عذاب الله فكيف بك
اذا جاءك محمد صلى الله عليه
وسلم غدا للخصومة بين يدى
الله تعالى أما والله انك لن
تنجو هناك الا بحجة تضمن
لك النجاة فأبق لنفسك أو دع
وكان عبد الملك متكئا
فاستوى جالسا وقال كذبت
ومنت فيما جئت به ولقد ظن
بك الحجاج ظنا لم نجده فيك
فانت المائن الحاسد قال
فقمت ووالله ما أبصر شيأ
فلما جاوزت الستر لحقنى
لاحق فقال للحاجب امنع
هذا من الخروج وأذن
للحجاج فدخل فلبث مليا ولا
أشك انهما فى أمرى ثم خرج
الاذن لى فدخلت فلما
كشف الستر اذا أنا بالحجاج
خارج فاعتنقنى وقبل ما بين
عينى وقال اذا جزى الله
المتواخيين بفضل تواصلهما
فجزاك الله أفضل الجزاء
أما والله لئن بقيت لارفعن
ناظريك ولأتبعن الرجال
غبار قدميك قال فقلت فى
نفسى انه ليسخر بى فلما وصلت
الى عبد الملك أدنى مجلسى
كما فعل فى الاول ثم قال يا أبا
طلحة هل أعلمت الحجاج بما
جرى أو شاركك أحد فى

وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقول ابن قلاقس

جرت خيل النسيم على الغدير * وردت تحت قسطال العبير
وغاب الصبح فى كف الثريا * وكان براحة القمر المنير

وما أحسن قول أمين الدين جوبان

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما منه بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد خدكم * من بين شوك ملامة العذال

ويعجبنى قول القائل وان كان مشهورا

مجرة جدول وسماء آس * وأنجم نرجس وشموس ورد
ورعد مثالث وسحاب كأس * وبرق مدامة وضباب ند

وقول ابن الساعاتى

وكم ركبت بهيم الليل فى غرض * وبدره غرة والصبح تحجيل
ووردة الفجر فى خدى مطالعه * كأنها أثر أبقاه تقبيل

وقول ابن قلاقس

سرى وجبين الجو بالطل يرشح * وثوب الغوادى بالبروق موشح
وفى طى أبراد النسيم خميلة * باعطافها نور المنى يتفتح
تضاحك فى مسرى المعاطف عارضا * مدامعه فى وجنة الروض تسفح
ويورى به كف الصبا زند بارق * شرارته فى فحمة الليل تقدح

وقال ابن رشيق

باكر الى اللذات واركب لها * نجائب اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وقال ابن سناء الملك

قد كان لى منديل كم سابغ * ما جاز مسح فى به فى مذهبى
فاعتضت منه بخد من أحبته * ومسحت فى منديل كم مذهب

وقال بعض المغاربة

زار وقد شمر فضل الازار * جنح ظلام جانح للفرار
وروضة الانجم قد صوحت * والفجر قد فجر نهر النهار

قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب أبى الثناء محمود قصيدة له منها

يا راكب الوجناء يجذب فى السرى ذيل الزميل
يختال فى حبر الشرو * ق ضحى وفى حبك الاصيل
ويحوم من نهر المجر * ة كالنجوم على مسيل

وقرأت عليه من أخرى له

أيها السائر الذى فى المرامى * باكر السير بكرة وأصيلا

نصيحتك فقلت لا والله ولا أعلم أحدا أظهر يدا عندى من الحجاج ولو كنت محابيا أحدا بدينى لكان هو ولكنى آثرت الله ورسوله والمسلمين فقال قد علمت صدق مقالتك ولو آثرت الدنيا لكان لك فى الحجاج أمل وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت ولايته عليهما وأخبرته انك الذى استنزلتنى له عنهما استصغارا للولاية وولينه العراق لما هنالك من الامور التى لا يدحضها الا مثله وانما قلت له ذلك ليؤدى ما يلزمه من ذمامك فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته مع يدك عنده فخرجت مع الحجاج وأكرمنى أضعاف اكرامه واستدللت على مكارم عبد الملك وأخلاقه واعترافه بالحق وتلطفه فى الامور (وقيل) فى سبب ولاية الحجاج العراق قول آخر ثم دخل الحجاج الى العراق ودخل الكوفة وبدأ بالمسجد وخطب خطبته المشهورة التى يقول فيها يا اهل العراق والنفاق والله لاعصينكم عصب السلمة ولانحونكم نحو العصا فطالما أوضعتم فى الضلالة وتماديتم فى الجهالة يا عبيد العصا أنا الغلام الثقفى لا عدا الا وفيت ولا أخلق الا فريت انما مثلكم كما قال الله تعالى

يكحل المقلتين من اثمد الليـ ـل فيفنى القفار ميـ ـلا فيـ ـلا

وقرأت عليه من أخرى له

أعد حديث الحمى فالركب في طرب * وقص أنباء من بالجزع من عرب
كرر حديث الثنايا فهو أعذب لي * على الظما من رضاب الخرّد العرب
اذا الكرى ذرفي أجفاننا سـ ـنة * من النعاس نفضناها من الهدب

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ولما جنى طرفي رياض جمالكم * جعلتم سهادي في عقوبة من جنى
أحبابنا ان عفتم السفح منزلا * وأخليتم من جانب الجزع موطنا
فقد حزتم دمعي عقيقا ومهجتي * غضى وسلكتم من ضلوعي منحنى

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

وقد روت عن لينه واعتداله * صحاح العوالي مسندا بعد مسند
اذا قعدت أردافه قام عطفه * فيا طول شجوي من مقيم ومقعد

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

لحا الله قلبا كلما جرط رفه * الى الحسن ألقى عروة المتماسك
تأبط شرا من أذى الوجد وانثنى * كثير الهوى شتى النوى والمسالك

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

هذي الحمائم في منابر أيكها * تملي الغناء والطل يكتب في الورق
والقضب تخفض للسلام رؤسها * والزهر يرفع زائريه على الحدق

وهذا أحسن من قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

اني لاشهد للحمى بفضيلة * من أجلها أصبحت من عشاقه
ما زاره أيام نرجسه فتى * الا وأجلسه على أحداقه

وقلت أنا من مقامة

وما حسدت نفسي سوى نفس الصبا * ولا سيما يوم قطعناه بالحمى
فكم ضم عطفا للغصون مرنحا * وعانق قدا للقضيب مقوما
وقبل خد الورد وهو مضرج * وثغر الاقاحي في الربا اذ تبسما
وكم بات يستجلي عذار بنفسج * سقته الغوادي صوبها فتنمنما

وقلت أيضا

قلت اذ قيل لي تسل فهذا * يوصدغه قد حاكان ينير
هي مرآة خده غاب منها * في غلاف العذار شئ يسير

وقلت أيضا

لقد ها اذ ينثني صولة * معروفة ما بين عشاقها
قد قطعت ظهر غصون الربا * وجرت الورق بأطواقها

وقلت أيضا

وحقك لو حكاها غصن بان * لقطعت الخفاف على قذاله

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون شاهت الوجوه فانكم أشباه ذلك فاستوثقوا واستعينوا وأقسم بالله لتدعن الارجاف ولتقبلن على الانصاف ولتنزعن عن القيل والقال وكان وكان والهن وما الهن أولاهبرنكم بالسيف هبر ايدع النساء أيامى والولدان يتامى والله لكأني أنظر الى الدماء تترقرق بين اللحى والغلاصم فلما سمع أهل الكوفة هذه الخطبة وكان بعضهم قد أخذ حصا اراد أن يحصب به الحجاج فتساقط من ايديهم حزنا وروعا وثبتت مهابته في قلوبهم وتحكم حينئذ في رقابهم وكان القاسم بن سلام يقول قاتل الله اهل الكوفة اين قبائلهم وعشائرهم واهل الانفة منهم وأين تجبرهم قتلوا عليا وطعنوا الحسين وقاتلوا المختار وعجزوا عن قتل هذا الملعون الدميم الصورة وقد جاءهم في اثني عشر راكبا وهم مائة الف ولكن ظهر تصديق امير المؤمنين علي بن ابي طالب في قوله اللهم سلط عليهم الغلام الثقفي ثم اقام الحجاج بالعراق يرهب

ولم يفتح لعين الزهر جفنا * لينظر فى الغدير الى خياله

وقلت أيضا وان كان فيه طول

بى غادة لم ترض بدر الدجى * يبيت فى خدمتها يسرى
أذارنت أقسم من خوفها * هاروت لاعاد الى السحر
وفرقها الوضاح ينفى الدجى * ويسلخ الليل الى الفجر
والبرق لما ابتسمت كم غدا * وقلبه يخفق بالذعر
والظبى لما الفتت جيدها * هج على الوجه الى القفر
فلو تثنت قطعت خفها * على قذال الغصن النضر
وأدخلته فى حرام النقا * وما استحت من شيبة الزهر

وما أطرب لشئ كطربى لاستعارات القاضى الفاضل رحمه الله فى مثل قوله وتلك الجبهة وان كانت عربية فانها مستودع الانوار وكنز دينار الشمس ومصب أنهار النهار * وقوله ونصبر حتى تنجلى هذه الغمرة وحتى تجف مناديل الجفون فانها كانت بالدموع عصرة وقوله أيضا من قصيدة مطولة

قد استخدمت بالافكار سرى * وما أطلقت لى بالوصل أجره
ولم أره على الايام الا * عقدت محبته وحلت صره
ولا استمطرت سحب العين الا * بقيت بأدمعى فى الشمس عصره

وقوله فى ليلة جمد خمرها وخمد جمرها الى يوم تود البصلة لو ازدادت قيصا الى قصها والشمس لو جرت النار الى قرصها * وقوله وأنتم يا بنى أيوب لو ملكتم الدهر لا متطيتم ليا اليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم وأفنيتم شموسه وأقماره فى الهبات دنانير ودراهم وأيامكم أعراس وماتم فيها على الاموال ماتم والجود فى أيديكم خاتم ونفس حاتم فى نقش ذلك الخاتم * ونقلت من خط مجير الدين عبد الله بن عبد الظاهر وما أحسن ما قال القاضى الفاضل رحمه الله وأما الجاحظ فما منا معاشر الكتاب الا من دخل من كتبه الحارة وشن الغارة وخرج وعلى الكتف منها كارة ولا يقول المملوك فى فوائد المولى تاج الدين ذلك بل يقول ما منا الا من أدخله داره وساهمه بدره وابداره وأجلسه معه فى الدارة وأخلى له سريره وخلى سراره ونزل من عنده وبين يديه من فوائده الكواكب السيارة بل يقول ما منا الا من استعار منه فاعاره واستكساه فحسن له الشارة واستجناه فاجناه ثماره وتركه وكل معنى مبتكر له كصاحب الجب وكل ذى استفادة منا يلتقطه كبعض السيارة * قلت كان ينبغى له ان يقدم القول الثانى على الاول * وقول القاضى الفاضل وحالى فى التفرس الى هذه الغاية الارض من ذوات المحارم ما وطئتها برجلى وطرقها ضاحية ما كسوتها ظلى * وقوله وان رأى المجلس ان يكون الجواب فى ظهر الكتاب فجزاء كل مفتخر أن يدفع فى ظهره * وقوله أيضا والله يمن بطلوع نجمه نهارا وبقدوم وجهه الذى تسر أساريره أسرارا فينعم بكتابه فان الكتاب للقاء رديف وفيه نجدة للصبر على الشوق والشوق قوى والصبر ضعيف * وقوله وانما لسانه يبرز الابريز ولى لسان حجبه القلب فهو فى الدهليز * وقوله وعلى المتوفى ديون جليلة والدين عثرة الصراط والقبر على المطلوب سم الخياط * وقوله وكيفما كتبت يد سيدنا نثرت الدر الثمين

ويفتك حتى استوثقت له الامور ثم خرج عليه عبد الرحمن ابن الاشعث باهل العراق فامده عبد الملك باهل الشام فكانوا شيعته فاستمرت بينه وبين ابن الاشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة فى ستة أشهر وكان مع ابن الاشعث أكثر من مائتى ألف فلما هزموا قال الحجاج لاصحابه اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك بالكفر وبخروجك عن الجماعة ثم تب فان شهد والا قتله فاتاه رجل من خثعم فقال اشهد على نفسك بالكفر فقال ان كنت عبدت ربى ثمانين سنة ثم أشهد على نفسى بالكفر لبئس العبد أنا والله ما بقى من عمرى الا ظمء حمار وانى أنتظر الموت صباحا ومساء فأمر به فضرب عنقه وقدم بعده شيخ آخر فقال الحجاج ما أظن الشيخ يشهد على نفسه بالكفر فقال يا حجاج أتخادعنى أنت عن نفسى أنا أعرف بها منك وانى لأكفر من فرعون وهامان فضحك الحجاج وخلى سبيله * وكان فى الحجاج خلال امتاز بها عن أبناء وقته الكرم

واستدعت سطوره مصافحة شفاه اللاثمين * وقوله فان الهم موت والوهم صريخ ماله صوت وقوله أيضا فلا أقر الله كتابا الا كنت سابحا في بحر كله درر وقاطفا من روض كله عمر وظلمت منه بنهار كله غرر وبت بليل كله سحر مستمتعا بحديث كله سمر واردا منه موردا كله صفاء على رغم انف زمان كله كدر * وقوله فطرقنا كلها أسواق والبرارى عليها من المهابة اغلاق وأيدى الولاة لاعناق المفسدين أطواق * وقوله أيضا وما يؤثر المملوك أن يفتح باب شكواه لدهره ولا يعزيه عن المصاب الذى لا يطيعه اللسان فى ذكره ولا أن يدل المولى على الامر الجامع بين ترويح سره وتحصيل أجره ولا أن يشير الى أن الحى غريب فى طريق عمره الى أن يحصل فى دار قبره * وقوله أيضا وأنا على دفع الايام وهى تدفعنى ولباس الليالى وهى تخلعنى وعتاب الدهر ولكن ما أظنه يسمعنى وقوله فيما أظن

نزلتنى بالله زولى * وانزلى غيرها تاتى
واتركى حلقى بحقى * فهو دهليز حياتى

وقوله فى ممسحة القلم

ممسحة نهارها * يجن ليل الظلم
كانها مذ خلقت * منديل كم القلم

وقول نور الدين على بن سعد المغربى فيها

وممسحة لاحت كأفق تبددت * به قطع الظلماء والصبح طالع
ولما أطال الليل فيها وروده * حكته وسدت للصباح المطالع

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر

وممسحة تناهى الحسن فيها * فأضحت فى الملاحة لا تبارى
فلا تنكر على القلم الموافى * اذا فى وصلها خلع العذارا

(والركب ميل على الاكوار من طرب * صاح وآخر من خمر السكرى ثمل)

(اللغة) الركب تقدم الكلام عليه (ميل) جمع أميل وهو الذى لا يستوى على السرج قال جرير

لم يركبوا الخيل الا بعد أن هرموا * فهم ثقال على أكتافها ميل

(الاكوار) جمع كور وهو القتب (الطرب) خفة تلحق الانسان لشدة حزن أو سرور تقول طرب يطرب فهو طرب قال الشاعر

وترانى طربا فى اثرهم * طرب الواله أو كالمختبل

فطرب اسم فاعل وهو هنا يحتمل أن يكون من الفرح وأن يكون من الحزن ولكنه الى الحزن أقرب لانه فى بيت الطغرائى جاء فى سياق شدة السهر (صاح) صحا يصحو من سكره فهو صاح اذا زال ما كان يجده من النشوة (خمر) قال ابن الاعرابى انما سميت الخمرة خمرة لانها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها وقيل لمخامرتها العقل أى تغطيتها (السكرى) تقدم تفسيره (ثمل) تقول ثمل الرجل بالكسر ثملا اذا أخذ الشراب منه فهو ثمل أى نشوان (الاعراب) (والركب) الواو للابتداء والركب مرفوع على انه مبتدأ (ميل) مرفوع على انه خبر المبتدا وهو جمع أميل كما تقول أبيض وبيض وكان أصله ميل بضم الميم كما تقول أحمر وحمر ولكنهم استثقلوا الضمة قبل حرف العلة وهو الياء فقلبوا الضمة الى جنس ما بعدها فكانت كسرة كما

والفصاحة والدهاء والجور وحلم فى بعض الاوقات * فاما كرمه فحكى انه لما دخل المدينة فرق فى أهلها عشرة آلاف دينار ثم قال أتينا كم وقد غاض الماء لكثرة النوائب فاعذرونا فقال رجل لا عذر الله من يعذرك وأنت أمير المصرين وأنت عظيم القريتين فقال صدقت واقترض أموالا من هناك من التجار فكان شيأ عظيما ولما ولى العراق كان يطعم فى كل يوم على ألف مائدة يجتمع على كل مائدة عشرة أنفس ويطاف به فى محفة على أيدى الرجال يشرف على القوم ويقول يا أهل الشام اهشموا الخبز لئلا يعاد عليكم وقيل كان فعله هذا خصيصا بأهل الشام وكان يرسل الرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال أيها الناس رسلى اليكم الشمس اذا طلعت فاحضروا للغداء واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس يوما فقال ما بال الناس قد قلوا فقام رجل وقال يا أيها الامير انك أغنيت الناس فى بيوتهم عن الحضور الى مائدتك فأعجبه ذلك وقال اجلس بارك الله عليك * وأما دهاؤه فحكى عبد الله بن ظبيان قائل مصعب بن الزبير قال كنت يوما واقفا على باب الحجاج

فاذا به قد خرج وحده وكانت القائلة وما بالباب أحد فوقع فى نفسى أن أقتله فنظرت الى فقال هل لقيت يزيد بن أبى أسلم يعنى كاتبه قلت لا قال القه فان عهدك على الرى معه فطمعت وكففت عنه وتوجهت الى يزيد فلم يكن عنده عهد ولا شئ من ذلك وانما قال الحجاج ذلك حذرا وشغلا لى عما أردته به وبنى هو وعبد الملك فى بعض المساجد بابين فوقعت صاعقة فاحرقت باب عبد الملك فدا خله حسد للحجاج فكتب اليه انما مثل أمير المؤمنين ومثلى كمثل ابنى آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ودخل يوما على عبد الملك فدعا بالشراب فقال يا أمير المؤمنين اعفنى فانى أنهى أهل عملى عنه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فقال عبد الملك انه نبيذ الرمان يشهى الطعام ويزيد فى الباه فقال الحجاج أما كونه يشهى الطعام فوالله لوددت أن هذه الاكلة تكفينى حتى أموت وأما كونه يزيد فى الباه فحسب الرجل أن يصرع فى الشهر مرة وصعد يوما المنبر فأراد أن يختبر طاعة الناس له فقال الا أن الحجاج كافر فلم يرد عليه أحد شيأ

فى بيع وقيل وكما فى ميزان وميعاد فالاصل ضم أوائل هذه الاربعة ولكنهم فعلوا بها ماذكرته لك (على الاكوار) جار ومجرور متعلق بميل (من طرب) جار ومجرور طرب بكسر الراء اسم فاعل هنا وليس هو مصدرا فتفتح الراء لانه لو كان مصدرا لفسد المعنى وكان الجار والمجرور مفعولا من اجله وكان قوله وآخر من خمر الكرى معطوفا على غير شئ ولم يتعلق بما يربطه وهذا الجار والمجرور فى موضع الحال واذا كان الجار والمجرور حالا فلا بد له من التعلق بمحذوف هو العامل فيه وتقديره هنا والركب مائلون منقسمين (صاح) مجرور على أنه صفة لطرب تبعه فى افراده وتذكيره وتنكيره وجره (وآخر) الواو عاطفة عطفت آخر على طرب ولم ينجر لانه غير منصرف فعلامة الجر فيه فتحة وانما قلنا انه غير منصرف لان فيه علتين فرعيتين من العلل التسع وهما العدل والصفة والعدل فيه تحقيقى لان آخر من باب أفعل التفضيل وهذا الباب شرطه ان لا يستعمل الا مضافا أو بالالف واللام أو بمن ولهذا لحنوا أبا نواس فى قوله

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

لانه استعمل افعل التفضيل بغير شرطه وأجاب ابن أبى الحديد اذا هذا القول على ابن الاثير فى المثل السائر بأن قال لا ينكر أن كثيرا من أئمة العربية طعن فى هذا البيت ولكن انتصر له كثير منهم فقالوا وجدنا فعلى افعل فى غير موضع واردة بغير لام ولا اضافة ولا من مثل دنيا فى قول الراجز * فى سعى دنيا طالما قد مدت * وقول الآخر * وان دعوت الى جلى ومكرمة * وقول الآخر * لا يبخلون بدنيا وهى مقبلة * وقالوا طوبى لك وفى البيت وجه آخر وهو ان تكون من فى قوله من فواقعها زائدة على مذهب أبى الحسن فى زيادة من فى الواجب فانه يذهب الى ذلك ويحتج بقوله تعالى فيهما من برد أى فيهما برد وهذا يرجح ان يكون كبرى وصغرى فى البيت مضافتين وقد وقع الاتفاق على جوازه (قلت) قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس هذا عجيب من مثل هذا الرجل الفاضل أما ايراده دنيا واخواتها فكل وجوهها مذكورة فى كتب النحاة بما يغنى عن الاطالة بذكره بخلاف صغرى وكبرى وأما قوله بزيادة من فكأنه يظن ان من اذا كانت زائدة كان الجر بالاضافة أو كانت الاضافة باقية وهذا لا وجه له وانما الجر بحرف الجر لان حروف الجر لا تعلق وأما زيادة حرف الجر بين المضاف والمضاف اليه فلم يقل به الا فى مثل لا أبا لك على شذوذ وليس هذا منه ولا يريد الاخفش بقوله ان من تزاد فى الواجب ما أراده ابن أبى الحديد اه (قلت) قال النحاة وربما استعملوا هذه الصفات استعمال الاسماء فحذفوا الالف واللام نحو قولهم دنيا لانها وان كانت صفة فقد غلبت وصارت بمنزلة الاسماء غير الصفات ومثله جلى وأنشدوا الابيات التى أنشدها ابن أبى الحديد وأما من قرأ وقولوا للناس حسنى بغير تنوين ومن أنشد * ولا يجزون من حسنى بسوأى * فليستا بتأنيث أحسن وأسوأ بل هما مصدران كالرجعى والبشرى * وقد اختلف النحاة فى الصرف ما هو فقال قوم التنوين وحده وقال آخرون الجر والتنوين واختار الاول جمال الدين محمد بن مالك والدليل على انه أقوى من أربعة أوجه الاول انه مطابق لاشتقاق اسم الصرف فانه مأخوذ من صريف ناب الابل والبكرة والقلم وهو الصوت الذى يسمع من هذه الاشياء قال الشاعر * له صريف صريف القعو بالمسد * يعنى البكرة الثانى ان الاسم الذى لا ينصرف

يدخله الجر مع الالف واللام والاضافة مع وجود مانع الصرف فيه الثالث ان الشاعر اذا اضطر الى التنوين فى المرفوع والمنصوب نون ويقال اضطر الى ذلك ولا جر الرابع انه اذا اضطر الى التنوين فى الجر جر ونون ولو كان الجر من الصرف لفتح ونون وانما كان باب مالا ينصرف ممنوعا من الجر والتنوين قياسا على الفعل اذ لا جر فيه ولا تنوين لكون الفعل فرعا على الاسم على الصحيح والعلل المانعة من الصرف كلها تتفرع على ماسواها فاذا دخلت على الاسم ألحقته بالفرعية وخلصته من الاسمية الابقية فلهذا أعرب اعراب الفعل ومنع مامنع منه الفعل فاذا أضيف أو دخلته الالف واللام أو من قويت الاسمية فيه وتمحض فيها فدخل فيه الجر وانما قلت ان العلل المانعة من الصرف فروع لان العدل فرع على المعدول عنه سواء كان تقديريا أو تحقيقيا والصفة فرع على الموصوف والتأنيث فرع على التذكير والمعرفة فرع على النكرة والعجمة فرع على العربية والجمع فرع على المفرد والنون والالف الزائدتان فرعان على مازيدتا عليه ووزن الفعل فرع على وزن الاسم فاذا حصل فى الاسم علتان من هذه شابه الفعل فى الفرعية فاعطى ما أعطى ومنع مامنع وانما تبع التنوين الجر لانه لو جر بغير تنوين لالتبس بالمضاف الى النفس وبالجملة ففى باب مالا ينصرف مباحث دقيقة استوفيتها فى التعليقة على الحاجبية من أول الباب الى آخره (رجع) * (من خمر الكرى) جار ومجرور ومضاف اليه ولم تظهر الكسرة فى المضاف لانه مقصور والاضافة بمعنى اللام التى للملك مجازا والجار والمجرور متعلق بثمل ومن هنا للبيان الجنس (ثمل) مجرور على انه صفة لآخر والبيت بجموعه فى موضع النصب على الحال كانه قال طردت سرح الكرى عن ورد مقلته فى حالة اغراء النوم بالمقل وفى حالة ميل الركب على ظهور مطيهم (المعنى) نادمته وحادثته والرفاق قد مالوا على مطاياهم فهم مابين صاح من النوم ومابين ثمل من الكرى وهذا دليل على انهم كانوا فى أخريات الليل وفى ذلك الوقت يكون بعضهم قد صحا من خمر النوم والآخر فى نشوته يميل يمنة ويسرة قال ابن صردر

قلت وهم من نشوات الكرى * موائد كالسجد الركع
حثوا مطاياكم فكم غاية * قد فنيت بالأينق الظلع

وقال بديع الزمان الهمذانى

لك الله من ليل أجوب جيوبه * كانى فى أجفان عين الردى كحل
كأن الدجى نقع وفى الجو حومة * كواكبها جند طوائرها رسل
كأن مطاياالسماء كأننا * نجوم على أقتابها برجها الرحل
كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأن الهاشرب كأن المنى نقل

أنشدنى اجازة الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه الشيخ الامام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهيرى الاربلى الحنفى من أبيات

أما والمطايا فى الازمة تمرح * وقد شفها طول السرى فهى وزح
قسى عليها كالسهام سواهم الـ * ـوجوه كما أسوا على السوق أصبحوا
يميل بهم سكر السهاد كانما * على كل كور غصن بان مرنح

فقال باللات والعزى وبالبغلة الشهباء ويوم الاربعاء ودخل عليه قاتل الحسين رضى الله عنه فقال له أنت قاتل الحسين قال نعم قال كيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا ثم هبرته بالسيف هبرا ووكلت أمر رأسه الى امير غيرى وكل فقال الحجاج اما والله لا يجتمعان فى الجنة وكان قصده رضا اهل العراق واهل الشام فخرج اهل العراق يقولون صدق الحجاج لا يجتمع والله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتله فى الجنة وخرج اهل الشام يقولون صدق الامير لا يجتمع من شق عصا المسلمين وخالف امير المؤمنين هو وقاتله فى طاعة الله فى الجنة * واما جوره وسفكه الدماء فقد ذكر انه قتل اكثر من مائة الف صبرا آخرهم سعيد ابن جبير بل بل جبير وهو الصحيح رضى الله عنه ومات فى حبسه اكثر من عشرين الفا لم يجب على احد منهم حد وكان حبسه بغير سقف ولا ظل صيفا وشتاء وليس فيه مستراح والناس بعضهم على بعض ومر يوما عليهم فاستغاثوا به فقال اخسؤا فيها ولا تكلمون * وقال أبو عمرو بن العلاء كنت اقرأ الامن اعترف عرفة بالفتح وبلغ الحجاج وكان يقرأ بالضم

وقرأت على القاضي أبي الثناء محمود قوله من قصيدة طويلة

كأن غصونا في الرمال يميلها * سحير اعلى الانضاء مرصباها
نشاوى على الاكوار من خمرة السرى * وكاس الكرى قد ألويا بطلاها

وقرأت عليه أيضا قوله

لاتردها على جواها ودعها الآن تهوى بين الوهاد هويا
ان بين الضلوع منها الى الرى بعيدين الزرقاء داء دويا
ضمر كالقسى ترعى بشعب * فوقها كالسهام رمى قصيا
بلبلتهم كاس السرى فتثنوا * نشوة ماسقوا بها البابليا

وقرأت عليه أيضا قوله

كرر حديث الثنايا فهو أعذب لى * على الظما من رضاب الخرد العرب
فقد سرت نفحة أنشأت نسمتها * فينا فخلنا على الاكوار من طرب

وقرأت عليه أيضا

يرانا الهوى حتى توهمنا الذى * يرانا خيالا فى الدجى قد سرى وهنا
كأنا على الاكوار أفنان دوحة * يميلها مر الصبا غصنا غصنا

وقال ابن قلاقس

ولرب خرق جبته بضوامر * تحق الاباطل قادها الاقدام
خوص كامثال السهام نحافة * فاذا سما خطب فهن سهام
فى فتية بيض الوجوه حديثهم * والليل داج صبوة وغرام
عبث الكرى برؤسهم فأمالها * فكانهم سكرى وليس مدام

وقال أيضا

طرحنا العجز عن أعجاز عيس * نوشحها على الحزم الحزاما
وندفع بالسرى منها قسيا * فتقذف بالنوى منها سهاما

وقال ابن خفاجة

وقد مابرت منها قسيا يد السرى * وفوق منها فوقها المجد أسهما

وقال ابن الساعاتى

ولكم رميت حشا الفلاة بأسهم * بعثت حنايا اينق وركائب
من كل منتصب وآخر ساجد * وسناكما اختلقت أنامل حاسب

قلت هذا التشبيه فى غاية الحسن لان أنامل الحاسب واحدة ترتفع وأخرى تنخفض وكذا الركب فى وقت السرى اذا غلب عليهم النعاس ترى هذا قد هوى بعد ما ارتفع وهذا قد انتصب بعد ما هوى وقال الشريف الرضى

هن القسى من النحول فان سما * طلب فهن من النجاء الاسهم

قال الثعالبى هذا ما أراه سبق اليه لانه جمع بين القسى والاسهم اه ويعجبنى قول ابن حديس الصقلى

قلاص حناهن المزال كانها * حنيات نبع فى أكف جواذب

فطلبنى فهربت الى واد بصنعاء فأقمت زمانا فسمعت أعرابيا يقول لآخر قدمات الحجاج فقال الاعرابى ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال فلم أدر باى شئ كنت أشد فرحا أبموت الحجاج أم بسماع البيت استشهد به على القراءة (وحكى) بعض القراء قال قرأ الحجاج فى سورة هود انه عمل غير صالح فلم يدر ايقول عمل أم عمل فقال ائتونى بقارئ فاتى بى وقد قام من مجلسه فحبست ونسينى الحجاج حتى عرض السجن بعد ستة أشهر فلما انتهى الى قال فيم حبست فقلت فى ابن نوح أصلح الله الامير فضحك وأطلقنى وحكى أنه أراد سفرا فصعد المنبر فقال انى قد عزمت على السفر وخلفت عليكم ابنى محمدا وأوصيته خلاف ما أوصى به العبد الصالح أن لا يتقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الا وانى أعلم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة ألا وانى معجل لكم الصواب بالجواب فاقول لا أحسن الله عليكم الخلافة * وحدث رجل قال هربت من الحجاج حتى مررت بقرية فاجد كلبا نائما فى ظل حب فقلت فى نفسى ليتنى كنت الكلب وكنت

اذا أوردت من زرقة الماء أعينا * وقفن على ارجائها كالحواجب

أخذه الآخر فقال

وقفر شكا فيه جوادى من الظما * ولم ألق فيه مهملا غير ناضب

كان الفيافى أقسمت لا تدله * على عين ماء أو ترى مثل حاجب

وقال التهامى

وعصابة مال الكرى برؤسهم * ميل الصبا بذوائب الاغصان

قلت ما أحلى قوله عصابة ورؤس وذوائب تكاد ترقص بهذا المعنى الالفاظ والسطور وتحلى بدرره الترائب من الغوانى والنحور وما أعلم مثله فى بديع صناعته غير قول أبى الطيب

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل فى صدره وبل

فانه ناسب فيه بين السابح والموج والوبل ثم ان سابحا هنا مثل قول التهامى وعصابة فى أن كلا من اللفظين يخدم فى معنيين اما عصابة فأحد معنييها فى البيت الرفقة مع قطع النظر عن بقية البيت واذا لمح الرؤس والذوائب كان معناها الثانى ما يشد به الرأس وكذلك سابح أحد معنييه الفرس والثانى اسم فاعل من سبح ولقد تعجبت من هذين البيتين وحسنهما واتقان البديع فيهما وهما اللذان أمنا أن يعزا بثالث لاما ادعاه الحريرى فيما رواه عن الحارث والبيتان اللذان للحريرى هما قوله

سم سمة تحمد آثارها * واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكرمات اسطعت لا تأته * لتقتنى السودد والمكرمه

ولقد رأيت عدة مقاطيع قد نظمها الشعراء فى هذا النمط لما ادعى الحريرى هذه الدعوى فيهما ومن أحسن ما علق بذهنى من تلك المقاطيع قول القائل

ملأمة الوقعاء يوم الوغى * أحسن من حرأتى ملأمه

فمه اذا استجديت عن قول لا * فالحر لا يملأ منها فمه

وقول الآخر

والمس لمهوى الضيف جزل القرى * واصفح عن المسلم والمسلمه

والمهر مهما اسطعت لا تعله * فانه مهما علا مهرمه

وللصاغانى مجلدة فى معارضة البيتين رواها الشيخ شرف الدين الدمياطى عنه (رجع) وفى بيت الطغرائى من البديع الجمع مع التقسيم لانه جمعهم فى ميل على الاكوار ثم قسمهم فقال منهم من مال من التعب ومنهم من مال من النعاس ومن أمثله هذا النوع قول أبى الطيب

حتى أقام على أرباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع

للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وأحسن من هذا قوله صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فأمضيت وقيل فأبقيت * ووقف اعرابى على حلقة الحسن رضى الله عنه فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك الرجل منكم أحدا حتى عمه بالمسئلة ومن المجون قول من قال

مستريحا من خوف الحجاج
ومررت ثم عدت من ساعتى
فاجد الكلب مقتولا
فسالت عنه فقيل جاء أمر
الحجاج بقتل الكلاب
فعجبت من عموم جوره
* وأما حلمه فحكى عنه انه
خرج يوما الى ظاهر الكوفة
منفردا فرأى رجلا فقال
ما تقول فى أميركم قال الحجاج
قال نعم قال زعموا أنه من ثمود
وكفى بسوء سيرته شرا فعليه
لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين فقال الحجاج أتعرفنى
قال لا قال أنا الحجاج فقال
الرجل أتعرفنى أيها الامير
قال لا قال أنا مولى بنى عامر
اجن فى الشهر ثلاث مرات
هذا اليوم أشد الصرع على
فضحك من قوله وصفح
عنه * وأتى بقوم من أصحاب
ابن الاشعث فامر بضرب
أعناقهم فقام رجل فقال
أيها الامير ان لى عندك يدا
قال وما هى قال شتمك
رجل بحضرة ابن الاشعث
فرددت عنك فقال من يشهد
لك فاشار هذا وأشار بيده
الى رجل منهم فقال صدق
أيها الامير فقال ما منعك
أن تفعل كما فعل قال
بغضى لك فقال الحجاج أطلقوا
هذا لبغضه عندنا وهذا لصدقه
فى مثل هذا الوقت * وقال يوما
لاحمد بن يونس ف
أمرك فوجدت دم

وبديع الجمال معتدل القا * مة كالغصن حنّ قلبى اليه
أشتهى أن يكون عندى وفى بيـ * ـتى وبعضى فيـ * ـه وكلى عليه

وقرأت على القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود رحمه الله قوله فى كتابه حسن التوسل

وانى لفى نظرى نحوها * وقد ودعتنى قبيل الفراق
ولا صبر لى فأطيق النوى * ولا طمع ان نأت فى التلاق
ولا أمل يرتجى فى الرجوع * ولا حكم فى رد تلك النياق
كمضنى يودع روحا غدت * يراها على رغمه فى السياق

وقال أبو تمام فى الافشين لما أحرق

نار يساور جسمه من حرها * لهب كما عصفرت شق ازار
طارت له شعل يهدم لفحها * أركانه هدما بغير غبار
فصلان منه كل مجمع مفصل * وفعلان فاقرة بكل فقار
صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار
وكذاك أهل النار فى الدنيا هم * يوم القيامة جل أهل النار

الشاهد فى قوله صلى لها البيت قلت هذا الافشين كان أيام الخليفة المعتصم قائد الجيوش وله صولة عظيمة عند المعتصم ثم انه شق العصا وخرج عليه وعلى الاسلام وكان موصوفا بالنجدة والشجاعة والرأى والخبرة ولما قبض عليه وعلى مازيار ومو بذان السغد أحضروا بين يدى الوزير ابن الزيات وأحضر رجلان عريانان فاذا جنوبهما عارية من اللحم وكان اسم الافشين خيذر والافشين لقب لكل من ملك أشروسنة فقال له الوزير ياخيذر أتعرف هذين قال نعم هذا مؤذن وهذا امام مسجد بنياه باشروسنة ضربت كلا منهما ألف سوط لانه كان بينى وبين ملوك السغد عهد أن أترك كل قوم على دينهم وكانا قد وثبا على بيت أصنام فأخرجاها منه وعملاه مسجدا فقال له الوزير فما الكتاب الذى عندك قد زخرفته ورصعته بالجواهر وجعلته فى الديباج وفيه الكفر بالله قال هذا كتاب ورثته عن آبائى فيه آداب وحكم من نمط كليله ودمنه آخذ منه الآداب وأدع ماسواه فقال للمو بذان ماتقول فى هذا قال هذا يأكل المخنوقة ويأمرنى بها ويقول لحمها أرطب من المذبوحة وقال انى قد دخلت لهؤلاء القوم فى كل ما أكره حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل غير أنى الى هذا العام لم يسقط عنى شعر يعنى عانته ثم ان المو بذان بعد هذا أسلم على يد المتوكل ثم قال له المو بذان يا أفشين كيف يكتب اليك أهل مملكتك قال كما كانوا يكتبون الى أبى وجدى ما تفسيره بالعربية الى اله الآلهة من عبيده قال ابن الزيات ما أبقيت لفرعون قال خفت أن يفسدوا على بتغيير ما عهدوه وقدم مازيار فقالوا للافشين هل كاتبت هذا قال لا قال مازيار كتب الى أخوه على لسانه انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيرى وغيرك وغير بابك فاما بابك فقد قتل نفسه بحمقه فان خالفت لم يكن للخليفة من يقوم بحربك غيرى ومعى الفرسان وأهل النجدة فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثة العرب والمغاربة والاتراك أما العرب فكالكلب اطرح له كسرة ثم اضربه بالدبوس وأما المغاربة الذئاب فانهم أكلة رؤس غنم وأما الاتراك فانما هى ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تحول عليهم جولة فتأتى على آخرهم ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم فقال الافشين هذا يدعى على أخى ولو كنت

حلالا فقال أيها الامير أشد
ما فى القضية أن هذا الرأى
بعد الفكر فضحك وعفا عنه
وكان عنده يوما بعض ندمائه
وقد أدركته سنة فعطس
النديم عطسة منكرة ففزع
الحجاج وقام منكرا مغضبا
وقال ما أردت بهذه العطسة
الا أن تروعنى فقال أيها الامير
والله هذه عادتى فقال والله
ان لم تأتنى بشاهد على ذلك
والا ضربت عنقك فخرج
الرجل فوجد بعض أصحابه
فقص عليه الامر فقال أنا
أشهد لك فدخلا على الحجاج
فقال لصاحبه بم تشهد فقال
أيها الامير أشهد بانه عطس
يوما عطسة وقع منها ضرسه
فضحك الحجاج حتى استلقى
فقال حسبك وأمر بهما
فأخرجا وكان قليل الضحك
الا أن يغلب عن نفسه
* وأما فصاحته و بلاغته
فهى خطبته المشهورة المطولة
مثل يوم دير الجماجم وغيره
وفصوله الموجزة فى المكاتبات
وعلى المنابر قال مالك بن دينار
والله لربما رأيت الحجاج
يتكلم على المنبر ويذكر
حسن صنعه الى أهل العراق
وسوء صنعهم له حتى يخيل لى
أنه مظلوم وقال الحسن
البصرى لقد وقذتنى كلمة
سمعتها من الحجاج يقول
على هذه الاعواد ان امرأ
يذهب ساعة من عمره فى

كتبت اليه لم أنكره لانى اذا نصرت أمير المؤمنين بيدى كنت أنصره بالحيلة أحرى لآخذ برقبته هذا فزجره ابن أبى دواد وقال أمختون أنت قال لا قال سامنعك قال خفت التلف قال أتتلقى الحروب وتخاف من قطع قلفتك قال تلك ضرورة أتصبر عليها وأما القلفة فلا ولا أخرج بها من الاسلام فقال القاضى قد بان لكم أمره فرد الى الحبس ومنع من الطعام والشراب الى أن مات وصلب وأحرق بالنار وهذا اللعين أخزاه الله تعالى أخذ بغتة بغير تعب ويليق به أن يدخل فى قوله تعالى ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين بل هو أشد حالة من أصحاب سقر فانه ضرب من عمر مسجدا وأذن وصلى ألف سوط وشق عصا المسلمين وغدر بمن وثق به وخان العهود والأيمان ونكث بمن خوله النعم وحكمه على البلاد والجيوش وأراد اطفاء نور الاسلام واظهار عبادة النار وخوطب بالالوهية

الرود راوزى لم تلومه * وما أتى فى فعله ببدعه
هل ناك الا مه فى دبرها * فى الظهر من رمضان يوم الجمعه

لو اتفق لهذا الناظم أن يذكر أن وقوع الفعل كان فى مكة شرفها الله تعالى لما كان فات ذاك شيء من الخزى * قيل ان بعضهم كان واقفا بعرفة فرأى انسانا يتضرع وينتحب ويبالغ فى الدعاء ويقول بتحرق وتوجع اللهم اغفر لى فقال له يا أخى ان الله تعالى قد من على عباده فى هذا اليوم وغفر لاهل عرفة فقال يا أخى دعنى فان ذنبى عظيم فقال له هل قتلت أحدا والديك قال لا قال هل وطئت أحدا من محارمك قال لا قال فهل كفرت قال لا قال هل دللت على سرية من سرايا المسلمين قال لا وأخذ يعدد عليه كبائر الذنوب وهو يقول لا قال فما الذى أتيت قال نكت خنزيرة قال الامر سهل ان الله يغفر الذنوب جميعا ولكن أخبرنى كيف وقفت لك حتى فعلت قال كانت ميتة قال فكيف قام عليك قال مصصت لسانها فقال لا غفر الله لك ولا تجاوز عنك يا أخس العالم وهذا الافشين كان المعتصم قد جهزه لمحاربة بابك الخرمى لانه أخاف الاسلام وتغلب على أذربيجان وأراد اظهار ملة المجوس وظهر فى أيامه مازيار المذكور القائم بملة المجوس بطبرستان فعظم شانه وكان المعتصم قد بعث اليه فى أول سنة اثنتين وعشرين ومائتين القواد قائدا بعد قائد وفى كل ذلك يهزم بابك الجيوش ويقتل الابطال حتى بعث اليه بالافشين وأطلق يده فى الولايات وعقد له لواء على أرمينية وما فتحه من البلاد فاختار الافشين من الجند ما أراد ولم يزل يدبر على بابك الحيلة ويطاوله حتى أمكنته الفرصة فهرب بابك وأخذ أخوه وقرابته وكان بابك قد اختفى بعد هروبه فى غيضة ثم خرج منها فالتقى بسهل البطريق فخباه عنده وبعث الى الافشين يخبره فجاء أصحابه اليه وأخذوه وأخذوه وكان المعتصم قد جعل لمن أحضره حيا ألفى ألف درهم ولمن أحضره ميتا ألف ألف درهم فأمر لسهل بالفى ألف درهم وحط عنه خراج عشرين سنة ولما أحضر ليلا أمكن المعتصم الصبر الى بكرة النهار فاختفى فى لباس غريب وتوجه اليه حتى أبصره وكان من شدة تطلعه الى أخباره قد رتب البريد فى منازل قريبة حتى كانت تأتيه الاخبار من مسيرة شهر ونصف فى يوم ونصف ثم ان المعتصم أرسل ثلاث بقتل بابك وأخيه واحراقهما فاركبوا بابك فيلا مخضوبا بالحناء وألبسوه قباء ديباج وقلنسوة سمور مثل الشربوش وطافوا به ثم قطعت أربعته ثم رأسه ولما قطعت يده

غير ما خلق له لجدير أن
تطول حسرته * وخطب
يوما فقال أيها الناس اقذعوا
هذه الانفس فانها أسأل شيء
اذا اعطيت وأعطى شيء اذا
سئلت فرحم الله امرأ جعل
لنفسه خطاما وزماما فقادها
بخطامها الى طاعة الله
وعطفها بزمامها عن معصية
الله فانى رأيت الصبر عن
محارمه أيسر من الصبر على
عذابه * وبلغه وفاة أخيه
وابنه فصعد المنبر فقال
محمد ان فى يوم أما والله ما كنت
أحب أن يكونا معى فى الدنيا
بما أرجو لهما من ثواب
الآخرة وايم الله فيوشك
الباقى منا ومنكم أن يفنى
والجديد أن يبلى وستدال
الارض منا لتأكل من لحومنا
وتشرب من دمائنا كما أكلنا
من ثمارها وشربنا من
أنهارها * وخطب يوما فقال
ان الله أمرنا بالعمل وكفانا
الرزق فليتنا لو أمرنا بالرزق
وكفينا العمل * وقال أيها الناس
والله ما أحب أن ما مضى من
الدنيا بعما منى هذه ولما
بقى منها أشبه بما مضى من
الماء بالماء * ولما قتل عبد
الله بن الزبير ارتجت مكة
بالبكاء فصعد الحجاج المنبر
فقال الا ان ابن الزبير كان من
أحبار هذه الامة حتى
رغب فى الخلافة ونازع فيها
وخلع طاعة الله واستكن

بحرم الله ولو كان شيأ ما نعا
للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة
لان الله تعالى خلقه بيده
وأسجد له ملائكته وأباحه
جنته فلما عصاه أخرجه منها
بخطيئته وآدم على الله أكرم
من ابن الزبير والجنة أعظم
حرمة من الكعبة * وخطب
يوما فقال أيها الناس من
ادعى داءه فعندى دواؤه
ومن ثقل عليه رأسه وضعت
عنه ثقله ان للشيطان طيفا
وللسلطان سيفا فمن وضعه
ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه
العافية لم تضق عنه الهلكة
وأرجف قوم بموته فخرج
متحاملا حتى صعد المنبر فقال
الا ان أهل العراق أهل
النفاق نفخ الشيطان فى
مناخرهم فقالوا مات الحجاج
وان مت فيه والله ما يرجى
الخير الا بعد الموت ومارضى
الله تعالى ذكره بالتخليد لاحد
من خلقه الا لاخسهم
وأهونهم عليه وهو ابليس
لعنه الله ولقد سأل سليمان
يوما ربه فقال رب هب لى ملكا
لا ينبغى لاحد من بعدى
ففعل ثم اضمحل كأن لم يكن
أستغفر الله لامير المؤمنين
ولى وللمسلمين ثم نزل وكتب
الى قتيبة بن مسلم انى نظرت

دللت بدمها وجهه فقيل له لاى شئ فعلت هذا قال حتى لا تروا وجهى مصفرا اذا نزف دمى فيظن
انى خفت من الموت فقال المعتصم لولا أن جنايته لا توجب الصنيعة لكان أهلا للاستبقاء وقال
له أحوه يا بابك فعلت ما لم يفعله أحد فاصبر صبر الم يصبره أحد فقال سوف ترى وفعل ما فعل
بهما ثم أحرقا فلم يتأوها قط قيل انه قتل مائة وخمسين ألفا * قلت رحم الله المعتصم فلقد كان
ذا عزم ومروءة وعصبية لهذا الدين القيم بلغه وهو فى مجلس شرابه أن امرأة هاشمية عند بعض
نصارى عمورية وأن نصرانيا من البطارقة لطمها على وجهها فقالت وامعتصماه فقال
النصرانى ما يجىء اليك الا على الابلق فيقال انه ختم الكاس التى كانت فى يده واقسم لا
يشربها حتى يفك الهاشمية من الاسر ونادى فى عسكره ان يجتهد وافى ركوب الخيل البلق
فيقال انه توجه الى عمورية فى سبعين ألف أبلق ولم يزل يجده واجتهاده حتى فتح عمورية وتطلب
تلك الهاشمية بعينها فلما حضرت قال لها لبيك لبيك وطلب تلك الكاس المختومة وشربها
وصار ركوب الابلق مثلا * وما أحسن قول كمال الدين بن النبيه فى زجل يمدح به الاشرف
موسى من جملته

هات ياساقى الحميا * ان نجم الليل غرب
من يكون البدر ساقيه * كيف لا يشرب ويطرب
أنت والاوتار والكاس * للهموم دوا مجرب
لا تخاف الصبح يهجم * دع يجى ويركب أبلق

ونقلت أنا هذا الى العذار فقلت من جملة زجل

يا فؤادى لا تحول * عن هوى ذا الظبى الاحور
اياك أن يطغيك لائم * قال كنك بوتعذر
ماترى كافور خدو * وعليه الخال عنبر
لا تخف صولة عذارو * دع يجى ويركب أبلق

* (فقلت أدعوك للعلى لتنصرنى * وأنت تخذلنى فى الحادث الجلل) *

(اللغة) دعوت فلانا اذا صحت به (الجلى) الامر العظيم وجمعها جلل مثل كبرى وكبر قال جرير

وان دعوت الى جلى ومكرمة * يوما كرام من الاقوام فادعينا

(النصرة) ضد الخذلان فى الحروب وغيرها وهى الاعانة على ما أهم وفى الحديث انصر أخاك
ظالما أو مظلوما وسيأتى الكلام على ذلك خذلته أخذله خذلانا اذا تركت عونه ونصرته
(الحادث) الجلل الواقع العظيم من الدهر قال الشاعر

ولئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لموهن عظمى

والجلل أيضا الهين فهو من الاضداد قال امرؤ القيس لما قتل أبوه الا كل شئ ماسواه جلل
والمراد به هنا فى كلام الطغرائى الواقع العظيم * ومن الاضداد غابر للذاهب والآتى
والجون للابيض والاسود والبين للبعد والقرب والصريم الليل والنهار والناصع
الابيض والاسود والاهم للعظيم واليسير والناهل للريان والظمآن ووراء بمعنى قدام
وخلف وبعت الشئ اذا بعته من غيرك وبعته اشتريته وشعبت الشئ أصلحته وشققته
والصارخ للمستغيث والمغيث والهاجد للمصلى بالليل والنائم والوهدة الارتفاع والانحدار

والتعزير

والتعزير للاكرام والاهانة والتقريظ للمدح والذم وترب للغنى والفقير والاهمال للسرعة فى السير والاقامة ٣ والحناديد للخصيان والفحول وعسعس اذا أقبل واذا أدبر والقرء للحيض والطهر ومذهب الشافعى انه للطهر فقط روى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة والفقهاء السبعة ومالك وربيعة وأحمد رضى الله عنهم وقال على وعمر وابن مسعود وأبو حنيفة والثورى والاوزاعى وابن أبى ليلى وابن شبرمة واسحق رضى الله عنهم انه الحيض وثمرة معرفة هذا الخلاف ان مدة العدة عند الشافعى رضى الله عنه ومن تابعه أقصر وعند الباقين أطول حتى لو طلقها فى حال الطهر حسبت بقية الطهر قرأ وان حاضت عقيبه فى الحال فاذا شرعت فى الحيضة الثالثة انقضت عدتها وان طلقها فى حال الحيض فاذا شرعت فى الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعند أبى حنيفة ومن تابعه فالم تطهر من الحيضة الثالثة ومن الحيضة الرابعة ان كان الطلاق فى حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم ان قالت طهرت لا كثر الحيض تنقضى عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء أو يمضى عليها وقت صلاة ومن حجج الشافعى على مذهبه أن الطلاق فى زمن الحيض منهى عنه فوجب أن يكون زمان العدة غير زمان الحيض وقول عائشة رضى الله عنها أتدرون ما الاقراء الاطهار ولان الاصل أن لا يكون لاحد على أحد منع من التصرفات فاذا جاء أمر بخلاف الاصل كان الزمن الاقل أولى من الاطول والاطهار أقل فالقول بان القرء هو الطهر أولى ومن حجج أبى حنيفة على مذهبه قوله صلى الله عليه وسلم دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان واجمعوا على أن عدة الامة نصف عدة الحرة فوجب أن الحرة تعتد بالحيضات والاجماع على أن استبراء الرحم فى الجوارى المشتريات بالحيضة فكذلك العدة للحرة لان شرع العدة لاستبراء الرحم وأهل اللغة مختلفون فى القرء ما هو قال أبو عبيدة قيل هو من الاضداد وقيل انه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض وقال قوم هو حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقال آخرون بالعكس وقال آخرون هو موضوع بحسب معنى واحد مشترك بين الحيض والطهر والقائلون بهذا القول اختلفوا على ثلاثة أقوال الاول أن القرء هو الاجتماع ثم فى وقت الطهر يجتمع الدم فى البدن وهو قول الاصمعى والاخفش والفراء والكسائى والقول الثانى قول أبى عبيدة انه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة والثالث وهو قول أبى عمرو ابن العلاء ان القرء هو الوقت يقال اقرأت النجوم اذا طلعت واقرأت اذا افلت ويقال هذا قرء الرياح لوقت هبوبها فاذا ثبت ان القرء هو الوقت دخل فيه الحيض والطهر لان لكل واحد منهما وقتا معينا ومافى ربع العبادات اصعب من مسائل باب الحيض والتيمم ولما اجتاز نجم الدين البادرانى بالموصل رسولا الى حلب سنة سبع واربعين وستمائة سأل الفقهاء الذين بها عن هذه المسئلة نظما

أيا فقهاء العصر هل من مخبر * عن امرأة حلت لصاحبها عقدا
اذا طلقت بعد الدخول تربصت * ثلاثة اقراء حددن لها حدا
وان مات عنها زوجها فاعتدادها * بقرء من الاقراء تاتى به فردا

فاجاب عن ذلك تاج الدين بن يونس بقوله

فى سنى فاذا أنا قد بلغت خمسين سنة وأنت نحومنى فى السن وان امرأة قد سار نحو خمسين حجة الى مورد لقمن أن يورده ولما حضرته الوفاة كان يقول اللهم اغفر لى فان الناس يزعمون انك لا تفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين وهى مدينته التى انشاها وكان يوم موته عرس العراق ولم يعلم بموته حتى أشرفت جارية من القصر وهى تبكى وتقول ألا ان مطعم الطعام ومفلق الهام قد مات ثم دفن فسمع جر السلاسل من قبره فقال كاتبه رحمك الله أبا محمد ما تدع قراءة القرآن حيا ولا ميتا فضحك الناس من قوله ووقف رجل من أهل دمشق على قبره فقال اللهم لا تحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل بالطلاق الثلاث من زوجته أن الحجاج من أهل النار فاستفتى طاوس فقال يغفر الله لمن يشاء وما أظنها الا طلقت ويقال انه استفتى الحسن البصرى فقال اذهب الى زوجتك وكن معها فان لم يكن الحجاج فى النار فما يضرك أنكما فى متعة الحرام

وكناه هدنا النجم يهدى بنوره * فاباله قدابهم العلم الفردا
سألت فخذعنى فتلك لقيطة * اقرّت برق بعدان نكحت عمدا

(الاعراب) فقلت الفاء للتعقيب اى عقبت طرد الكرى عنه بقولى والمعنى فالتفت الى فقلت له أوفلم يلتفت الى فقلت له وما احسن الفاء التى تكررت فى قول الشنفرى

بعينى من امست فبانت فاصبحت * فقضت أمورا فاستقلت فولت

وابيات ابى ذؤيب الهذلى التى يصف فيها حمر الوحش والصائد على حرف العين المرفوعة أيضا فى هذا الباب مليحة الى الغاية ومن ألطف ماوجدته فى هذا الباب قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للعاشقين بأحكام الغرام رضا * فلاتكن ياقفى بالعذل معترضا
روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا * عهد الوفى الذى للعهد ما نقضا
قف واستمع راحما أخبار من قتلوا * فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى لحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فأعيا نيله فقضى

وظرف نور الدين الاسعردى فى قوله

وأغن كم فى جفنه من قاضب * وقوامه فى لينه كقضيب
لاقيته متبسما من بعدما * قد كنت لاألقاه غير قطوب
أسقيته راحى فنام فنكته * والفاء فى الحالين للتعقيب

أورد ابن الاثير فى المثل السائر قوله تعالى فحملته فانتبذت به الآيتين وقال فى هاتين الآيتين دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذى مضت اليه والمخاض الذى هو الطلق بالفاء وهى للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التى للتراخى والمهلة ألاترى أنه قد جاء فى الآى الاخر قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره فلما كان بين تقديره فى البطن واخراجه منه مدة متراخية عطف ذلك بثم * قال ابن أبى الحديد فى الفلك الدائر الفاء ليست للفور بل هى للتعقيب على حسب مايصح اما عقلا أو عادة ولهذا صح ان يقال دخلت البصرة فبغداد وان كان بينهما زمان كثير لكن تعقب دخول هذه دخول تلك على مايمكن بمعنى أنه لم يمكث بواسط مثلا سنة أو مدة طويلة بل طوى المنازل بعد البصرة ولم يقم بواحدة منها اقامة يخرج بها عن حد السفر الى أن دخل بغداد وهذا الذى يقوله أهل اللغة وأهل الاصول وليست الفاء للفور الحقيقى الذى معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولازمان كما توهمه هذا الرجل ألاترى الى قوله تعالى لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب فان العذاب متراخ عن الافتراء فلا يدل قوله تعالى فى قصة مريم على ان الحمل والمخاض كانا فى يوم واحد اه (قلت) بحث ابن أبى الحديد متجه والذى قاله ابن الاثير ضعيف وقد اختلف المفسرون فى مدة حملها فقال ابن عباس رضى الله عنهما تسعة أشهر كما فى سائر النساء وقال عطاء وأبو العالية والضحاك سبعة أشهر وقال غيرهم ثمانية أشهر ولم يعش مولود يوضع لثمانية أشهر الا عيسى عليه السلام وقال آخرون ستة أشهر وقال آخرون ثلاث ساعات حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة وروى ابن عباس رضى الله عنهما أن مدة الحمل كانت ساعة قال الامام فخر الدين

الرازى

(وقتيبة فتح ماوراء النهر بسعدك)

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلى وكنيته أبو صالح نشأ فى الدولة المروانية وترقى وولى الامارة وفتح الفتوحات العظيمة وعبر الى ماوراء النهر مرارا وابلى فى الكفار * وكان شجاعا جوادا دمث الاخلاق فطنا ولم يكن يعاب الا بانه باهلى وكان أصحابه يمازحونه بذلك ويحتملون ويحلم (حكى) أبو عبيدة قال قدم رجل من بنى سلول على قتيبة بن مسلم بكتاب عامله على الرى وهو المعلى الحمارى فرآه على الباب قدامة بن جعفر وكان صديقا لقتيبة كثير الادلال عليه فدخل على قتيبة فقال يبابك ألأم العرب فقال ومن هو قال سلولى رسول محاربى الى باهلى فتبسم قتيبة تبسم غيظ والتفت الى مرداس الاسدى وقال أنشدنى شعر الاقيشر ففهم مرداس مراده فانشده شعر الاقيشر فيه تعريض بقدامة يقول

قلت قم صلى فصلى قاعدا
يتغشاه سماد بر السكر

فتغير وجه قدامة فقال قتيبة هذه بتلك والبادى أظلم * ويروى انه مازح اعرابيا جافيا فقال أيسرك ان تكون مثلى باهليا أميرا

الرازى ويمكن الاستدلال له بوجهين وذكر فى الاول ماقاله ابن الاثير وذكر فى الثانى أن الله تعالى قال فى وصفه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت ان عيسى عليه السلام لما قال الله له كن كان وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل انما تعقل تلك المدة فى حق من يتولد من النطفة اه وقال الامام فخر الدين فى الطب الكبير قد عرفت أن الشهر السابع أول شهر يولد فيه الجنين الذى تكون خلقته قوية وزمان تكوينه سريعا وزمان طلبه للخروج سريعا وكثيرا ما يموت المولودون فى هذه المدة لانهم يقاسون حركات شديدة فى ضعف من الخلقة فان مثل هذا المولود وان كان قويا فى الاصل لكنه قريب العهد بالتكون فاما المولود فى الشهر الثامن فهو أكثر المولودين هلاكا وبقاؤه حينا ما نادر جدا فان كان أنثى فبقاؤها أندر فان كان فى البلاد الحارة فاندر والسبب فيه أنه لا يخلو حالهم اما أن يكونوا تأخروا فى تمام الخلق وطلب الانفصال الى هذا الوقت فهذا يدل على أن قوتهم ما كانت قوية فى الاصل فلما حاولوا حركة الانفصال فى أول عهد الاستتمام وقبل كماله ضعفوا أكثر من ضعف من يحاول الانفصال فى آخر عهد الاستتمام وكانت قوته قوية فى الاصل كالمولودين فى السابع فان لم يكونوا كذلك كانت خلقتهم قوية وحركتهم سريعة وطلبهم الانفصال من الام سريعا فيكون مثل هذا الجنين قد رام الانفصال فى الشهر السابع وعجز عنه فحينئذ عرض له ما يعرض للضعيف الذى حاول الحركات المخلصة ثم عجز عنها من الاعياء والضعف فيمرض لا محالة وتضعف قوته وتنحل فاذا ولد فى الشهر الثامن فقد تولى عليه سببان موجبان للضعف فلا جرم أنه يموت وأما اذا ولد فى الشهر التاسع فقد تخلله بين هذين الزمانين زمان طويل زال عنه فيه أثر الضعف فلا جرم أنه يعيش واعلم أن كثيرا ممن يولد فى العاشر يكون قد عرض له محاولة الانفصال فى التاسع فلم يتيسر له وعرض له ما يعرض فى الثامن وقليلا ما يتفق طلب الانفصال فى التاسع ثم يمتد الانتعاش الى العاشر وأما المنجمون فقالوا الجنين يكون فى الشهر الاول فى تدبير زحل وفى الثانى فى تدبير المشترى وهكذا حتى يكون فى السابع فى تدبير القمر فان ولد فيه عاش لان خلقته قد تمت واستوفت طبائع الكواكب وقواها واما الشهر الثامن فان زحل يتولاه ثانيا فيستولى عليه البرد والجمود والضعف فان ولد فيه مات وأما التاسع فيتولاه المشترى فيكسب المولود قوة وحرارة وصلاح حال فاذا ولد عاش وأما العاشر فيتولاه المريخ فلا جرم أن يكون الامر كما ذكرنا اه (قلت) كل من الطبيعيين والمنجمين علموا عدم حياة المولود فى الثامن بما ذكروه على ما هو جار على قواعدهم المقررة عندهم وأما كونه تحرك فى هذا الوقت المخصوص دون غيره وطلب الانفصال فلم يعلموه ولكن هذا من الادلة على القول بان الفاعل المختار سبحانه وتعالى فعال لما يريد وفى قوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم رد عظيم على الطبيعيين وأرباب الهيئة والمنجمين ومذهب الشافعية ان أكثر مدة الحمل أربع سنين وأقله ستة أشهر وقد ولد الضحاك بن مزاحم ستة عشر شهرا وشعبة ولد لسنتين وهرم بن سنان ولد لاربع سنين ولذلك سمى هرما ومالك ابن أنس حمل به أكثر من ثلاث سنين والحجاج بن يوسف ولد لثلاثين شهرا يقال انه كان يقول أذكر ليلة ميلادى ويقال ان عبد الملك بن مروان حمل به ستة أشهر والشافعى حمل به أربع سنين أو أقل والحنفية يقولون للشافعية فى بسطهم ما جسرا ما مكم أن يظهر الى الوجود حتى توفى

فقال لا والله قال فتكون
يا هليا خليفة فقال لا والله
ولو أن لى ما طلعت عليه الشمس
قال فيسرك أن تكون
يا هليا وتكون فى الجنة
فاطرق ثم قال بشرط أن
لا يعلم أهل الجنة أنى يا هلى
فضحك قتيبة من قوله
*وكان قتيبة من أكبر
الامراء المنتمين الى الحجاج
وهو الذى كاتب عبد الملك
ابن مروان فى أمره حتى ولاه
خراسان وذلك أن يزيد بن
المهلب كان قد ولى خراسان
بعد أبيه وظهرت مناقبه
وعظمت آثاره فحسده الحجاج
وعمل على عزله وتولية قتيبة
وكان مما أكد أمر يزيد عنده
ان الحجاج وفد على عبد
الملك ثم عاد الى العراق فمر
فى طريقه ببدير فيه راهب عالم
بالكتب وعلوم الاول فسأله
هل تجدون أمورنا فى كتبكم
قال نعم قال ما تقول فى عبد
الملك قال نجده فى زماننا
الذى نحن فيه قال ومن
يقوم بعده قال رجل يسمى
الوليد قال فهل تعلم ما الى
قال نعم قال فمن يليه قال يزيد
قال فى حياتى أم بعد مماتى
قال لا أعلم فوقع فى نفس
الحجاج انه يزيد بن المهلب ثم
جلس يوما يفكر وعنده عبيد
ابن يونس وهو ينكت فى
الارض فقال له ما الذى بك
قال ان أهل الكتب يذكرون

امامنا ويحييهم الشافعية بقولهم بل امامكم ما ثبت لظهور امامنا * ويحكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أتى اليه رجل وقال انى تزوجت جارية بكرا ولم أر بها ريبة ثم انها أتت بولد لستة أشهر فقال الولد لك قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وعن عمر رضى الله عنه أنه جىء له بامرأة وضعت لستة أشهر فشاور فى رجمها فقال ابن عباس رضى الله عنهما ان خاصمتكم بكتاب الله خصمتكم ثم ذكر هاتين الآيتين فكأنما أيقظهم (رجع) والفاء أصل وضعها للترتيب المتصل والترتيب على ضربين ترتيب فى المعنى وترتيب فى الذكر والمراد بالترتيب فى المعنى ان يكون المعطوف بها لاحقا متصلا بلا مهلة كقوله تعالى خلقك فسوّاك والاكثر كون المعطوف بها متسببا عما قبله كقولك أملته فمال وأقمته فقام وأما الترتيب فى الذكر فنوعان أحدهما عطف مفصل على مجمل هو هو فى المعنى كقولك توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه ومنه قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى الآية والثانى عطف لمجرد المشاركة فى الحكم بحيث يحسن بالواو كقول امرئ القيس بين الدخول فحومل وتختص الفاء بعطف ما لا يصلح كونه صلة على ما هو صلة كقولك الذى يطير فيغضب زيد الذباب فلو جعلت موضع الفاء واوا أو غيرها فقلت الذى يطير ويغضب زيد أو ثم يغضب زيد الذباب لم تجز المسئلة لان يغضب زيد جملة لا عائد فيها على الذى فلا يصلح أن يعطف على الصلة لان شرط ما يعطف على الصلة أن يصلح وقوعه صلة فان كان العطف بالفاء لم يشترط ذلك لانها تجعل ما بعدها مع ما قبلها فى حكم جملة واحدة لاشعارها بالسببية كما قلت الذى ان يطر يغضب زيد الذباب وقد تقع ثم موقع الفاء كقول الشاعر

كهز الردينى تحت العجاج * جرى فى الأنابيب ثم اضطرب

وقد يعطف بالفاء متراخيا كقوله تعالى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى اما التقدير متصل قبله واما لحمل الفاء على ثم اه كلام بدر الدين بن مالك قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس وقد أورد على كون الفاء للتعقيب والترتيب قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها باسنا وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وبهذه الآية أخذ داود الظاهرى فى كون الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة ولا دليل فى ذلك لان تقدير الكلام والله أعلم فاذا أردت القراءة فاستعذ بالله وأما الجواب عن الآية الاولى فيجوز ان تكون الارادة محذوفة فيها أيضا كما كانت محذوفة فى الاخرى وتقديره والله أعلم وكم من قرية أردنا اهلاكها وقد أجيب بجواب آخر وهو ان معنى قوله فجاءها باسنا حكم بمجىء البأس فالحكم متأخر عن الاهلاك فالفاء على بابها اه (قلت) قد تحذف الفاء مع المعطوف بها اذا أمن اللبس وكذلك الواو فمن حذف الفاء قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم التقدير فامتثلتم فتاب عليكم وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر معناه فافطر فعليه عدة ومن هذا الباب هذا البيت لانه يقدر طردت عنه الكرى فلم يلتفت الى فقلت له أدعوك وهذه الفاء العاطفة على الجواب المحذوف يسميها أرباب المعانى الفاء الفصيحة قال صاحب الكشاف فى قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله تقديره ففعلا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله وقال صاحب المفتاح وأخبار عما صنع بهما

وعما

أن ما تحت يدى يليه رجل يسمى يزيد وانى نظرت فى هذا الاسم فذكرت جماعة منهم يزيد بن أبى كبشة ويزيد ابن الحصين ويزيد بن دينار وليس فيهم من يصلح لهذا الامر وما ثم غير يزيد بن المهلب قال فأخلق به فلم يجد شيأ يعزله به فكتب الى عبد الملك بن مروان يذم من يزيد ويقول انه يميل الى آل الزبير فكتب اليه عبد الملك ان ذلك وفاء لآل الزبير من آل المهلب وان وفاءهم لاولئك يدعوهم الى الوفاء لنا فكتب اليه الحجاج يخوّفه غدر يزيد وآل المهلب فكتب اليه عبد الملك قد أكثرت فى يزيد فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة بن مسعر ولم يكن يصلح وانما جعل ذلك دهاء منه حتى لا يعرف ميله الى قتيبة ويعلم أن عبد الملك لا يرضى مجاعة ابن مسعر فكتب اليه عبد الملك يسفه رأيه معناه لم يرض ابن مسعر فسمى له قتيبة بن مسلم فقال وله فولاه وكره أن يواجه ابن المهلب بالعزل فكتب اليه اقدم على واستخلف أخاك ففعل وعند قدومه سار قتيبة الى خراسان فدخلها وصعد المنبر فسقطت العصا من يده فتطير الناس فأخذها وقال ليس كما ساء الصديق وسر العدوّ ولكن كما قال الشاعر

وعما قالاه كانه قيل نحن فعلنا الايتاء وهما فعلا الحمد وهذا الباب كثير فى القرآن وهو من جملة فصاحته ولهذا سماها أرباب المعانى الفاء الفصيحة (رجع) قلت فعل ماض والتاء ضمير الفاعل (أدعوك) فعل مضارع والكاف ضمير المفعول وأصله أأدعوك فحذف همزة الاستفهام كقول الشاعر

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

تقديره أبسبع رمين أم بثمان فحذف الهمزة للضرورة والمحذوف اما النبى للاستفهام أو الاصلية على خلاف فى ذلك هربا من استثقال الجمع بين الهمزتين * يقال ان بعض النحاة قال للطبيب ياحكيم أفؤادى يوجعنى فقال له أبطل هذه الهمزة وقد عوفيت من هذا الالم فكيف لو قال له أأدعوك (للجلى) جار ومجرور واللام للتعدية وعلامة الجر كسرة مقدرة على الالف لانه مقصور وموضعه النصب على المفعولية (لتنصرنى) اللام لام كى فهى تنصب الفعل المضارع وتنصرنى فعل مضارع منصوب بلام كى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وما أحلى قول شرف الدين بن الفارض

نصبا أكسبنى الشوق كما * تكسب الافعال نصبا لام كى

وأحسن منه قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى ومن خطه نقلت

ومستتر من سنى وجهه * بشمس لها ذلك الصدغ فى
كوى القلب منى بلام العذار * فعذرتنى أنها لام كى

(وأنت) الواو واو الابتداء وأنت اسم مضمر فى موضع رفع بالابتداء والضمائر كلها مبنية لانها أشبهت الحرف فى الوضع لان الاصل فى الاسماء أن توضع على ثلاثة أحرف فما فوقها ولا يرد باب يد ودم وأخ وأب اذ الاصل يدى ودمو وأخو وأبو وان يكون الحرف الصناعى على حرف كياء الجر ولامه هذا هو الاصل فى وضع الاسماء والحروف وقد يخرج الاسم عن هذا الاصل فيوضع على حرف واحد وهو الضمائر مثل الهاء والكاف والياء فاذا كان كذلك فقد شابه الاسم الحرف فى الوضع فيعطى حينئذ حكمه فيبنى (فان قلت) اذا قررت ما قررته فما بال الضمائر مثل أنا وفروعه وهو وفروعه على أزيد من حرف (قلت) كما ان الحرف خرج عن أصله فكان منه ما هو على حرفين مثل من وعن وفى وما هو على ثلاثة أحرف مثل على والى وما هو على أربعة أحرف مثل حتى ولكن العاطفة وما هو على خمسة أحرف مثل لكن من اخوات ان كذلك خرج الضمير عن وضعه فكان على حرفين مثل هو وبابه وعلى ثلاثة مثل أنا وأنت فلذا اعتبر الاصل فى وضع الحرف أولا ولاعتبار ما طرأ عليه واعتبر الضمير فى أصله ولاعتبار ما تجدد له (فان قلت) فن أين لك ان الاصل فى الضمائر ان تكون على حرف واحد (قلت) لان الاصل فى وضع الضمائر طلب الاختصار وكونها على حرف واحد أخصر من غيره ولذلك لا يؤتى بالمنفصل مع امكان الاتيان بالمتصل فلا تقول أعطيتك اياه موضع اعطيتكه والضمائر كلها تسعون ضميرا تداخل منها تسعة وعشرون وبقى منها أحد وستون ضميرا أصلها خمسة وهى الياء للمتكلم فقط والتاء للمتكلم والمخاطب والكاف للمخاطب فقط والهاء للغائب والميم للجمع المذكرين وتخلفها النون للجمع المؤنث والدليل على انها تسعون أن الضمير اما مرفوع او منصوب أو مجرور فالاولان يكونان متصلين ومنفصلين والثالث لا يكون الا

فالقت عصاها واستقر بها النوى

كما قرّ عينا بالاياب المسافر

ثم وثب قتيبة ليغزو ما وراء النهر فجمع جيوشه فخطبهم خطبة بليغة فقطع النهر فتلقاه من الطالقان رسل الملوك وهداياهم وأولهم صاحب طخارستان وهو من ملوك الترك وأرسل اليه مفتاح بلده وغير ذلك من الهدايا فصالحه وأقام قتيبة على بلخ لان بعضها كان عاصيا عليه فقاتل أهلها وسباهم وكان فيمن سبى امرأة برمك جد البرامكة فصارت الى عبد الله بن مسلم أخى قتيبة فواقعها فيقال انها حملت منه بخالد وقيل كانت حاملا به * ثم غزا قتيبة بيكند وهى أدنى مدائن بخارى الى النهر ويقال لها مدينة التجار وهى على رأس المفازة من بخارى فلما نزل بهم استنصروا بالصغد واستنجدوا من حولهم فأتوهم فى جمع كثير وأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق فلم يصل اليه رسول ولا قدر على انفاذ رسول مدة شهر وأبطأ على الحجاج خبره فأشفق عليه وعلى من معه من المسلمين فأمر الناس بالدعاء وكتب بذلك الى الامصار وأقام قتيبة يقاتلهم كل يوم وكان لقتيبة عين فيهم يقال له بندر

متصلا فذلك خمسة تضرب فى ثلاثة تكلم وخطاب وغيبة فتلك خمسة عشر تضرب فى ثلاثة مفرد ومثنى ومجموع فتلك خمسة واربعون تضرب فى اثنين مذكر ومؤنث فتلك تسعون سمع المازنى قرقرة من بطن انسان فقال هذه ضرطة مضمرة (رجع) تخذلنى فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم ورفعه ضمة اللام والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول والجملة فى موضع الخبر لانت (فى الحادث) جار ومجرور فى موضع نصب لانه ظرف لتخذلنى تقديره تخذلنى وقت الحادث (الجلل) مجرور على انه صفة للحادث وقد تبعه فى افراده وتذكيره وتعريفه وجره وقوله أدعوك الى آخر البيت فى موضع النصب بقلت (المعنى) فقلت له مستفهما أدعوك للامر العظيم طالبا نصرتك وأنت تخذلنى فى مثل هذا الحادث العظيم وهذا استفهام ومعناه التوبيخ كقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس الآية لكن الاستفهام هنا للمسيح صلوات الله عليه والتوبيخ للنصارى والاستفهام هنا من المسيح أبلغ من الاستفهام من النصارى لانه يحتمل انهم يقولون نعم كذا قال فيرجع الى المسيح صلوات الله وسلامه عليه ويستفهم منه فابتدئ بالاستفهام منه فى أول الامر

يرى الامر يفضى الى آخر * فيجعل آخره أولا

وفى الاستفهام منه فائدة أخرى وهى أنه عليه الصلاة والسلام قال ما قلت لهم الا ما أمرتنى به فكان أبلغ فى توبيخهم فى الموقف بين العالمين وفى قوله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به فائدة لانه لو قال لم أقل لهم ذلك لاحتيج أن يقال له فما الذى قلت لهم فعلم المقصود وأجاب عما يقال له فيما بعد ومثله قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته علما بانه صلى الله عليه وسلم يسئل فيما بعد ذلك عن السمك وفى قوله الا ما أمرتنى به دون ما قلت لهم الا أن اعبدوا الله دليل على اعترافه بالعبودية وانه مأمور فى أقواله وأفعاله لئلا يتوهم انه فعل ذلك وقاله تبرعا ويفهم هذا من قوله ربى وربكم فانه اعترف على نفسه لله تعالى بالربوبية قبلهم وفى قوله تعالى وأنت على كل شئ شهيد حكمة أخرى ترفع وهم من يتوهم أنه كان الشهيد عليهم لما كان بين ظهرانيهم دون الله تعالى وانه لما غاب عنهم تولى الله الشهادة عليهم فقال وأنت على كل شئ شهيد أى فى الحالتين حالة وجودى بين ظهرانيهم وحال غيبتى عنهم وبالجملة فهذه القصة يحتمل الكلام عليها مجلدا لطيفا فانها قد تضمنت من البلاغة والحكم ما يعجز المتكلمون عن استغراق ذلك واستخراج جواهره واستنباط معانيه قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا فسبحان من أنزله هدى ورحمة (رجع الى قول الطغرائى) أقول قد جبلت النفوس الابية على تحقيق الظنون بها وتصديق الامل فيها والرجاء فيما يطلب منها من نصرة واعانة وازالة ضرورة وسد خلة وابواء وذب وغير ذلك والنفوس اللئيمة بخلاف ذلك تكذب الظنون فيها وحسن الظن بالله أمر واجب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى ونقل عن أحد اهل البيت رضى الله عنهم أنه لما احتضر قال لولده يا بنى اقرأ على الرخص لاموت وأنا أحسن الظن بالله تعالى وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه حسن الظن بالله أن لا ترجو الا الله تعالى ولا تخاف الا ذنبك * أنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام الاديب الكاتب

أعجمى فدفع اليه أهل
بخارى مالا على أن يدفع
قتيبة عنهم فأتاه فقال أخلنى
فأخلى المجلس فقال قد عزل
الحجاج عن العراق وهذا
عامل جديد يقدم عليك
فارجع بالناس الى مرو وكان
عند قتيبة ضرار الضبى فقال
قتيبة لغلامه اقتل بندر
فضرب عنقه فقال لضرار
والله لئن علم أحد بهذا
الحديث قبل ان يقضى
حربنا لالحقنك به فان انتشار
مثل هذا الحديث يفت فى
أعضاد المسلمين ثم أصبح
الناس على راياتهم وانكروا
قتل بندر وقالوا كان ناصحا
للمسلمين فقال قتيبة ظهر لى
غشه فاخذه الله بذنبه ثم
تقدم فقاتل وأنزل الله
النصر على المسلمين فهزموهم
وفتح قتيبة اكنافهم ووصل
الى بيكند ففتحها عنوة
وأصاب بها من الاموال
والجواهر ما لم يصبه فى بلد
آخر وكان بها صنم من
ذهب فاذا بوه فخرج منه
مائة ألف وخمسون ألف
مثقال من الذهب وكتب
الى الحجاج بالفتح ثم توجه الى
سجستان فارسل اليه صاحبها
فصالحه ثم توجه الى خوارزم
وكان صاحبها قد راسله سرا
خوفا من أخيه الخارج عليه
فصالحه وسلم اليه أخاه لانه
كان شرط عليه ذلك

القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود ومن خطه نقلت

قيل ما أعددت للحتف فقد جئت محله
قلت أعددت مع التو * حيد حسن الظن بالله

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس

فقرى لمعروفك المعروف يغنينى * يا من أرجيه والتقصير يرجينى
ان أوثقتنى الخطايا عن مدى شرف * نجابا دراكه الناجون من دونى
أو غص من أملى ما ساء من عملى * فان لى حسن ظن فيك يكفينى

ويتعين على ذوى المروآت احتمال الاذى والضرر فى تصديق أمل الآمل وتحقيق رجائه وايصاله الى ما آربه وتبليغه مقاصده قال أبو الطيب المتنبى

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

قيل ان الصاحب جمال الدين بن مطروح كتب الى بعض الرؤساء رقعة على يد صديق له يشفع فيها عنده فكتب له ذلك الرئيس هذا الأمر على فيه مشقة فكتب ابن مطروح جوابه لولا المشقة فلما وقف عليها ذلك الرئيس فهم الاشارة الى قول المتنبى وقضى المصلحة * وسأل أبو الأسود الدؤلى معاوية فى أمر فوضع معاوية يده على أنفه فضرب أبو الاسود يده وقال والله لاتسودفينا حتى تصبر على محادثة الشيوخ البحر * وفى معنى قول أبى الطيب قول مسلم بن الوليد

أبا سهل ان الجود خير مغبة * وأكرم ما يأتى به القول والفعل
وما الفضل والمعروف فيما هويته * ولكنه فيما كرهت هو الفضل

وقول مهيار الديلمى

وأكره كل معتذر المساعى * الى التقصير نال فأنالا
اذا نشأت سحائبه بوعد * أهب قنوطه ريحا شمالا
وليس أخوك الا من تحط الامور به فيحمل ثقالا

ومن الكلام النوابغ محك المودة والاخاء حال الشدة لا الرخاء ولهذا قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * ومع الشدائد تعرف الاخوان

قيل ان يوسف عليه السلام كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ولله در يزيد بن المهلب من ذى مروءة وسخاء وتصديق أمل فانه كان فى حبس الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد بن الحكم وقد حل نجم مما كان عليه وكانت نجومه فى كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له

أصبح فى قيدك السماحة والجود وفضل السلاح والحسب
لا بطرا ان تتابعت نعم * وصابر فى البلاء محتسب
أحرزت سبق الجياد فى مهل * وقصرت دون سعيك العرب

فالتفت يزيد الى مولى له وقال له أعطه نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر وقد روى صاحب الاغانى هذه الابيات لحمزة بن بيض مع يزيد المذكور وقال فقال له يزيد والله يا حمزة لقد أسأت اذ نوهت باسمى فى غير وقته ولا يترك لك ثم رفع مصلاه ورمى اليه

ثم توجه الى سمرقند فقاتل وثلم السور فصالحوا الصلح فصالحهم على ألفى ألف ومائتى ألف فى كل سنة وعلى ان يعطوه ثلاثين الف رأس ليس فيهم طفل ولا شيخ وعلى ان يخلوا المدينة لقتيبة ويخرجوا منها المقاتلة ويدخلها قتيبة ويبنى بها مسجدا ويصلى فيه ويخطب ويتغدى ويخرج منها فاجابوه الى ذلك فقال ابعثوا الينا ما صالحناكم عليه فبعثوا اليه بالمال والرؤس فقال قتيبة الآن ذلوا حين صاروا ولادهم واخوانهم فى ايدينا ثم بنوا جامعا ونصبوا منبرا واخلوا المدينة وانتخب قتيبة من اراد من فرسانه ودخلها فاتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى وارسل الى اهلها لست بخارج منها فخذوا ما اعطيتمونا وكان قتيبة يعير بالغدر باهل سمرقند ثم حرق الاصنام وبيوت النيران ووجد جارية من بنات يزدجرد فقال قتيبة اترى ابن هذه يكون هجينا فقالت نعم من قبل ابيه فارسل بها الى الحجاج فبعث بها الى الوليد ابن عبد الملك فولدت له يزيد ثم غزا قتيبة الصين وكاشغر فبعث اليه ملك الصين ابعث لنا رجلا من قومك نسأله عن دينكم فانتدب له

عشرة من اشراف القبائل
لهم هيبة وجمال فدخلوا
عليه وعليهم ثياب رقيقة
فلم يكلمهم احد فنهضوا ثم
دخلوا عليه فى اليوم الثانى
وعليهم البيض والمغافر
والسلاح كانهم الجبال فسأل
الملك أحدهم عن صنيعهم
امس واليوم فقالوا ذاك
لباسنا فى أهلنا وهذا فى
حربنا فقال انصرفوا الى
صاحبكم وقولوا له ينصرف
فقد عرفت قلة أصحابه والا
بعثت له من يهلكه ومن معه
فقالوا كيف تقول هذا لمن
أول خيله فى بلادك وآخرها
فى منابت الزيتون يعنون
الشام وقد غزاك فى بلادك
ودوّخها وقد سبى وهو فى
ظلك لا ترد له راية ولا غاية
قال وما الذى يريد قال انه
أقسم أن لا يرجع حتى يطأ
أرضك ويختم على أعناق
أولاد الملوك ويأخذ الجزية
قال الملك ونحن نبر قسمه ثم
دعا بصحاف من ذهب وجعل
فيها من تراب قصره ودعا
بأربعة من أولاد الملوك
وبعث مالا كثيرا وقال ليطأ
هذا التراب ويختم على هذه
الغلمة ويأخذ منا المال
ففعل قتيبة ذلك وقرر عليهم
مالا ومضى وقد أذعنت له
ممالك ماوراء النهر واشتهرت
فتوحاته حتى سمع معبد
المغنى انه فتح سبعة حصون

بخرقه مصرورة وعليه صاحب خبر واقف وقال خذ هذا الدينار والله ما أملك ذهبا غيره فاخذه
حمزة وأراد أن يرده فقال له سر اخذه ولا تخدع فيه والله ما هو بدينار قال فخرجت فقال لى
صاحب الخبر ما أعطاك يزيد فقلت أعطانى دينارا وأردت ان أرده عليه فاستحييت فلما
صرت الى منزلى حللت الصرة فاذا فص ياقوت كأنه سقط زند فخرجت الى خراسان فبعته من
رجل يهودى بثلاثين ألفا فلما بعته وقبضت المال وصار فى يدى قال والله لو أبيت الا بخمسين
ألفا لأخذته ثم انه دفع الى مائة دينار زيادة على أن الانسان يتعين عليه التفرس أولا
والتكهن ليختار لحاجته من ينهض بحملها ويقوم بكلها حتى تنزل من جانبه بالرحب ويتلقاها
بالبشر ويكون بها كفيلا قال أبو الطيب

ولم أرج الا أهل ذاك ومن يرد * مواطر من غير السحائب يظلم

والا فيكون قد أخطأ فى التأميل قبل التأمل وأضاع الفراسة قبل الافتراس والناس
يختلفون فى الهمم ويتفاوتون فى القيم قال أبو الطيب

ما كل من طلب المعالى ناقدا * فيها ولا كل الرجال فحول

وقال الآخر

أملتهم ثم تأملتهم * فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

وقال ابن نباتة السعدى من أبيات

ولكنما سامرت أحلام نائم * وحاورت وسنانا ينام وأسهر
يفكر لما جئت مستصرخا به * ولا يصرخ المكروب من يتفكر

وقد أخذ المعنى فى الاصل من قول الحماسى

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

وما يبعد قول الطغرائى من قول الارجانى

فان يك أعدائى على تناصروا * فما هو الا من تخاذل اخوانى
ولم أدع للعلى صديقا أجابنى * ولم أرض خلا للوداد فأرضانى

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخياط

أعينا على وجدى فليس بنافع * اخاؤكما خلا اذا لم تعيناه
أما سبة أن تخذلا ذا صبابة * دعاوجده الشوق القديم فلباه

وقال الآخر

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * نعم صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن فى فسادى

وقال ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * سهام العدا عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتم لم تحفظوا لمودتى * زمانا فكونوا لا عليها ولا لها

قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعداونبالها

وقال آخر

وكنت أخى باخاء الزمان * فلما انقضى صرت حربا عوانا
وكنت أعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الامانا

وقال آخر

أيا مولاى صرت قذى لعينى * وسترابين جفنى والمنام
وكنت من الحوادث لى عياذا * فصرت من المصيبات العظام

وقال الازجانى

ترجع الايام فيما وهبت * لؤم طبع ومتى كانت كراما
كم أناس خلتهم لى جنة * يوم روع فغدوا فى سهاما

كتب المعتمد بن عباد الى ابن عمار الاندلسى

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مبادية الاساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

فاجابه ابن عمار

فديتك لا تزهد فثم بقية * سترغب فيها عند وقع المصائب
فأبقى على الخلصان ان لديهم * على البدء كرات بحسن العواقب
ولو لمعت لى من سمائك برقة * ركبت الى مغناك هوج السحائب
فقبلت من يمناك أعذب مورد * وقضيت من لقياك آكد واجب

ذكرت بقول المعتمد فلم ترنى الايام البيت قول بعض أهل العصر فى الشيخ صدر الدين بن الوكيل فانه كان يقبل أول الامر فى الصحبة ثم يستحيل فى الآخر

وداد ابن الوكيل له شبيه * ٣ بلبادين خلق فى المسالك
فأوله حلى ثم طيب * وآخره زجاج مع لوالك ٣

ويشبه هذا قول الآخر فى هجو شريف

يامشبه الكشك أجداد مطهرة * ويستحيل الى داء وتخليط
ما أنت الا كبيس التمر أوله * عذب وآخره يدعى بقلوط

يقال ان جالينوس قال فى الكشك أبوان كريمان أنتجا لئيما وما أحسن قول الآخر يهجو من أبوه شريف

ان فاتنى بأبيه * فلم يفتنى بامه
أورام هجوى ظلما * سكت عن نصف شتمه

وهو مأخوذ من قول عنترة العبسى

انى امرؤ من خير عبس منصبا * نصفى وأحمى سائرى بالمنصل

وهذا البيت يؤيد قول من لحن الناس فى اطلاقهم سائرا على معنى الجميع وانما هو بمعنى الباقى فمن قال قدم سائر الحاج ويريد جميعهم فقد لحن وأنشد الحريرى فى درة الغواص فى المشرق لا يرتقى اليها فصنع سبعة أصوات صعبة المأخذ وسماها مدن معبد معارضة لقتيبة * وأقام قتيبة بالمشرق والياعليه ثلاث عشرة سنة عظيم الرتبة مرهوب الجانب وكان شرف بيته ثم عمل على خلع سليمان بن عبد الملك لما سمع انه عازم على ولاية يزيد بن المهلب (حكى) الجاحظ قال لما بلغ قتيبة ان سليمان يريد عزله عن خراسان كتب اليه ثلاث صحائف وقال للرسول ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد بن المهلب فادفع اليه هذه فان شتمنى فادفع اليه الثالثة فلما دفع له الكتاب الاول اذ فيه يا أمير المؤمنين ان بلائى فى طاعتك وطاعة أبيك كيت وكيت فدفعه الى يزيد فدفع اليه الرسول الكتاب الثانى وفيه يقول عجبا كيف تأمن ابن رحمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده يعنى يزيد بن المهلب فشتم قتيبة فدفع اليه الثالث وفيه من قتيبة الى سليمان أما بعد والله لاوثقن لك اخية لاينزعها المهر الارن فقال سليمان جدد واله عهدا على عمله ثم فسدت على قتيبة بطانته فقتلوه فى خلافة سليمان وقام العزاعى المشرق عليه وقال رجل من الاعاجم يامعشر العرب قتلتم قتيبة

شاهدا على هذه الدعوى قول الشاعر

ترى الثور فيها يدخل الظل رأسه * وسائره بادالى الشمس أجمع

وغالب الناس لا يكاد يسلم من هذا اللحن على أن صاحب الصحاح قال وسائر الناس جميعهم وتساب شريف هو وآخر فقال الشريف ما تقول فى وأنت لا تتم صلاتك الا بالصلاة على وعلى آبائى وأجدادى فقال له والله انى أسلك من بينهم كما تسل الشعرة من العجين لانى أقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين (رجع) قال علقمة بن لبيد العطاردى لابنه يابنى ان نزعت بك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من ان صحبته زانك وان أصابتك خصاصة مانك وان قلت سدد قولك وان صلت شدد صولك وان مددت يدك بفضل مدها وان بدت منك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها وان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتداك وان نزلت بك احدى الملمات واساك من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق * ذكر صاحب الاغانى فى اخبار علوية أن من جملتها انه دخل على المأمون وعنده جملة من المغنين وهو يرقص و يصفق و يغنى و يقول

عذيرى من الانسان لان جفوته * صفالى ولان صرت طوع يديه

وانى لمشتاق الى ظل صاحب * يروق و يصفو ان كدرت عليه

فسمع المغنون والمأمون منه مالم يعرفوه واستظرفه المأمون وقال ادن يا علوية وردده فردده عليه سبع مرات فقال المأمون فى الآخرة يا علوية خذ الخلافة واعطنى هذا الصاحب (قلت) وما صاحب يبذل فيه الخلافة المأمون فى سعة الملك وابهته وصفاء الوقت من الاكدار الا أعز من الكبريت الاحمر بل ما خلقه الله ولا أوجده (ذكرت) بوصية علقمة لولده قول الفضل بن عبد الرحمن لرقية بنت عتبة بن ابى لهب انظرى لى امرأة معروفة النسب كريمة الحسب فائقة الجمال مليحة الدلال ان قعدت أشرفت وان قامت اضعفت وان مشت ترقرقت تروع من بعيد وتفتن من قريب تسر من عاشرت وتكرم من جاورت وتبذ من فاخرت ودودا ولودا لا تعرف اهلها ولا تسر الا بعلها فقالت له يا ابن العم اخطب هذه من ربك فى الآخرة فانك لا تجدها فى الدنيا * وقال ابو موسى المكفوف لنخاس اطلب لى حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ان خلا الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصدم بى السوارى ولا يدخلنى تحت البوارى ان اكثرت علفه شكر وان قللته صبر وان ركبته هام وان ركبه غيرى نام فقال له النخاس اصبر أعزك الله عسى ان يسخ الله القاضى حمارا فتصيب حاجتك (رجع) وعلى الصحيح فالكمال معدوم الا فى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا بد فى الانسان من لوولولا ومن كانت ماهيته متضادة فالنقص فيه أولى والاعتدال بعيد من المركب وما سلك الصواب صديق الاوينكب فلا تغتر برأى الرجال المهذب

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

قال الحريرى

ولو انتقدت بنى الزما * ن وجدت اكثرهم سقط

قال بعضهم لو انصف الحريرى لقال كلهم فالبس أخاك على علاته واغتفر لبعض صوابه جل زلاته وقد هون الامر فى الصحبة مؤيد الدين الطغرائى فى قوله

والله لو كان فينا لجعلناه فى * تابوت واستفتحنا به غزونا

ولقتيبة أخبار وألفاظ تدل على غزارة علمه وعقله وفصاحته كتب اليه الحجاج انى قد طلقت بنت قطن الهلالية عن غير ريبة فتزوجها فكتب اليه ليس كل مطالع الامير أحب ان اطلع فقال الحجاج ويل ام قتيبة اعجابا بقوله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج أنت قدح ابن مقبل فلم يدر الحجاج ما أراد فسأل قتيبة وكان عالما برواية الشعر فقال قتيبة ان ابن مقبل نعت قدحاله فقال

غداوهو مجدول فراح كانه * من المس والتقليب بالكف أفطح

اذا امتحنته من معد قبيلة * غدا ربه قبل المفيضين يقدح

يصف هذا القدح وهو السهم الذى يستقسم به على عادة العرب فى الميسر وهو اصطلاح على نوع من أنواع القمار معروف فيقول ان هذا القدح لكثرة فوزه وخروجه دون اقداح الجماعة بكثرة تقليبه والتعجب منه يقدح صاحبه النار قبل خروجه ثقة بفوزه وقال قتيبة ان هذا القدح فاز سبعين مرة لم يخب منها مرة واحدة حتى ضرب به المثل * ولما دخل قتيبة خراسان

اخاك اخاك فواجل ذخر * اذا نابتك نائبة الزمان
وان زادت اساءته فهبها * لما فيه من الشيم الحسان
تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

وقال ايضا وان لم يكن من الباب

غائظ صديقك تكشف عن ضمائره * وتهتك الستر عن محجوب أسرار
فالعود ينبيك عن مكنون باطنه * دخانه حين تلقيه على النار

وقلت انا في شرط الصحبة

صديقك مهما جنى غطه * ولا تخف شيأ اذا أحسنا
وكن كالظلام مع النار اذ * يوارى الدخان ويبدى السنا

وكانى بالطغرائى وقد جرهذا الصاحب فانجزم وطلب اقباله على النصرة له فانهزم وسامه الوقوع على المساعدة فتعلى ورام النجدة منه فقر أعبس وتولى * سأل أبو جعفر المنصور بعض الخوارج فقال أخبرنى أى أصحابى كان أشد اقداما فى مبارزتك فقال ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقفاءهم فقل لهم يدبروا أعرفك بهم * وأخذ ابن الرومى هذا المعنى وزاده وزنا فقال

قرن سليمان قد أضربه * شوق الى وجهه سيتلفه
كم يعد القرن باللقاء وكم * يكذب فى وعده ويخلفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخ فيعرفه

ذكرت بالقفا قول أبى الفضل الميكالى

لنا صديق تجيد لقما * راحتنا فى أذى قفاه
ما ذاق من كسبه ولكن * أذى قفاه أذاق فاه

وذكرت بالصفع هنا ما حكى عن شرف الدين بن الشيرجى وكان ألحى وشهاب الدين التلعفرى من أنهما اجتمعا فى ليلة أنس عند الناصر فاتفق أن قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فامره الناصر بالاشارة ان يصفع التلعفرى فلما صفعه امسك التلعفرى بذقن شرف الدين وانشد ويده فى ذقنه لم يفلتها

قد صفعنا فى ذا المحل الشريف * وهو ان كنت ترتضى تشريفى
فارث للعبد من مصيف صفاع * يا ربيع الندى والاخريف ى فى

قلت تأمل هذا النظم ما ألطفه وما أحسن مقدمه ومصرفه وهذه التورية التى اتفقت له بديها وساعده اللطف الزائد فيها وكانى بذقن الشيرجى وهى فى يد ذلك الخريف وقد ذكر الربيع والمصيف وختم بالخريف هذا وكونه قال فى وسكت أحلى ما سمع من النكت ولو كمل ما بقى له هذه الحلاوة والاشارة أبلغ عند ذى اللب من العبارة لذى الغباوة فارعها السمع واضحك الى أن تشرق العين بالدمع فما كل من ندب ندر ولا كل من خبر خبر وقد رأيت البيتين فى ديوان الاسعردى ومثل هذه الاشارة قول الآخر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك من قال قولا يفى
فان أنت أنجزت لى موعدى * والا هجوت وادخلت فى

قام اليه بعض الشعراء وأنشد يقول

شد العصاب على البرى وما جنى

حتى يكون لغيره تنكيلا

والجهل فى بعض الامور وان غلا

مستخرج للعاهلين عقولا

فقال قتيبة قبحك الله من مشير والله لا أقمت معى فى بلد ثم أخرجه من خراسان * ونظر فى بعض مغازيه الى رجل من الازد معه ترس من جلد بعير قد تشعب من جميع نواحيه فقال يا أخا الازد ترس ابن أبى ربيعة خير من ترسك يريد قول عمر بن أبى ربيعة فى قصيدته المشهورة وقد تستر بنسوة من الحى فكان مجنى دون من كنت أتقى

ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فقال الرجل أيها الامير هذا المجن أوفى من ذلك المجن * ومن كلام قتيبة لا تستعن على من تطلب اليه حاجة بمن له عنده طمع فانه لا يؤثرك على نفسه ولا يكذب فانه يقرب لك البعيد ويبعد القريب ولا بأحمق فانه ربما أراد نفعك فضرك * ومر يوما بكناسة فيها عظام وأقذار فقال ان الذى يجمع بما يصير آخره الى هذا لبخيل

(والمهلب أوهن شوكة
الازارقة بيدك وفرق
ذات بينهم بكيدك)
هو المهلب بن أبى صفرة
واسمه ظالم بن سراق بن صبح
الازدى العتكى البصرى
أمير كبير مشهور الذكر
شجاع جواد نشأ فى دولة آل
أبى سفيان ثم أمره مصعب
ابن الزبير على البصرة نيابة
عنه فى أيام أخيه عبد الله بن
الزبير ثم ولاه عبد الله خراسان
وقتل الخوارج واستمر على
ذلك الى أن مات فى زمن
الحجاج فى سنة ثلاث وثمانين
من الهجرة وهو أول من اتخذ
الركب الحديد وكانت قبل
ذلك من الخشب * وكان يقال
ساد الاحنف بحلمه ومالك
ابن مسمع بحميته للعشيرة
وقتيبة بدهائه وساد المهلب
بهذه الخلال جمعها وسيأتى
فى آخر الترجمة نبذ من
أخباره وألفاظه * فاما الازارقة
فهم الخوارج القائلون بمذهب
نافع بن عبد الله بن الازرق
الخارجى خرجوا معه من
البصرة والاهواز وغيرها
من بلاد فارس واتبعوه
وعظمت شوكتهم وتملكوا
الامصار وكانت له آراء
ومذاهب دانوا بها معه
منها انه كفر عليا كرم الله
وجهه بسبب التحكيم المشهور
وقال أنزل الله فى حقه ومن
الناس من يعجبك قوله

وقد علم الناس ما بعده * فغط الحديث ولا تكشف

وقد ذكر بعضهم ايضا المجرور فى هذا البيت

مكان أقمت به تسعة * واخرجت منه بلطف خفى

وعلى ذكر الصفع قيل ان صبيا قال ليهودى قف يا عمى حتى أصفعك فقال له اليهودى انا مستعجل ولكن اصفع اخى عنى * أنشدنى لنفسه الشيخ ابراهيم بن علام الثورى المعمار

سألته فى صفعة قال لى * جنايه الصفعة ما منه بد
صاع من التمر أحلى به * قلت نعم أعطيك صاعا ومد

وقال أيضا

ومغن يهوى الصفا * ع ولم يكن اذ ذاك فنى
سلمته عنق الدقيـ * ـق فراح ينخله بعجن
ما ان اذنت له رضا * لكنه من خلف اذنى
لولا يد سبقت له * لأمرته بالكف عنى

وأنشدنى أيضا لنفسه

وصاحب أنزل بى صفعة * فاغتظت اذ ضيع لى حرمتى
وقال فى ظهرك جاءت يدى * فقلت لا والعهد فى رقبتى

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

يحتاج ذا التاج من يرصعه * بدرة تحت دالها كسره
فمن يرى عنقه الطويل ولا * ينزل فيه يموت بالحسره

وقال ابن دانيال فى البرهان وقد صفع وهو أرمد

صفع البرهان ومارحما * فبكى من بعد الدمع دما
قد كان شكا رمدا صعبا * فازداد بذاك الصفع عمى
نزلوا سحرا فى ساحله * فرأى الاصباح بهم ظلما
من كل فتى بالصفع بدا * مثل القصار اذا احتزما
فسقاه بها صرفا سبعا * وسقاه بها سبعين بما

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب أيضا

وما انساه فى النيروز لما * تامروا الامارة فيه تكفى
وقد اومت اليه كل كف * رأت ذاك القذال بكل خف
فطرز عنقه بالصفع منا * وما انموذج التطريز مخفى

وما استعمل التطريز احد أحسن من هذا خصوصا وقد رشحه بقوله مخفى وقلت انا فى ذلك

ورب صديق غاظه حين جاءه * من القوم صفع دائم الهطل بالنطل
فقلت له تأبى المروءة أننا * نخليك يا بستان فينا بلا نخل

كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير بلغ ابن سناء الملك أنه هجاه فادبه وشتمه فكتب اليه ابن المنجم الشاعر يقول

قل للسعيد أدام الله دولته * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه

صفعته اذ غدا يجول منتقما * منه ومن بعد هذا ظلت تشتمه
هجوبهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع لا يقتضيه بل يحرمه
فان تقل ما الهجو عنده أثر * فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وسمعت أنا امرأة تسأل من في رقبته دمل ما هذا فقال لها طلوع فقالت أشتهي والله أن انزل في هذا الطلوع وانشدني القاضي شهاب الدين محمود لنفسه اجازة فيمن صفع وقال لكمت ودفعت قوله

يا سمي الصفع لكما * ومعيد الدال عينا
قل لمن يختار ما اختبر * ت فانا قد رأينا

وما اظرف قول القائل

حباها باكرام وقام مبادرا * الى وتد المقياد علق خفها
وكان اذا مارابه سوء فعلها * يسل قفاه ثم يصفع كفها

وقال ابن دانيال في السراج الحوراني

رأيت سراج الدين للصفع صالحا * ولكنه في علمه فاسد الذهن
أستره بالكف خوف انطفائه * وآفته من طفئه كثرة الدهن

وما أحسن قول القائل

أرى الصفع ورد منه القذالا * وأوسع في أخدعيه المجالا
وأسلاه عن حب ذات اللمى * وان هي فاقت وراقت جمالا
لئن كان قد حال ما بينه * وبين الحبيبة صفع توالى
فقد يحدث الظرف بين المضاف * وبين المضاف اليه انفصالا

ما أحسن ذكر الظرف ههنا ومن شواهد فصل المضاف من المضاف اليه قول الشاعر

كما خط الكتاب بكف يوما * يهودي يقارب أو يزيل

فكف مضاف الى يهودي ولكن الظرف فصل بينهما وهو يوما وما أحسن قول ابن سكرة الهاشمي أو ابن حجاج

قال غلامي ومقلتاه تكف * وجسمه ظاهر السقام دنف
خدمتناه هذه التي كثرا الرجاف في امرها فليس يقف
قد عزلونا عنها فقلت نعم * وصاد فاء بين واو ونون الف

*(تنام عني وعين النجم ساهرة * وتستحيل وصبغ الليل لم يحل)*

(اللغة) النوم معروف وهو ضد اليقظة (العين) حاسة الابصار وهي مؤنثة والجمع اعين وعيون واعيان قال الشاعر كأعيان الجراد المنظم وتصغيرها عيينة ومنه قيل للجاسوس ذو العينين (النجم) الكوكب ومتى اطلق فالمراد به الثريا فان اخرجت منه الالف واللام تنكر (ساهرة) السهر ضد النوم وقد سهر بالكسر فهو سهران وساهر واسهره غيره (وتستحيل) الاستحالة التغير وحالت القوس واستحالت بمعنى اذا انقلبت عن حالها التي عمرت عليها وحصل فيها اعوجاج (الصبغ) اللون تقول صبغت الثوب اصبغه واصبغه صبغا بالفتح وبالكسر ما يصبغ به فعلى هذا اللفظ الصحيح في البيت صبغ بالفتح (الليل) ضد النهار وهو من لدن

الآية وأنزل في حق ابن ملجم ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله

ومنها انه كفر من لم يقل برأيه واستحل دمه وكفر القعدة عن القتال وتبرأ ممن قعد عنه أو كان على دينه وحكم ان من ارتكب كبيرة خرج عن الاسلام وكان مخلدا في النار مع سائر الكفار واستدل بكفر ابليس وقال ما ارتكب الا كبيرة حيث أمر بالسجود فامتنع والافهو عارف بوحدانية الله عز وجل الى غير ذلك من المذاهب التي أجمعت عليها الازارقة (وحكى) عن خالد ابن خداش قال لما تفرقت الازارقة وآراء الخوارج ومذاهبهم أقام نافع بن الازرق بسوق الاهواز يعترض الناس وكان متشككا في ذلك فقالت له امرأته ان كنت كفرت بعد ايمانك وشككت فدع كلمتك ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم تعني المسلمين المخالفين لمذهبه وأتخن في النساء والصبيان كما قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فقبل قولها وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء فاذا وطئ بلدا كان ذلك دأبه الى أن

يجيبه أهلها فيضع عليهم
الجابية والخراج واشتدت
شوكته وفشا أعماله فى السواد
الاعظم فارتاع لذلك أهل
البصرة فمشوا الى الاحنف
ابن قيس وشكوا اليه أمرهم
وقالوا ليس بيننا وبين القوم
الا ليلتان فقال لهم الاحنف
ان سيرتهم فى مصركم ان
ان ظفروا بكم مثل سيرتهم
فى سواكم فخذوا فى جهاد
عدوكم وقد حرضهم الاحنف
فاجتمعوا اليه بزهاء من
عشرة آلاف فى السلاح وأمر
عليهم مسلم بن عبيس وكان
شجاعا دينا وخرج بهم فلما
صاروا بموضع يعرف بدولاب
خرج اليه نافع بن الازرق
على الشراة وكانوا ستمائة
نفر فاقتتلوا قتالا شديدا حتى
تكسرت الرماح وعقرت
الخيل وتضاربوا بالعمد
فقتل فى المعركة ابن عبيس
وهو أمير أهل البصرة وقتل
نافع بن الازرق أيضا فعجب
الناس من قتل الاثنين ثم
ولى على أهل البصرة الربيع
ابن عمرو وعلى الازارقة
عبد الله بن الماخور فقتل
الربيع وتولى الحجاج بن
رباب فقتل وتولى حارثة بن
بدر ونادى فى الناس بأن
اثبتوا فاذا فتح الله عز وجل
فللعرب زيادة فريضتين نعم
وللموالى زيادة فريضة وثبت
الناس فالتقوا وقد فشت

غروب الشمس الى وقت طلوعها وهو الليل الطبيعى والليل الشرعى من لدن اقبال الظلام
فى الشرق الى وقت الفجر الثانى واما سليمان الاعمش فقال النهار الشرعى من اول بزوغ
الشمس محتجا بقوله صلى الله عليه وسلم صلاتنا النهار عجما وان اى لا يجهر فيهما ولعمرى ان
ماقاله لجيد وان كان الصحيح خلافه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر أن صلاة النهار عجماء
فعلم من هذا ان صلاة الليل غير عجماء وهى المجهور فيها والله تعالى قال ان قرآن الفجر كان
مشهودا أى مجهورا به ومايجهر فيه يكون حكمه داخلا فى الليل ويقال انه قيل لابى حنيفة
ألا تمضى الى الاعمش تسلم عليه قال كيف أسلم على من لم يصم رمضان قط وقال وكيع
سمعت الاعمش يقول لولا الشهرة لصليت الفجر ثم تسحرت قال الشيخ الامام الحافظ شمس
الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى كان هذا مذهب الاعمش وهو على الذى
روى النسائى من حديث عاصم عن زرعة عن حذيفة قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان ضوء النهار الا ان الشمس لم تطلع ذكر ذلك فى تاريخه الكبير الذى قرأته عليه
حوادث واجازنيه تراجم (قلت) وأكد الامام فخر الدين مذهب الاعمش ونصره ببحث قال
منه لو بحثنا عن حقيقة الليل فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل وجدناها عبارة عن
زمان غيبة الشمس بدليل ان الله تعالى سمى مابعد المغرب ليلا مع بقاء الضوء فثبت ان
يكون الامر من الطرف الاول من النهار كذلك فيكون ماقبل طلوع الشمس ليلا وان لا يوجد
النهار الا عند طلوع القرص اه (قلت) الآية الكريمة قد بينت حرمة أكل الصائم فى
قوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر فقد
أبانت غاية الاكل بحتى فهذا نص صريح فى غاية مدة أكل الصائم فى الليل والخيط الابيض
هو الفجر الثانى الذى يستطيل فى الافق من القبلة الى الشمال وليس الفجر الكاذب الذى
يأخذ أولا من ذيل الأفق الى قريب من ثلثه طولا وهو المسمى بذنب السرحان وهذا
الفجر الكاذب من الادلة القوية على الفاعل المختار لان تعليله يشق على الحكيم اذ لا سبب
له غير الشمس لكونه أولا يبدأ آخذا الى فوق ثم يذهب ويأخذ بعد قليل فى الافق
عرضا من اليمين الى الشمال فان كان ذلك بواسطة الشمس فكان ينبغى ان يكون فى الغرب
مثله عند العشاء الاخيرة فاذا غاب الشفق يظهر بعد قليل بياض مستطيل شبيه بذنب
السرحان وقد قال بعض الحمقى ان فى جبل قاف طاقة اذا حاذتها الشمس خرج الضوء من
تلك الطاقة فاذا بعدت المحاذاة بطل الضوء فاذا قاربت الشمس الظهر بدا الضوء الثانى
فحصل الفجران وهذا من خرافات العقول وأكاذيب الاوهام وأباطيل الحدس وقد ذكر
شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكى القرافى فى كتابه الاستبصار فيما تدركه الابصار
تعليل ذلك وفيه نظر (الاعراب) * (تنام) مضارع نام فهو نائم والجمع نيام وجمع نائمة نوّم على
الاصل ونيم على اللفظ وتقول نمت وأصله نومت بكسر الواو فلما سكنت سقطت لاجتماع
الساكنين ونقلت حركتها الى ماقبلها وكان حق النون ان تضم لتدل على الواو الساقطة
كما ضمت القاف من قلت لانهم كسروها للفرق بين المضموم والمفتوح وأما كلت فانما
كسروها لتدل على الياء الساقطة وأما على مذهب الكسائى فالقياس يستمر لانه يقول أصل
قال قول بضم الواو وأصل كال كيل بكسر الياء والامر منه نم بفتح النون وكذلك بناء

المستقبل لان الواو المنقلبة ألفا سقطت لاجتماع الساكنين وهنا أيضا حذفت الهمزة التى للاستفهام لان أصله أتنام عنى وحذفها جائز فى ضرورة كما تقدم (عنى) جار ومجرور أصله عن الجارة ودخلت نون الوقاية على النون الاصلية فلهذا شددت فى اللفظ وكتبت بنون واحدة والياء ضمير المتكلم فهو مجرور بعن ومن العرب من لا يدخل نون الوقاية على عن ولا على من ويقول عنى ومنى بنون واحدة مخففة وعن هنا معناها التجاوز أى تتجاوز أمرى وتنام وتقدم الكلام على تقسيم عن فى أول القصيدة (وعين النجم) الواو للابتداء وعين مرفوع على انه مبتدأ والنجم مجرور بالاضافة والاضافة هنا معنوية وهى مقدرة باللام (ساهرة) مرفوع على انه خبر المبتدا والاحسن ان تكون ساهرة منصوبة على الحال والخبر محذوف كما قرئ ونحن عصبة بالنصب معناه ونحن نرى عصبة فكذا يقدر هنا وعين النجم ترى ساهرة اذا المعنى أتنام عنى وهذه عين النجم ترى ساهرة لاجلى وتستحيل على وهذا صبغ الليل يرى غير حائل وفى تقديره هكذا توبيخ له لكونه من ذوى الحواس وقد نام عنه واستحال عليه وهذا غير حاسين ومع ذلك فقد سهرت عين النجم ورثت فى حاله غير نائمة ولم يستحل صبغ الليل رحمة له ووفاء واذا جعلت ساهرة خبر العين النجم وصبغ مبتدا ولم يحل الخبر وكانت الجملة فى الموضعين فى تقدير الحال ذهب معنى التقريع والتوبيخ الذى تقرر ويعود المعنى أتنام عنى والحال من النجم والليل كذا وكذا وان شئت قدرت عين النجم خبرا والمبتدا محذوف تقديره وهذه عين النجم ساهرة ويكون فيه معنى زائد فى التوبيخ لانك اذا قلت أيخفى عليك ما أردت وهذا الطفل قد فهمه فيه معنى زائد على قولك أيخفى عليك ما أردت والطفل قد فهمه (وتستحيل) الواو عاطفة الجملة الفعلية على مثلها وهما تستحيل وتنام تستحيل فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه كما فى تنام (وصبغ) الواو للابتداء وصبغ مرفوع اما على انه مبتدا والخبر محذوف تقديره يرى أو على أنه خبر مبتدا محذوف تقديره وهذا صبغ الليل على ما تقدم (الليل) مجرور بالاضافة المعنوية وهى مقدرة باللام (لم) حرف يجزم الفعل المضارع وهى من خصائصه وعملت فيه الجزم لانها دخلت عليه فنقلته من الاستقبال الى المضى فاختصت به لهذا المعنى وكان عملها الجزم قياسا على ان الشرطية لانها تدخل على الماضى فتنقله من المضى الى الاستقبال وهى مع ذلك تقتضى شرطا وجزاء وهما جملتان فطالما اقتضته وكان لابد من العمل فناسب أن يكون الجزم ليقابل طول ما اقتضته بهذه الخفة (يحل) فعل مضارع مجزوم بلم وكان أصله يحول فاجتمع ساكنان وهما الواو واللام آخر الفعل لدخول الجازم والاول حرف علة فحذف وبقى آخر الفعل ساكنا ثم اضطر الشاعر الى حركة الساكن فكسره اذ القاعدة فى الساكن انه اذا حرك كسر لانهما أخوان فى أن كل واحد منهما مختص بنوع من الكلام فالجر بالاسماء والجزم بالافعال وما أحسن قول من قال دخول لم على المضارع كدخول الدواء المسهل على الجسد ان وجد فضلة ازالها والا أضعف البدن وكذا ان كان المضارع فيه علة متوسطة أو متطرفة اذهبها وان كان صحيحا أضعفه لانه ينقله من الحركة الى السكون ولو أن جالينوس كان يعلل نحو العرب ما أتى بأحسن من هذه المناسبة وقد قيل انه كان يعرف النحو اليونانى * بقى فى البيت سؤال وهو أن مفعول تستحيل ما هو لان تستحيل من الاستحالة وهى استفعال من الاحالة تقول

بينهم الجراح وماتطأ الخيل
الاعلى القتلى فبينما هم
كذلك اذ أقبل من اليمامة
مدد عظيم للازارقة
فاجتمعوا وهم مريحون مع
أصحابهم وحملوا على الناس
فلما رأتهم الجيوش ورآهم
حارثة نكص برايته وانهزم
وقال لاصحابه
كرنبوا ودولبوا
وحيث شئتم فاذهبوا
أير الحمار فريضة لعبيدكم
والمخصيتان فريضة الأعراب
فتتابع الناس على اثره
منهزمين وتبعهم الخوارج
فالقوا نفوسهم فى دجيل
فغرق منهم خلق أكثرهم
من الازد وفى ذلك يقول
شاعر الازارقة
يرى من جاء ينظر فى دجيل
شيوخ الازد طافية لحاها
وقلق أهل البصرة لذلك
ودخل قلوبهم الرعب من
الخوارج فبينما هم كذلك
اذ ورد المهلب بن أبى صفرة
متوجها الى خراسان وقد
كتب له عبد الله بن الزبير
عهده بها فلما مر بالبصرة قال
الاحنف لوجوه أهل البصرة
والله ما للخوارج غير المهلب
فكلموه فى ذلك فقال هذا
عهدى على خراسان
وما كنت لأدع أمر أمير
المؤمنين عبد الله بن الزبير
فاتفق أهل البصرة مع
الاحنف على أن يقتلوا

كتابا على ابن الزبير يأمره فيه بقتال الخوارج فكتبوه وفيه (أما بعد) فان الحسن ابن عبد الله كتب الى يخبرنى أن الازارقة أصابوا جندا من المسلمين وانهم قد أقبلوا نحو البصرة وكنت قد كتبت عهدك على خراسان ووجهتك وقد رأيت أن تبتدئ بقتال الخوارج فان الاجر فيه أعظم من سيرك الى خراسان فلما قرأ المهلب الكتاب قال والله ما أسير اليهم حتى تجعلوا الى ما غلبت عليه وتقووني من بيت المال وأنتخب من فرسانكم ورجالكم من شئت فأجابوه الاطائفة من بنى مسمع فقعدها عليهم المهلب وسار الى الخوارج فكان عليهم أشد من كل من قاتلهم وبلغ ابن الزبير افتعال الكتاب فلم يقل شيأ وأقره على ذلك ثم ان المهلب أخذ بالحزم فى القتال واعمال الرأى والمطاولة فاذكى العيون وأقام الحرس وخندق ولم يزل الجند على مصافهم والناس على راياتهم وأخماسهم فكانت الازارقة اذا أرادوا اتيان المهلب وجدوا أمرا محكما ثم خرج المهلب يوما على تعبية حسنة وخرج الخوارج على مثل ذلك الا انهم أحسن

استحال زيد على عمرو فالجواب انه محذوف تقديره على وحسن حذفه كونه معلوما من السياق لانه اذا قال تنام عنى علم ان معنى قوله وتستحيل أى على فهو جار ومجرور موضعه النصب على المفعولية (المعنى) أتنام عنى وهذه عين النجم تراها ساهرة لما أقاسيه وأكابده من الفكر وتستحيل على وصبغ الليل كما تراه لم يحل ولم يتغير وفى هذا ادماج لانه أدمج فى هذه العبارة أن الليل طويل عليه لم ينسلخ من سواده الى الفجر وما أحسن قول ابن الساعاتى

نمتم عن سهادجفنى ولا * يعلم ماضر ساهرا من ينام
مارعيتم حق الجوار وان كا * ن بادنى الجوار يرعى الزمام

وقال الارجانى

فلا تنكروا حق المشوق فانما * لنا وعليكم أنجم الليل تشهد
أبيت نجى الهم فى كل ليلة * كأن بها طرفى طراف ممدد

وقال ابن الهبارية

لقد ساهرتنى عيون الدجى * وقد غنى عنى عيون الملاح
اذا ماشكا الليل هجر الصباح * شكوت الى الليل هجر الصباح

وقال ابن خفاجة

لا تسألوا عنى الخيال فانه * ما زارنى عنكم فيعلم مابى
واستخبروا الليل ان رعيت نجومه * فنضا ولم ينصل دجاه خضابى
سهرت كواكبه معى ورقدتم * أنتم كواكبه وهن صحابى

وقلت أنا فى هذه المادة

أشكو الى البدر ليالى الجفا * وليس يدرى ما بعضنا لك
فهو سميرى أتسلى به * وانما البدر محيا لك

وما أحسن قول القائل فى طول الليل

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وأخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل وزاده فقال

بكف الثريا وهى جذما تقاس لى * شقاق دجى مدت من الشرق للغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت * فما تنقضى يا ليل أو ينقضى نحبى

وقال شرف الدين أحمد بن نصير بن كامل بن على بن منقذ

ولرب ليل تاه فيه نجمه * قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فأجابنى * لو كان فى قيد الحياة تنفسا

ومثله قول الآخر

مات الظلام بليل * احييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

وقال شرف الدين أحمد المذكور

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا

وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت ان صباحه قد ماتا

وما أحسن اعتذار الأرجانى عن طول الليل

لا أدعى جور الزمان ولا أرى * ليلى يزيد على الليالى طولا
لكن مرآة الصباح تنفسى * للهم أصدأ وجهها المصقولا

وما أرشق قول خالد الكاتب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

وانصف من قال

ومالينا الاسواء وانما * تفاوته أنا سهرنا ونمتم

وقال زكى الدين بن أبى الاصبع

وساق اذا ما ضاحك الكاس قابلت * فواقعها من ثغره اللؤلؤ الرطبا
خشيت وقد أمسى نديمى على الدجا * فاسدلت دون الصبح من شعره الحجبا
وقسمت شمس الطاس بالكاس أنجما * فيا طول ليل قسمت شمسه شهبا

أخذ الاصل من قول القائل

ترى الشمس قد مسخت كوكبا * وقد طلعت فى عداد النجوم

(رجع) وأين صاحب الطغرائى من قول أبى الطيب

لا أستزيدك فيما فيك من كرم * أنا الذى نام اذ نبهت يقظانا

وهو مأخوذ من قول بشار بن برد

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم

وله عذر فى نومه واستحالته على الطغرائى لان هذا الصاحب سائر على مطايا الراحة والامن والطغرائى قد اقتعد فى ذروة القلق والجد والروع والطلب وهيهات بينهما فرق بعيد وبون وقد ضل من اعتقد أن الصاحب له فى الشدائد عون ويا ويل الشجى من الخلى وهان على الاملس ما لاقى الدبر ومن هذا قول ابن قلاقس الاسكندرى

يغيظنى وهو على رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم

يقال ان أبا أيوب المرزبانى وزير المنصور كان اذا دعاه المنصور يصفر لونه ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع له لونه فقيل له أنا نراك مع كثرة دخولك الى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازو وديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف أقل وفاء منك لاصحابك قال وكيف ذلك قال تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك باكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد الا طرت من هنا الى هناك وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها وأما انا فأوخذ من الجبال وقد كبرت فى فتخاط عينى وأطعم الشئ اليسير وأساهر فامنع من النوم وأونس اليوم واليومين ثم أطلق على الصيد فاطير وحدى وآخذه وأجىء به الى صاحبى فقال له الديك ذهبت عنك الحجة أما لو رأيت بازين فى سفود ما عدت اليهم أبدا وأنا فى كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوأ حالا منى عند طلبه لكم (قلت) وكأن أبا أيوب كان قد استشعر ايقاع المنصور به فانه أوقع عدة وأكرم خيلا وأكثر سلاحا من أهل البصرة وذلك انهم أكلوا ما بين كرمان الى الاهواز فخافوا فى المغافر والدروع يسحبونها فالتقى الناس واشتد القتال وصبر بعضهم على بعض عامة النهار ثم شدت الخوارج على الناس شدة منكرة فاجفل الناس فانصاعوا منهزمين وأسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان يفاع ثم نادى الناس الى الى عباد الله فثاب اليه جماعة من قومه حتى اجتمع اليه نحو من ثلاثة آلاف فلما نظر الى من اجتمع اليه رضى جماعتهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فينهزمون ويتنزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ولعمرى انى الآن بجماعتكم لراض وأنتم والله أهل الصبر وفرسان المصر وما أحب أن أحدا منكم انهزم معكم ولو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا عزمت على كل نفر منكم الا أخذ عشرة أحجار معه ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيولهم فى طلب اخوانكم فقبلوا منه ثم أقبل بهم زحفا فلا والله ما شعرت الخوارج الا بالمهلب يضاربهم فى جانب عسكرهم ثم استقبلوا

به فيما بعد وعذبه وأخذ أمواله وكانت أموالا عظيمة وما أفاده الدهن الذى ضرب به المثل شيأ فان فى أفواه العوام دهن أبى أيوب قيل انه كان يدهن حاجبيه بدهن يسحر فيه المنصور اذا رآه فلا يتمكن منه (رجع) واستعارة العين للنجم فى بيت الطغرائى من أحسن ما يكون قال ابن نباتة السعدى

وخطة ضيم قد أبيت وليلة * سريت فكان المجد ما أنا صانع
هتكت دجاها والنجوم كأنها * عيون لها ثوب السماء براقع

وقال الارجانى

ثم خافت لما رأت أنجم الليـ * ـل شبيهات أعين الرقباء

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

ما راعنا تحت الدجى شئ سوى * شبه النجوم بأعين الرقباء

ومن الالغاز فى السماء والنجوم

وحسناء خرساء لا تنطق * يروقك ملبسها الازرق
وأحسن من كل مستحسن * عيون لها فى الدجى تبرق

وقال ابن طباطبا العلوى

وقد لاحت الشعرى العبور كأنها * طرف تقلب بالدموع هموع

وقال أيضا

وكأن النجوم لما تدانى الصبح أجفان مستهام كئيب
شاخصات الى السماء فما تطـ * ـرف أجفانها من التغريب
زاهرات كأنها من الجا * هل فى حندس كدهر الاديب

وما أحسن هذا الثالث والطف تخيله وقد استعمل أبو العلاء المعرى دهر الاديب أيضا فقال

خبرينى ماذا كرهت من الشيـ * ـب فلا علم لى بذنب المشيب
أضياء النهار أم وضح اللؤ * لؤ أم كونه كثغر الحبيب
واذكرى لى فضل الشباب وما يجـ * ـمع من منظر يروق وطيب
غدره بالخليل أم حبه للـ * ـغنى أم أنه كدهر الاديب

وهذا هو تشبيه المعقول بالمحسوس وهو أعلى مراتب التشبيه طبقة لانه ينشأ عن لطف ذوق وسلامة فطرة وصحة تخيل فهو صعب على من يرومه متقاعس عمن جذب زمامه لان العلوم العقلية تستفاد من الحواس فى المقادير والالوان والطعوم والرائحة وطيب النغم ونعومة الملمس وخشونته ولهذا قالوا من فقد حاسة فقد علما واذا كان كذلك فالمحسوس أصل والمعقول فرع وتشبيه المعقول بالمحسوس من باب رد الفرع أصلا والاصل فرعا وأحسن ما جاء فيه قول القائل

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

وقول الآخر

كأن القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

وقول الآخر

كان

أميرهم عبد الله بن الماخور وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح فجعل الرجل من أصحاب المهلب يتعرض وجه الرجل بالحجارة حتى يثخنه ثم يضربه بسيفه فلم يقاتلهم الا ساعة حتى قتل ابن الماخور وضرب الله وجوه أصحابه وأخذ المهلب معسكر القوم وما فيه ومضى المنهزمون الى كرمان واصبهان ثم ولى مصعب ابن الزبير العراق ورجع اليه المهلب فقاتل معه المختار بن أبى عبيد الى أن قتل ورجع الى الازارقة فلم يزل يغاديهم القتال ويراوحهم وهو مع ذلك شديد الاحتراز على عسكره والتحفظ واليقظة الى أن بلغ مدة طويلة وبلغ الخوارج قتل مصعب بن الزبير أمير العراق واستيلاء عبد الملك بن مروان قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج ما تقولون فى مصعب قالوا امام هدى ولينا فى الدنيا والآخرة قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين قالوا فانتم منه برآء فى الدنيا والآخرة قالوا نعم ونحن له أعداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم المصعب قد قتله عبد الملك وانكم ستجعلون عبد الملك غدا امامكم وأنتم اليوم تتبرؤن منه وتلعنون

كأن انتضاء البدر تحت غمامة * نجاة من الباساء بعد وقوع

وقول أبي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وقول لحظة البرمكي

ورق الجو حتى قيل هذا * عتاب بين لحظة والزمان

قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبي الثناء محمود قوله في كتابه حسن التوسل يصف حصنا

كأنه وكان الجو يكنفه * وهم تمثله في طيها الفكر

وقول ابن الهبارية

كم ليلة بت مطويا على حرق * اشكو الى النجم حتى كاد يشكوني

والصبح قد مطل الشرق العبور به * كأنه حاجة في نفس مسكين

وقول أبي القاسم سعد بن ابراهيم

تتنفس الصهباء في لهواته * كتنفس الريحان في الآصال

وكأنما الخيلان في وجناته * ساعات هجر في زمان وصال

وهو مأخوذ برمته من قول الآخر

اسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كأنما الخال على خده * ساعة هجر في زمان الوصال

وأخذه الشهاب بن المعمار فقال في خال قبيح على خد مليح

وجهك الزاهر نور * فيه خال غير حالي

ساعة من ليل هجر * في نهار من وصال

وكلاهما أخذ المعنى من المعتمد بن عباد حيث قال

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور

فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

وقول الآخر

ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى العذل

وما أحلى قول أبي حفص عمر بن علي المطوعي

قم هات دهقانية * وعليك بالكاس الدهاق

أوما ترى نور الخلا * فكأنه نور الوفاق

وقوله أيضا

أوما ترى نور الخلاف كأنه * لما بدا للعين نور وفاق

أو كف سنور ولكن نشره * يسعى بغبار المسك في الآفاق

وعلى ذكر الفار حكي ان فخر القضاة ابن بصاقة امسك له فارة بيضاء فصنع لها قفصا وكتب عليه من نظمه

وفأرة بيضاء لم تمتهن * يوما بأطعام السنانير

أباه قالوا كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك فناداهم الازارقة يا أعداء الله بالامس تتبرؤن منه وتلعنون أباه واليوم تبايعونه بالخلافة وقد قتل امامكم الذي كنتم تتولونه فايهما المهدي وأيهما الضال فقالوا رضينا بذلك ونرضى بهذا اذ ولي كل منهما أرواحنا وأمورنا فقالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وطلبة الدنيا ثم ولي عبد الملك وأمر الحجاج على العراق وأمره بامداد المهلب فشمر الحجاج لذلك وتتابع المدد الى أن قال المهلب لقد ولي العراق وال ذكر ثم ان الحجاج كتب الى المهلب يستبطئه في مناجزة الازارقة ويستحثه فحبس المهلب رسول الحجاج أياما حتى رأى صنع الخوارج وجلدهم وثباتهم وكتب الى الحجاج يقول ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فان كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أديرها كما أرى فان أمكنتني فرصة انتهزتها وان لم تمكني توقفت فانا أدير ذلك بما يصلحه وان أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب فان كان صوابا فلك وان كان خطأ فعلي فابعث من رأيت مكاني والسلام ولما طالت الحرب

بين المهلب وبينهم ورأى اتفاق أهوائهم وثباتهم علم انه لا يظفر الا بالاختلاف اذا وقع بينهم وكان في عسكرهم حداد يسمى ابزن يصنع نصال المسمومة يرمى بها أصحاب المهلب فوجه المهلب رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر الخوارج وقال ألق الكتاب في العسكر واحذر على نفسك وكان في الكتاب الى الحداد أما بعد فان نصالك قد وصلت الينا وقد وجهت اليك بالف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب الى قطري فدعا ابزن وقال ما هذا الكتاب قال لا أدري قال فما هذه الدراهم قال لا أعلم علمها فامر به فقتل فجاءه عبد ربه الصغير وكان من كبار القوم فقال له قتلت رجلا على غير بينة ولا تبين أمره فقال فما هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز ان يكون حقا قال قطري قتل رجل في صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما يراه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه في جماعة معه فلم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل له انما سجدت لك ففعل

اذ فأرة المسك سمعنا بها * وهذه فأرة كافور

ومما يستغرب انه وجد في ذخائر سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه غلة في عنقها سلسلة تاكل كل يوم رطلي لحم بالبغدادي

* (فهل تعين على غي هممت به * والغي يزجر أحيانا عن الغشل) *

(اللغة) الاعانة المساعدة في الخير والشر (الغي) الضلال تقول غوى بالفتح يغوى غيا وغواية فهو غاو وغو وأغواه غيره فهو غوى على فعيل قال الاصمعي لا يقال غيره وأنشد قول المرقش

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

سأل بعض المغفلين انسانا فاضلا فقال له كيف تنسب الى اللغة فقال لغوى فقال أخطأت في ضم اللام انما الصحيح ما جاء في القرآن قال الله تعالى انك لغوى مبين (الزجر) المنع والنهي يقال زجره وازدجره فانزجر وازدجر (احيانا) الحين الوقت وجمعه أحيان (الفشل) الجبن يقال فشل بالكسر فشلا اذا جبن (الاعراب) فهل الفاء قد تقدم الكلام عليها وهل حرف استفهام وهي أخت الهمزة ولها صدر الكلام تقول أزيد قائم وأقام زيد وهل زيد قائم وهل قام زيد وانما كان الاستفهام له صدر الكلام لانه طلب الفهم وقيل لانه طريق الى الفهم وقيل لانه قسم من أقسام الكلام فوجب ان يتميز عن غيره من أول مرة وقيل لان أداة الاستفهام تنقل معنى الجملة من الخبر الى الاستخبار فاشبه النفي والتمني وغيرهما ولما كانت الهمزة وهل غير مختصتين كانتا غير عاملتين والهمزة أعم من هل لانك تقول أزيدا ضربت أم عمرا وهل لا تقع هنا لان أم المتصلة لا تقع بعد هل حيث وجدت هل وجد الفصل أي الانقطاع وأيضا فان قولك أزيدا ضربت قد فصلت فيه بين همزة الاستفهام وبين الفعل بالمفعول ولا يجوز ذلك في هل فلا تقول هل زيدا ضربت وتقول أتضرب زيدا وهو أخوك ولا تقول هل تضرب زيدا وهو أخوك لانك في الهمزة تدعي ان الضرب واقع به وأنت توبخه وفي هل لا تدعي ذلك بل تستفهم عنه فقط وقد تجيء هل بمعنى قد كقوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم وقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر وقد تجيء أيضا بمعنى ما كقوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله (تعين) فعل مضارع من اعان يعين اعانة مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنت (على غي) جار ومجرور وعلى تكون للاستعلاء حسا مثل ركبت على الفرس أو معنى نحو تكبر عليه وفلان علينا أمير وقوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وفيه لطيفة وذلك انه أتى بعلى للهدى وبفي للضلال لان صاحب الهدى والحق كانه مستعل على ما هو عليه كالجواد يركض به كيف شاء وصاحب الضلال والباطل كانه منغمس فيما هو فيه ورأسه منخفض لا يدري أين يتوجه وهذا من لطائف القرآن وغوامض معانيه ألا ترى الى لفظ الهدى كيف وقع بعلى في قوله تعالى على هدى من ربهم والى لفظ الضلال كيف وقع بفي في قوله تعالى انك لفي ضلالك القديم وقد تكون بمعنى في التي للظرفية نحو قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وقد تكون بمعنى عن كقول الشاعر

اذا رضيت علي بنو قشير * لعمر الله أعجبني رضاها

وقد تكون اسما وذلك اذا دخل عليها حرف الجر نحو نزلت من عليه أي من فوقه والقول فيها

بانها اسم كالقول فى من وفى على لغات تقول جاء السيل من عل ومن علو بضم الواو وفتحها وكسرها مع سكون اللام ومن على ومن علو ومن علا بكسر اللام مع الياء وضمها مع الواو وفتحها مع الالف ومن عال فهذه ثمان لغات وأما ما أنشده البغداديون لابن ثروان من قوله

يارب يوم لى لا أظل له * أرمض من تحت وأضحى من عله

فقال أبو على الهاء فيه مشكلة وأبطل أن تكون ضميرا أو هاء سكت (رجع) هممت فعل ماض تقول هم يهم وانما يفك الادغام عند اتصال الفعل بضمير الرفع واما اذا دخل الجازم على المضارع من هذا المشدد فانت مخير بين الفك والادغام والفك لغة القرآن وهى للحجازيين قال الله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يحلل عليه غضبى ولا تمنن تستكثر واغضض من صوتك والادغام لغة بنى تميم وعليها قوله تعالى ومن يشاقق الله ولك أن تقول حل واحال ومد وامدد وغض واغضض والتاء ضمير الفاعل وهو المتكلم (به) جار ومجرور والباء هنا يحتمل أن تكون للالصاق وقد تقدم الكلام عليها وهممت وما بعده صفة لغى فى موضع جر (والغى) الواو للابتداء والغى مرفوع على أنه مبتدأ (يزجر) فعل مضارع من زجر يزجر وارتفع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه يرجع الى المبتدا الذى هو الغى والجملة من الفعل والفاعل فى موضع رفع على انها خبر الغى (أحيانا) منصوب على انه ظرف زمان والعامل فيه يزجر (عن الفشل) جار ومجرور وعن هنا للمجاوزة ومفعول يزجر محذوف للعلم به لان التقدير يزجر الانسان عن الفشل وعن الفشل فى موضع نصب لتعلقه بالفعل وهو يزجر (المعنى) يقول لصاحبه أتنام عنى وتستحيل على فهل لك فى أن تعين صاحبك على غى هم به وسيأتى تفسير ذلك الغى فيما بعد فان الغى يمنع الانسان فى بعض الاوقات عن الجبن واعانة المرء صاحبه فى الحق أمر مندوب اليه قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهذا فى الواجبات وقال صلى الله عليه وسلم والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه وهذا فى الامور المباحة فاما المحظورة فلا ومن فعل فقد شارك وصار له كفل منه وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل له يا رسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تحجبه عن الظلم فذلك نصرك اياه وحدث عمرو بن سعيد بن سالم الباهلى قال كنت من حرس المأمون بحلوان حين خرج من خراسان بعد قتل الامين واستيثاق الخلافة له فخرج لينظر الى العسكر فى بعض الليل فعرفته ولم يعرفنى فاغفلته وجاء من ورائى حتى وضع يده على كتفى فقال من أنت قلت أنا عمرو عمرك الله ابن سعيد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله فقال أنت الذى كنت تكلؤنا فى هذه الليلة فقلت الله يكلؤك يا أمير المؤمنين فانشأ المأمون يقول

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ثم قال يا غلام أعطه لكل بيت ألف دينار فوددت ان تكون الابيات طالت فأجد الغنى فقلت يا أمير المؤمنين وأزيدك بيتا فقال لى هات فقلت * وان غدوت ظالما غدا معك * فقال يا غلام أعطه لهذا البيت ألف دينار فما برحت من موضعى حتى أخذت خمسة آلاف دينار (قلت) ما فهم المأمون من هذا البيت الاخير الا ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام حديثه المتقدم * وأما الجبن فامر مذموم قال صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم

النصرانى ذلك فقال له قطرى انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر عيسى شيأ فقام رجل من الخوارج الى النصرانى فقتله فانكر ذلك عليه وقال قتلت ذميا فاختلفت الكلمة فبعث اليهم المهلب رجلا يسألهم عن شئ تقدم به اليه فاتاهم الرجل فقال أرأيتم لو أن رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما فى الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ما تقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فهو من أهل الجنة وأما الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الخلاف فخرج قطرى الى حدود اصطخر وأوقع المهلب بمن بقى منهم مع صالح بن مخراق وزحف الى البقية وخندق عليه ثم أقام أياما وأوقع بينهم الفتنة حتى وقع بين قطرى وعبد ربه فانحاز الى عبد ربه جماعة وولوه عليهم وذهب قطرى باصحابه وقاتل المهلب جيش عبد ربه فقتل عبد ربه بعد

وقائع طويلة وانفل جند الازارقة وتشتتوا فى البلاد وتخطفهم الناس وكتب المهلب الى الحجاج بالفتح يقول الحمد لله الكافى بالاسلام فقد ماسواه بان حكم بان لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر ما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر ما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان على أمرهم حتى ارتاعت الفتاة وتوهم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة فى وقت امكانها وأدنيت السواد حتى تعارفت الوجوه فلم تزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج يشكره ويذكر بلاءه ويأمره بالقدوم عليه واستخلاف أحد بنيه فقدم على الحجاج فاجلسه على السرير الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد عتقاء المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الايادى

وقلدوا أمركم للدرکم
رحب الذراع بامر الحق مطلعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه
هم يكادحشاه يقصم الضلعا
حتى استمر على شزر مريرته
مستحكم الرأى لا خمّا ولا ضرعا

فقام رجل وقال أصلح الله

فاصبروا وفى رواية فاثبتوا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف وفى كتاب أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد رضى الله عنه احرص على الموت توهب لك الحياة وقال عمر رضى الله عنه الجراءة والجبن من الغرائز التى يضعها الله حيث شاء فالجبان يفرّ عن أهله وولده والجرى يقاتل عمن لا يؤوب الى رحله * وقال خالد بن الوليد عند موته لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع قيس شبر الا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشى حتف أنفى فلا نامت عيون الجبناء * ووقع فى أبى فراس الحرث بن حمدان نصل نشاب أقام فى بدنه ثلاثين شهرا حتى خرج فقال فيه

فلا تصفن الحرب عندى فانها * طعامى مذ بعت الصبا وشرابى
وقد عرفت وقع المسامير مهجتى * وشقق عن زرق النصول اهابى
وبجت فى حلو الزمان ومره * وأنفقت من عمرى بغير حساب

وقال أبو الطيب

رمانى الدهر بالأرزاء حتى * فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال
وها أنا لا أبالى بالرزايا * لأنى ما انتفعت بان أبالى

(رجع) ويدخل فى قول الطغرائى اغراء المحبين من يألفونه ويحبونه بالاقدام على الزيارة وركوب الأخطار وتهوين الخطوب فى الوصال ويتوصلون الى ذلك بأنواع من سحر الكلام والمغالط التى يستعملها البلغاء فى الاغراء والتحذير ويسمى أرباب المعقول هذا النوع الخطابة ومن أحسن ما جاء فى ذلك قول القائل

قم بنا تفديك نفسى * نجعل الشك يقينا
فالى كم يا حبيبى * يأثم القائل فينا

وهو مأخوذ من قول الآخر

لا أنس لا أنس قولها بمنى * ويحك ان الوشاة قد علموا
ونم واش بنا فقلت لها * هل لك يا هند فى الذى زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها * كى لا تضيع الظنون والتهم

(وقلت) انا كأنى حاضر أسمع مخاطبتهما

هذا محب وما يخلصه * فى دينه أن وشاته أثموا
فواصليه واصغى لمغلطة * يقبلها من طباعه الكرم
يا ويح وصل أتى بحيلته * ان كنت لم ترع عندك الذمم

وأنشدنى من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان بالقاهرة سنة سبعمائة وثمان وعشرين قال أنشدنى أبو عبد الله فتح الدين البكرى قال أنشدنى الجمال الكاتب محمد بن أبى الغز المكرم لابيه

الناس قد أثموا فينا بظنهم * وصدقوا بالذى أدرى وتدرينا
ماذا يضرك فى تصديق ظنهم * بان نحقق ما فينا يظنونا
حملى وحملك ذنبا واحدا ثقة * بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

ذكرت بالمغالطة هنا مغالط المنطق فمنها قولك الفول يغذو الحمام والحمام يغذو البازى يلزم من ذلك ان تكون النتيجة الفول يغذو البازى وهى كاذبة مع صدق المقدمتين وقد ذكرها الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافى فى أنوار البروق من جملة عشر مغالط وهى أحسنها لانى امتحنت بها جماعة من الاذكياء الفضلاء فلم يتنبهوا لمكان الغلط فى ذلك ووجهه ان الضرب الاول من الشكل الاول شرط انتاجه ان يكون الحد الاوسط محمولا فى الصغرى موضوعا فى الكبرى كقولك العالم متغير وكل متغير حادث فالنتيجة العالم حادث فلما كان هنا نفس محمول الصغرى موضوعا فى الكبرى انتج صدقا بخلاف المسئلة الاولى لان المحمول فى الصغرى انما هو لفظة يغذو وليس هو الموضوع فى الكبرى وانما الموضوع فيها مفعول يغذو وهو الحمام فلم يتحد الحد الاوسط وهذا نظير قولك زيد مكرم عمرا وعمرو مكرم خالدا فانه لا ينتج صدقا أن زيدا مكرم خالدا نعم لو قلت ان زيدا مكرم عمرا ومكرم عمرو مكرم خالدا أنتج أن زيدا مكرم خالدا فاعرف ذلك فانك تركب من هذه القاعدة مغالط كثيرة *ومن مغالط شهاب الدين القرافى قولك الوتد فى الحائط والحائط فى الارض فيلزم منه انتاج الوتد فى الارض وهو كاذب بخلاف قولك الدراهم فى الكيس والكيس فى الصندوق فالنتيجة الدراهم فى الصندوق وهى صادقة وانما صدق الانتاج هنا وفى الاولى كذب لان الحائط فى الاولى لم يغب بجموعه فى الارض كما غاب الكيس بجموعه فى الصندوق ومن مغالطه أيضا وهو مشهور بين أرباب المنطق فى الاستدلال على ان السارية ذهب أو الجبل ذهب أو ما وقعت عينك عليه ذهب قولك مثلا هذا الجبل ذهب لان كل من قال انه ذهب قال انه جسم وكل من قال انه جسم صادق فينتج كل من قال انه ذهب صادق ووجه الغلط أن صحة المقدمات غير مسلمة لان منها انه قال انه ذهب وهذا كذب ومنها كل من قال انه ذهب قال انه جسم وبعض هذه المقدمة ممنوع واذا كذبت احدى المقدمتين أو بعض المقدمة تبعته النتيجة فى الكذب وما أحسن ما أنشدته بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة لنجم الدين الوارسى وهو

لا تخطبن سوى كريمة معشر * فالعرق دساس من الطرفين
أو لست تنظر فى النتيجة أنها * تبع الاخس من المقدمتين

وهذا فى غاية الحسن وهذه المغالطة عظيمة يمكن الذكى ان يرتب عليها أنواع المحالات ويستدل على سائر الاجسام انها ياقوت أو ذهب أو غير ذلك *وأنشدنى الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه الشيخ الامام مجد الدين بن الظهير الاربلى أبياتا كتبها من نظمه على الجزولية فى النحو

مقدمة فى النحو ذات نتيجة * تناهت فاغنت عن مقدمة أخرى
حبانا بها بحر من العلم زاخر * ولا عجب للبحر أن يقذف الدرا
وأوضحها بالشرح صدر زمانه * ولم نر شرحا غيره يشرح الصدرا

*(انى أريد طروق الحى من اضم * وقد حماه رماة من بنى ثعل)*

(اللغة) الطروق هو المجىء بليل يقال أتانا فلان طروقا وقد طرق يطرق فهو طارق قال ابن الجواليقى فى التكملة الصواب أن يقال طوارق الليل وجوارح النهار لان أبا زيد حكى عن

الامير والله لكانى أسمع قطربا وهو يقول المهلب كما قال لقيط ثم أنشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى ظهر عليه وسئل المهلب ما أعجب ما رأيت من قتال الازارقة قال رأيت رجلا منهم يطعن الرجل فيمشى فى الرمح الى طاعنه وينال منه وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى وكانت مدة اقامة المهلبى على قتال الخوارج ومصابرته لهم تسع عشرة سنة الى أن فتح الله على يديه وطهر منهم الارض ومات على فراشه ومن أخباره المستحسنة انه أقبل يوما من بعض غزواته فتلقته امرأة فقالت له أيها الامير انى نذرت ان أقبلت سالما أن أصوم شهرا وتهب لى جارية وألف درهم فضحك وقال قد وفينا نذرك فلا تعودى لمثله فليس كل أحد يفى لك به *ووقف له رجل فقال أريد منك حويجة فقال اطلب لها رجيلا يعنى أن مثلى لا يسئل الا حاجة عظيمة ومر يوما بالبصرة فسمع رجلا يقول هذا الاعور ساد الناس ولو خرج الى السوق لا يساوى أكثر من مائة درهم فبعث اليه بمائة درهم وقال لو زدتنا فى الثمن زدناك فى العطية ولما هزم قطرى بن الفجاءة دخل عليه المغيرة وأنشده

أمسى العباد لعمرى لا غياث لهم

الا المهلب بعد الله والمطر
هذا يجود ويحمى عن ديارهم
وذا يعيش به الأنعام والشجر
فقال هذا والله هو الشعر
وأمر له بعشرين ألفا * ومن
كلامه عجبت لمن يشترى
العبيد بماله ولا يشترى
الاحرار بفضاله * وكان يقول
لولده اذا غدا عليكم الرجل
وراح فكفى بذلك تقاضيا
* وتذاكروا عنده الثياب فقال
أحسن ثيابكم ما رأيتموه على
غيركم * وكان كثيرا ما يأمر
بصلة الرحم والمكيدة فى
الحرب (وحكى) أن عبد الرحمن
ابن الاشعث لما خرج على
الحجاج بالجيش الذى كان
بعثه معه الى قتال
رتبيل كاتب المهلب وهو
بخراسان يدعوه الى خلع
الحجاج فقال المهلب لا غدر
بعد سبعين سنة ثم كتب الى
الحجاج أما بعد فان أهل
العراق مع ابن الاشعث قد
أقبلوا اليك وهم مثل السيل
المنحط من أعلى الى أسفل
ليس يرده شئ حتى ينتهى
الى قراره ولأهل العراق
شدة فى أول حربهم وبهم
صبابة الى نسائهم وأبنائهم
فلا شئ يردهم دون أهليهم
فلا تستقبلهم وخل لهم السبيل
حتى يأتوا البصرة فيضاجعوا
نساءهم ويتشهوا أبناءهم
فتبرق قلوبهم ويخلدوا الى
المقام فى منازلهم ويتفرقوا

العرب جرحته نهارا وطرقته ليلا قال الله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار
وقال الجوهرى جرح واجترح أى اكتسب وذكرت هنا أبياتا نظمها أحد الامشاطى من أهل
العصر وذلك فى سنة ست وعشرين وسبعمائة وهى

وفتاك اللواحظ بعد هجر * حباك كرما وأنعم بالمزار
وطل نهاره يرمى بقلبى * سهاما من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمقلتيه * وحكم النوم فى الاجفان جارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

(الحى) واحد أحياء العرب وهم القوم النازلون بمكان (واضم) بكسر الهمزة جبل بأرض
المدينة قال الشاعر * شبت بأعلى عائد من اضم * (حماه) منعه (رماة) جمع رام (ثعل) أبو حى
من طيئ وهو ثعل بن عمرو أخو نبهان وهم الذين عناهم امرؤ القيس بقوله

رب رام من بنى ثعل * مخرج كفيه من ستره

وبنو ثعل مشهورون باتقان الرمى وقد أكثر الشعراء من نسبة ذلك اليهم قال ابن قلاقس

وحى من كنانة قد رمونى * بما حوت الكنانة من سهام
اذا انتضلوا وما ثعل أبوهم * رموك بكل رامية ورامى

ومن هذه القبيلة عمرو بن المشيخ الثعلى الذى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفود العرب
فاسلم وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان أرمى العرب بالسهام واياه عنى امرؤ القيس بقوله رب رام
البيت وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة فى كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن امرئ
القيس من زمن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه كان قبله بمقدار أربعين سنة (الاعراب) انى ان
حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وانما عملت هذا العمل لانها واخواتها أشبهت الفعل ووجه
الشبه أن معنى ان أكدت وحققت وكأن شبهت ولكن استدركت وليت تمنيت ولعل
ترجيت ولانها مفتوحات الآخر كما انفتح آخر الفعل ولانها تدخلها نون الوقاية كالفعل
فاعطى هذا الباب أحسن حالات العمل وأقواها وهو تقدم المفعول على الفاعل فشبه اسمها
بالمفعول وخبرها بالفاعل (فان قلت) أحسن الحالات للفعل تقديم الفاعل (قلت) انما منع
ليكون للاصل مزية وتعلم فرعية ان وبابها فى العمل وقد أحسن محاسن الشواعيث
قال فى جارية زرقاء العيون

وغادة قلت لها الا * رعيت فى الحب لنا الا
وطرفك الازرق ما باله * يحدث فينا لحظه القتلا
قالت ألا يقتل طرف حكى * لون سنان الرمح والشكلا
قد عملت ان على أنها * حرف وقد أشبهت الفعلا

وقيل انما قدم المنصوب على المرفوع ولم يعكس لان كان تقدمت هذا النوع وفازت بذلك
العمل وانما قلنا بتقديم كان واخواتها لانها مختلف فى حرفيتها فقوم قالوا انها افعال سلبت
الدلالة على مصادرها وقوم قالوا بحرفيتها فلما تقدمت كان واخواتها اختصت بذلك العمل
وجاءت هذه بعد فاختصت بهذا العمل فرقا بين العملين ومنهم من قال انها نصبت الاسم لاغير
والخبر مرفوع بما كان عليه أولا لان انما تدخل على المبتدا والخبر وليس بشئ لان المبتدا

أولى بأن يبقى على حاله والكلام فى هذا الباب متسع فلذا اقتصرت منه على ماذكر وان تكسر فى مواطن ستة الاول أن تقع مبتدأة كقوله تعالى انا أعطيناك الكوثر الثانى أن تكون أول الصلة كقولك جاءنى الذى انه شجاع ومنه قوله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة واحترزنا بأول الصلة من مثل جاءنى الذى عندك أنه كريم لانها تفتح الثالث أن يتلقى بها القسم كقوله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه الرابع أن تحكى بقول مجرد من معنى الظن كقوله تعالى قال انى عبد الله واحترز بمجرد من معنى الظن من نحو قولك أتقول أنك فاضل فهنا تفتح الخامس أن تحل محل الحال نحو زرت زيدا وانى ذو محبة فيه وكقوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون السادس أن تقع بعد فعل معلق باللام نحو قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله فهذه هى المواطن التى يجب الكسر فيها * ولها أماكن أخر تكسر فيها وأماكن أخر يجوز فيها الفتح والكسر منها أن تقع بعد اذا التى للمفاجأة كقولك خرجت فاذا انه واقف ومنها ان تقع بعد قسم وليس مع أحد معموليها اللام كقولك حلفت انك ذو تعب ومنها أن تقع بعد فاء الجزاء نحو من يأتنى فانى أكرمه ومنها أن تقع خبرا عن قول وفاعل القولين واحد نحو قولى انى أحمد الله وماعدا هذه المواضع فانها تكون فيها مفتوحة * وتدخل اللام على خبر المكسورة اذا قصد المبالغة فى التوكيد وانما أدخلوا اللام على الخبر دون الاسم كراهية الجمع بين أداتى التوكيد ودخولها على الخبر مشروط بان لا يتقدم معموله نحو ان زيدا طعامك آكل ولا يكون منفيا نحو ان زيدا لا يقوم ولا ماضيا متصرفا خاليا من قد نحو ان زيدا قام فتدخل على المفرد نحو ان زيدا القائم وعلى المجرور نحو وانك لعلى خلق عظيم وعلى الجملة الاسمية نحو ان زيدا لأبوه قائم وعلى الفعل المضارع نحو ان زيدا ليقوم وان زيدا لسوف يفعل وعلى الماضى الذى لم يتصرف نحو ان زيدا عسى أن يفعل وعلى الماضى المتصرف المقرون بقد نحو ان زيدا لقد أتى وتدخل على معمول الخبر نحو ان زيدا لطعامك آكل وان عبد الله لفيك راغب وعلى ضمير الفصل كقوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق وعلى اسم ان اذا تأخر عن الخبر الظرف نحو ان عندك لزيدا أو الجار والمجرور نحو ان فى الدار لزيدا * ولها أحكام أخر منها أنها اذا خففت يقل عملها وقد تعمل مع لزوم اللام فى خبرها ومنه قراءة ابن كثير وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم والاهمال أكثر نحو وان كل لما جميع لدينا محضرون واذا دخلت عليها ما كفتها عن العمل وقد تحذف نون الوقاية معها وهو الاكثر فيقال انى والاصل انني وكذا باقى أدوات الباب تقول ليتنى وهو الكثير وتقول ليتى وهو القليل وتقول لكنى ولكننى وهما متساويان ولعلى ولعلنى وكأنى وكأننى (رجع) والياء فى انى فى موضع النصب على اسمية ان ولم يظهر الاعراب لان الضمائر مبنية (اريد) فعل مضارع ماضيه أراد رفع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله مستتر فيه تقديره أنا والجملة فى موضع رفع لانها خبر ان (طروق الحى) طروق منصوب على المفعولية لاريد والحى مضاف اليه والاضافة معنوية مقدرة باللام (من اضم) جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (وقد جاءه) الواو واو الحال وقد حرف تحقيق جاء فعل ماض والهاء فى موضع نصب على المفعولية وهى ترجع الى الحى (رماة) مرفوع على انه فاعل جاء (من بنى ثعل) من هنا لبيان الجنس وثعل اسم مجرور بالاضافة وهو ممنوع من الصرف لان فيه

عن ابن الاشعث فأوقع بمن حاربك منهم فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ الحجاج كتابه قال ويلى على ابن المارى والله مالى نظر وانما نظر الى ابن عمه ولم يقبل منه ذلك وكان ذلك مراد المهلب وتلطف له فى طى هذه النصيحة البليغة * ومما روى من شعره

انا اذا أنشأت قوما لنا نعم
قالت لنا أنفس أزدية عودوا
لا يوجد الجود الا عند ذى كرم
والمال عند لئام الناس موجود

(وأن هرمس أعطى بليناوس ما أخذ منك)

هرمس هذا هو الذى تزعم قوم من الصابئة أنه نبى مرسل وأنه ادريس عليه السلام ويسندون اليه شرائعهم فى تعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر والتقرب اليها بالذبائح والدخن وما أشبه ذلك من مذاهبهم قال أبو معشر البلخى هو أول من تكلم فى الاشياء العلوية من الحركات النجومية وجده كيومرث وهو آدم عليه السلام علمه ساعات الليل والنهار وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وأول من نظر فى الطب وتكلم فيه وصنف لاهل زمانه

كتبا كثيرة بأشعار موزونة
بلغتهم فى معرفة الاشياء
العلوية والارضية وأول من
أنذر بالطوفان ورأى أن
آفة سماوية تلحق الارض
من الماء والنار * وكان
مسكنه مصر فعند ذلك بنى
الاهرام ومدائن التراب
وخاف ذهاب العلم بالطوفان
فبنى البرابى والجبل المعروف
ببرباة اخميم وصور فى ذلك
الموضع الصناعات وصناعها
نقشا وأشار الى صفات العلوم
لمن بعده حرصا على تخليدها
من بعده وتزعم الصابئة أن
النبوة من بعده لاسقنبلينوس
وكان اسمه بلينوس فزيد
فيه تعظيما لاسمه وكذلك يقال
فى ارسطاطاليس فان اسمه
ارسطو وكان كل من مهر فى
علومه زيد فى اسمه * وكان
بلينوس قد أخذ العلوم
والأسرار عن هرمس هذا
وهو هرمس الهرامسة وزعم
آخرون أن هرمس صاحب
بلينوس كان بعد
الطوفان وهو غير هذا وقال
الكندى وهو صاحب
كتاب الحيوانات ذوات
السموم وكان طبيبا فيلسوفا
عالما بطبائع الادوية جوالا
فى الارض طوافا فى البلاد
عالما بنصبة المدائن وطبائعها
وطبائع أهلها وأدويتها
وهو صاحب الطلسمات
الاندلسية مثل السودانية

العلمية والعدل التقديرى أى قدر فيه أنه معدول عن ثاعل (فان قلت) لاى شئ كان هو
معدولا عن ثاعل ولم يكن ثاعل معدولا عنه (قلت) لان الاصل فى صيغة اسم الفاعل هذا
الوزن وذلك معدول عنها وانما صرف هنا للضرورة على قول أو للتناسب على قول وقوله وقد
حماه الى آخر البيت فى موضع النصب على الحال * وذكرت بالعدل والمعرفة هنا قول شرف
الدين بن عنين

شكا ابن المؤيد من عزله * وذم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان * فتظلم أيامه المنصفه
ولا تعجبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

وقول نور الدين الاسعردى فى بعض مدرسى العجم

يقولون ان الجد بالقصف مولع * فقلت لهم ما اعتاد شيأ سوى القصف
فقالوا أساعلما ولفظا بجلس * فلم منعوا عن صرفه راغم الانف
فقلت لتأنيث به ولعجمة * فقالوا وقد تلجى الضرورة للصرف
ولا بد من تقطيعه عند قبضه * فقد زاد بسط الكف فى جهة الوقف

قلت لا يخفى ما فى البيت الثالث من محاسن باب ما لا ينصرف وما فى الرابع من محاسن
العروض * وما أحسن ما أنشدنيه من لفظه المولى القاضى شرف الدين أبو عبد الله الحسين
ابن ريان

أتيت حانة خمار وصاحبها * محارف متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفاء منعمة * وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لى اذ رأى عينى قد انصرفت * الى النساء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة * واجمع وزد واستراح من عجمة وزن

وظرف من قال

وذى أدب بارع نكته * وأولجت فيه قداعنف
فقلت فديتك أعصر عليه * ففيه اللذاذة لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت * لقولك أعصر بفتح الألف
فقلت لك الويل من أحمق * فقال وأحمق لا ينصرف

قيل ان بعض السؤال وقف على باب نحوى فقرعه فقال النحوى من بالباب فقال سائل فقال
انصرف قال اسمى أحمد قال النحوى لغلامه أعط سيبويه كسرة * وحكى أن جماعة من النحاة
اختلفوا فى بناء سراويل وهل هو منصرف فدخل البرقى عليهم فقال فيم أنتم قالوا فى بناء
سراويل فما عندك فيه قال مثل ذراع البكر أو أشد * وقال رجل نحوى لبعض العوام اسمعيل
ينصرف أو لا فقال اذا صلى العشاء فما قعوده * ومدح شاعر طلحة صاحب البريد باصبهان
فلم يثبه فقال

لو كنت أقنع من مدحى بلا صفد * لا كتلت من طلحة كرين من خبز

فقال له طلحة لحنت لانك صرفت طلحة فقال الشاعر انما طلحة الذى لا ينصرف هو طلحة
الطلحات فأما أنت فانك تبلغ الصين بنفخة واحدة (المعنى) يقول لصاحبه الغى الذى طلبت

اعانتك عليه هو أنى أريد طروق الحى أى النزول على اضم ليلا وقد حماه رماة من بنى ثعل وهم المقيمون فى الحى فهل لك فى الاعانة على المسير اليهم * وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن طروق الرجل أهله ليلا وفى النهى فوائد منها أن أهله لم يكن استعدن له كما هى عادة المرأة مع بعلها فيراها على حال يكرهها ومنها أن يحصل لهم فى ذلك الوقت ازعاج بقدومه وهم فى وقت يسكنون فيه ويجدون الدعة فيحصل منه استثقال ومنها أن يشوش على جيرانه بحركته فى ذلك الوقت ومنها غير ذلك وهذه الحالة أعنى كون الرماة يحمون الحى مما لا يهابه العشاق ولا يصدهم عن زيارة أحبابهم ولا يمنعهم عن الوصول اليهم لانه قيل

علامة الحب أن يستصغر الخطر * وان تزور ونار الحرب تستعر

وما أحسن قول القائل

وان نذرت فيك العشيرة قتلتى * فالموت عندى فى هواك سلام
ومن أعجب الاشياء خوفى من العدا * ولى كل يوم فى هواك حمام

وقال أبو الطيب

يهون على مثلى اذا رام حاجة * وقوع العوالى دونها والقواضب

وقال ابن الساعاتى

رعاك الله يا سلمى رعاك * ودارك باللوى ذات الاراك
أخاف سيوف قومك من معد * وما كانت بأقتل من هواك

وأنشدنى جمال الدين المعروف بالحافى قال أنشدنى عفيف الدين التلمسانى لنفسه

أسير ولو أن الصباح مواكب * وأسرى ولو أن الظلام قتام
وأغشى بيوت الحى لا مترقبا * وأطرق ليلى والوشاة نيام
اذا لم يكن للصب اقدام صبوة * تحل تلاف النفس وهو حرام
فليس له بين المحبين رحلة * ولا بين هاتيك الخيام مقام

وأول هذه الابيات ماخوذ من قول يوسف بن عبد الصمد

فاطعن ولو أن الثريا ثغرة * واضرب ولو أن السماك وريد
واقتح ولو أن السماء معاقل * واهزم ولو أن النجوم جنود

بل ماخوذ من قول أبى العلاء المعرى

أسير ولو أن الصباح صوارم * وأسرى ولو أن الظلام حوافل

الا أنه غير الصوارم والحوافل بالمواكب والقتام ومن هذه المادة قول أبى العلاء أيضا

وكان حبك قد رحظك فى السرى * فالطم بأيدى العيس وجه السنسب
واهجم على جنح الدجى ولوانه * أسد يصول من الهلال بمخلب

وقول أبى طالب المأمونى

اذا ما طوى جح المنى بين أضلعى * تعشقت لجا من دجى الليل طاميا
فأمسى شجا فى ثغرة الليل رائحا * وأضحى قذى فى مقلة الصبح غاديا

وقول أبى فراس بن حمدان

لقيت نجوم الافق وهى صوارم * وخضت سواد الليل وهو خيول

النحاس وغيرها * وكان باليوس هذا تلميذه سافر معه البلاد فلما خرجا من الهند الى فارس خلفه ببابل وكان قد أخذ عنه جميع علومه وظهرت له فى الطب وابراء المرضى وقائع معجزة الى أن كثرت فيه أقاويلهم وقالوا هو نبى وقالوا ملك وزعموا أن مولده روحانى وأن الله تعالى رفعه فى عمود من نور وأقليدس ينسب اليه وهو الذى وضع علم الطب فى هيكل يعرف بهيكل اسقنبليوس ويدل على ذلك قول جالينوس فى بعض كتبه ان الله تعالى لما خلصنى من دبيلة قتالة كانت عرضت لى حججت الى بيته المسمى بهيكل أسقنبليوس ويقال ان هذا الهيكل بمدينة رومية كانت فيه صورة تكلم الناس مركبة على حركات نجومية وانه كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة (وحكى) جالينوس ان الله تعالى أوحى الى اسقنبليوس انى الى أن أسميك ملكا أقرب من تسميتك انسانا وكان معظما عند اليونان يستسقون بقبره ويوقدون عليه كل ليلة ألف قنديل فخلف ابنين ماهرين فى صنعة الطب وعهد اليهما أن لا يعلما الطب الا لاولادهما وأهل

ولم أرع للنفس الكريمة نحلة * عشية لم يعطف على خليل
ولكن لقيت الموت حتى تركتها * وفيها وفي حد الحسام فلول
ومن لم يعق الله فهو ممزق * ومن لم يعز الله فهو ذليل

وما أحسن قول الارجاني

سحبت ذيل الدجى حتى طرقتهم * بسحرة وقميص الليل أطمار
أزورهم وسنان الرمح من بعد * الى بالمقلة الزرقاء نظار

وقوله أيضا

لما طرقت الحي قالت خيفة * لا أنت ان علم الغيور ولا أنا
فدنوت طوع مقالها متخفيا * ورأيت خطب القوم عندي أهونا

ونقلت من خط السراج الوراق له

أغنتهم تلك القدود عن القنا * ونضوا عن البيض الصفاح الاعينا
وحموا طروق الحي حتى لم يكن * مسرى الخيال اليه أمر امكنا

ولا أرى أن الحالة تشق في الزيارة الا عند العود ولهذا قيل

يا ليل ما جئتكم زائرا * الا وجدت الارض تطوى لي
ولا انثنى عزمي عن بابكم * الا تعثرت باذيالي

*(يحمون بالبيض والسمر اللدان به * سود الغدائر حمر الحلى والحلل)*

(اللغة) يحمون يمنعون (البيض) جمع أبيض وهو السيف (السمر) جمع أسمر وهو الرمح (اللدان) جمع لدن وهو اللين (الغدائر) ضفائر الشعر واحدتها غديرة (الحلى) ما تتحلى به المرأة من خاتم وسوار وقلادة وغير ذلك (الحلل) جمع حلة وهي البردة اليمانية والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين (الاعراب * يحمون) فعل مضارع من حمى يحمي والواو ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع للفعل المضارع والفرق بين الواو والنون اللتين تكونان في زيدون جمع المذكر السالم هو أن الواو التي في جمع المذكر السالم علامة الرفع والنون نون الجمع والواو التي في الفعل المضارع مثل يفعلون ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع للفعل المضارع فهما هنا عكس تينك هناك وتقدم الكلام على موجب اعراب الفعل المضارع في قوله أريد بسطة كف والواو هنا في يحمون ضمير يرجع الى رماة الحي (بالبيض) جار ومجرور والباء هنا للاستعانة وقد تقدم الكلام عليها (والسمر) الواو واو العطف وقد عطفت اسما على اسم وقد تقدم الكلام على تقسيمها في أول القصيدة * ولا باس بالكلام على حكمها في العطف فأقول ان الواو للجمع المطلق ولا تقتضي الترتيب بدليل قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر والنذارة قبل العذاب بدليل قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله تعالى حكاية عن منكري البعث وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وانما يريدون نحيي ونموت وقوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقول الشاعر

حتى اذا رجب تولى وانقضى * وجمادیان وجاء شهر مقبل

والادلة على عدم ترتيبها كثيرة وذهب قطرب والربعي الى أنها مرتبة مستدلين على ذلك بقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم والجواب أن الذكر هنا بالشرف لا

بالترتيب

بيتهما ولا يدخلان في هذه الصناعة غريبا وكان تعليم الطب تلقينا الى أن وضع أبقراط الكتب وهو السادس عشر من ولده قال جالينوس وأما صورته يعني المصورة في الهيكل فصورة رجل ملتح قائما منتشر المجموع الشباب يدل بهذا الشكل على انه ينبغي للاطباء أن يستعدوا في جميع الاوقات آخذا في يده عصا معوجة ذات شعب يدل ذلك على انه يمكن في صناعة الطب أن يبلغ بمن استعملها من السن أن يحتاج الى عصا يتوكأ عليها وقيل انما صور العصا لانها من شجرة الخطمي وانه يطرد بها الامراض وأما شعبها فتدل على كثرة أصناف الطب والتفنن فيه ثم صور على تلك العصا صورة حيوان طويل العمر وهو التنين ويقرب هذا الحيوان منه لاشياء كثيرة أحدها انه حيوان حاد البصر كثير السهر وكذلك ينبغي للطبيب أن يكون في المعرفة والاجتهاد كذلك والثاني انه يسلخ لباسه الذي يسمونه الشيخوخة فكذلك يمكن الطبيب أن يسلخ الشيخوخة بما يفيده من الصحة والثالث انه طويل العمر وعلى ذلك يحرص بعض الاطباء ويروى انه عاش تسعين سنة

بالترتيب كما تقول جاء الخليفة والسلطان والوزير والامراء (مسئلة) من نسب الشافعي الى أنه فهم الترتيب في الوضوء من الواو فقد غلط وانما أخذ الترتيب من السنة ومن سياق النظم وتأليفه وذلك أن الله تعالى ذكر الوجوه ووزنها فعول كرؤس وذكر الايدى ووزنها أفعل كأرجل وأدخل ممسوحا بين مغسولين وقطع النظير عن النظير فلولا أن الحكمة في ذلك التنبيه على الترتيب لكان الاحسن بالبلاغة أن يقال وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤسكم كما يقال رأيت زيدا وعمرا ودخلت الحمام ولا يقال رأيت زيدا ودخلت الحمام ورأيت عمرا ولو قيل ذلك لكان هجنة في الكلام ومن أحسن من الله قيلا (فان قلت) لم يقطع النظير عن النظير بل عطف مغسولا على مغسول وممسوحا على ممسوح ويحتج لهذا بشئ يروى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم وبالقراءة الظاهرة وهي جر أرجلكم في قراءة ابن كثير وحمزة وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه عطفا على مسح الرؤس وقراءة النصب لنافع وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه ليست عطفا على الايدى بل هي عطف على موضع الرؤس كما قال الشاعر

معاوي انا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديدا

(قلت) هذا خلاف قول الجماعة ونقل الثقات عن علي الغسل وقد ذكر ابن ماجه في سننه حديثا لابي حية عن علي في باب غسل القدمين وحديث المقداد بن معديكرب وحديث الربيع وكذلك كل من وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن أبي ليلى أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين قال أبو اسحق وقد لقي عبد الرحمن مائة وعشرين صحابيا وقال أبو اسحق أيضا قال عطاء بن أبي رباح وقد لقيت عشرة من الصحابة ولم أر أحدا منهم يمسح على القدمين قال أبو اسحق هذا مذهب الشافعي وبه قال من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وحذيفة وأنس بن مالك وأبو هريرة وتميم الداري وسلمة بن الاكوع وعائشة رضي الله عنهم ثم قال وهو مذهب الشعبي والحكم والحسن وابن سيرين والزهري وعكرمة ومحمد بن علي بن الحسين وجعفر ابن محمد وعطاء الخراساني وقول مالك والليث والاوزاعي والثوري وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد وأبي اسحق وأبي ثور وابن عيينة والحسن بن صالح وداود بن علي وأبو اسحق هذا هو الفيروزابادي صاحب التنبيه في الفقه وأما ابن أبي شيبة فقد ذكر في مصنفه بأسانيد صحيحة عن الشعبي وعكرمة والحسن ان مذهبهم المسح وما أدري من أين لابي اسحق هذا النقل عنهم ورواية الجمهور والمشاهير تصلح أن تكون تفسير الكتاب الله تعالى وانما القفال نقل في تفسيره عن ابن عباس وأنس وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر أن الواجب فيهما المسح وهذا مذهب الامامية وهو باطل لان قراءة الجر عارضناها بقراءة النصب والاخبار الكثيرة وردت بالغسل والغسل يشمل المسح ولا ينعكس فالغاسل ماسح وزيادة وليس الماسح غاسلا فالغسل أقرب الى الاحتياط وأيضا فرض الغسل محدود كما في اليدين الى المرفقين وغسل الرجلين محدود الى الكعبين والمسح غير محدود كما في الرأس فالرجلان مغسولتان (فان قلت) الكعب عبارة عن العظم الذي تحت مفصل القدم وقال الاصمعي ومحمد بن الحسن الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل عظم البقر والغنم موضوع تحت عظم الساق والقدم وعلى هذا يجوز مسح ظاهر القدم الى هذا الموضع (قلت) قال

*ومن كلامه الصنيعة عند الكفور اضاعة للنعمة المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يمشي ولا يبرح ولا يعرف ما هو فاعل في تدبيره (وأفلاطون أورد على ارسطاليس ما نقل عنك) هو أفلاطون بن ارسطس الالهي آخر المتقدمين الاوائل معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان أردشير الاول وتتلمذ لسقراط ولما اعتل سقراط ومات مسموما قام مقامه وجلس على كرسيه وقد أخذ العلم عن سقراط وطيمارس وكان قد رحل الى مصر فأخذ أيضا عن أصحاب فيثاغورس وغيره وضم الى علومه الالهية العلوم الطبيعية والرياضية وهو أحد المشائين المشهورين ومعنى المشائين أنه كان من رأيه الرياضة للبدن بالسعي المعتدل لتحليل الفضول ومدارسة الحكمة في تلك الحالة ويقال انه أمر الملوك باتخاذ بيوت الحكمة لتعليم أولادهم فكانوا يتخذون البيوت المذهبة المزخرفة ويصورون فيها أصناف الصور المستحسنة التي ترتاح اليها النفوس ثم يتعلم فيها الصبي فاذا حفظ علما أو حكمة صعد يوم عيد على درج في مجلس بديع الصنعة وقد اجتمع كبار أهل المملكة فيتكلم

صاحب الصحاح الكعب العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم وأنكر الاصمعى قول الناس انه فى ظهر القدم وأيضا فلو كان الكعب على ماذكره الامامية لكان الحاصل فى كل رجل كعب واحد فكان ينبغى أن يقال وأرجلكم الى الكعاب كما أنه لما كان الحاصل فى كل يد مرفق واحد لاجرم قال وأيديكم الى المرافق وأيضا فالذى قاله الامامية والاصمعى عظم خفى لا يعرفه الا من نظر فى علم التشريح والعظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم معلومان لكل أحد ومناط التكليف العام يكون أمرا ظاهرا لا خفيا وأيضا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الصقوا الكعاب ولا يكون الالصاق الا فيما ذهب اليه الجمهور وهما العظمان الناشزان ومنه قيل للمرأة كاعب وهى التى نهد ثديها وقولهم فى النصب انه عطف على الموضع فيا به الضرورة ولا ضرورة فى القرآن فان القرآن على أكمل الوجوه ويكفى هذا القدر فى هذه المسئلة وذكرت بالعطف على الموضع قول شهاب الدين بن محاسن الشواء

هاتيك ياصاح رباع العلع * ناشدتك الله فعرّج معى
وانزل بنا بين بيوت النقا * فقد غدت آهلة المربع
حتى نطيل اليوم وقفا على الساكن أو عطفا على الموضع

(رجع) السمر مجرور لانه عطف على البيض (اللدان) صفة السمر لانه تبعه فى جمعه وتعريفه وتأنيثه وجره (به) جار ومجرور والضمير يعود الى الحمى والباء هنا ظرفية بمعنى فى والتقدير يحمون سود الغدائر حمر الحلى والحلل بالبيض والسمر اللدان فى الحمى أو يحمون فى الحمى سود الغدائر (سود) جمع أسود وهو منصوب على انه مفعول به ليحمون (الغدائر) مجرور بالاضافة الى سود وسود هنا ليس مفعولا فى الحقيقة بل هو صفة للمفعول وهو من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه تقديره يحمون الرماة بالبيض والسمر التى بالحمى أبكارا سود الغدائر أو ملاحا أو نساء كيف أردت وهذا كثير فى الكلام قال الله تعالى فان لم يصبها وابل فطل أى مطر وابل والاضافة هنا لفظية (حمر) صفة لسود بل صفة ثانية للمحذوف المقدر وهو المفعول حقيقة على ماتقرر و(الحلى) مضاف اليه وان أردت جعلته بدل الكل من الكل أعنى حمر الحلى بدل كل من سود الغدائر (والحلل) معطوف على الحلى (المعنى) هؤلاء الرماة الذين هم من بنى نعل يحمون بالبيض التى هى السيوف والسمر اللينة أى الرماح فى الحمى أبكارا سود الضفائر حمر الحلى والبرود يعنى ان حليهن من الذهب الاحمر ولباسهن من الحرير الاحمر قال أبو الطيب

من الجآذر فى زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وقال أيضا

بكل فلاة تنكر الانس أرضها * ظعائن حمر الحلى حمر الايانق

ومن قول الطغرائى أخذ ابن الساعاتى قوله

من الظباء اللواتى لا ذمام لها * من أين يعرف من رعى العهد والذمم
بيض الترائب سمر الخط يحجبها * سود الذوائب حمر الحلى والنعم

ولا شك ان اللباس الاحمر يزيد الحسن رونقا ويفيده روحة وبهاء آخر * قال أبو حنيفة وهب بن عبد الله السوائى ما رأيت ذا لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالحكمة التى حفظها على رؤس الاشهاد وعليه التاج ويسمى حكيما كل ذلك ترغيب للصبى فى الاشتغال لما يحصل له من الشرف والسرور وفى يوم من هذه الايام ظهر أمر ارسطاطاليس كما سيأتى ذكره * ولافلاطون آراء ومذاهب أخذها عنه أرسطاطاليس وخالفه فى بعضها مثل حدوث العالم وغيره وكان يصور لافلاطون الصورة ويؤتى بها اليه فيقول من خلق هذه الصورة كذا ومن خالها كذا فصورت صورته وسئل عنها فقال من خلق صاحب هذه الصورة كذا وكذا وهو محب للزنا فقيل انها صورتك فقال نعم ولولا أنى أحبس نفسى عن الزنا لفعلت * ومن كلامه ان الله تعالى بقدر ما يعطى من الحكمة يمنع من الرزق فقيل له ولم قال لان الحكمة حظ النفس الناطقة والمال حظ النفس الشهوانية والناطقة غالبة على الشهوانية فالمال والحكمة متغايران فلا يجتمعان * وقال لا ينبغى أن تفعل شيأ اذا عيرت به غضبت فانك اذا فعلت ذلك كنت أنت القاذف لنفسك * وقال عقول الناس مدونة فى رؤس أقلامهم وظاهرة فى اختياراتهم * وقيل له بماذا ينتصف

وأما قول الشاعر

هيمان عليها حمرة فى بياضها * تروق به العينين والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال الحريرى فى درة الغواص أما قولهم الحسن أحمر فمعناه انه لا يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا للسنة الجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر اه (قلت) ويحتمل أن يكون المراد بقولهم الموت الاحمر انه القتل الذى يرى فيه سفك الدم وقول الطغرائى من قول أبى الطيب

ديار اللواتى دارهن عزيزة * بسمر القنا يحمين لا بالتمائم

وقول أبى اسحق الغزى

وبورك فى خيام قبيل سلمى * وفى تلك المضارب والحجال

فما أوتادهن سوى المواضى * ولا أطنابهن سوى العوالى

وقال الارجانى

وقفا صائدة الفؤاد بدلها * وخفا جناية عينها الحوراء

وتحدثا سر الخول خبائها * سمر الرماح يمان للاصغاء

وقال ابن قلاقس الاسكندرى

فى سندس الكلة حورية * تسكن قلبى وهو النار

أحدقت السمر بها مثل ما * تحدق بالمقلة أشفار

وقد أخذه من قول أبى الطيب

مضى بعدما التف الرماح حوله * كما يتلقى الهدب فى الرقدة الهدبا

وقال السراج الوراق

من البيض تمشى البيض حول خبائها * شبيهة نومى ليس يأوى الى جفنى

غزالة أنس والرماح كناسها * ومن حوله قوم يخالون كالجن

لهم غيرة قد ساء بالطيف ظنها * فضنوا عليها بالكرى خيفة الظن

وقال أيضا

ومحجوبة أما الدجى فغدائر * عليها وأما الصبح فهو جبينها

عجبت لمسرى الطيف لى من كناسها * ومن حوله أسد الشرى وعرينها

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان قال أنشدنى لنفسه الشيخ تقى الدين السروجى

وارى لليلى العامرية منزلا * بالجود يعرف والندى أصحابه

فيه الامان لمن يخاف من الردى * والخير قد ظفرت به طلابه

قد أشرعت بيض الصوارم والقنا * من حوله فهو المنيع حجابه

وعلى حماه جلالة من أهله * فلذا الطارقة العيون تهابه

كم قلبت فيه الخدود على الثرى * شوقا اليه وقبلت أعتابه

قد أخصبت منه الاباطح والربا * للزائرين وفتحت أبوابه

الانسان من عدوه قال بأن يزداد فضلا فى نفسه * وقال فى معنى الملك هو كالبحر تستمد منه الانهار فان كانت الانهار عذبة فاصلها منه وان ضد ذلك فمنه * وقال ينبغى للذين يأخذون على أيدى الاحداث أن يدعوا لهم موضعا للعذر لئلا يضطروا الى الصحر بكثرة التوبيخ وقيل له فلان لا يعرف شيأ من الشر قال فاذا لا يعرف الخير يريد أن تكون الامور متميزة عند الانسان فانه بعد تمييزها يختار منها واذا لم يوضحها التمييز بطل اختياره ومتى بطل اختياره خيف عليه أن يقع فى مهالكها وقال من القبيح أن نمتنع من الطعام الذى لا يصح أبدا ننا ولا نمتنع من القبائح لتصفو بذلك أنفسنا * فاما ارسطاطاليس فهو ابن بيقو ماخس المعروف بالمعلم الاول وانما سمى بذلك لانه أول من وضع التعاليم المنطقية وأخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض وكان سبب محبة أفلاطون له والقاء علومه اليه أن أباه كان قد أسلمه لافلاطون صغيرا ومات فاستمر ارسطاطاليس يتيما فى خدمته وكان ذو فسطاليس الملك قد اتخذ ولده بطاقورس بيتا

وقال ابن سناء الملك

ألا فارفعي ذا الشعر عنا فاننا * نغار عليه من ملاعبة الخجل
عجبت له اذ يطمئن معانقا * أما أذهل الخلخال خوف بني ذهل
بشوك القنا يحمون شهد رضابها * ولابد دون الشهد من ابر النحل

قال شرف الدين بن جبارة بعد أن أورد على البيت الاول والثاني ما أورده من فساد المعنى ونقضه أراد أن يمدحهم فهجاهم بالمثل المضمن آخر بيته الذي جعله كفن ميته لانه جعل طعن رماحهم كابر النحل وابرة النحل لا أثر لها ولا ألم يحصل منها ولو أن كل عاشق انما يمنعه من معشوقه ويحجزه عنه لسع الزنابير ولدغها السهل عليه صعبها وذل له منعها ولله در المجنون اذ يقول كما نقل عنه

وحقكم لازرتكم في دجنة * من الليل تخفيني كأني سارق
ولازرت الا والسيوف هواتف * الي وأطراف الرماح عواشق

ولابي عبد الله عثمان المعروف بابن الحداد الاندلسي

أني أراعلهم وبين جوانحي * شوق يهوّن خطبهم فيهون
أوهل يهاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
وكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون

ثم ذكر أشياء غير ذلك وقال لولا وقوع هذا الشاعر في شعره وقلة معرفته وقصور فكره لما قال بشوك القنا يحمون شهد رضابها * وكيف يحمي الشهد بالشوك ولو اتفق له أن يقول جنى رضابها لكان أسوغ وأبلغ ثم قال في أول البيت شهد وفي آخره شهد وانما الاحسن أن يأتي بالمثل بالمعنى لا باللفظ لانه اذا كرر بلفظه فكانه هو وانما القصد أن يكشف المعنى بلفظ موجز وقول مجموع معجز واذا تؤمل أكثر الشعر المضمن للامثال وجد على هذا المثال وهذه العلوم تدق عن فهمه ويخفى غرضها عن مرمى سهمه اه (قلت) اما كونه يدعي انه لا ألم في ابر النحل ولا ضرر في الزنابير فهذا مما لا يسمع وهو تحامل أليس ان في ابر النحل والزنابير سما يمنع القرب منه والدنو اليه وغالب الناس يهاب ذلك ولا يقدم عليه * ومن مسائل النحاة كنت أظن العقرب أشد لسعا من الزنبور فاذا هو هي أو فاذا هو اياها الاول مذهب سيبويه والثاني مذهب الكسائي وليس بشيء لان مذهب الكسائي خرجت فاذا زيد واقف وهذه المسئلة تعرف بالزنبورية وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين بن النحاس في التعليقة على المقرب والشيخ علم الدين السخاوي ذكرها مستوفاة في سفر السعادة ولعل بعض الناس لسعه زنبور فتورم منه ومات وبالجملة ففي ابر النحل سم تعاف النفوس من الاقدام عليه وهو مما اراد أن طعن قومها مثل لسع ابر النحل كما قال المعري

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر

لانه ما أتى بمثل ولا بكاف التشبيه بل نبه بالمثل الذي ذكره على أن حلاوة ريقها لا تنال الا بعد مشقة وعناء وأهوال كما أن الشهد من دونه ابر النحل وكل لذيذ محفوف بألم فالجنة حفت بالمكاره وهذا غير وارد عليه واما انكاره شوك القنا فهو استعارة حسنة والتشبيه مطابق لان الاسنة أشكال مستدقة ملسنة حادة كما هو الشوك وأتى بها ليطابق الكلام المثل في قوله

للحكمة وأمر افلاطون بتعليمه وكان غلاما متخلفا قليل الفهم وارسطاطاليس غلاما ذكيا حادا وكان افلاطون يعلم بطاقورس الآداب والحكمة وارسطاطاليس يعي ذلك ويرسخ في صدره حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب الذي هو بيت الحكمة وألبس بطاقورس التاج وحضر الملك وأهل المملكة على العادة وصعد افلاطون وولد الملك الى مجلس الحكمة والشرف على رؤوس الاشهاد فلم يورد الغلام شيأ ولا نطق بحرف فأسقط في يد افلاطون واعتذر بأنه لم يقصر في الالقاء عليه ثم قال يا معشر التلامذة من فيكم من ينوب عن بطاقورس فثار ارسطاليس وصعد الى مجلس الشرف وأخذ يسرد جميع ما ألقاه افلاطون الى ابن الملك لم يغادر منه حرفا فقال افلاطون أيها الملك هذه الحكمة التي القيتها على ولدك قد حفظها هذا اليتيم فاحتيالي في الرزق والحرمان ثم انصرف الجمع وقد اغتبط افلاطون بارسطاليس واعتنى به بعد ذلك ومكث عندة نيفا وعشرين سنة وكان كثير التعظيم له بحيث انه كان اذا جلس فاستدعى منه الكلام يقول اصبر حتى يحضر الناس

ولابد دون الشهد من ابر النحل * فقوله شوك يناسب ابر النحل وقد شبه الشعراء القنا بالشوك قال الارجانى

ورد الخدود ودونه شوك القنا * فمن المحدث نفسه أن يجتنى

وقال ابن خفاجة

والخيل تعثر فى شباشوك القنا * وتظل تسبح فى الدم المتوار

وما أعجبنى شئ مما أورده عليه غير انكاره تكرار الشهد وكان الاحسن لو قال بشوك القنا يحمون رشف رضابها * حتى اذا جاء المثل فسر ما تقدم واخراج الكلام مبهما ثم مفسرا أوقع فى النفوس وأبلغ الا ترى ما أحلى قول مجير الدين محمد بن تميم فى مليح يشرب من بركة

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا * من بركة رقت وراقت مشرعا
أبدت لعينى وجهه وخياله * فارتنى القمرين فى وقت معا

فلو قال أبدت لعينى قمر وجهه وقمر خياله لما كان له هذه الديباجة فاعرف ذلك * وبيت الطغرائى فيه من البديع التدبيج وهو تفعيل من الديباج وهو النقش والتزيين وأصل الديباج فارسى معرب فالتدبيج فى البديع ان يذكر الشاعر فى مدح أو ذم أو وصف ألفاظا تدل على ألوان مختلفة كقول ابن حيوس

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وأخذه ابن النبيه فقصر عنه فى قوله

له بنان طافح بالندى * فهن اماديم أو بحار
بيض الايادى خضر روض الرضا * حمر المواضى فى الهجاج المثار

والطغرائى ذكر فى بيته البيض والسمر والسود والحمر وما أحسن قول القائل

الغصن فوق الماء تحت شقائق * مثل الأسنة خضبت بدماء
كالصعدة السمراء تحت الراية الـ * ـحمراء فوق اللامة الخضراء

(وقلت أنا)

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ * ـحمراء تحت المقلة السوداء

وقال ابن النبيه

وفى الكلة الحمراء بيضاء طفلة * بزرق عيون السمر يحمى احورارها
أثارلها نقع الجياد سرادقا * به دون ستر الخدر عنا استتارها

وقال عماد الدين بن دبوقا من ابيات

أرى العسقد فى ثغره محكما * برينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعى غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر
وبعت رشادى بغى الهوى * لأجلك يا طلعة المشترى

ولبعض الكتاب وأوردنا ظبا الحديد الاخضر ماء الوريد الاحمر من عدو الدين الازرق من

وربما قال اصبر حتى يحضر العقل فاذا حضر ارسطاليس قال تكلموا ثم مات افلاطون وقد أخذ عنه ارسطاليس جميع علومه وخالفه فى مسائل استدركها عليه وكان يقول انا نحب افلاطون ونحب الحق فاذا افترقنا فالحق أولى بالمحبة ثم وضع علم المنطق ورتب أصوله وقال انما فضل الناس على البهائم بالمنطق فاحقهم بالانسانية أبلغهم منطقا وأوصلهم الى عبارات من ذات نفسه بالايجاز وله فى ذلك مسائل ومصنفات معروفة وكذلك فى جميع علومه الحكمية والفلسفية وكان قد تسلم الاسكندر بن فيليبش من أبيه فعلمه وهذبه وولى الاسكندر المملكة فكان لا يبرم أمرا وينقضه الا باشارته وكان بمنزلة الوزير والمشير الى أن توفى الاسكندر وعاش بعده قليلا ومات فوضعت جثته فى اناء من نحاس وقيل فى خشبة كالتابوت وعلقت فى جزيرة صقلية وكان أهل البلد يجتمعون اليها عند المشاورة والمدارسة فى فنون الحكمة ويقولون ان مجيئهم الى ذلك الموضع يذكى عقولهم ويصحح فكرهم وربما استسقوا به فى الجدب * ومن كلامه مما كتب به للاسكندر وهو فى

غاية البلاغة أيها الملك
لاتخدع للهوى وان خيل
اليك أن فى انخداعك له
خداعه فقد يسترسل الانسان
وهو يظن انه متحفظ واجمع
فى سياستك بين بدار لاحدة
فيه وريث لاغفلة معه وامزج
كل شكل بشكله حتى تزداد
قوة وكن عبد الحق فعبد
الحق حر وليكن وكدك
الاحسان الى الخلق ومن
الاحسان وضع الاساءة فى
موضعها وكن نصيح نفسك
فليس لك أرأف بك منك
واذا أشكل عليك أمر
فاضرع الى الله تعالى يبلغك
هذه الغاية فانه يفتح لك
المرتج واذا فاتك شئ فاعلم
ان ذلك لسهو عرض لك فى
الشكر على ما أفادك ومهما
اخطأك شئ فلا يخطئك
الفكر فى الرحيل عن هذه
الدار *ومنه ان لكل شئ
صناعة وصناعة العقل
حسن الاختيار *ورأى انسانا
سمين البدن فقال ما أشد
عنايتك برفع سوء جسمك
وقال سلوا القلوب عن المودات
فانها لاتقبل الرشا *وقال مقدم
الرأس للفكر ومؤخره
للذكر والدليل على ذلك ان
المتفكر يطأطئ برأسه
والمتذكر يرفع رأسه وقال من
علم ان الفناء مستول على كونه
هانت عليه المصائب وأكثر
الامثال فى شعر المتنبى من

بنى الاصفر *وقال القاضى الفاضل من رسالة يصف فيها كتابا ورد عليه وقبضته وكم لفحنى
منه شرارة بعد شرارة وفضضته فاذا جبال النور منه مستعارة كأن شراره الجمالات الصفر
أو القصور الحمر أو النصال الزرق أو الليالى السود أو البروق البيض *والعلم المشهور فى هذا
قول الحريرى فى المقامة الثالثة عشرة فذا غير العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود
يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فجذا الموت الاحمر *وأخبرنى
الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود أن القاضى الفاضل شرع فى انشاء مقامات فكان يعارض
كل فصل من كل مقامة للحريرى بفصل من كلامه فلما انتهى الى هذا الفصل قال من أين
يأتى المتكلم بمثل هذا وأبطل ما عمله من المقامات *والحديث المدبج عند علماء الحديث هو
الذى يروى فيه الاقران بعضهم عن بعض وهم المتقاربون فى السن والاسناد وربما اكتفى
الحاكم أبو عبد الله فيه بالتقارب فى الاسناد ان لم يوجد التقارب فى السن وأعلاه ما روى فيه
الصحابى عن الصحابى مثل عائشة وأبى هريرة وبعده التابعى عن التابعى مثل مالك عن
الاوزاعى وعكسه وبعده تابع التابعين عن تابع التابعين مثل أحمد بن حنبل عن على بن
المدائنى وعكسه وبعده رواية الاشياخ عن الاشياخ وقد جمع الحافظ عبد الغنى والحافظ ابن
عساكر والحافظ جمال الدين الرهاوى وغيرهم أجزاء فى الرباعى أى الحديث الذى اجتمع
فيه أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

*(فسر بنا فى ذمام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل)*

(اللغة) الذمام الحرمة والاعتساف افتعال من العسف وهو الاخذ بغير دليل فالذى يعتسف
فى السير يمشى على غير طريق (نفحة الطيب) رائحته يقال نفح الطيب ينفح اذا فاح نشره
(تهدينا) ترشدنا الى مقصدنا (الحلل) بكسر الحاء جمع حلة وهى بيوت القوم (الاعراب)
فسر الفاء للتعقيب أى عقب كلامه بقوله فسر وسر فعل أمر من السير مجزوم لكونه أمرا
وذكرت هنا بيتين من أبيات المعانى وهما

سألت ونحن فى البيداء عمرا * على عجل ونحن نسير سيرا
فجاد به ولم يبخل علينا * فقلت له جزاك الله خيرا

ولا يظهر فى بادئ الرأى أنه جاد له بشئ لان الذهن يتبادر الى أن سيرا مفعول مطلق مثل ضربت
ضربا وانما هو مفعول به لسألت وتقدير الكلام سألت ونحن فى البيداء عمرا سيرا فجاد بالسير
(رجع) الامر ينقسم الى قسمين لغوى وهو طلب ايجاد الفاعل الفعل فى الخارج على سبيل
الاستعلاء وقيل اقتضاء فعل غير كف على جهة الاستعلاء والمراد بالاقتضاء ما يقوم بالنفس
من الطلب لانه الامر فى الحقيقة وتسمية الصيغة به مجاز وقيل غير كف ليقع الاحتراز من
النهى وعلى جهة الاستعلاء ليقع الاحتراز من الدعاء وأورد على طرده كف لانه اقتضاء فعل
هو كف فلا يكون هذا أمرا لكنه أمر فلا يكون مطردا وعلى عكسه لا تكف لانه اقتضاء فعل
غير كف فيكون أمرا لكنه ليس بأمر فلا يكون منعكسا *وصناعى وهو ما حصل به ذلك أى
طلب ايجاد الفعل والذى حصل به ذلك هو الصيغة التى يطلب بها الفعل من الفاعل وفعل
الامر مبنى على السكون لانه الاصل فى البناء وصيغته مأخوذة من المضارع فاذا أردت أن
تصوغ فعل أمر حذفت حرف المضارعة ونظرت الى ما يليه فان كان متحركا صغت مثال الامر

على صيغته وحركته فتقول مثلا من يشمر شمر ومن يدحرج دحرج ومن يثب ثب ومن يصل صل وان كان الذى يلى حرف المضارعة ساكنا اجتلبت له همزة وصل ليتوصل الى النطق باول الفعل ساكنا فتقول من مثل يضرب اضرب ومن مثل ينطلق انطلق ومن مثل يستخرج استخرج لأن الابتداء بالساكن فى النطق مستحيل وما أحسن قول السراج الوراق

ياساكنا قلبى ذكرتك قبله * أرأيت قبلى من بدا بالساكن
وجعلته وقفا عليك وقد غدا * متحركا بخلاف قلب الآمن

ويذاجرى الاعراب فى نحو الهوى * فاليك معذرتى فلست بلاحن

وسواء كان الفعل ثلاثيا أو خماسيا أو سداسيا وشذ من هذه القاعدة فعلان فلا تدخل عليهما همزة وهما خذ وكل وجوز فى فعلين الحاق الهمزة وحذفها وهما مروسل وقد نطق القرآن الكريم بهما فقال تعالى سل بنى اسرائيل وقال تعالى واسئل القرية وتقول مره بكذا وأمره بكذا فاما حركة الهمزة المجتلبة فان كان الماضى رباعيا فانها مفتوحة فى الأمر تقول من أكرم أكرم واذا كان ثالث المضارع مضموما فانها مضمومة فى الامر تقول فى الامر من يقتل اقتل وما عدا ذلك فانها مكسورة (رجع) سر كان أصله سير لان مضارعه يسير فاجتمع فيه ساكنان وأحدهما حرف علة فحذف والفاعل فيه ضمير مستتر تقديره أنت (بنا) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والباء للتعدية (فى ذمام الليل) فى حرف جر وذمام مجرور بها والليل مضاف اليه وهى اضافة مقدرة باللام وموضع الجار والمجرور النصب على الظرف (معتسفا) اسم فاعل من اعتسف وهو منصوب على الحال والحال صاحبها هو الضمير المستتر المقدر فى سر وهو أنت والعامل فيها سر وافرادها هنا متعين (فان قلت) لاى شئ لم يقل معتسفين لانهم جماعة أو معتسفين لانهما اثنان قد شملهما السير (قلت) كانه قال لصاحبه تقدم أنت وسر بنا اما ما واعتسف الارض ودعنى مشغولا بما أنا فيه من الفكر وحديث النفس ولا تخف فنفحة الطيب التى تتضوع من أهل الحى تهديك وتدلك على الطريق اليهم (فنفحة الطيب) الفاء هنا سببية ونفحة مرفوع على الابتداء والطيب مجرور بالاضافة وهى مقدرة باللام أو بمن (تهدينا) فعل مضارع من هدى يهدى فهو ثلاثى مفتوح الاول وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل مثل يرمى والنون والالف ضمير فى محل نصب بتهدى والفاعل يرجع الى النفحة (الى الحلل) جار ومجرور فى موضع نصب لتعلقه بتهدينا * والى تاتى فى العربية لمعان فتأتى لانتهاء الغاية لانها تقابل من فى الابتداء تقول جئت اليك من البلد الفلانى أى انتهى مجيئى اليك قال الله تعالى انظروا الى ثمره اذا أثمر أى انظروا الثمر غاية النظر وتاتى بمعنى مع وهو قليل قال بعضهم فى قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى أموالكم يعنى مع أموالكم وليس بشئ لانها لو كانت بمعنى مع لأمكن أن تقدر بمعنى مع فى كل مواطنها كما يقدر ابتداء الغاية فى من فى كل مواردها ولا يمكن ذلك فى الى فلا تقول فى سرت اليك ان الى بمعنى مع وأما الآية الكريمة فلما كان الاكل بمعنى الجمع والضم وليس بمعنى البلع والمضغ عداه بالى أى لا تضموا أموالهم الى أموالكم لان الضم سبب فى الاكل فاقام المسبب مقام السبب كقوله تعالى ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله تعالى من أنصارى الى الله قيل المعنى مع الله وليس كذلك بل من أنصارى الى أن يتم أمر الله وتاتى بمعنى فى كقول النابغة

قوله وقد أفرد الهاشمى رسالة فى ذلك (وحكى) عبد الله بن طاهر أن المأمون قال رأيت فى المنام رجلا قد جلس مجلس الحكماء فقلت له من أنت فقال ارسطاليس الحكيم فقلت أيها الحكيم ما أحسن الكلام قال ما يستقيم فى الرأى قلت ثم ماذا قال ما يستحسنه سامعه قلت ثم ماذا قال ما لا يخشى عاقبته قلت ثم ماذا قال ما عدا هذا هو ونهيق الحمار سواء قال المأمون ولو كان حيا ما زاد على هذا الكلام شيأ آخر اذ به جمع ومنع وقال قوم ان هذا الكلام وجد فى كتبه (وبطلميوس سوى الاصطرلاب بتدبيرك وصور الكرة على تقديرك) هو بطلميوس صاحب كتاب المجسطى الكبير والجغرافيا والاصطرلاب وكتاب اللحون الثمانية وغير ذلك وهو أول من شرح القول على هيأت الفلك وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل وأكثر الرواة يقولون انه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر وبطلميوس لقب ملوكهم وكان رجلا حكيما وسبب ملكه أنه لما مات بطلميوس الصانع ملك اليونان لم يكن فى بيت هذا الملك من أهله من يصلح للملك فذكر لليونان رجل يصلح فقال بطلميوس

فلا تبركني بالوعيد كانني * الى الناس مطلى به القار أجرب

واختلف فيما بعدها فقيل ان كان ما بعدها داخلا فى مسمى ما قبلها دخل والا فلا فعلى هذا يدخل المرفق فى الغسل لان المرفق داخل فى مسمى اليد لان اليد من رأس الانامل الى الابط وهذا ينتقض بقولك نمت البارحة الى نصفها ولا يجوز أن يقال انه نام البارحة كلها وقال الجمهور يغسل المرفقين مع اليدين وقال مالك وزفر لا يجب غسل المرفقين وهذا الخلاف أيضا فى الكعبين حجة زفر أن الى لانتهاء الغاية والمنتهى غير النهاية فلا يتعين غسل النهاية والجواب من وجهين الاول مذهب الزجاج سلمنا ان المرفق لا يجب غسله لكن المرفق اسم لما جاور طرف العظم فانه هو المكان الذى يرتفق به أى يتكأ عليه ولا نزاع فى أن ما وراء طرف العظم لا يجب غسله الثانى أن حد الشئ قد يكون منفصلا عن المحدود كقوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل فان النهار منفصل عن الليل فى الحس وقد لا يكون منفصلا كقولك بعتك هذا الثوب من هنا الى هنا فهذا الحد غير منفصل ولا شك أن امتياز المرفق عن الساعد ليس منفصلا معقولا واذا كان كذلك فليس ايجاب الغسل الى جزء أولى من ايجابه الى جزء آخر فوجب القول بغسل كل المرفق وقال بعضهم النهاية غير المتناهى وغسل المرفق لم يفهم من الآية الكريمة انما فهم من فعله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لو قلت بعتك من هذه الشجرة الى هذه الشجرة لم تدخل الغاية ههنا واذا قلت بعتك هذا البستان من هذا الحائط الى هذا الحائط دخل الحائطان فى المبيع والفرق بينهما أن الغاية فى الاولى من جنس ما دخلت فيه فهى خارجة عنه وكذلك المرفق من جنس اليد فهو خارج عن الغسل وفى الثانية ان الغاية خارجة عن المغيا لان الحائط ليس من جنس البستان فلهذا دخل الحائطان فى المبيع ألا ترى أن قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لما كان الليل من غير جنس النهار اعتبر دخول أول الليل قال صلى الله عليه وسلم اذا أدبر النهار من ههنا وأقبل الليل من ههنا فقد أفطر الصائم فاعتبر دخول الليل لانه خارج عن النهار (المعنى) فسربنا فى ذمة الليل فانه يسترنا واعتسف السير ولا تخش الضلال عن طريق الحى فان له نفحة طيب من أهله ترشدك الى الحلة التى هم بها نزول وهذا معنى لطيف وتركيب رقيق وقد جرت عادة الشعراء أن يذكروا أن مواطن الحبيب وأماكنه وما جاورها تتضوع بانواع الطيب وتتأرج النسمات بنفحاته العطرة قال محمد بن عبد الله النميرى فى زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفى من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع * تطلع رياه من الحجرات

ومنها

يخمرن أطراف البنان من التقى * ويطلعن شطر الليل معتجرات

ويروى * ويقتلن بالالحاظ مقتدرات * ومنها

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن من اللقيا له حذرات

ولما بلغ الحجاج أن النميرى تغزل باخته تهدده وقال لولا أن يقول قائل لقطعت لسانه فهرب الى اليمن ثم انه استجار بعبد الملك بن مروان فأجاره وكتب له الى الحجاج فامنه واستنشده الابيات فانشده حتى بلغ قوله ولما رأت ركب النميرى فقال له وما كان ركبك قال أربعة

أحمرة

انه لا يصلح للملك قالوا ولم قال لانه كثير الخصومة وليس يخلو فى خصومته أن يكون ظالما أو مظلوما فان كان ظالما لم يصلح للملك لظلمه وان كان مظلوما لم يصلح للملك لعجزه وضعفه قالوا صدقت فانت أولى بالملك فملكوه عليهم وقال بعض محققى التاريخ ليس بطلميوس الحكيم من ملوك اليونان بل هو رجل حكيم كان فى زمن انطيسوس أحد ملوك الروم بعد اليونان بملوك كثيرة والدليل على انه ليس من ملوك اليونان انه ذكر فى كتاب المجسطى انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين أبختنصر وكان من بختنصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة ومن قتل دارا الى زوال ملك اليونان على يد أوغسطس مائتان سنة وثمانون سنة ومن غلبة أوغسطس الى أن ملك انطيسوس مائة وسبعون سنة فيكون ذلك موافقا لما حكاه بطلميوس فى كتابه * وأما الاصطرلاب فيزعمون أنه باللغة اليونانية ميزان الشمس وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ الارصاد ومطالع الكواكب وغير ذلك وبه مثلت هيئة الفلك وكذلك الكرة والاصطرلاب كرة مطبوعة مثال كرة من شمع

أحمرة لى كنت أجلب عليها القطران وثلاثة أحمرة لصاحبى تحمل البعر فضحك عند ذلك وخلى سبيله ويشبه هذا ما حكى عن الشريف المرتضى انه كان جالسا فى علية له تشرف على الطريق فمر تحته ابن المطرزى الشاعر يجر نعلا له بالية وهى تثير الغبار فامر باحضاره فلما حضر قال له أنشدنى أبياتك التى تقول فيها

اذا لم تبلغنى اليكم ركائبى * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية وقال له أهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرزى ساعة ثم قال له لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله الى مثل قوله

وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبى الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبل فاستحى الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل يقول والله ان قول المطرزى عندى أحسن من قول الشريف (رجع) وذكرت بقول الطغرائى قول أبى العلاء المعرى

الموقدون بنجد نار بادية * لا يحضرون وفقد العز فى الحضر
اذا هممى القطر شبتها بأيديهم * تحت الغمائم للسارين بالقطر

القطر هو العود ومعناه ان هؤلاء الممدوحين يوقدون النار فى الليل ليهتدى الضيف بها اليهم فاذا كان الغمام ونزل القطر واطفأ النار أمروا عبيدهم أن يوقدوها بالطيب ليشم السارى الرائحة فيهتدى اليهم وهذا معنى غريب مليح وعليه اعتمد ابن عباد فى قوله على انه ما فارق المعنى ولا خالف المعنى وهو

المكثرين من الكباء لنارهم * لا يوقدون بغيره للسارى

ومن قول الطغرائى قول التهامى

يتركن حيث حللن زهر لطيمة * مما يثرن به العبير وطاحا
يهدى ثراه الى البلاد وربما * حيت برياه الرياح رياحا

وقول الارجانى

بلغانى منازل الحى أسألها متى فارقت رباها الغيدا
واستدلا على الحمى نشر مسك * من مجر الحسان فيه برودا

والاصل فى هذا كله قول أبى الطيب

ويفوح من طيب الثناء روائح * لهمو بكل مكانة تستنشق

وقول الآخر

ولو ان ركبا يموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وقول ابن النبيه

راح تطير النار من دنها * كأنما بازلها قادح
أنكرها الخمار ضنا بها * حتى هدانا نشرها الفائح

وقوله

ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى ويستنشق

ضمت عليها اليدان فصارت دائرة وزعم بطلميوس ان الافلاك تسعة فأولها أقربها الى الارض وهو أصغرها وهو فلك القمر ثم الذى يليه فلك عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل والثامن فلك البروج وفيه سائر الكواكب الثابتة التاسع الفلك الاعظم الحاكم على جميع الافلاك ويسمى الاثير لانه يؤثر فى غيره وغيره لا يؤثر فيه ويقال القمرى لانه يدير الافلاك دورة قمرية فى كل يوم وليلة وهيأت البروج مثل البطيحة المخططة أعلاها وأسفلها كالنقطتين وكل بيت بين خطين بمنزله البرج ثم ان الفلك المحيط يدير الافلاك الثمانية من المشرق الى المغرب كل يوم دورة واحدة والافلاك الثمانية تدور من المغرب الى المشرق وشبهوا ذلك بسفينة تجرى مع الماء وفيها رجل يمشى مصعدا (وحكى) أبو حيان التوحيدى قال كان ابن بكير يقول دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر ويقطعان الفلك كل يوم وليلة مرتين وهذا من آرائه التى تفرد بها ولم أجد أحدا يوافقه عليها والصناعة برهانية ولا أعرف أى برهان قام له على هذه الدعوى ومن كلام بطلميوس ما أحسن

وقول مسلم بن الوليد

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

وقول ابن الرومى

أعقبته من طيب ذكرك نفحة * كادت تكون ثناءك المسموعا

وقال آخر

وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلق

وقال آخر

لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال

ان قلت هذا المعنى مختل لان ريح المسك يوجد فائحا فكان ينبغى أن يوجد منهم على أميال لان الشرط اذا صدق صدق المشروط (قلت) فيه تقديم وتاخير تقديره لو كان يوجد ريح مسك على أميال لوجدته منهم ولكن لم يوجد ريح مسك على أميال فلا يوجد منهم ورواه بعضهم لو كان يوجد ريح مجدو على هذه الرواية فلا حاجة الى الايراد والجواب * وقرأت على الشيخ القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود قوله من أبيات

اذا هبطوا أرضا وأوطن بارق * تروض من سح الدموع ثراها
يظنونه نار الفريق على الحمى * تبدت لهم وهنا ولاح سناها
ويعتسفون البيد يرشدهم بها * الى الدار ان ضلوا الطريق شذاها
وتهديهم أنوارها الاكوا كب السماء اذا حاروا ولاقـــراها
اذا عاينوا أعلامها وضعوا لها * خدودا على وجه الثرى وجباها

وقرأت عليه أيضا قوله

غنى بذكر الحمى فارتاح كل شجى * وخاض بالدمع حادى الركب فى لجج
واسترخص السير اذ أدنى تواصله * من الاحبة بالغالى من المهج
ولذ قطع الدجى اذ كان يسفر عن * صباح يوم بنور الوصل منبلج
واسترشد الركب اذ حار الدليل بهم * بما تلقـــوه دون الحمى من أرج

وأنشدنى أيضا اجازة قال أنشدنى الشيخ الامام الفاضل شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمى لنفسه وكذلك أنشدنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمرى قال أنشدنى لنفسه شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المذكور اجازة ان لم يكن سماعا وفى غالب الظن انه سماع قصيدته البائية التى أولها

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب * اليك آل التقصى وانتهى الطلب

ومنها

بالله ان جزت كثبانا بذى سلم * قف بى عليها وقل لى هذه الكثب
ليقضى الخدمن جرعائها وطرا * من تربها ويؤدى بعض ما يجب
وخذ يمينا لمغنى تهتدى بشذا * نسيمه الرطب ان ضلت به النجب

وحكى ابن رشيق فى الانموذج أن عبد الرحمن بن محمد القرشى جلس مع بعض شيوخ تونس وكان هذا الشيخ نهاية فى الجنون فاجتاز بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدونة فأقبل الشيخ عليه

بالانسان أن يصبر عما يشتهى وأحسن منه ان لا يشتهى الا ما ينبغى وقال ينبغى للعاقل ان ينظر كل يوم فى المرآة فان رأى وجهه حسنا لم يشنه بشئ قبيح يفعله وان رآه دميما لم يجمع بين قبيحين وسمع جماعة من أصحابه حول خيمة له يقعون فيه فهز رمحا بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم وأن يتباعد واعنه قيد رمح فيقولون ما أحبوا وكان يقول انما نحن كائنون فى الزمن الذى يأتى من بعد هذا رمزا الى المعاد اذ الكون والوجود الحقيقى ذلك الكون والعالم

(وبقراط علم العلل والامراض باطف حسك)

هو بقراط بن ابراقليس كان فى زمن بهمن بن اسفنديار ويقال انه سابع الاطباء الذين أولهم اسقبليوس وهو قبل سقراط وافلاطون وهو الذى نظر فى صناعة الطب فوجدها قد كادت تبيد لقلة أبناء المورثين لها من آل اسقبليوس فانهم كانوا يلقنونها الابناء منهم ولا يكتبونها فيتعلمها غيرهم فبث أبقراط هذه الصناعة فى الناس وعلم الغرباء وعهد الى الاطباء عهدا طويلا مشهورا وقال جالينوس فى بعض كتبه ان أبقراط كان يعلم مع ما كان يعلمه فى الطب من أمر النجوم ما لم

وقال هى فى ذلك المكان فى تلك الناحية حيث يقوم ايرك فقال القرشى والله لا نظم من هذا المعنى فما رأيت مثله وأنشأ يقول من وقته

ان شئت أن تعرف عن صحة * دار الذى يعزى لعبدونه
فامش فان ايرك أبصرته * قام فان الباب من دونه

وقد عكست أنا هذا المعنى فقلت

أقول لمن يسائل عن محلى * تقدم وامش من خلف السوارى
ومر فحيثما تلقى احتشاكا * بسرمك لا تعد فثم دارى

*(فالحب حيث العدا والاسد رابضة * حول الكناس لها غاب من الاسل)*

(اللغة) الحب بالضم المحبة وبالكسر الحبيب نفسه قال ابن الانبارى الحب الحبيب يقال للذكر والمؤنث بلفظ واحد وحكى عن بعض العرب انهم يقولون فلانة حبتى وسيأتى الكلام على الحب فى قوله يقتلن أنضاء حب (العدا) بكسر العين الاعداء وهو جمع لا نظير له قال ابن السكيت لم يأت فعل من النعوت الا حرف واحد يقال هؤلاء قوم عدا وأنشد

اذا كنت فى قوم عدا لست منهم * فكل ما ملته من خبيث وطيب

ويقال قوم عدا وعدا بالكسر والضم مثل سوى وسوى (الاسد) جمع أسد وأسد يجمع على اسود وأسد مقصور منه وأسد مخفف وأسد وآساد مثل جبل وأجبال (رابضة) الربوض للبقر والغنم والفرس والكلب مثل البروك للابل والجثوم للطائر يقال ربضت تربض ربوضا فهى رابضة (حول) يقال قعدت حوله وحواله وحواليه وحوليه ولا تقل حواليه بكسر اللام وحول الشئ ما يحاذيه من كل جانب (الكناس) موضع الظبى الذى يكنسه تقول كنس يكنس بالكسر (الغاب) الآجام والغابة الاجمة وهى مكان الاسد (الاسل) الرماح وهى المراد هنا وأصل الاسل نبات طويل له شوك ومنه أسلة اللسان والذراع وهو ما استدق منهما

(الاعراب *فالحب) مبتدأ والخبر محذوف تقديره مستقر (حيث) ظرف مكان وهو مبنى على الضم وانما بنى لانه أشبه الحرف من حيث الاستعمال اذ كان يحتاج الى صلة مثل الذى ويوصل بالجملة الاسمية كقولك جلست حيث زيد جالس وبالجملة الفعلية كقولك جلست حيث يجلس زيد وكان البناء ضما لوقوعها موقع الغاية والغاية هى الخبر والخبر مرفوع وكذلك قبل وبعد اذا وقعا غاية وما أحسن قول محاسن الشواء

لنا صديق له خلال * تعرب عن أصله الاخس
أضحت له مثل حيث كف * وددت لو انها كامس

وأنشدنى المولى شمس الدين محمد بن على بن أيبك السروجى قال أنشدنى لنفسه القاضى زين الدين عمر المعروف بابن الوردى الشافعى بحلب وأنشدنيه أنا ايضا فيما بعد لنفسه ومن خطه نقلت

قلت لنحوى اذا عرضا * له بأوقات الرضا أعرضا
يا حيث لو أصبح باب الرضا * كيف لما كنت كأمس مضى

(قلت) معناه يا مضموم لو أن باب الرضا مفتوح لما كنت مكسورا وفى حيث لغات الضم وهو الافصح والفتح لانه أخف والكسر لان الاصل فى البناء السكون واذا حرك الساكن كسر

يكن يدانيه فيه أحد من أبناء زمانه وكان يعلم أمر الاركان التى منها تركيب أبدان الحيوان وكون جميع الاجسام التى تقبل الكون والفساد وفسادها وهو الذى برهن كيف يكون المرض والصحة فى جميع الحيوان والنبات واستنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وهو أول من اتخذ البيمارستان وذلك انه عمل بالقرب من داره موضعا مفردا للمرضى وجعل لهم خدما يقومون بمداواتهم وسماه أخشسيدوكن أى مجمع المرضى وكذلك لفظ البيمارستان بالفارسى ولم يكن يرغب فى الاتصال بالملوك حتى ان ملك الفرس كتب الى عامله من بلاد اليونان يأمره بحمل أبقراط اليه لاجل وباء عرض فى بلاده وأن يحمل اليه مائة قنطار ذهبا ويضمن له اقطاعا مثلها وكتب الى ملك اليونان فى ذلك الوقت يستعين به على اخراجه اليه وضمن له مهادنته سبع سنين فلم يجب ابقراط الى هذا وقال أهل المدينة ان خرج أبقراط خرجنا كلنا وقتلنا دونه وتفسير أبقراط ضابط الكل وقيل ضابط الحيل وهو الصحيح *وكتبه جليلة وأخباره حسنة ومن

وجاءت لغة رابعة وهى حوث (رجع) وحيث فى موضع نصب لانه ظرف والعامل فيه مستقر وقد سد مسد الخبر (العدا) مبتدا ولم يظهر فيه الرفع لانه مقصور (والاسد) معطوف عليه وهو عطف نسق (رابضة) خبر عن المبتدا المعطوف وسد هذا الخبر عن الاول لان العدا فى الشدة والبأس كالاسد (حول) منصوب على الظرفية والعامل فيه رابضة و(الكناس) مضاف اليه والاضافة ههنا معنوية (لها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر مبنية وهو خبر مقدم لان المبتدا نكرة (غاب) مبتدا تقدم خبره فى الجار والمجرور ولا يجوز الابتداء بالنكرة لان الغالب فيها أن لا يفيد الاخبار عنها فان أفادت ابتدئ بها والنحاة فى الغالب عدوا لها ستة مواطن أولها أن يكون المبتدا نكرة محضة والخبر جار ومجرور مقدم كما فى هذا البيت أو ظرف نحو عندى درهم وثانيها أن تعتمد النكرة على استفهام نحو هل رجل فى الدار أو على نفى نحو ما أحد خير منك وثالثها أن تخصص النكرة وتقرب من المعرفة اما بوصف نحو قوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك أو باضافة نحو خمس صلوات كتبهن الله على العباد ورابعها أن يكون فيها معنى الدعاء نحو سلام عليكم وخامسها أن يكون فيها معنى التعجب كقول الشاعر

عجب لتلك قضية واقامتى * فيكم على تلك القضية أعجب

وسادسها أن يكون لها صدر الكلام كقولك من أبوك وكم غلام لك قال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس تنكير المبتدا اختلفت فيه عبارات النحاة فقال ابن السراج المعتبر فى المبتدا حصول الفائدة فمتى حصلت الفائدة جاز الابتداء بالنكرة وقال الجرجانى يجوز الاخبار عن النكرة بكل أمر لا تشترك النفوس فى معرفته نحو رجل من بنى تميم شاعر فالمجوز عنده شئ واحد وهو جهالة بعض النفوس وقال شيخنا جمال الدين محمد بن عمرون الضابط فى جواز الابتداء بالنكرة قربها من المعرفة لا غير وفسر قربها من المعرفة بأحد شيئين أما باختصاصها كالنكرة الموصوفة أو بكونها فى غاية العموم كقولنا تمرة خير من جراده فعلى هذا لا حاجة الى تعداد الاماكن التى يجوز فيها الابتداء بالنكرة بل يعتبر كل ما يرد فان كان جاريا على الضابط أجزناه والا منعناه ثم قال الشيخ بهاء الدين فيما بعد والاماكن التى يجوز فيها الابتداء بالنكرة تزيد على ثلاثين ولم أجد أحدا من النحاة غيره زاد على أربعة وعشرين فيما علمته وقد ذكر هذه الاماكن التى عدها فى تعليقته على المقرب وأضربت أنا عنها خشية التطويل (رجع) من الاسل جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس وقوله لها غاب من الاسل فى موضع رفع صفة للاسد (المعنى) حبيبى مكانه حيث الاعادى والاسود رابضة حول كناسه وللاسود غاب من الرماح ولو كان لى فى البيت حكم لقلت * فالحب حيث العدا كالاسد رابضة * لانه ينتهى الى أن يقول * حول الكناس لها غاب من الاسل * والاسل هى الرماح التى أرادها فى البيت والرماح مما يختص بالاناسى لا بالاسود وأيضا الاسود ليس من شأنها الالفة بالناس حتى تكون حولهم (فان قلت) أراد بالاسود العدا وذلك أنهم فى الباس كالاسد فاطلق ذلك عليهم مجازا (قلت) لا يتأتى له ذلك وقد عطف الاسد على العدا والعطف يدل على المغايرة فاذا الاسد غير العدا وأيضا هو قطع الكلام عن العدا وما ذكرهم متعلقا ووصف المحبوب بأن الاعادى محيطون به وحولهم الاسل وهو أبلغ فى المنع والتحصن من الاسود لان الانسان أبلغ فى الحرس

والاحتراز

ظريف حكاياته أن ولد أحد ملوك اليونان عشق جارية من حظايا أبيه فنحل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فأحضر أبقراط فجس نبضه ونظر الى بشرته فلم ير عنده علة فذاكره حديث العشق فرآه يهتز لذلك ويطرب فاستخبر الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل خرج عن الدار فقالت لا فقال لابيه مر رئيس الخصيان بطاعتى فأمره بذلك فقال أخرج على النساء فخرجن وأبقراط واضع يده على نبض الصبى فلما خرجت الصبية الحظية اضطرب عرقه وحال طبعه فعلم بقراط انها المعنية بهواه فصار الى الملك فقال ان ابن الملك عاشق لمن الوصول اليها صعب قال الملك ومن تيك قال هى زوجتى قال فانزل عنها ولك عنها بدل فتمنع أبقراط وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا طلاق زوجته ولاسيما الملك فى عدله ونصفته يأمرنى بمفارقة زوجتى وهى عديلة روحى فقال الملك انى أوثر ولدى عليك وأعوضك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد والسيف فقال أبقراط ان الملك لا يسمى عادلا حتى ينصف من نفسه ما ينصف من غيره

والاحتراز من الاسد لانه ذوعقل وتفكر ووهم وليس للاسد غير البطش وعلى الجملة فقد وصف محبوبه بانه مصون محجب لاسبيل الى الوصول اليه والحالة هذه وما أحسن قول أبى عبد الله محمد بن أحمد الخياط الدمشقى

ومحتجب بين الاسنة معرض * وفى القلب من اعراضه مثل حجبه

وقول ابن قلاقس

ارجع عن الوادى فان مياهه * مما يشب به غليل الهيم
وبشعب رامة معرك يغدو به * قلب الهزبر أسير لحظ الريم
مد الكماة من الاسنة فوقه * ظلا وذاك الظل من يحموم
حيث التفت الى مطالع شمسه * الفيتها محجوبة بغيوم

وقول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وفوق مرادى من مراد عقائل * تبيت المذاكى القب سجف قبابها
ودون الخدور السابريه عترة * تهز كعوب الرمح دون كعابها

وقول ابن خفاجة

لقد جبت دون الحى كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحى والليل مطرف * منمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم بها برق الحديد وربما * عثرت بأطراف المثقفة السمر
فلم أأق الا صعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولاشمت الاغرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر

(قلت) هذا هو النظم الذى تخجل منه درر العقود ويستحى من طرسه رقم البرود وقد جمع الانسجام والجزاله وأضاف الى الاستعارة حسن التخيل فقلت هذا البدر ضمن هاله وأبرز فى صورة تفرق منها الضراغم وتنوح على من تلبس بتلك الحالة ساجعات الحمائم فاذا حاول محاكاتها ناظم وجدها كالحديد ملمسا وكالحرير ملبسا وأين الثريا من يد المتناول وقوله أيضا

وليل طرقت المالكية تحته * أجد على حكم الشباب مزارا
نخالطت أطراف الاسنة أنجما * ودست لها لالات البدور ديارا

وقول ابن صردر

وطرقت أرضهم وتحت سمائها * عدد النجوم أسنة المران
أرض جداولها السيوف ونبتها * نبع ومارك زوامن الخرصان

(قلت) ما أحسن الجداول هنا والنبع بعدها وقول ابن نقادة

أظن الصبا من أرض نجد هبوبها * فمن نشر ليلى قد تضوع طيبها
ومن عجب أن صافحتها وسلمت * عليها ولم يشعر بذاك رقيبها
ولو أنها مما يرى كان صده * الا غيوم ولم يبلغ الى هبوبها

أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك ففهم الملك المراد وقال يا بقراط عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه وشفى الفتى من لاعج الهوى * ومن كلام أبقراط سلوا القلوب عن المودات فانها شهود لاتقبل الرشا وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع يعنى من المآكل والمشارب وقال خير الغذاء بواكره وخير العشاء بوادره يعنى بذلك المبادرة به فى بقايا النهار والضوء متمكن وقبل الدخول فى حد النوم وقال استهينوا بالموت فان مرارته فى خوفه * وسئل كم ينبغى للانسان أن يجامع فقال فى كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل شهر قيل فان لم يقدر قال فى كل أسبوع قيل فان لم يقدر قال هى روحه متى شاء أخرجها ولما حضرته الوفاة قال خذوا منى العلم بغير حسد من كثر نومه ولانت طبيعته وندیت جلدته فقد طال عمره

(وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسه) (جالينوس) هو آخر الحكماء المشهورين ويسمى خاتم الاطباء والمعلمين وذلك أنه عند ما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الاطباء السوفسطائيين ومحيت محاسنها فانتدب

وقوله أيضا

قد حجبوا البيض ببيض الصفاح * ومنعوا السمر بسمر الرماح
وأطبقوا أحداق أسجافهم * فاترى شمس الصباح الصباح
غاروا من النكباء تسرى فهم * لو رقدوا سدوا مهب الرياح

وقول ابن قلاقس

وابلائ من مخدرة * دونها سور وجدران
وأسود خاف سطوتها * كل من حازته أجفان
ورقيب لو يلاحظها * لتثنى وهو غيران

قال ابن الاثير فى المثل السائر سافرت الى الشام سنة سبع وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو

أغارا اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لاعذته بفدائه

وأنشدنى الشيخ الامام القاضى شهاب الدين محمود قال أنشدنى شيخنا الامام مجد الدين محمد ابن أحمد بن عمر الظهير الاربلى الحنفى لنفسه من أبيات

أواصل فيه لوعتى وهو هاجر * ويؤنسنى تذكاره وهو نافر
غزال منيع الخدر دون مزاره * مظللة بالبيض منه الجآذر

وقرأت عليه أيضا قوله من قصيدة

ومن طلب الاحبة كان أسخى * ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من * نضاها دون مطلبه حسامه

وأنشدنى لنفسه اجازة ومن خطه نقلت

وعلى الحمى حى تخال ظباءه * أخذت سطا الفتكات عن آساده
جعلوا القنا رصد القباب فمن ثنى * طرفا له رمقته زرق صعاده
يحمى نزيلهم ويأمن جارهم * الاعلى أحشائه ورقاده
فاذا تزود نظرة من عينهم * قبل الرحيل فخفه فى زاده

وأنشدنى له أيضا اجازة

ولقد عهدت رماحهم تصغى الى * مر الصباخوفا على أسرارهم
ورأيت مع بذل النوال حماتهم * والوهم يفرق أن يرى بمزارهم

وأنشدنى اجازة لنفسه المولى صفى الدين الحلى ومن خطه نقلت

وسرب ظباء مشرقات شموسه * على حلة عد النجوم بدورها
يمانع عما فى الكناس أسودها * ويحرس ما تحوى القصور صقورها
يغار من الطيف المسلم حماتها * ويغضب من مر النسيم غيورها
اذا مار أى فى النوم طيفا يرودها * توهمه فى اليوم ضيفا يزورها
نظرنا فأعدتنا السقام عيونها * ولذنا فأولتنا النحول خصورها

لذلك وأبطل آراءهم وشيد آراء أبقراط والتابعين له ونصرها وساح وطلب الحشائش وجرب وقاس أمزجتها وطبائعها وشرح الاعضاء ووضع الكتب النفيسة فى هذه الصناعة وهى مادة الاطباء الى يومنا هذا وأشهرها الكتب الستة التى شرحها الاسكندرانيون ولم يأت بعده الا من هو دون منزلته وكانت وفاته بعد مبعث المسيح عليه السلام ولم يره (حكى) انه لما بلغه دعوة المسيح صلوات الله عليه احياء الموتى وخلق الطير وابراء الاكمه والابرص قال لمن حوله من التلامذة ان علم من هذا المدعى بما لا تستقل به الطبيعة سفه قبل ما ادعاه لا يخاطب ويحمل فيما ادعاه على ما تقدم العلم منه من السفه وان لم يعلم منه سفه تقدم دعواه يطلب بالبيان لامكانه مما وراء عالم الطبيعة وذلك سبيل كل ناطق يقوم فى ابتداء كل قرن يأتى من الزمان للاضطرار اليه عند ظهور الفساد فى الارض سبيله الدعوى بما لا تستقل به الطبيعة لانقياد الناس الى طاعته بعد القيام بصحة ما ادعاه فمن سلك سبيله بعد ذلك تمت حركته ثم تجهز للاجتماع به وسار اليه فمات فى طريقه بمدينة الفرما وهى

وزرناواسدالحى تذكى لحاظها * ويسمع فى غاب الرماح زئيرها
فياساعد الله المحب فانه * يرى غمرات الموت ثم يزورها

(قلت) هذا تضمين حسن ولكن القافية تكررت معه فى يزورها وما وصف أحد رقيبه بأبلغ من قول ابن قلاقس المتقدم وهو قوله رقيب لو يلاحظها البيت وهو أنه يغار حتى من نفسه وهذه حالة زائدة عن الرقباء فان الرقيب قد يكون يريد الصون وأن العاشق لا يلم بالمعشوق ولا يدانى مكانا يضمه فأما اذا انضاف الى هذه الغيرة انه يغار عليه من نفسه كان حال المحب أشق عليه الى الغاية وأين غيرة هذا الرقيب من عدم غيرة عبد المحسن الصورى على محبوبه حيث قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة عن لوعتى ونحيبى
ويشاركنى فى حبه كل ماجد * يشاركنى فى مهجتى بنصيب
فلا تلزمونى غيرة ما ألفتها * فان حبيبى من أحب حبيبى

وبالغ الآخر فقال يتجح بالقيادة

أقود بحمد الله لا عن كراهة * وغيرى قواد على رغم أنفه

وما أحلى قول مجير الدين بن قرناص

لى صاحب كملت جميع صفاته * قد عمنى بغرائب الاحسان
لو لم يكن مثل النسيم لطافة * مابات يعطف لى غصون البان

وقال الوجيه الدورى

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ فى كل الامور مهذب
طورا يغنى بالرباب وتارة * تأتى على يده الرباب وزينب

وقال السراج الوراق ومن خطه نقلت

جاء فى البرم واحد العصر والقواد أيضا فى ذاته مقبول
وهو مع مافيه من البرم والفتـ * ـل مخلى من دينه محلول

وقال ابن سناء الملك

لى صاحب أفديه من صاحب * حلو التأنى حسن الاحتيال
لو شاء من رقة ألفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما * قد قاد للمهجور طيف الخيال

وقال آخر

يسهل كل ممتنع شديد * ويأتى بالمراد على اقتصاد
فلو كلفته تحصيل طيف الـ * ـخيال ضحى لزار بلا رقاد

وقال مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

وقواد يعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا
يكاد بحكمة فيه وحذق * يقود بلا أزمتها النياقا

وقال عبد العزيز الآمدى فيمن له ابن يدعى سراجا

لك زوجة وابن هما لك روضتا * زهر وفى يوم اللقاء جماج

على شاطئ بحيرة تنيس وبها قبره ولما اشتد به المرض قيل له الا تتداوى قال اذا نزل قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل ثم مات مبطونا ومات ارسطاطاليس بالسل ومات افلاطون مبرسما ومات أبقراط مفلوجا * ومن حكايات جالينوس عن نفسه قال مررت بشيخ يزرع شجرة فقلت يا شيخ ما تزرع فقال شجرة ثمرتها لى ولك قلت وما هى قال شجرة المشمش ثمرتها لى لانى آخذ ثمنها ولك لانها تكثر المرضى فتأخذ من أموالهم (وحكى) عن نفسه فى معرفة التشريح قال أعرف رجلا شكا ضعف شهوة الطعام فوضعت على رقبته أدوية فبرئ لان فى العضوين المجاورين للعرقين النابضين شعبة الى فم المعدة تنال منها الحس وكان فى رقبة ذلك الرجل خنازير فقطعها الاطباء فاضر ذلك بتلك القصبة التى منها الشعبة وبرئت رقبته وصار ضعيف الشهوة عن الطعام فوضعت عليها الادوية المقوية فبرئ * ومن كلامه الانسان سراج ضعيف كيف يدوم ضوءه بين رياح أربع يعنى الطبائع * وقال الانسان الى تجنب مايضره أحوج منه الى تناول ماينفعه وقال من كان له درهم فليجعل نصفه فى النرجس فانه راعى

لاتخش فى طرق القيادة ظلمة * لك منهما طوّافة وسراج

قيل ان أبا الحسين الجزار حضر الى بيت الزين المارديني الشاعر ومعه مليح فاطال الزين الجلوس فكتب الجزار بيتين فى ورقة ودفعها اليه وهما

ليس فى البيت ماتخاف عليه * وعلى الضمان حتى تعودا
فتصدق وقد على فلا بد اذا جئت منزلى أن أقودا

وقال أبو الحسين الجزار أيضا من أبيات

ليت شعرى ماذا تقول اذا ما * رمت شتمى قل لى باى طريق
علم الله ما مضيت رسولا * قط من عند ابنتى لعشيق
لاولا جئت بالرجال الى بيتى * وكاسرت منهم فى السوق

وكتب أيضا الى السراج الوراق من أبيات

ولئن كنت قد علقت حبيبا * موصليا فأنت بالعلق أعلق

فاجابه السراج بأبيات منها

ماترى كيده وقد جاء بالقا * ف رويا فجئت بالقلب أعلق
قلت دعه فالشيخ أقول منا * قال بالدال قلت قولك أصدق

وقال ابن دانيال فى الكمال العواد

عين الكمال العواد قاف * وهو شويخ ردقواقى
سرت قياداته الى أن * قاد بمصر على عراقى

وحكى لى الشيخ الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى ان الشيخ شهاب الدين بن النحاس دخل الى الجامع الازهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لابى الحسين ما أردت الا قول ابن سناء الملك فقال أبو الحسين ماتفاءلت أنا الا بقول صاحبنا السراج الوراق اه قلت أما مراد الشيخ بهاء الدين بن النحاس من قول ابن سناء الملك فهو

أنا فى مقعد صدق * بين قواد وعلق

وأما مراد أبى الحسين الجزار من قول السراج الوراق فهو

ومهذب راض الابى فقاده سلس القياد
لما توسط بيننا * جرت الامور على السداد

وقد تساب كل منهما مع خصمه ولم يشعر بمرادهما أحد * وقريب من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء قال روى رفيقنا عبد الكريم بن منصور قال سمعت المبارك بن أحمد بن الافوه يقول خرج رجل من بغداد على سبيل الفرجة فقعد على الجسر فاقبلت امرأة من جهة الرصافة متوجهة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال رحم الله على بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقف بين الرجل مشرقا ومرت المرأة مغربة فتبعت المرأة وقالت ان لم تقول لى ما أراد وما أردت والا فضحتك فضحكت وقالت أراد الشاب بقوله رحم الله على بن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

الدماغ والدماغ راعى العقل ورأى مصارعا كان لايرمى أحدا قد صار طبيبا فقال الآن كما صرعت الناس (وكلاهما قلدك فى العلاج وسالك عن المزاج)

العلاج والمعالجة فى اللغة المغالبة وسمى الطب علاجا لكون الطبيب يغالب المرض وقال أبقراط يعالج الجسد على خمسة أضرب مافى الرأس بالغرغرة ومافى المعدة بالقىء ومافى أسفل المعدة بالاسهال ومابين الجلدين بالعرق واسهال الدم ويحتاج ذلك الى علوم الاصول من الاستقصات والطبائع والاخلاط والقوى والارواح والاسباب وغير ذلك والمزاج فى اللغة خلط الشراب بغيره وعبر عنه الاطباء بأنه عبارة عن تكافؤ الطبائع واختلاطها فى البدن والمزاج عندهم تسعة واحد معتدل وثمانية غير معتدلة وفى الثمانية أربعة مفردة وهى الحار والبارد والرطب واليابس والاخلاط أربعة وهى الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء والبلغم فالدم حار رطب والمرة الصفراء حارة يابسة والبلغم بارد رطب والمرة السوداء باردة يابسة ومعرفة أمزجة الانسان من أقسام الاسباب والعلامات ويعرف مزاج غير

وأردت أنا بقولى رحم الله أبا العلاء المعرى قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومثل هذا ماذكره صاحب الأغانى قال هوى محمد بن عيسى الجعفرى جارية مغنية اسمها بصيص وطال عليه ذلك فقال لصديق له لقد شغلنى حب هذه عن صنعتى وكل أمرى وقد وجدت مس السلوة عنها فاذهب بنا حتى أكاشفها فأستريح فأتياها فلما غنت لهما قال لها محمد بن عيسى أتغنين

وكنت أحبكم فسلوت عنكم * عليكم فى ديار كم السلام

فقالت لا ولكنى أغنى

تحمل أهلها عنها فبانوا * على آثار من ذهب العفاء

قال فاستحى وزاد بها كلفا وأطرق ثم قال أتغنين

واخضع بالعتبى اذا كنت مذنبا * وان أذنبت كنت الذى أتنصل

قالت نعم وأغنى أحسن منه

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله * وننزلكم منا بأقرب منزل

قال فتقاطعا فى بيتين وتواصلا فى بيتين وما شعر بهما أحد (قلت) وبصيص هذه من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء وهى جارية يحيى بن نفيس يقال ان المهدى اشتراها وهو ولى العهد سرا من أبيه بسبعة عشر ألف دينار وولدت منه علية بنت المهدى (رجع) والاصل فى غالب ما تقدم من القيادة قول عمر بن أبى ربيعة المخزومى من أبيات

فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب

تغلط القول اذا الانت لها * وتراخى عند سورات الغضب

قيل ان ابن أبى عتيق لما سمع ذلك قال لعمر ما أحوج المسلمين الى خليفة يدبر أمرهم مثل قوادتك هذه وأخذ هذا المعنى الواوا الدمشقى فقال هذه الابيات

بالله ربكما عوجا علي سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بى وقولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا فى ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومنه قول الآخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتى * سليمى وعرض بى كأنك مازح

فان أعرضت عنى فقوه مغالطا * بغيرى وقل ناحت بذاك النوائح

وقال الآخر وبيت

باللطف اذا القيت من أهواه * عاتبه وقل له الذى ألقاه

ان أغضبه الوصال غالطه به * أورق فقل عبدك لا تنساه

وقلت أنا من أبيات

ويا رسولى اليهم صف لهم أرقى * وأن طرفى لطيف الضيف مرتقب

عرض بذكرى فان قالوا التعرفه * فاسأل لى الوصل وانكرنى اذا غضبوا

ذلك بالتجربة وبالقياس فليعلم ذلك

(واستوصف تركيب الاعضاء واستشارك فى الداء والدواء)

يشير بمعرفة الاعضاء الى ذكر صفات التشريح التى ذكرها جالينوس وحكى فيها عن نفسه الحكايات العجيبة والاعضاء عندهم على قسمين بسيط ومركب فالبسيط كالعظم والعصب والعروق والمركب كالرأس واليدين والرجلين ومن الاعضاء أعضاء رئيسة وأعضاء مرؤسة وأعضاء ليست برئيسة ولا مرؤسة فالرئيسة أربعة كالدماغ والقلب والكبد والانثيين والمرؤسة ما تخدم هذه الرئيسة وذلك أن الدماغ يخدمه العصب والقلب يخدمه الشرايين والكبد تخدمها العروق والانثيان أوعية المنى وما ليس برئيس ولا خادم كالعظام والغضاريف والشحم واللحم والاعضاء التى لها قوى كالمعدة والكلى * والداء هو المرض الداخل على الابدان وأجناسه ثلاثة الاول فساد المزاج والثانى تفرق الاتصال والثالث المرض المشترك * والدواء ما يحفظ به الصحة المائلة عن البدن أو ما يجلب به الصحة للبدن المزايلة له وهو نفس القسم العملى ومداره على

وقال بعضهم دخلت مدينة فرأيت بها غلاما حسنا فراودته عن نفسه فأجاب فلما خلونا ذكرت الله وانصرفت عما هممت به فلما خرجنا قال ادفع لى شيأ فقلت ما جرى بيننا ما يوجب العطاء فتنازعنا وطال اللجاج فبينما نحن كذلك اذ مر بنا رجل فنادياه وتحاكمنا اليه وحكينا له الصورة فقال حدثنى أبى عن جدى عن المزنى عن الشافعى أنه قال اذا أغلق الباب وأسبل الستر فقد وجب المهر فأعطه حقه فدفعت الى الامرد درهمين وقلت لذلك الرجل أعيذك بالله من قواد فما رأيت من يقود على مذهب الشافعى بسند متصل غيرك * وفى المثل أقود من ظلمة قال بعضهم أظنه من قولهم الليل أخفى للويل أو من قولهم * فانما الليل نهار الاديب * أو من قولهم * فالشمس نمامة والليل قواد * وليس بشئ وانما أصل المثل انه كانت فى هذيل امرأة تدعى ظلمة زنت ستين سنة وقادت أربعين سنة فلما عجزت عن ذلك اتخذت تيسا وعنزا وكانت تنزى التيس على العنز فقيل لها لم تفعلين هذا قالت حتى أشاهد أنس الجماع فألتذ به (أقول) فما كان أحقها بان يقال فى حقها

عجوز قد زنت ستين عاما * وقادت بعد ذلك أربعينا
وقامت فاشترت تيسا وعنزا * لتنظر لذة المتنايكينا

ويقول بعضهم

شيخة الفسق لا تحول عن العهد كما تستبيح مال يجوزا
ساحقت طفلة وليطت فتاة * وزنت كهلة وقادت عجوزا

قلت وما رأيت من استعمل هذه المادة من الصغر الى الكبر الا الذى قال

حاشا المثلى عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب
أهواه طفلا فى القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وأخذه الآخر فقال موواليا

هويت شيخا اسمر اكحل ماله عائب * الا مشيبه وما قلى بذا تائب
يجى على كل حاله ما يروح خائب * أمرد معذر منكرش ملتحى شائب

(رجع) الى ذكر الرقيب واما الرقيب فلازمته أمريضنى ومرض يفرى الحشا ويفنى والمحبون ابتلوا به حديثا وقديما ورعوا به روض المحبة هشيما وأرى الرقيب هو المبتلى وصاحب السهر والتعب على انه ما عشق ولا سلا وذلك لان العاشق يجد فى الغرام لذة عليه عائده والرقيب أضاع زمانه وأذاب فؤاده بلا فائده ولهذا قال ابن رشيق

تأذى بلحظى من أحب وقال لى * أخاف من الجلاس أن يفطنوا بنا
وقال اذا كررت لحظك دونهم * الى فما يخفى دليل مريبنا
فقلت بلينا بالرقيب فقال ما * بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

وما ألطف قول ابن المعتز

وابى لائى فى محضر ومغيب * من حبيب منى بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا * شرقت قبل ريها برقيب

قلت ما أحلى استعارته الشرق والورد والرى لماء الوجه فهكذا يكون الشعر وأظن أن ابن بابك أخذ من هنا قوله

الحذق وكان بقراط يقول الطبيب الحاذق يصير بحذقه السم دواء نافعا والجاهل يصير الدواء سما قاتلا ومثال ذلك أن الجاهل بالطب اذا أخذ الصندل وسحقه كالكحل ثم طلاه على بدن حار كثير الحرارة طليا ثخينا دخلت تلك الاجزاء الدقيقة فى منافس الجسد ومسامه فتؤذى العليل والطبيب الحاذق يأخذ العود الهندى فيسحقه ناعما ثم يطليه على البدن طليا رقيقا فيتصل ما فيه من الرطوبة الى حرارة البدن فيبردها ويجد الحر سبيلا الى الخروج فتكون حرارة العود مبردة بتدبير الطبيب فاعلم ذلك

(وأما نهجت لابى معشر طريق القضاء)

النهج بيان الطريق ووضوحه ومنه نهج الثوب اذا بان فيه البلاء * والقضاء فصل الامر قولا كان أو فعلا وأصله قضاى من قضيت فقلبت الياء همزة والمراد به ههنا حكم المنجمين وقولهم بتأثير الكواكب قال الشاعر * يقضون بالامر عنها وهى غافلة *

وأبو معشر هذا هو جعفر ابن محمد بن عمر البلخى المنجم المشهور فى علم النجامة كان فى الاول من أصحاب الحديث ببغداد وكان يشنع

تكاد عيني اذا خاضت محاسنه * اليه تشربه من رقة البشره

وتلطف ابن المعتز أيضا حيث قال

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
تقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وما أحسن قول سيف الدين بن حمدان

أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع
رأى ماء فاوقعه * وخاف عواقب الطمع
وصادف خلسة فدنا * ولم يلتذ بالجرع

وأبلغ من هذا قول الحرث بن خالد

تدنيك شيأ قليلا وهي خائفه * كما يمس بظهر الحية الفرق

وتلطف الصاحب بن عباد رحمه الله حيث شبه الرقيب بالصلة والمحبوب بالذى لشدة اتصالهما وعدم خلو الذى من الصلة فقال

ومهفهف ذى وجنة كالجنبذ * الحاظه مثل السهام النفذ
قد نلت منه مراد قلبي في الهوى * وملكته لولم يكن صلة الذى

وبالغ القائل فى ملازمة الرقيب فقال

أنا والحب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ما اجتمعنا بحيث لم يمكن الده * ر بانى أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت الم * ح فوافى فقلت كيم الطبيب

وما ترك هذا الشاعر فى الظرف غاية لمن بعده وقريب من هذه المادة ماذكره الحريرى فى درة الغواص قال حكى لى أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمدانى حين قدم البصرة حاجا فى سنة نيف وستين وأربعمائة أن الصاحب أبا القاسم بن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له ما الذى بك قال حمى فقال له الصاحب قه فقال له النديم وه فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه وقيل ان بعض الظرفاء سمع امرأة حسناء تقول وقد أتت الى جانب نهر يا جارية أين أضع رجلى فقال لها ذلك الظريف على كتفى فقالت بخفى فقال لها رقبة زوجك فقالت له من أين خرجت فقال لها من بيتك فقالت مصفوع فقال لها على تهمة بك فقالت وأنت عنها برىء فانقطع * ونقلت من خط القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى ترجمة ضياء الدين موسى الكاتب من نوادره انه قال له الرضى الحلاوى الشاعر أنا فى لحيتى حاصة فقال الضياء موسى لى وقال الحلاوى يوما أنا أشعر شعرا حسنا ومايعوزنى الا حلق فقال له موسى لحية قلت اما النادرة الاولى فلا بد فيها من مسامحة مالان التنديراذا كان جوابا اغتفر فيه للسرعة مالا يغتفر فى غيره اذ الحصة التى هى بمعنى النصيب وهو مراد الضياء موسى بغير الف وأما الداء الذى يتناثر منه شعر الذقن وهو مراد الحلاوى انما هو حاصة والحص قلة الشعر فاعرفه وعلى قول الضياء فى الثانية ذكرت ما قلته أنا قديما

قلت له اذ هزلى ذقنه * ولام فيمن ذبت فى عشقها
تذكر اذ غنت فنادى نعم * فقلت واشوقا الى حلقها

على الكندى الفيلسوف بعلوم الفلسفة ويغرى به العامة فدس له الكندى من حسن له النظر فى علم الحساب والهندسة فدخل فى ذلك ثم عدل الى أحكام النجوم فتفنن ومهر وانقطع شره عن الكندى لانه من جنس علوم الكندى ويقال انه اشتغل بالنجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره وصنف الكتب الحسنة فى هذا العلم مثل كتاب الالوف وكتاب المدخل وكتاب المذاكرات وغير ذلك وظهرت له اصابات عجيبة وحكى عنه فيها حكايات بديعة قال فى كتاب المذاكرات قال حضرت وشيلمة والزيادى عند الموفق وكان الزيادى استاذ زمانه فى النجوم فاضمر الموفق ضميرا فقال الزيادى أضمر الامير فقد أمر جليل رفيع فقال له كذبت فقال شيلمة قولا قريبا منه فقال الموفق كذبت ثم قال لى هات ما عندك فقلت أضمر الامير الله عز وجل فقال أحسنت والله ويلك أنى لك هذا قلت الرئيس يرى فعله ولا يرى نفسه وكان فى أرفع درجة الفلك فى الضمير ولم أعرف له مثلا الا الله عز وجل لان الله تعالى يرى فعله ولا يرى هو وهو فوق كل عزة وسلطان ليس فوقه شئ (وحكى) عنه انه كان قد تنقل فى البلاد

فاتصل ببعض ملوك العجم
وان الملك طلب رجلا من
أتباعه وأكابر دولته ليطالبه
بجريمة وقعت منه فاستخفى
الرجل وعلم ان أبا معشر يدل
عليه بالطريق الذى يستخرج
بها الخفايا والاشياء الكامنة
فاراد ان يصنع شيأ لا يهتدى
اليه ويبعد عنه الحدس
فاخذ طشتا وملأه دما وجعل
فى الدم هاونا من ذهب كبيرا
يتمكن من القعود عليه ثم
جلس عليه أياما وتطلب
الملك ذلك الرجل فاعياه
فاحضر أبا معشر وقال له
عرفنى بموضعه كما جرت عادتك
فعمل المسئلة التى يستخرج
بها المجهولات وسكت زمانا
حائرا فقال له الملك ماسبب
حيرتك قال أرى شيأ عجيبا
قال وماهو قال أرى الرجل
المطلوب على جبل من ذهب
والجبل فى بحر دم ولا أعلم فى
العالم موضعا على هذه الصفة
فلما يئس الملك من القدرة
عليه نادى فى البلد بامان
الرجل ومن اخفاه فلما
اطمأن الرجل بذلك ظهر
وحضر بين يدى الملك فسأله
عن الموضع الذى كان فيه
فاخبره بما اعتمد فاعجبه حسن
احتياله واصابة أبى معشر
فى استخراجه * ولابى معشر
فى هذا الباب أخبار كثيرة
والله أعلم بحقيقتها وكان مع
تقدمه فى هذه الصناعة يصيبه

* (نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت * نصالها بمياه الغنج والكحل) *

(اللغة) الام القصد يقال أمه وأمه وتأمه اذا قصده (ناشئة) مؤنث ناشئ وناشئ اسم فاعل من نشأ ينشأ فهو ناشئ (الجزع) بالكسر منعطف الوادى (النصال) جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم ويجمع على نصول (مياه) جمع ماء ويجمع على أمواه فى القلة ومياه فى الكثرة والهمزة فى ماء مبدلة من الهاء فى موضع اللام اذ أصله موه بالتحريك لانه يجمع على أمواه كما تقدم (الغنج) بالسكون والغنج بالتحريك الشكل وقد غنجت الجارية وتغنجت فهى غنجة والغنج هو الدل (الكحل) سواد يعلو جفون العين مثل الكحل من غير اكتحال ورجل كحيل وامرأة كحلاء (الاعراب) نؤم فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وقد تقدم الكلام عليه والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره نحن (ناشئة) مفعول به وهو صفة لموصوف محذوف تقديره فتاة ناشئة أو فتيات ناشئة وهذا جائز ونطق القرآن به كثيرا كقوله تعالى ثم يرمم به بريأ أى شخصا بريأ و (بالجزع) جار ومجرور فى موضع نصب بما فى ناشئة من معنى الفعل والباء هنا ظرفية (قد) حرف توقع لاقترانه بالافعال المتوقعة فى الحال والمسئول عنها ومنه قد قامت الصلاة لان المصلين ينتظرون قيامها وقال الجوهرى ولا تدخل الا على الافعال وهى جواب لقولك لما تفعل وزعم الخليل انك تقول قدمات فلان لمنتظر الخبر ولو أخبرت شخصا لا ينتظره لا تقول قد مات ولكن تقول مات فلان وأصلها التقريب فتقرب الماضى من الحال تقول كنت أتمنى الحج وقد حججت أى فى زمن قريب من اخبارى ولكونها تفيد التقريب فى زمن الحال تلزم الفعل الماضى اذا وقع حالا نحو جاء زيد وقد ركب ومعناها فى المضارع التقليل وهى فيه بمنزلة رب فى الاسماء لان التقريب يناسب التقليل ومعنى تقليلها تقريبها الفعل من الحال ومنه قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم أى تحقق علم ذلك عند الله تعالى وأما قولهم قد يصدق الكذوب فمعناه أن الصدق يقل منه ويحتمل أن يكون المراد أن الصدق قد يتحقق من الكذوب وقيل انها اذا دخلت على المضارع أدت منه معنى الماضى وقد تكون زائدة فى نحو لو قد جاءنى لاكرمته وقد تخرج عن بابها وتجىء من قبيل الاسماء بمعنى حسب تقول قدك أى حسبك قال أبو تمام الطائى

قدك أنت أسيت فى الغلواء * كم تعذلون وأنتم سجرائى

ومن أبيات المعانى قول الفقيه أبى الحسن الطوسى

منينى حينا فلما أن ملات من التمنى
عرضن لى بالوصل حتى قلت قد أعرضن عنى

وظاهره مشكل لعدم انتظام الكلام فاذا حملت قد على معنى حسب صح المعنى (سقيت) فعل ماض لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام على هذه الصيغة والتاء علامة لتانيث المفعول (نصالها) مفعول ما لم يسم فاعله والضمير فى موضع جر بالاضافة وقد تقدم الكلام على رفع ذلك المفعول قلت ومن مشكل هذا النوع قراءة ابن كثير وعاصم يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله بضم الياء فى يسبح وفتح الباء على بناء ما لم يسم فاعله قال بعض العلماء حذف الفاعل هنا وابهامه على السامع مدح عظيم لانه اذا حذف الفاعل اقتضى ان الذين يسبحون الانس والجن والملائكة والخلق أجمعون كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح

بحمده على أحد الاقوال ثم انه تعالى خصصهم بالذكر فى قوله رجال لا تلهيهم أى صفتهم ماذكر من المدح تشريفا لهم وعناية بهم فكأن السامع تشوّق الى أن يعلم من هم المسبحون فعقبه بقوله رجال الآية والوقف فى هذه القراءة على الآصال ويبتدئ بقوله رجال ولو وقف على رجال لكان كفرا ويحكى أن بعض الافاضل صلى تحت منبر يوم الجمعة وكان الخطيب عاميا فقال الحمد لله المسبح بكسر الباء فقال له الفاضل ذاك أنا الذى أسبح باللغات المختلفة ومثل هذا ماسأله بعض العوام وقد رأى جنازة فقال من المتوفى بكسر الفاء فقال له رجل فاضل الله تعالى فأنكر العامى قوله فقال له الفاضل الله يتوفى الانفس حين موتها والميت متوفى بفتح الفاء وحكى أن بعض العميان سمع بعضهم يقول يامن يرى ولا يرى بضم الياء فى الكلمة الاولى وفتحها فى الثانية فقال له الاعمى لبيك ذاك أنا وحكى بعضهم انه سمع بعض السؤال يقول من يعطينى فلسا وأحيله على من يرى ولا يرى فقال له بعض أهل المجون فاذا أعطيتك من هو المطالب *(فائدة)*قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار هذه الآية الكريمة أقوى دلائل المعتزلة فى الادلة السمعية على أن الله تعالى لا يرى لانها صريحة (والجواب) أن الآية الاخرى تناقضها وهى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وحديث عائشة رضى الله عنها انكم لترون ربكم يوم القيامة الحديث وأما شبههم فى قوله تعالى لا تدركه الابصار فقد أجاب الاشاعرة عنها بأن قالوا قوله تعالى لا تدركه الابصار نقيض لقولنا تدركه الابصار وقوله لا تدركه الابصار يقتضى أن كل أحد لا يبصره لان الالف واللام اذا دخلتا على الجمع أفادتا الاستغراق ونقيض السالبة الكلية الموجبة الجزئية فكان معنى قوله تعالى لا تدركه الابصار لا تدركه كل الابصار ونحن نقول بموجبه فان جميع الابصار لا تراه ولا يراه الا المؤمنون وهذه النكتة هى معنى قولهم سلب العموم لا يفيد عموم السلب *ومن حجج المعتزلة بالادلة السمعية أيضا قوله تعالى لموسى لن ترانى ولفظة لن تقتضى التابيد (والجواب) عن ذلك أنها لا تقتضيه بدليل قوله تعالى ولن يتمنوه أبدا فاخبر أنهم لن يتمنوا الموت وذكر لفظة أبدا وأيضا فقد تمنوه فى قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك *ومن حجج الاشاعرة قول الامام فخر الدين الرازى رؤية الله تعالى معلقة على شرط جائز وكل ما علق على شرط جائز فهو جائز فرؤية الله جائزة لان الرؤية علقت على شرط استقرار الجبل وهو جائز لقوله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى وانما قلنا بجوازه لان الجبل جسم وكل جسم يمكن أن يكون ساكنا وانما قلنا ان المعلق على الجائز جائز لان بتقدير وقوع ذلك الشرط ان لم يحصل المشروط لزم الكذب فى اخبار الله تعالى وهو محال وان حصل كان الجواز قبله حاصلا وهذه نكتة حسنة والادلة السمعية على رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة كثيرة منها قراءة من قرأ واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا بفتح الميم وكسر اللام ولا جائز أن يكون ذلك الملك الا الله تعالى وروى الجهور أنه صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى وأول المعتزلة قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بان المراد بناظرة منتظرة واستشهدوا بقوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون واستشهدوا أيضا بالشعر وغيره والذى يقال فى جوابهم ان انتظرت فى اللغة يتعدى بغير حرف الجر وأما نظرت الى كذا بحرف الجر فلم يرد الا فى معنى البصر ولئن سلمنا أن الانتظار يعدى

الصرع عند امتلاء القمر فى كل شهر وكان لا يعرف لنفسه مولدا ولكن كان قد عمل مسئلة عن عمره وأحواله وسأل عنها الزيادى المنجم ليكون أصح دلالة اذا اجتمع عليها طبيعتان طبيعة المسؤل وطبيعة السائل فخرج طالع تلك السنة السنبلة والقمر فى العقرب فى مقابلة الشمس والمريخ ناظر الى القمر من الدلو وهذه الصورة توجب الصرع ومات به سنة اثنتين وسبعين ومائتين وقيل كان سبب موته ان المستعين ضربه أسواطا لانه اخبر بشئ قبل كونه فاصاب فكان يقول أصبت فعوقبت

(وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء)

(الكيمياء) معروفة الاسم باطلة المعنى وليعقوب الكندى رسالة بديعة سماها ابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ويقال ان أبا بكر الرازى رد عليه فى رسالة له ورأيت لابى عثمان الجاحظ فى كتاب الحيوان عند ذكر خلق الفار من الطين كلاما فى الكيمياء بعد فيه وقرب ولم يخرج على شئ من ابطالها وتحقيقها

والصحيح الاشهر عدم الصحة فيها ولذكرها ههنا عقيب صناعة النجوم مناسبة لاقوال الناس فيهما * وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة فى كتاب يعتمد عليه وهذا دليل على قول أكثر الناس انه اسم موضوع وضعه المصنفون فى هذا الفن وزعموا انه كان فى زمن جعفر الصادق وانه اذا قال فى كتبه قال لى سيدى وسمعت من سيدى فانه يعنى به جعفر الصادق ومع ذلك فان الله تعالى أعلم بحقيقتها (واعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق)

هو ابراهيم بن سيار بن هانئ البصرى المعروف بالنظام ويكنى أبا اسحق شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم متقدم فى العلوم شديد الغوص على المعانى وانما أداه الى المذاهب التى استشنعت منه تدقيقه وتغلغله فانه كان قد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ومال فى كلامه الى الطبيعيين منهم والالهيين فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم مثل قوله ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى خلافا لاصحابه لانهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه

بحرف الجر فنقول ان الانتظار كان حاصلا من المؤمنين فى الدنيا فلا فائدة فى ذكره يوم القيامة فلا بد من شئ زائد على ما كان حاصلا قبل وهو النظر الى وجه الله الكريم جعلنا الله بفضله ممن يؤهل لذلك المقام ويخص بذلك الانعام العام وأورد الزمخشرى فى تفسيره هذين البيتين وهما قول بعض العدلية

جماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وأجاب عنهما بعض أهل السنة بقوله

عجبا لقوم ظالمين تلقبوا * بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه * تعطيل ذات الله مع نفى الصفه

وعلى ذكر قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال قرأ بعض المغفلين فى بيوت أذن الله أن ترفع برفع بيوت فقال له آخر يا أخى انما القراءة فى بيوت بالجر فقال له يا مغفل اذا كان الله تعالى يقول فى بيوت أذن الله أن ترفع تجرها أنت ومن نوع الآية الكريمة قول الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

(رجع) بمياه جار ومجرور متعلق بسقيت والباء هنا زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأنت زائدة مع المفعول لان سقى يتعدى بنفسه تقول سقاه وأسقاه بمعنى و(الغنج) مضاف الى مياه والاضافة معنوية مقدرة باللام (والكحل) معطوف على الغنج والجملة من قوله قد سقيت الخ فى موضع النصب على الصفة لناشئة (المعنى) نقصد فتاة أو فتيات ناشئة بمنعطف الوادى ونصالها التى تحميها قد سقيت بمياه الغنج والكحل وهذا معنى قد أولع الشعراء به وأكثروا منه وهو أشهر من أن يستشهد له ولا بد من لمعة منه قال ابن الساعاتى

حال من دونك يا أخت الكلل * مقل الحى وفرسان الاسل
ومواض مرهفات فتكت * بى وحاشاك ولا مثل الكحل

وقال أبو الشيص

يرمين ألباب الرجال بأسهم * قد راشهن الكحل والتهديب

وما أحسن قول عمر بن أبى ربيعة

تنكر الاثمد ما تعرفه * غير أن تسمع منه بخبر

يعنى أنها تستغنى عنه بالكحل الذى فى أجفانها وهذا يشبه قول المجنون

موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء ترغب عن سواد الاثمد

ومن هنا أخذ ابن النبيه قوله

بيضاء كحلاء لها ناظر * منزه عن لوثة المرود

وقوله منزه أبلغ من قول المجنون ترغب وأحسن فى الذوق وقال ابن سناء الملك

تخطو وتخطر فى حلى وفى حلل * وتنثر السحر بين الكحل والكحل
كحلاء ما اكتحلت بالميل عابثة * الا التهض جفنيها من الكسل

وقال أيضا من أبيات

لها ناظر ياحيرة الظبي اذرنا * به كحل ناداه ياخجلة الكحل
وأثقلها الحسن الذى قد تكاثرت * ملاحته حتى تثنت من الثقل

قال ابن جبارة قوله لها ناظر تحققنا ذلك ثم قال ياحيرة الظبي ولم يحار مع وجود المقاربة وعدم المباينة ثم جعل العلة فى حيرته وجود الكحل ان هذه قريحة قريحة وفكرة غير صحيحة وهذا ان سلم ممن يأخذ عليه على المجازاة باذ وليست من حروف المجازاة وهل ينبغى أن يقول قائل اذ يقوم زيد قام عمرو ويريد بذلك التعليق وانما أراد سبك مثل المتنبى

* ليس التكحل فى العينين كالكحل * ومن أحسن ما نقلته فى التكحل والكحل قول بعضهم

زادت على كحل الجفون تكحلا * وسم نصل السيف وهو قتول

وقال بعد كلام ساقه على البيت وقوله وأثقلها الحسن هذا قلب المعنى الذى ليس بمعنى وذلك أن الحسن فيما يظهر هو رونق يكون على محيا شخص فيستحسن به والملاحة هى وان كانت البياض فى الأصل فهى فى الاستعمال صفة صورة الذات من الحاجب والعين والانف والفم ولهذا يقال فى العرف مليح حسن يعنى ان الذات مكملة بالملاحة فى صورة مستحسنة عند تأملها لبلوغ الامل ثم قال ولا ينبغى أن يقال هو حسن مليح لانه يجعل الوصف الذاتى تبعا لغيره وكان الصواب أن يقول أثقلتها الملاحة التى تكاثر حسنها ثم قال حتى تثنت من الثقل لو رفع تاء الثقل لكان أليق بالبيت وبصنعه فلا يقال له أهويت ولا أوهيت وهل يتثنى الانسان من الثقل وانما يمشى قطعة واحدة فى حال الثقل ثم قال وقد وكلت شرح هذا البيت لعجزى عن معناه الى عريف الجمالين فعساه يعرف معناه ولقد أحسن الاعشى حيث يقول

كأن مشيتها من بيت جارتها * مشى السحابة لا ريث ولا عجل

وقال بشار بن برد

اذا قامت لحاجتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

انتهى (قلت) هذا لعمرى نقد حسن وسبيل ألقى اليه العنان والرسن ولو كان لى فى البيت الاول حكم لقلت * لها ناظر ياحيرة الظبي عنده * وخلصت من اذ وعدم وضعها للمجازاة وأما قوله وأثقلها الحسن فابن جبارة معذور فيه لان حسنا يثقل صاحبه سمج بارد غث لان الحسن انما يفيد الخفة والحركة والنشاط وما مدح شئ بالثقل غير الارداف وما يتركها الشعراء بل يقرنونها بالخفة الخصر ورشاقة القد ومنه قول شمسة الموصلية

هيفاء ان قال الشباب لها انهضى * قالت روادفها اقعدى وتمهلى

وقول الآخر وهو فى غاية الحسن

هيفاء ان خطرت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

وقول ابن رشيق

أحمل أثقالى على ردفه * وأمسك الخصر لئلا يضيع

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباته

سألت النقا والبان يحكى لناظرى * روادف أو أعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها * وقال قضيب البان ما أنا قدها

فلما أصبحت أنشدته فى معناه لا يفعلها ومثل قوله ان الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت وقوله ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هى عليه الآن معادن ونبات وحيوان وانسان ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده غير أن الله تعالى أكمن بعضها فى بعض وهذا قول أهل الكون من الفلاسفة وقوله فى القرآن ان فى قوى البشر أن تأتى بمثله الا أن الله تعالى صرف أذهانهم عن ذلك الى غير ذلك من مسائله المذكورة فى كتب الاصوليين ومراد ابن زيدون بالحقائق غير ذلك من مسائله الحسنة المعجبة فانها كثيرة وانما عدت سقطات النظام لكثرة اصابته وكان من صغره يتوقد ذكاء ويتدفق فصاحة (حكى) أن أباه جاء به وهو صغير الى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يمتحنه وفى يده قدح زجاج يابنى صف لى هذه الزجاجة قال أبمدح أم بذم قال بمدح قال تريك القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر ما وراء قال فذمها قال يسرع اليها الكسر ولا تقبل الجبر قال فصف لى هذه النخلة وأومأ الى نخلة فى داره قال بمدح أم ذم قال بمدح قال حلو جناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال صعبة

يقول ردف حبيبي * وعطفه المتثنى
ما أنت يا غصن قدى * ولا كثيبك وزنى

فقال ما أشبه نظمى ونظمك الا ببشار بن برد وسلم الخاسر (قلت) يريد بذلك قول بشار بن برد

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاخذه منه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

والخفة أمر يطلب فى كل شئ ويستحسن ألا تراهم يصفون الكؤس بها اذا ملئت مداما ولهذا قال الشاعر

ثقلت زجاجات أتتنا فرغى * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وقال ابن حمديس

ويخف ملآنا ويثقل فارغا * كالجسم تعدم روحه أو توجد

وقال أيضا

تخف ملأى وتعطى الثقل فارغة * كالجسم عند وجود الروح أو عدمه

وذكرت بقوله لا يعرفه الا عريف الجمالين ما دار بين الصاحب جمال الدين بن مطروح وبين معين الدين بن لؤلؤ وقد دخل عليه يوما فانشده الصاحب وقال انظر ما أحسن هذا النظم

مازلت أضممه الى أحشائى * حتى وهت من ضمه أعضائى

فقال له معين الدين الله الله يا مولانا الصاحب قتلت هذا المسكين بالله ارفق به فاغتاظ الصاحب منه وقال أليس هذا أحسن من شعرك الذى للتراسين حيث تقول

* اياك اياك منه والغرام به * فقال يا مولانا الصاحب ما أردت أن تقول الا كما قال بعضهم

أعانقه واشفاقى عليه * ينفس عنه من ضيق الخناق

فاعترف له بالاحسان وأما قول بشار بن برد * اذا قامت لحاجتها تثنت * البيت فقد حكى أن بشارا لما سمع قول كثير عزة

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

قال قاتل الله أبا صخر يزعم أنها عصا ويعتذر بانها خيزرانة والله لو قال عصا مخ أو عصا زبد لكان قد هجنه ذكر العصا هلا قال كما قلت

وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها ثمر الجنان

اذا قامت لحاجتها البيت وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدنى الشيخ علاء الدين على بن خطاب الباجى الاصولى لنفسه

رثى لى عذلى اذ عاينونى * وسحب مدامعى مثل العيون
وراموا كحل عينى قلت كفوا * فأصل بليتى كحل الجفون

وأنشدنى الشيخ الامام الأديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة قال أنشدنى لنفسه شيخنا الامام مجد الدين محمد بن الظهير الاربلى الحنفى أبياتا أولها

غش المفند كامن فى نصحه * فأطل وقوفك بالغوير وسفحه

ومنها

المرتقى بعدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بنى نحن الى التعلم منك أحوج ثم اشتغل على أبى الهذيل العلاف بمذهب الكلام الى أن برع وظهر فى أيام المعتصم وتبعه خلق كثير وكان أصل مذهبهم أنه من زعم أن الله تعالى شئ فهو كافر ثم ناظر شيخه أبا الهذيل وظهر عليه مرارا وقيل له أتناظر أبا الهذيل قال نعم وأطرح له رخا من عقلى (وحكى) الجاحظ عنه فانه كان من أكبر تلامذته وأصحابه قال دخل أبو اسحق النظام على أبى الهذيل وقد أسن وبعد عهده بالمناظرة وأبو اسحق حدث السن فقال يا أبا الهذيل أخبرنى عن فراركم أن يكون جوهرا مخافة أن يكون جسما فهلا فررتم من أن يكون جوهرا مخافة أن يكون عرضا والجوهر أضعف من العرض فبصق أبو الهذيل فى وجهه فقال أبو اسحق قبحك الله من شيخ فما أضعف حجتك (وحكى) عنه قال مات لصالح بن عبد القدوس ولد فمضى اليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتبع له فرآه محترقا فقال أبو الهذيل لا أعرف لجزعك وجها اذا كان الناس عندك كالزرع فقال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عليه لانه لم يقرأ

ومنها

وبى الذى يغنيه فاترطرفه * عن سيفه وقوامه عن رمحه
ظبى يؤنس بالغرام نفاره * ويجد فى نهب القلوب بمزحه
ذو وجنة شرقت بماء نعيمها * كالورد أشرقه نداه برشحه
وكأن طرته وضوء جبينه * ليل تألق فيه بارق صبحه
ياشاهرا من جفنه عضبا غدا * ماء المنية باديا فى صفحه
قلبى وطرفى ذا يسيل دماوذا * دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وانما * تعديل كل منهما فى جرحه
والقلب منزلك القديم فان تجد * فيه سواك من الانام فنحه

وانما أثبت هذه الابيات وان كان أكثرها ليس له علاقة ببيت الطغرائى لحسن نظمها وانسجام لفظها وانظر الى قافية البيت الأخير وتمكنها فى محلها كانها الشمس فى الحمل أو الدرة التى تم بها حسن العقد وكمل والقافية روح والبيت جسد فمتى قلقت فيه ضعف تركيبه وفسد وتمكن القوافى دليل على قوة الناظم فى فنه وقلقها أدل على وقوف قريحته وجمود ذهنه وقال التهامى

طرقته فى أترابها فخلت له * وهنا من الغرر الصباح صباحا
أبرزن من تلك العيون أسنة * وهززن من تلك القدود رماحا
ياحبذا ذاك السلاح وحبذا * وقت يكون الحسن فيه سلاحا

وفى بيت الطغرائى من أنواع البديع الكناية وهى أبلغ من الصريح وأوقع فى النفوس ألا ترى ان قولك بعيدة مهوى القرط أبلغ من قولك طويلة العنق وقول امرئ القيس

ويضحى فتيت المسك من فوق فرشها * تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

أبلغ من قوله منعمة ذات خدم وجوار يخدمونها فهى تنام الضحى ولم تشد وسطها بنطاق الخدمة وامرؤ القيس أبدع الناس فى الكناية لان الناس كانوا يقولون أسيلة الخد حتى جاء هو فقال أسيلة مجرى الدمع وكانوا يقولون طويلة القامة وتامة العنق حتى قال بعيدة مهوى القرط وكانوا يقولون فى الفرس السابق يلحق الغزال والظليم وما أشبه ذلك حتى قال قيد الاوابد * وعلى ذكر مهوى القرط أقول قد أنشدنى شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه شيخنا مجد الدين بن الظهير الاربلى من أبيات

حكى قرطها قلبى خفوقا فهل رثى * له أو عراه الوجد أو راعه الهوى

وهو فى غاية الحسن لانه استوفى أقسام الأسباب الموجبة لاضطراب القرط وما أحسن قول ابن سناء الملك

أما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

وأخذه البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى فقصر عنه اذ قال

وأحوى فاتر الاجفان ألمى * رشيق قده رخص البنان
تملك قرطه والقلب منى * فصار له بذاك الخافقان

وقال ابن الساعاتى

كتاب الشكوك فقال أبو الهذيل وما كتاب الشكوك قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان فقال له النظام فشك أنت فى موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان مات وشك أيضا فى انه قد قرأ هذا الكتاب وان لم يكن قرأه فخصر صالح وكان مذهبه مذهب السوفسطائية فانهم يزعمون أن الاشياء لا حقيقة لها وان ما نستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده وان حال اليقظان كحال النائم (وحكى) الجاحظ قال تجاذبت يوما أنا واياه حديث الطيرة فقال أخبرك انى جعت حتى أكلت الطين وماصرت الى ذلك حتى قلبت قلبى أتذكر هل ثم رجل أصيب عنده غداء او عشاء فما قدرت عليه وكان على جبة وقميص فبعت القميص ثم قصدت الاهواز وما أعرف بها أحدا وما كان ذلك ناشئا الا عن الحيرة والضجر فوافيت الفرضة فلم أجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم انى رأيت سفينة فى صدرها خرق وهشم فتطيرت أيضا فقلت للملاح تحملنى قال نعم قلت ما اسمك قال داود اذ بالفارسية وهو

يزول زوال الظل صبرى وعهدها * ويخفق خفق الآل قلبى وقرطها

وما ألطف ما اعتذر به الوراق الخطيرى عن خفق الفؤاد عند رؤية المحبوب فى قوله

يقول لى حين وافى * قد نلت ما ترتجيه
ما القلبك أضحى * يخفقة تعتريه
فقلت وصلك عرس * والقلب يرقص فيه

ومنه قول الآخر

لا تنكروا خفقان قلبى والحبيب لدى حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وما أحسن قول ابن سناء الملك

أوسعت فيه الدهر عتبا مؤلما * فأجابنى بالافك والبهتان
قلبى يحاسبنى على اجرامه * ويعدها بأنامل الخفقان

وقول القاضى الفاضل

وقد خفقت راياته فكأنها * أنامل فى عمر العدو تحاسبه

وقول معين الدين بن لؤلؤ

لم أنسه اذ قال أين تحلنى * حذرا على من الخيال الطارق
فأجبته قلبى فقال تعجبا * أرأيت عمرك ساكنا فى خافق

على أنه أخذه من قول الآخر

وسكنت قلبا خافقا * ياساكنا فى غير ساكن

*(قد زاد طيب أحاديث الكرام بها * ما بالكرائم من جبن ومن بخل)*

(اللغة) أحاديث جمع حديث على غير قياس قال الفراء يرى أن واحد الاحاديث أحدوثة ثم جعلوه جمعا للحديث (الكرام) جمع كريم ويجمع أيضا على كرماء والكريم ضد البخيل تقول قد كرم بالضم فهو كريم وهو أيضا ضد اللئيم لان الكريم هو الذى يجمع الصفات الحميدة وهذا المعنى هو المراد فى البيت وما أحسن ما أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

بالروح أفدى معرضا لم أزل * فى كل واد من هواه أهيم
مبخل يشبه ريم الفلا * واطول شجوى من بخيل كريم

ونقلت من خط علاء الدين الوداعى له

ما أنت أول سائل محروم * من باخل بادى النفار كريم

وأخذه الوداعى من نور الدين الاسعردى فانه قال فى غلام مغنّ

وغزال أغنّ غنى فأغرى * اذ شدا بالغرام كل مليم
قلت جد لى بقبلة قال خذها * وارتشف من لمای بنت الكروم
لست أبغى ما عشت عنه سلوا * كيف أسلو عن حب شاد كريم

وحاولت أنا نظم شئ فى هذه المادة ففتح على فقلت

كفلت حمل غرامى * له بفرط تحولى
فهل سمعتم بغيرى * فى السقم مضنى كفيل

اسم شيطان فتطيرت فركبت معه فلما قربت من الفرضة صحت ياجمال ومعى لحاف سمل ومضربة خلق وبعض مالابد لمثلى منه فكان أول جمال أجابنى أعور فقلت لبقار كان واقفا بكم تكرى ثورك هذا الى الخان فلما أدناه منى اذهو أعضب فازددت طيرة الى طيرة وقلت فى نفسى الرجوع أسلم ثم ذكرت حاجتى الى أكل الطين وقلت ومن لى بالموت فلما صرت الى الخان وأنا حائر ما أصنع اذ سمعت قرع باب البيت الذى أنا فيه فقلت من هذا فقال رجل يريدك فقلت من أنا فقال ابراهيم بن سيار النظام فقلت هذا عدو ورسول سلطان ثم انى تحاملت وفتحت له الباب فقال أرسلنى اليك ابراهيم ابن عبد العزيز ويقول لك ان كنا اختلفنا فى المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحرية وقد رأيتك حيث مررت بى على حال كرهتها وينبغى أن تكون نزعت بك حاجة فان شئت فاقم بمكانك مدة شهر أو شهرين فعسى نبعث اليك ببعض ما يكفيك زمانا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون دينارا فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر قال فورد على أمر أذهلنى أما واحدة فانى لم أكن ملكت

وقلت

وقلت أيضا

واخوان وثقت بهم فأضحى * أذاهم يعترينى كل حين
ولما أن أسأت الظن كفوا * فواعجباه من ظن يقين (ى)

(رجع) الكرام جمع كريمة (الجبن) ضد الشجاعة وما أحسن قول ابن النقيب فيما أظن

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

وكتب القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتابا الى التقى الملك الظاهر مع زيتون الفرنجى قريبا من عكا وهرب زيتون وأسر غالب من كان معه من الفرنج فجاء من جملة الكتاب وفر زيتون من الجبن قيل ان الظاهر لما سمعها أعجبته وخلع عليه والجبن الذى هو ضد الشجاعة مخفف والذى يؤكل مشدد النون وقد تخفف وتقول فى الاول قد جبن بكسر الباء وضمها فهو جبان (البخل) بضم الباء وسكون الخاء وعن الكسائى بتحريك الخاء مضمومة وهو ضد الكرم (الاعراب * قد) تقدم الكلام عليها (زاد) فعل ماض وانما بنى الماضى على الفتح لانه أخف الحركات (طيب) مفعول به وقد تقدم الكلام على المفعول به (أحاديث) مجرور بالاضافة وهى بمعنى اللام ويجوز أن تكون بمعنى فى (الكرام) مضاف الى أحاديث والاضافة بمعنى اللام أيضا (بها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لانه ضمير وهو راجع الى ناشئة والباء هنا تصلح أن تكون بمعنى عن كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وانما قلت انها بمعنى عن لانك تقول حدثت عنه ويحتمل غير ذلك (ما) اسم ناقص بمعنى الذى ولا يتم الا بصلة وعائد وموضعها من الاعراب الرفع على أنها فاعل زاد ومفعولها طيب الذى تقدم وما تأتى فى الكلام لمعان منها أن تكون للتعجب كقولك ما أحسن زيدا ومنها أن تكون للنفى كقولك ما قام زيد ومنها أن تكون للاستفهام عما لا يعقل وعن صفات من يعقل فاذا قلت ما عندك قيل فرس واذا قلت ما زيد قيل عالم وهنا تنبيه وهو أنها فى هذه المواطن لا تحتاج الى صلة ولا صفة لانها أمكنة ابهام ومنها أن تكون للشرط كقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله ومنها أن تكون مصدرية كقولك أعجبنى ما عملت أى عملك وكقوله تعالى بما كانوا يكذبون أى بتكذيبهم ومنها أن تكون بمعنى الذى فهى تحتاج حينئذ الى صلة وعائد كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر أى بالذى تؤمر به فحذفت الباء فاجتمعت الالف واللام والاضافة فحذفتا فبقى بصدعه ثم حذف المضاف فبقى به ثم حذف الجار فبقى تؤمره ثم حذفت الهاء العائدة وهو الكثير قال الاصفهانى فى شرح اللمع لم يأت فى القرآن اثبات العائد الا فى ثلاث آيات وهى الذى يتخبطه الشيطان من المس وكالذى استهوته الشياطين واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا * وعلى ذكر ما الموصولة أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى قال أنشدنى والدى أبو عمرو محمد قال أنشدنى والدى أبو بكر محمد قال أنشدنى ابن عروة القيسى قال أنشدنى أبو عبد الله محمد بن أبى محمد بن على بن سعيد بن حزم الظاهرى لنفسه

تجنب صديقا مثل ما واحذر الذى * تراه كعمرو بين عرب وأعجم
فان صديق السوء يزرى وشاهدى * كما شرقت صدر القناة من الدم

قلت قوله مثل ما أى صديقا يحتاج الى ما يكمله كاحتياج ما الموصولة الى الصلة والعائد

قيل فى جميع دهرى ثلاثين دينارا والثانية انه لم يطل مقامى وغيبتى عن أهلى والثالثة ما تبين لى من الطيرة انها باطل * وتوفى النظام سنة احدى وعشرين ومائتين وله من العمر ست وثلاثون سنة وله كلام حسن وشعر رقيق ومن كلامه العلم شئ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه لك البعض على خطر وقال كنا نلهو بالامانى ونعد انفسنا بالمواعيد فذهب من كان يحذر ثم اشتغلنا بالهموم عن الآمال وقال مما يدل على لؤم الذهب والفضة صيرورتهما عند اللئام فالشئ يصير الى شبهه والجنسية علة الضم * وقال اذا كانت فى جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فان المصيبة عندك أكثر منها عند القوم وبيتك أولى بالمأتم وقال أبو العيناء انشدت النظام

اذا هم الندىم له بلحظ
تمشت فى مفاصله الكلوم
فقال ما ينبغى أن يندم هذا الا أعمى ثم نظر المعنى فى شعره ومن شعره

ذكرتك والرياح فى راحتى
فشبت المدام بدمع غزير
فان ينفد الدمع فرط الاسى
بكتك الحشى بدموع الضمير

ومنه ايضا

واحذر الذى تراه كعمرو أى صديقا فيه زيادة لاحاجة اليها كالواو التى فى آخر عمرو لان صديق السوء يزرى بصاحبه كما ان المؤنث اذا جاور المذكر أكسبه التأنيث كقولهم ذهبت بعض أصابعه وكقول الاعشى

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر الذى هو مذكر لما أضيف الى القناة أنث فعله وهو شرقت والتأنيث سوء بالنسبة الى التذكير قال الله تعالى قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وهذا البيت مما أنشده سيبويه وأهل الكوفة يستشهدون به وساقه ابن السكيت فى كتاب المذكر والمؤنث له ويحتمل أن يكون أراد بالذى كعمرو عمرا الذى فى قول الشاعر

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

والاول أليق وأحسن وما أحسن قول أمين الدين المحلى

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لأرباب الصدور تصدرا
واياك أن ترضى بصحبة ناقص * فتحط قدرا عن علاك وتحقرا
فرفع أبو من ثم خفض مزمل * يحقق قولى مغريا ومحذرا

(قلت) قد تركت هذا المعنى غفلا ولم أوضح لك معناه لتعمل قريحتك وتشحذ ذهنك فى استخراج النكتة منه فانه اذا ظهر لك هز عطفك وكاد يطير بلبك (رجع) ومنها أن تكون نكرة موصوفة كقول الشاعر

ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

أى رب شئ مكروه ومنها أن تكون زائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وعما قليل ومنها أن تكون كافة وهى التى تدخل على ان واخواتها وعلى رب فتكف الجميع عن العمل كقوله تعالى انما الله اله واحد ومن العرب من يقول انما زيدا قائم بنصب زيد وابقاء عمل ان وقد جمع بعضهم هذه الانواع التسعة فى بيت واحد فقال

تعجب بما اشرط زد صل انكره واصفا * وتستفهم انف المصدرية واكففا

وقد تكون ما بمعنى ليس فتعمل عملها فترفع الاسم وتنصب الخبر وسألت الشيخ الامام أثير الدين أبا حيان فى كم موضع من القرآن وردت ما بمعنى ليس فقال فى ثلاثة مواضع * أحدها ما هذا بشرا * والثانى فما منكم من أحد عنه حاجزين وزعم بعضهم أن حاجزين صفة لاحد وليس بشئ لان الصفة يستغنى عنها والخبر محط الفائدة * والثالث ما هن أمهاتهم وهذه لغة الحجاز فأما بنو تميم فانهم يرفعون معها الجزأين فيقولون ما زيد قائم ومنه قول القائل

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب * فاجاب ما قتل المحب حرام

يعنى أجاب انه من بنى تميم لانه نطق بلغتهم (رجع) بالكاف ثم جار ومجرور والباء هنا للالصاق وهذا الجمع لا يقع بهذه الصيغة الا للمؤنث وشذ منه ثلاثة جموع وهى فوارس وهوالك ونواكس أما فوارس فلانه لا يكون الا فى الذكور ولا يكون فى الاناث فما من فيه اللبس وأما هوالك فانما جاء فى المثل هالك فى الهوالك جريا على الاصل والامثال يجئ فيها ما لا يجئ فى غيرها

باتارکی جسدا بغیر فؤاد
أسرفت فی الهجران والابعاد
ان کان یمنعک الزیارة أعین
فادخل الی بعلة العوّاد
ان العیون علی القلوب اذا
جنت
کانت بلیتها علی الاجساد
ومنه
أرید الفراق وأشتاقکم
کانا افترقنا ولم نفترق
وأستغنم الوصل کی أشتفی
وهل یشتفی أبدا من عشق
ومنه
یروع مناجیه بهاروت
لفظه
ویؤنسه منه بصورة آدم
تری فیه لاما فردة فوق
وردة
وفصا من الیاقوت من فوق
خاتم
ومنه
وشادن ینطق بالظرف
یقصر عنه منتهی الوصف
رق فلو برت سرابیله
علقه الجوّ من اللطف
یجرحه اللحظ بتکراره
ویشتکی الایماء بالطرف
أفدیه من مغری بماساء فی
کانه یعلم ما أخفی
وقیل له وهو فی مرضه وفی
یدیه قدح من زجاج مملوء
من بعض الادویة ما هذا فقال
أصبحت فی دار بلیات
أدفع آفات بآفات
(وجعلت للکندی رسما استخرج
به الدقائق)

غيرها وأما نواكس فجاء الافى ضرورة الشعر والجواب ان الاخيران ليس فيهما تعليل يعتمد عليه والجار والمجرور متعلق بمحذوف لازم اضماره لوقوع الجار والمجرور صلة الموصول وهو ما التى تقدمت فى قوله ما بالكرائم تقديره قد زاد طيب أحاديث الكرام بها الذى استقر بالكرائم أو الذى يكون بالكرائم * (قاعدة) * كل جار ليس بزائد ومجرور أو ظرف لابدّ وان يتعلق بفعل أو بما فيه معنى الفعل وما فيه معنى الفعل الاسماء التى تعمل عمل الفعل والجار والمجرور والظرف اذا تعلقا باستقرار محذوف فالجار والمجرور مثل زيد فى الدار أى مستقر فى الدار والظرف مثل زيد عندك أى مستقر عندك والمتعلق اما أن يكون ملفوظا به أو مقدّرا والمقدر اما أن يكون لازم الاضمار أولا ولازم الاضمار له أربعة مواضع * الاول أن يقع خبر الذى خبر * الثانى أن يقع صفة لموصوف * الثالث أن يقع صلة لموصول * الرابع أن يقع حالا الذى حال ففى الصلة لا يقدر الا بالفعل لان الصلة لا تكون الا جملة وفى البواقى بالفعل وغيره وغير لازم الاضمار كقولك بزيد فى جواب من قال بمن مررت (رجع) من جبن جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (ومن بخل) معطوف عليه (المعنى) قد زاد طيب الاحاديث بين الكرام اذا تسامروا ما يوجد فى النساء الكرائم من الجبن والبخل وهاتان الصفتان محمودتان فى النساء مذمومتان فى الرجال لان المرأة اذا كان فيها شجاعة ربما كرهت بعلها فأوقعت به فعلا أدى الى هلاكه أو تمكنت من الخروج من مكانها على ما تراه لانها لا عقل لها يمنعها مما تحاوله وانما يصدها عما يقتضيه عقلها الجبن الذى عندها والخوف فاذا لم يكن لها مانع من الجبن أقدمت على كل قبيح وتعاطت ما تختاره اقداما منها على ما يأمرها به عقلها * وقصة شر حبيل بن الحريت مع زوجته مية بنت عمرو بن مسعود مشهورة وملخصها أنها كانت نائمة الى جانبه فى الفراش فاقبل أسود سالخ فاتحافاه ليهشمه والسراج يزهر فأخذت بحلقه وخنقته الى أن مات وتركته تحت الفراش فلما أصبح جاء أبواه اليه ليصبحاه وكانا يفعلان ذلك كل يوم تعظيما له فاخرجت السالخ اليهما ميتا فقالوا من قتل هذا قالت أنا ولو كان أشد منه لقتلته فقال أبوه يا شر حبيل خل عنها فهى للرجل أقتل فطلقها مكرها * وفى كتاب الفرج بعد الشدة حكاية غريبة جرت لبعض الغرباء مع ابنة القاضى بمدينة الرملة لما أمسكها بالليل بالجبانة وهى تنبش القبور وكانت بكرا فضربها فقطع يدها وهربت منه فلما أصبح ورأى كفها ملقى وفيه النقش والخواتم علم أنها امرأة فتتبع الدم الى أن رآه قد دخل بيت القاضى فما زال حتى تزوّجها ولما كان بعض الليالى لم يشعر بها الا وهى على صدره وبيدها خنجر فما زالت به حتى حلف لها بطلاقها على انه يخرج من هذه البلدة ولا يعود اليها أبدا واذا كانت المرأة سمحة جادت بما فى بيتها فاضر ذلك بحال زوجها ومتى علم منها الجود بما يطلب منها ربما حصل الطمع فيها بامر آخر وراء ذلك ولهذا جاء فى القرآن العظيم فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ولان المرأة ربما جادت بالشئ فى غير موضعه قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قيل النساء والصبيان وبالجملة فما حمد أحد من العقلاء كرم المرأة ولا شجاعتها وما أحسن قول أبى أسحق الغزى

غريرة تخطف الأبصار شاخصة * من حولها ببروق البيض والأسل
تغنى الى القوم جادوا وهى باخلة * والجود فى الخود مثل الشح فى الرجل

(الكندى) هو يعقوب ابن الصباح المسمى فى وقته فيلسوف الاسلام من ولد الاشعث بن قيس كان أبوه ابن الصباح من ولاة الاعمال بالكوفة وغيرها فى أيام المهدى والرشيد وانتقل يعقوب الى بغداد واشتغل بعلم الادب ثم بعلوم الفلسفة جميعها فاتقنها وحل مشكلات كتب الاوائل وحذا حذو ارسطاطاليس وصنف الكتب الجليلة الجمة وكثرت فوائده وتلامذته وكانت دولة المعتصم تتحمل به وبمصنفاته وهى كثيرة جدا ومن أجودها كتاب أقسام العقل الانسى وكتاب الجوامع الفكرية وكتاب الفلسفة الاولى * وله أخبار حسنة ونوادر فى البخل وغيره فمن أخباره حكى انه كان حاضرا عند أحمد بن المعتصم وقد دخل أبو تمام فانشده قصيدته السينية فلما بلغ الى قوله

اقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

قال الكندى ما صنعت شيأ قال كيف قال ما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا ان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الى قول العكوك فى أبى دلف حيث قال

رجل أبر على شجاعة عامر
بأساوغبر فى محيا حاتم
فاطرق أبو تمام ثم أنشد
لاتنكروا ضربى له من دونه
مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس
ولم يكن هذا فى القصيدة
فتعجب منه ثم طلب ان
تكون الجائزة ولايته
عمل فاستصغر عن ذلك
فقال الكندى ولوه فانه
قصير العمر لان ذهنه نحت
من قلبه فكان كما قال وقد
يكون فى ذلك الوقت ظهرت
له دلائل من شخصه على
قرب أجله وسمع الكندى
انسانا ينشد ويقول
وفى أربع منى حلت منك
أربع
فأنا أدرى أيها هاج لى كربى
خيالك فى عينى أم الذكر فى
فمى
أم النطق فى سمعى أم الحب
فى قلبى
فقال والله لقد قسمها تقسيما
فلسفيا *وقال يوما لجارية
كان يهواها انى أرى فرط
الاعتياصات من المتوقعات
على طالبى المودات مؤذنات
بعدم المعقولات فنظرت اليه
وكان ذا لحية طويلة فقالت
ان اللحى المسترخيات على
صدور أهل الركاكات
محتاجات الى المواسى الحاقات
*ومن نوادره وكلامه فى

وانظر ما أحسن هذا النصف الثانى من البيت الثانى فان فيه مع ارسال المثل الجناس بين الجود والخود وهو جناس التصحيف وقال أيضا

من ضننها بالطيف توعدنا * ليطير طيب النوم بالمقل
دعها فلو سمحت به سمحت * جودا النساء يعد فى البخل

وكذا اتفق له فى هذا البيت الثانى الجناس المصحف فى سمحت وسمحت وهو مأخوذ من قول علية بنت المهدى

بنى الحب على الجور فلو * أنصف المحبوب فيه لسمح

وما أحسن قول ابن الرومى

ما للحسان مسيئات بنا ولنا * الى المسيئات طول الدهر احسان
فان تبعن بعهد قان معذرة * انا نسينا وفى النسوان نسيان
لانلزم الذكر انا لم نسم به * ولا منحناه بل للذكر ذكران
فضل الرجال علينا أن شيمتهم * جود وباس وأحلام وأذهان
وأن فيهم وفاء لا نقوم به * وهل يقوم مع النقصان رجحان

وقال ابن نباتة السعدى

كسلى تزور مع الظلام لها * طيف فأعدى طيفها الكسل
بخلت بما جاد الرقاد به * ومن الغوانى يحسن البخل

وما أبلغ قول ابن الحبارية يهجو

ياواسطيون ثقوا انى * أهجوكم بين الورى مولع
مافيكم كلكم واحد * يعطى ولا واحدة تمنع

*(تبيت نار الهوى منهن فى كبد * حرى ونار القرى منهم على القلل)*

(اللغة) تبيت أى تمسى (النار) معروفة وهى هنا مجاز وفى قوله نار القرى حقيقة والنار عنصر مضىء مركزه فوق الهواء لانها حارة يابسة والهواء حار رطب فتنزل عنها والهواء مركزه فوق الماء لان الماء بارد رطب فتنزل عن الهواء والماء مركزه فوق الارض لانها باردة يابسة فالنار والهواء يطلبان فوق والماء والارض يطلبان أسفل لانك اذا نكست الشعلة الى أسفل انقلبت الى فوق واذا ملأت زقا مثلا هواء وقسرته على المكث فى الماء ورفعت القاسر طلب الزق جهة فوق وعلا الماء واذا تحيلت على صعود الماء الى فوق بالقوارات والزراقات بلغ غاية الرفع ثم أخذ فى الهبوط واذا حذفت الحجر الى فوق بلغ غايته ثم تصوب منحدرا وترتيب النار أولا والهواء ثانيا والماء ثالثا والارض رابعا هو الصحيح ومنهم من قال ان الارض فى وسط العالم ومنهم من قال انها أول العناصر ثم تلطف الماء عنها ثم تلطف الهواء عنه ثم تلطفت النار عنه ومنهم من قال ان الماء هو أصل الاربعة والأرض كثيفة والذى علاها لطيف ومنهم من قال الهواء الاصل فالنار لطيفة والذى سفل عنه كثيف والصحيح الاول على ما تقرر فى الطبيعى لان حدوث النار مسبب عن اصطكاك أجرام الافلاك والكلام فى هذا يطول وهو مستقصى فى أماكنه من كتب الحكمة وقول ابليس خلقتنى من نار وخلقته من طين افتخار بعنصر النار لانه مضىء مشرق فاعل الحرارة التى هى سبب النمو والنشو ومركزه فوق

ويعارض بأن الارض مركز الحياة والنشو للحيوان والنبات بخلاف النار فانها اذا استولت على شئ من ذلك أفسدته وهى مفرطة الكيفية والارض معتدلة وان كانت النار حسنة اللون فى الحس الباصر فانها مضرة بحس اللمس والارض لا تؤذى باللمس فثبت أن النار ليست أشرف من الارض خلافا لبشار بن برد فانه قال فى ذلك

ابليس خير من أبيكم آدم * فتنبهوا يامعشر الفجار
النار جوهرة وآدم طينة * والطين لا يسمو سمو النار

وقال بعضهم النار عند العرب أربعة عشر نارا وهى نار المزدلفة توقد حتى يراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصى بن كلاب ونار الاستسقاء كانوا فى الجاهلية اذا تتابعت عليهم السنون جمعوا ما قدروا عليه من البقر وعلقوا فى عراقيبها وأذنابها العشر والسلع ثم صعدوا بها فى جبل وعر وأضرموا فيها النار وعجوا بالدعاء يزعمون أنهم يمطرون بذلك ونار التحالف كانوا لا يعقدون الحلف الا عليها ويطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان ونار السلامة توقد للقادم من سفره سالما غانما ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم كانوا اذا لم يحبوا أن يرجع الزائر او المسافر أوقدوا خلفه نارا وقالوا أبعده الله وأسحقه ونار الحرب وتسمى نار الأهبة يوقدونها على يفاع اعلاما لمن بعد عنهم ونار الصيد يوقدونها للظباء لتعشى أبصارها ونار الأسد كانوا يوقدونها اذا خافوه لانه اذا رآها أحدق اليها وتأملها ونار السليم توقد للمدوغ اذا سهروا والمجروح اذا نزف ومن الكلب الكلب يوقدونها حتى لا يناموا ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سبوا قبيلة وطلب منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن ونار الوسم التى يسمون بها الابل لتعرف ابل الملوك فترد الماء أولا ونار القرى وهى أعظم النيران ونار الحرتين وهى التى أطفأها الله بخالد بن سنان العبسى احتفر لها بئرا ثم أدخلها فيها والناس يرونه ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها (رجع) الهوى مقصور ميل النفس وجمعه أهواء (الكبد) واحدة الاكباد وفيها لغتان كبد بالتحريك والسكون و(حرى) مؤنث حار (القرى) الضيافة (القلال) جمع قلة وهى أعلى الجبل وقلة كل شئ أعلاه (الاعراب * تبيت) فعل مضارع تقول بات يبيت ويبات بيتوتة وبياتا وهو مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وبات من أخوات كان (نار) مرفوع على أنه اسم بات و(الهوى) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجر لانه مقصور (منهن) جار ومجرور ولم يظهر الجر لانه ضمير والضمائر كلها مبنية وهن ضمير جماعة المؤنث يرجع الى فتيات الحى ونسائه اللاتى تقدم ذكرهن (فى كبد) جار ومجرور وفى هنا ظرفية تتعلق بمحذوف وهذا الجار والمجرور سد مسد الخبر الذى لبات لانها من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر تقديره تبيت نار الهوى منهن مستقرة فى كبد (حرى) مجرور على الصفة لكبد وقد وافق الموصوف فى الافراد والتأنيث والتنكير والجر لان الكبد مؤنثة وحرى لا ينصرف لانه مؤنث بالالف المقصورة لان ألف التأنيث سواء كانت ممدودة أو مقصورة تمنع الاسم من الصرف وهى علة مستقلة تمنع الصرف بخلاف التاء وانما كان كذلك لان مطلق التأنيث فرع ولزومه كتأنيث آخر والالف بهذه المنزلة لانها لازمة مع الكلمة من أول الامر والتاء تنفك فى المذكر ولان الالف

البخل كان يقول من شرف البخل أنك تقول للسائل لا ورأسك الى فوق ومن ذل العطاء أنك تقول نعم وأنت برأسك الى أسفل وكان يقول سماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمح فيطرب فينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت وقال عمرو بن ميمون تغديت يوما عند الكندى فدخل جاره فدعوته الى الطعام فقال الرجل والله لتغديت فقال الكندى ما بعد الله شئ فكتفه كتافا ونشط ليأكل معه لكان كافرا ومن وصيته لولده يابنى كن مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم فان مالك اذا خرج عن يديك لم يعد اليك واعلم أن الدينار محموم فاذا صرفته مات واعلم انه ليس شئ أسرع فناء من الدينار اذا كسر والقرطاس اذا نشر ومثل الدرهم كمثل الطير الذى هو لك مادام فى يدك فاذا طار عنك صار لغيرك وقال المتلمس

قليل المال تصلحه فيبقى
ولا يبقى الكثير مع الفساد
لحفظ المال خير من فناه
وسير فى البلاد بغير زاد

واعرف هنا بيتا بيت أكثر من مائة ألف فى المساجد وهو قول القائل

تستمر فى الجمع ولا تفارق فى مثل حبلى وحبالى وأما التأنيث بالتاء فيفارق مثل مسلمة ومسلمات ولهذا لم يدخل حرى التنوين وحرى يكتب بالياء (ونار) الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والنار هنا حقيقة وفى الاول مجاز وهو مرفوع على أنه اسم ثان لتبيت (القرى) مجرور بالاضافة وهى هنا معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجر لانه مقصور والهوى والقرى يكتبان بالياء أيضا لانهما من هويت وقريت (منهم) اعرابه كاعراب منهن و(على القال) جار ومجرور متعلق بمحذوف كما قلنا فى كبدوعلى هنا للاستعلاء وقال فى النار الاولى منهن لان الضمير يعود الى نساء الحى وفى النار الثانية منهم لان الضمير يعود الى رجاله الذين جعلهم عدا كالاسود (المعنى) أن هذا الحى الذى أريد طروقه له ناران نار لنسائه تبيت فى كبد حرى ونار لرجاله تبيت للقرى مضرمة على القلل وهذا فى غاية المدح لهذا الحى لان نساءه حسان ورجاله كرام وفى قوله كبد حرى منكرا نكتة كانه قال نار نسائه فى كبد واحدة وهى كبدى لانهن غير مبتذلات لمن يراهن فما يشاركنى فى محبتهن أحد ونار قراهم على القال تبدو لكل ناظر وقد جمع بين وصف النساء ووصف الرجال فى بيت واحد وهو من البلاغة ومن هذا قول ابن الساعاتى

يادمية الحى الحسان جفانه * لله ما صنعت بنا جفناك
أغنت لحاظك عن ظبات سيوفهم * فبها بلغت من القلوب مناك
أمضى رماحهم قوامك ان يكن * حرب وخير سيوفهم عيناك

وقوله أيضا

وأبى الهوى لو كنت أملك قوة * تذر الوشيج براميتين مكسرا
لطرقت دون الحى غير مراقب * ذاك الكناس ورغت ذاك الجؤذرا
ولزرت بيضاء المضارب صاليا * اما بنار الحرب أو نار القرى
يادمية الحى المقدس تربه * فكانما يطؤن مسكا أذفرا
آنست نارك فى التهائم دونها * جمرات قومك فى الذوائب والذرا
ويظن غاش أنها ما أضرمت * من خيمة الظلماء الا عنبرا

وأنشدنى الشيخ الامام شهاب الدين محمود قال أنشدنى الشيخ مجد الدين محمد بن الظهير الاربلى لنفسه اجازة

حيث الاراكة والكثيب الاوعس * واديه يم به الفؤاد مقدس
وبكل خدر منه ليث خادر * أفعانة ذاك الحى أم مكنس
يا جيرة الحى المظلل بالقنا * هل ناركم بسوى الاضالع تقبس
أضرمتموها للنزيل ودونها * غيران فتاك الحفيظة أشرس

وما أحلى قول أبى طاهر بن حيدر البغدادى

خطرت فكاد الورق تسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على تاج الربا * للطارقين ذوائب النيران

وهذه الاستعارة فى غاية الحسن وهو مأخوذ من قول الاول

يبيتون فى المشتى حماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم طارق رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

وقال

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
فاحذر يا بنى أن تلحق بهم
* ومن كلامه فى الفلسفة
علوم الفلسفة ثلاثة فاولها العلم الرياضى فى التعليم وهو أوسطها فى الطبع والثانى علم الطبيعيات وهو أسفلها فى الطبع والثالث علم الربوبية وهو أعلاها فى الطبع وانما كانت العلوم ثلاثة لان المعلومات ثلاثة اما علم ما يقع عليه الحس وهو ذوات الهيولى واما علم ما ليس لذى هيولى اما أن يكون لا يتصل بالهيولى البتة واما أن يكون قد يتصل بها فأما ذات الهيولى فهى المحسوسات وعلمها هو العلم الطبيعى واما أن يتصل بالهيولى فان له انفرادا بذاته كعلم الرياضيات التى هى العدد والهندسة والتنجيم والتاليف واما لا يتصل بالهيولى البتة وهو علم الربوبية * ومن شعره فى وصف قصيدة

تقصر عن مداها الريح جريا
وتعجز عن مواقعها السهام
تناهب حسنها حاد وشاد
فحث به المطايا والمدام
ومنه له
أناف الذنابى على الارؤس
فغمض جفونك أو نكس

وقال ابن صرد

قوم اذا حيا الضيوف جفانهم * ردت عليهم ألسن النيران

وهذه استعارة أخرى وهى أكمل لان فى النار من اللسان شيئين وهما الشكل الشبيه باللسان والزفير الشبيه بالتصويت وفى الاستعارة الاولى الشكل لاغير ومن هنا قول التهامى

نادته نارك وهى غير فصيحة * وهنا بخفق ذوائب النيران

وقال أبو اسحق ابراهيم الغزى

اذا سجا الليل فى اللأواء واحتجبت * زهر النجوم فضل الحافر الوقع

دعته نار مقاريهم بألسنة * فوق الفضا من شدوق الاكم تندلع

وهذه استعارة حسنة فى الشدوق للاكام وقال ابن قلاقس

عصائب لم يفرق بها الخطب لائذ * مفارق لم يعصب بها الدم لائث

اماء القدور الراسيات لديهم * بنار القرى فى كل يوم طوامث

انظر الى هذه الاستعارة فى قوله اماء القدور الراسيات اذ شبه القدور بالجوارى السود وفيه نقص من وجوه الاول أنه لا مناسبة فى ذلك لانه ليس كل أمة سوداء الثانى أن هذا الشكل مخالف لذلك الشكل لان هذه مستديرة وتلك مستطيلة الثالث عدم الاحساس ولكن لما رشح التشبيه بأن النار بمنزلة دم الحيض لهن حسنت الاستعارة وصارت غاية فى البلاغة وقد بالغ مهيار الديلمى فى قوله

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان

ويكاد موقدهم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

وما أحسن قول الاسعد بن عماتى

لنيرانه فى الحى أى تحرق * على الضيف ان أبطا وأى تلهب

توقد لى بشرا وجادت يمينه * فحققت أن الماء من نوء كوكب

ويعجبنى أبيات الحطيئة وان كان فيها طول

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل * ببيداء لم يعرف لها ساكن رسما

أخى جفوة فيه من الانس وحشة * ترى البؤس فيها من شراسته نعمى

تفرد فى شعب عجوزا ازاءها * ثلاثة أشباح تخالهم بهما

حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملة * ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما

رأى شبحا عند العشاء فراعه * فلما رأى ضيفا تسور واهتما

وقال هيا رباه ضيفا ولا قرى * بحقك لا تحرمه ذى الليلة اللحما

فقال ابنه لما رآه بحيرة * أيا أبت اذبحنى ويسر له طعما

ولا تعتذر بالعدم عل الذى طرا * يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

فروى قليلا ثم أجهم برهة * وان هو لم يذبح فتاه فقدهما

فبيناهم عنت على البعد عانة * قد انتظمت من خلف مسحلها نظما

ظماء تريد الماء فانساب نحوها * على أنه منها الى دمها أظمى

فامهلها حتى تروت عطاشها * وأرسل فيها من كنانته سهما

وعند مليكك فابغ العلو
وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى ثوى غدا
وان التعزز بالانفس
وكائن ترى من أخى عسرة
غنى وذى ثروة مفلس
وكم كاتم شخصه ميت
على انه بعد لم يرمس

وسمع رجلا ينشد قول ربيعة الرقى

لو قيل للعباس يا ابن محمد
قل لا وأنت مخلد ما قالها

فقال ليس يجب أن يقول الانسان فى كل شئ نعم وكان الوجه أن يستثنى ثم قال هجرت فى القول لا الا لعارضة
تكون أولى بلا فى اللفظ من نعم

(وأن صناعة الالحان اختراعك وتاليف الاوتار والانقار توليدك وابتداعك)

(الالحان) الاصوات ذوات النغم والايقاع المؤلف على أعداد هندسية وزعم قوم أن الالحان هى موضوعة على أعاريض فقال اسحق الموصلى وهو خاتم القوم هذا قول من لم يدر هذه الصناعة * واختلف فيمن وضعها فقيل بطلميوس وقيل غيره والصحيح انها قديمة موجودة فى تعاليم الفلاسفة الاولى والاشهر أن بطلميوس أول من أفرد لها كتابا وسماه كتاب اللحون الثمانية ولها ألقاب وأوضاع معروفة

وكان بطلميوس يقول الالحان أشرف المنطق ولذلك ترتاح اليها النفوس أكثر من كل نطق وأشرف النفوس ما كان اليها أكثر ارتياحا وقال غيره النغم فصل بقى من المنطق لم يقدر اللسان على اخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه القلب وقال أفلاطون من حزن فليسمع الاصوات المطربة فان النفس اذا حزنت تجد نورها فاذا سمعت ما يطربها اشتغل منها ما تجد وسئل أبو سليمان المنطقى لم صارت الطبيعة محتاجة الى الصناعة فى أن الشخص يكون بغيض المنظر والقرب فاذا غنى بألحان مطربة عشق قربه وأقبل الظرف عليه فقال ان الطبيعة انما احتاجت الى الصناعة فى هذا المكان لان الصناعة ههنا تستعمل من النفس والعقل وتملى على الطبيعة وقد صح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس وانما تعشق النفس وتقبل آثارها وتكتب باملائها وللموسيقى حاصل للنفس موجود فيها على نوع لطيف بالموسيقا واذا صادف طبيعة قابلة ومادة منقادة أفرغ عليها بتاييد العقل والنفس لبوساشريفا وأعطاها

نخرت بحوض ذات جحش فتية * قدا كتنزت لحما وقد طبقت شحما
فيا بشره اذ جرها نحو قومه * ويا بشرهم لما رأوا كلها يدمى
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم * وماغرموا غرما وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أبا * لضيفهم والام من بشرها أما

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه متمم بن نويرة عن حزنه على أخيه مالك فقال والله انى ما أنام الليل وما رأيت نارا رفعت بليل الا ظننت أن نفسى ستخرج لانى أذكر بها نار أخى فانه كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيف قريبا منه فتى رأى النار يأوى اليها وذكر المبرد فى الكامل فصلا طويلا فى قصة مالك بن نويرة وقتله ومراثى أخيه متمم فيه وقد اجتمع الناس لخالد بن الوليد رضى الله عنه فى قتله ما الكابانه قتله على ردته فانه لما وقف بين يديه كان يقول فى مخاطبته قال صاحبكم وتوفى صاحبك يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خالد أوليس هو صاحبك يا عدو الله ثم قتله واحتجوا له أيضا بقول أخيه متمم لما قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد سمعه ينشد مراثى أخيه مالك وددت لو رثيت أخى زيدا بما رثيت به أخاك فقال والله لو علمت ان أخى صار الى ما صار اليه أخوك لم أرثه ولم أحزن عليه قيل ان الجاحظ لما قيل له ان الاصمعى كان يقول فى مرثية متمم لاخيه مالك بقصيدته العينية التى منها

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

هذه أم المراثى قال الجاحظ لم يسمع الاصمعى

أى القلوب عليكم ليس ينصدع * وأى نوم عليكم ليس يمتنع

(قلت) هذه من مراثى أبى تمام الطائى فى بنى حميد (رجع) وما هجا أحد قوما بمنع الضيف من القرى وعدم الأنس به والبشاشة له بمثل ما هجا القطامى به امرأة من محارب فى قصيدته البائية فانه أخبث هجاء وهى مشهورة منها

الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب
فما راعها الا بغام مطيتى * تريح بمحسور من الصوت لاغب
فجئت جنونا من دلاث مناخة * ومن رجل عارى الاشاجع شاحب
سرى فى جليد الليل حتى كأنما * يحزم بالاطراف شوك العقارب
تقول وقد قربت كورى وناقتى * اليك فلا تذعر على ركائبى
فسلمت والتسليم ليس يسرها * ولكنه حق على كل جانب
فردت سلاما كارها ثم أعرضت * كما انحازت الافعى مخافة ضارب
فلما تنازعنا الحديث سألتها * من القوم قالت معشر من محارب
ولما بدا اكرهانها الضيف لم يكن * على مبيت السوء ضربة لازب
الا انما نيران قيس اذا شتوا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

وقد أسقطت من غضونها أبياتا خوف الاطالة والى هذه العجوز أشار عبد الصمد بن المعدل فى أخيه أحمد حيث يقول

ليت لى منك يا أخى * جارة من محارب

نارها

نارها كل شتوة * مثل نار الجباحب

وعبد الصمد هذا كان صاحب مجون شديد الاقدام على الاعراض ردئ السيرة خبيث الهجاء ولكن كان يؤانس على علاته لظرفه وطيب مجلسه وكان أخوه أحمد بالضد من حاله فكان صاحب زهد وورع وعبادة وانقطاع عن الناس وتقدم في الاعتزال * وحكي انه كان في مكان وتحته عبد الصمد في جماعة من أصحابه وقد انهمكوا على شرابهم وعكفوا على لذتهم فعلت أصواتهم وجلبتهم بما هم فيه من صوت الملاهي والغناء وغير ذلك فشوشوا على أحمد في تعبده فناداه يا عبد الصمد أمنت أن يحل بك وبهؤلاء عذاب من الله فرفع عبد الصمد رأسه اليه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ولاحمد بن المعدل هجو ظريف في أخيه عبد الصمد وهو قوله

قال لي أنت أخو الكلب وفي * ظنه أن قد هجاني واجتهد
أحمد الله تعالى انه * ما دري أني أخو عبد الصمد

وهذا الهجو في غاية الاذى مع ما فيه من اللطافة ويقال ان أهجى بيت قالته العرب هو قول الاخطل

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار

وقد اشتمل هذا البيت على معايب أولها أنهم قليلون حتى تنصت الاضياف لنباح كلابهم ثانيها أنها نار قليلة لفقرهم فهي تطفأ ببول امرأة ثالثها أن أمهم هي التي تخدمهم فليس لهم خدم غيرها رابعها أنهم كسالى عن مباشرة أمورهم حتى تقوم بها أمهم خامسها عقوقهم لوالدتهم حيث انهم يمتهنونها في الخدمة سادسها عدم أدبهم لانهم يخاطبون أمهم بهذه المخاطبة التي يستحي الكرام من التفوه بها سابعها أنهم لا يتركون أمهم تبيت عند مراقدهم لانهم قالوا لها بولي ولم يقولوا لها قومي الى النار ثامنها انهم جبناء لا يرقدون لانهم مستيقظون يستمعون الصوت الخفي من البعد تاسعها قذارتهم لانهم لا يبالون بما يصعد من رائحة البول اذا وقع في النار عاشرها الزامهم والدتهم بأن لا تبول وان تدخر ذلك الى وقت الحاجة اليه والافاكل وقت يطلب الانسان الاراقة يجدها فتجد لذلك ألما ومشقة من احتباس البول حادي عشرها افراطهم في البخل الى غاية يشفقون معها على الماء أن يطفأ به النار فيروح مجانا ثاني عشرها أنه تأكد بهذا القول عداوة المجوس للعرب لان الفرس يعبدونها وأولئك يبولون عليها فيتأكد بذلك الحقد (قلت) قد سمعت من أفواه الادباء بعض هذه الاقسام وتكلفت أنا الكثير واجتمع الفرزدق والاخطل ليلة على الشراب وتناشدا الى أن قال الاخطل والله انك وايای لاشعر من جرير ولكنه أوتي من سير الشعر ما لم نؤته قلت أنا بيتا وما أعلم أن أحدا قال أهجى منه وهو * قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * البيت فلم يروه الاحكماء الشعر وقال هو

والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

فلم يبق ثقات ولا سوقة الا رووه * وقال المنصور لعمرو بن عبيد ما بلغك في الكلب قال ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا الا غير حراسة أو صيد نقص من أجره كل يوم قيراطان قال ولم ذلك قال كذا جاء في الحديث فقال المنصور حذها لحمها وذلك لانه ينبح

صورة معشوقة فمن ههنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة الحاذقة التي من شأنها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحصل فيها مستكملا فكما تأخذ تعطي * فاما الاوتار والانقار فاشارة الى الآلات المطربة الملهية من العيدان والدفة وما أشبه ذلك * ويقال ان أول من اتخذ العود لملك بن متوشلخ على مثال نخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف وقيل بطلميوس وقيل بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة بازاء الطبائع فالزير بازاء المرة السوداء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة الصفراء فاذا احتملت أوتاره المركبة على ما يجب جانست الطبائع فانتجت الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وأول من اتخذ الدفة لوبا بن لمك واتخذت العرب القصب والتوقيع عليها واتخذت الفرس الصنوج واشباهها وكل ذلك موضوع على نقرات معدودة ووقفات بينها وأول من غنى من العرب على العود بألحان الفرس النضر بن الحرث بن كلدة وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب

العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها وأول من غنى فى الاسلام بالحان الفرس سعيد ابن مسجح وقيل طويس وذلك أن عبد الله بن الزبير لما هوى بناء الكعبة رفعها وجدد بناءها وكان فيها صناع من الفرس يغنون بالحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء العربى ثم دخل الى الشام فأخذ الالحان عن الروم ثم دخل الى فارس فاخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدئ هذا العلم ببطلميوس وختم باسحق ابن ابراهيم الموصلى

(وأن عبد الحميد بن يحيى بارى أقلامك)

(هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامرى) البالغ الى أعلى المراتب فى الكتابة البليغة يقال انه كان فى أول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان بن الجعدى قبل أن يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد أصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان لم لا سجدت فقال ولم أسجد على أن كنت معنا فطرت عنا يعنى بالخلافة فقال اذا تطير معى قال الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته وهو أول من اتخذ التحميدات فى فصول الكتب واستعمل

الضيف ويروع السائل * وذكر أصحاب الخواص أن الكلب اذا نبح انسانا وخاف ضرره فليلتفت اليه وليجلس الى الارض فانه يرجع عنه * (مسئلة) * من علم المناظرة تتعلق بالنار ان قال قائل لم كانت النار يراها الانسان من بعد أكبر مما يراها اذا وقف عندها أو قريبا منها (فالجواب) ان الهواء المحيط بالاجسام يتكيف بكيفية النار ويتحدد بحدها فترى أكبر منها لعسر التمييز على الحس بواسطة البعد ومن أوصاف النار قول ابن المعتز وقد تقدم فى المقدمة

مشهرة لا يحجب الخل ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرق أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن متنها جلا

وقول ابن خفاجة

حمراء نازعت الرياح رداءها * وهناو زاحمت السماء بمنكب
ضربت سماء من دخان فوقها * لم تدر فيها شعلة من كوكب
وتنسمت من كل نفحة جمرة * باتت لها ريح الشمال بمرقب
قد أهيت فتذهبت فكأنها * شقراء تمرح فى عجاج أكهب

وقول محمد بن عطية بن حسان الكاتب من شعراء المغرب

بتنا ندير الراح فى شاهق * ليلا على نغمة عودين
والنار فى الارض التى دوننا * مثل نجوم الجو فى العين
فيا له من منظر رونق * كأننا بين سماءين

وقول مجير الدين محمد بن تميم

وكأنما النار التى قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها يتضرم
سوداء أحرق قلبها فلسانها * بسفاهة للحاضرين يكلم

وقول الآخر

وخيم كأيام الوصال فعاله * ومنظره فى العين ليل صدود
كأن لهيب النار بين خلاله * بوارق لاحت فى غمائم سود

وقول الآخر

كانون يطفى برده كانوننا * ما بين سادات كرام حذق
بأراقم حمر البطون ظهورها * سود تنضنض باللسان الازرق

وقول مجير الدين محمد بن تميم

كأنما نارنا وقد خمدت * وجمرها بالرماد مستور
دم جرى من فواخت ذبحت * من فوقها ريشهن منثور

وقوله أيضا

كأنما النار فى تلهبها * والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أناملها * من فوق نارنجة لتخفيها

وقول الآخر

كأن كانوننا سماء * والجمر فى وسطه نجوم
ونحن جن بحافتيه * والشرر الطائر الرجوم

وقول

وقول أبي الفرج البغاء

فحمنا قدم الغلام فأدنى * في كوانينه حياة النفوس
كان كالآبنوس غير محلى * فغداوه ومذهب الآبنوس
لقي النار في ثياب شكالى * فكسته مصبغات عروس

وقلت أنا

لا كنت يا فصل الشتاء فاننا * لم تأت الا نضرم النيرانا
فاذا تطاردفيك خيل شرارها * رجعت بحدتها بنا خيلانا

ومن كلام القاضي الفاضل من جملة كتاب وان البرج وطيس الحرب وقد أحمته الى أن أحرقته وصرح الشرك قد خاضته الى أن أغرقته وان الخندق بركة والبرج لها فوارة وان الله اعد للعدا نارا في الآخرة وأحرقهم في الدنيا بشرارة وان العدو محصن في البرج بكثيب بنفسج أحرقه الله بجلناره * ومن كلامه أيضا وبات الناس مطيفين بالحصن والنيران به وعليهم مشتملة وعذبات ألسنتها على وجهه منسدلة ومن خلفه مسبلة ولفحاتها جهنمية وقودها الناس والحجارة والبلاء ينادي طبرية بلسان مصابها اياك أعني واسمعي ياجاره فولجت النار موالج تضيق عنها الفكر وتعجز عنها الابر وخولف المثل في ان السعادة تلحظ الحجر وأغنى ضوءها سواد كل بقعة أن يسأل هذا وذاما الخبر الى أن بدا الصباح وكأنه منها أمتار وانشق الشرق وكأنه من عصفرها صبغ الازار وسرى داء النقوب الى المعاقل ودب سكرها بين المفاصل وغدت الجدران قائمة والبلى سار في أعقابها متجلدة والنار تحت ثيابها وقال آخر

كأن نضيد الفحم خوف شراره * اذا النار مست جلده قتلونا
تذكر أيام السحاب التي جرت * بمنته لما تأود أغصنا
فأنبت منه الآبنوس بنفسجا * وأثمر عنابا وأورق سوسنا

قلت وأظن الجوبان القواس سام هذا المرعى ولمح هذا المعنى فنقله الى الراووق اقتدارا وصنعا فقال

ولما حكى الراووق في العين شكله * وقد علق العنقود في سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكله * عيون على ايام عصر الصبا تجري

(قلت) قل من يحسن أن ينشده معربا بالعدم تصور معناه والوجه في اعرابه أن يكون العنقود منصوبا على انه مفعول حكى وشكله مرفوع على أنه بدل من المرفوع الذي هو فاعل حكى ونائب فاعل علق ضمير مستتر يعود على العنقود ففيه تقديم وتأخير وتقديره ولما حكى شكل الراووق العنقود في العين وقد علق هو في سالف الدهر ومثل هذا كثير في شعر العرب كقوله

ان الفرزدق صخرة ملمومة * طالت فليس تنالها الاوعالا

وقول الآخر

نزلنا القادسية فاستقينا * من البئر التي حفر الاميرا

وقول الآخر

في بعض كتبه الايجاز البليغ وفي بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال فمن الايجاز أن بعض عمال مروان أهدى اليه عبدا اسود فامره بالاجابة ذاما مختصرا فكتب لو وجدت لونا شرا من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته وأما الاسهاب فانه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتابا يستميله ويضمنه مالو قرئ لاوقع الاختلاف بين أصحاب أبي مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان قد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على أبي مسلم لم يقرأه وأمر بناره فأحرقه وكتب على حرازة منه الى مروان

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى
عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبد الحميد القوم محتاجون اليك لادبك وان اعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم وأظهر الغدر بي فلعلك تنفعني في حياتي أو بعد مماتي فقال عبد الحميد

وقول الآخر

من بنات الكروم جاءت سلافا * لم يدسها برجله العصارا

وقول الآخر

فمن قبل صدقنا وقد كان قومنا * يصلون للاوثان قبل محمدا

التقدير طالت الاوعال واستقينا الامير وجاءت العصار وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم

*(يقتلن أنضاء حب لاحراك بهم * وينحرون كرام الخيل والابل)*

(اللغة) أنضاء جمع نضو وقد تقدم فى قوله وضح من لغب نضوى وأراد بالأنضاء جماعة العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم ولهذا أضافهم الى الحب والحب معروف يقال أحبه فهو محب وحبه يحبه بالكسر فهو محبوب واذا أفرط الحب سمى عشقا فالعشق محبة مفرطة وليس بافراط المحبة كما قاله بعضهم فيكون أخص من المحبة لان كل عشق محبة من غير عكس قال صاحب الريحان والريعان الحب أوله الهوى ثم العلاقة ثم الكلف ثم الوجد ثم العشق وهو مقرون بالشهوة والحب والمقة فى الله تعالى والعشق اسم لما فضل عن المقدار الذى هو الحب ثم الشغف وهو احراق القلب بالحب مع لذة يجدها وكذلك اللوعة واللاعج والغرام ثم الجوى وهو الهوى الباطن والتتيم والتبتل والهيام وهو شبه الجنون والعشق عند الاطباء من جملة أنواع الماليخوليا وهى تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعى الى الفساد وقد رسموا العشق بأنه مرض وسواسى يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقال ارسطو العشق عبارة عن عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذه خاصية من خواص العشق والتحقيق ان العشق أعم من ذلك لان الرئيس أبا على بن سينا فى رسالته فى العشق ذكر أنه سار فى جميع الموجودات من الفلكيات والعنصريات والمعدنيات والنباتات والحيوانات حتى ان أرباب الرياضى ذكروا فيه الاعداد المتحابة واستدركوا ذلك على اقليدس وقالوا فاته ذلك ولم يذكره وهى المائتان والعشرون فانها عدد زائد أجزاؤه أكثر منه واذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان والمائتان والاربعة والثمانون عدد ناقص أجزاؤه أقل منه واذا جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين فكل من العددين المتحابين أجزاؤه مثل الآخر وبيان ذلك أن العدد التام هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه كانت مثله وهو ستة فان اجزاءها البسيطة الصحيحة انما هى النصف وهو ثلاثة والثلث وهو اثنان والسدس وهو واحد ومجموع ذلك ستة والعدد الناقص هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه وهو ثمانية فان أجزاءها انما هى النصف وهو أربعة والربع وهو اثنان والثمن وهو واحد ومجموع ذلك سبعة وهى أقل من العدد المذكور والعدد الزائد هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر فان له النصف وهو ستة والثلث وهو أربعة والربع وهو ثلاثة والسدس وهو اثنان ونصف السدس وهو واحد ومجموع ذلك ستة عشر وهو يزيد على الاصل الذى هو اثنا عشر فالمائتان والعشرون لها نصف وهو مائة وعشرة وربع وهو خمسة وخمسون وخمس وهو أربعة وأربعون وعشر وهو اثنان وعشرون ونصف عشر وهو أحد عشر وجزء من أحد عشر جزأ وهو عشرون وجزء من اثنين وعشرين جزأ وهو عشرة وجزء من أربعة وأربعين جزأ وهو خمسة وجزء من خمسة وخمسين جزأ وهو أربعة وجزء من مائة وعشرة أجزاء وهو اثنان

وجزء

أسر وفاء ثم أظهر غدرة
فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا أمير المومنين ان الذى أمرتنى به أنفع الامرين اليك وأقبحهما بى ولكنى أصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد فغمز عليه بالجزيرة عند ابن المقنع وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما فى بيت فقال الذين دخلوا أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفا على صاحبه الى أن عرف عبد الحميد فاخذ وسلمه السفاح الى عبد الجبار صاحب شرطته فكان يحمى له طشتا ويضعه على رأسه الى أن مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أبو جعفر المنصور يقول غلبنا بنو أمية بثلاثة أشياء بالحجاج وعبد الحميد والمؤذن البعلبكى وقيل لعبد الحميد ما الذى مكنك من البلاغة قال حفظ كلام الاصلع يعنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل له أيما أحب اليك أخوك أم صديقك قال انما أحب أخى اذا كان صديقى *وقال أكرموا الكتاب فان الله تعالى أجرى الارزاق على أيديهم *وقال العلم شجرة وثمارها الالفاظ وكان

وجزء من مائتين وعشرين جزأ وهو واحد وجملة ذلك من الاجزاء البسيطة الصحيحة مائتان وأربعة وثمانون وهى ليس لها الا نصف وهو مائة واثنان وأربعون وربع وهو أحد وسبعون وجزء من أحد وسبعين جزأ وهو أربعة وجزء من مائة واثنين وأربعين جزأ وهو اثنان وجزء من مائتين وأربعة وثمانين وهو واحد فقد ظهر بهذا المثال تحاب العددين وأصحاب الخواص يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة فى المحبة ويقولون اذا جعل هذا العدد الاقل والعدد الاكثر فى شئ من المأكول وأكل المحب الاكثر وأطعم الاقل لمن يريد محبته فان المحبوب يحبه أكثر مما كان ذلك يحبه ويجمع هذين العددين قولك فرد كرو كنت قد تخلت بهذه الفائدة أن أودعها هذا الكتاب ثم بدا لى اثباتها لما تذكرت قوله صلى الله عليه وسلم من علم علما وكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار (فان قلت) ذلك فى العلوم الدينية (قلت) والتحابب أيضا من الامور الدينية قال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا وتألف القلوب أمر مرغوب فيه وقد حض الشارع عليه الصلاة والسلام عليه ومن صرف هذا فى غير أمر شرعى فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى (رجع) قال أفلاطون العشق قوة غريزية متولدة من وساوس الطمع وأشباح التخيل نامية باتصال الهيكل الطبيعى والعشق يحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة فيكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفسانى والجنون الشوقى فيؤديانه الى الداء العضال الذى لا دواء له وقال الاسكندر العشق نور شعشعانى أوجده واجب الوجود فى اللطائف القدسية مؤلفا بين المتنافيين لبقاء سره الخفى فى تناسبها اذ التنافى مؤد الى الشتات والشتات مؤد الى الانفراد والانفراد مؤد الى الوحدة والوحدة مؤدية الى العجز والعجز مؤد الى العدم وهو مع ضيائه جار مجرى ظلمة الشهوة التى ركبها الله تعالى لبقاء معانى الاجسام اذ لا سبيل الى بقاء أعيانها وقال سقراط العشق صفة من صفات علة العلل خلطها بماء العزة وقسمها فى جميع المركبات ولم يدل عليها الا نور العقل اذ اظفر بها ظن أن هى هو فجرى تحت أوامرها صاغرا وخضع لذلك المعنى القدسى حكمة من الله تعالى لئلا تستديم امرته فينسوه عن تلك الافلاك فيستحيل جهلا بالبيان فينقطع سلك النظام فينبو عنها وقال أبو معشر العشق اتصال نبات أرضى لحظ أوجبته الكواكب الفلكية من الاجسام الطبيعية والمواليد الزمانية فى عالم الكون والفساد اذ هى فاعلة فى الطبائع اذ العالم العلوى فاعل فى العالم السفلى كما أن فلك الآدميين فاعل فى فلك الحيوان وفلك الحيوان فاعل فى فلك النبات وفلك النبات فاعل فى فلك المعادن فاستدللنا بذلك على ان سببه نجومى وقرانه زمانى وقال اقليدس العشق وفق هندسى وجزء معنوى لقى شكله فطابقه وصادف مخالفه فنافاه وذلك أن مركب الاشباح اللاهوتية والاشكال الناسوتية اقتضت حكمته سبحانه أن يكسوها كيفا وكما لتتفاضل وتتمالأ على جنوس الزمان فاى التئام وافق شخصين سمى ذلك الالتئام عشقا كتركيبك خمسة أعداد على خمسة أعداد وثمانية امثال على ثمانية امثال ولا يعتد بتنافى الالوان والاطوال فانه قد يقاوم السطح المستطيل المثلث المستدير فيعدله فى المثال وقد تزن شجاعة النحيف كثافة الجبان * وقال طمطم العشق مغناطيس روحانى أودع فى سرائر الانفس لخفائها عن الادراك لاجتذاب معانى لطائف كرائم المطبوعات المستترة فلأجل ذلك اذا سئل العاشق لم وقع منك

ابراهيم بن جبلة يكتب خطا رديئا فقال له عبد الحميد أطل جلقة قلمك وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها يصلح خطك والى هذا أشار ابن زيدون بقوله وعبد الحميد بارى أقلامك * ومن رسائله ما كتب عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه ان الله تعالى أمتع أمير المؤمنين من أنيسته وقرينته متاعا ممدة الى أجل مسمى فلما تمت له مواهب الله وعاريته قبض اليه العارية ثم أعطى أمير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها أنفس منها فى المنقلب وأرجح فى الميزان وأسنى فى العوض فالحمد لله رب العالمين وانا لله وانا اليه راجعون * وكتب موصيا بشخص يقول حق موصل كتابى اليك كحقه على اذ جعلك موضع آماله ورآنى أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فصدق أمله * وكتب يعرض بشعار بنى العباس الاسود من رسالة فرويدا حتى ينصب السيل وتمحى آية الليل * وكتب فى فتنة بعض العمال من رسالة حتى اعتبرانى حنادس جهاله ومهارى سبل ضلاله ذللا لسباقه وسلمانى قياده الى نزل من جحيم وقسلية جحيم سوى ما انتجت الحفيظة

ذلك لم يعلم حجة يبرهن بها عن نفسه كما لو سئل أعلم الخلق بعلم الطبيعة عن السبب الكامن فى الحجر الذى أوجب اجتذاب الجرم المعدنى لم يكن جوابه الا الصمت أو الخاصية هذا مع صفاء ذهنه وجودة خاطره * وقال الجنيد العشق ألفة رحمانية والهام شوقى أوجبهما كرم الله على كل ذى روح لتحصل به اللذة العظمى التى لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة وهى موجودة فى الانفس مقدرة مراتبها عند أربابها فما أحد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان أشرف المراتب فى الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم مخبر الهم عنها بصورة لفظا وأما ما ذكر من أخبار المتيمين فى مصارع العشاق وطوق الحمامة لابن حزم وغيرهما فذلك مقصور على عشق الفتيان والفتيات وما اتفق فى ذلك من غرائب الاخبار ولطائف الاشعار والذى يظهر من موت المدنف من العشاق عشقا انما هو سبب دق يعتريه بسبب سهره وتقليل طعامه وشرابه واستعمال الفكر والوساوس وقد وصف الله تعالى نفسه بالحب فقال تعالى يحبهم ويحبونه وأما العشق فلم يرد فى لسان الشرع وما أظرف قول بعض الادباء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل من شخص مخصوص وقول الاطباء يجلبه المرء الى نفسه ليس بصحيح لان الغالب فى العشاق انهم اضطروا الى محبة من يهوونه وقال الفضيل بن عياض فيما أظن لو رزقنى الله تعالى دعوة مجابة لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية وما أحسن قول أبى فراس

وكم فى الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى

يقال ان بعض العرب قال لرجل من بنى عذرة مالاحدكم يموت عشقا فى هوى امرأة ألفها وليس ذلك الاضعف نفس أو خور تجدونه فيكم يا بنى عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى وقلت أنا

والهوى لو ملكت أمرا مطاعا * فى الهوى تقتفى هداه العقول
لامرت العيون ترنو ودر الثغر يفتر والقوام يميل
ثم أدعو العذال اذ ذاك حتى * أن رأوا عندهم فضولا يقولوا

(رجع) لاحراك بهم الحركة ضد السكون يقال ما به حراك أى حركة (وينحرون) يذبحون (كرام الخيل والابل) يعنى الاصائل من هذه وتلك والخيل هنا هى الافراس والابل اسم للجمال لا واحد له من لفظه وربما قالوا ابل بسكون الباء والجمع آبال (الاعراب * يقتلن) فعل مضارع والنون نون الاناث والفعل المضارع اذا اتصلت به هذه النون أو احدى نونى التأكيد بنى ولكن على السكون ان كان المتصل نون الاناث وعلى الفتح ان كان المتصل نون التوكيد فيقال هن يقمن ولا تقعلن ولا تفعلا لان الفعل حينئذ قد ترك مع النون تركيب خمسة عشر فبنى بناءه ولهذا الوحال بين النون والفعل ألف الاثنين أو واو الجمع أو ياء الخطاب نحو هل تضربان وهل تضربن لم يحكم عليه بالبناء لتعذر الحكم عليه بالتركيب اذ لم تركب العرب ثلاثة أشياء وأصل تضربان تضربانن فاستثقلت النونات فحذفت نون الرفع تخفيفا وبقى الفعل مقدرا الاعراب * وحكى لنا الشيخ الامام نجم الدين أبو محمد الحسن ابن كمال الدين محمد القرشى الصفدى ان الشيخ تاج الدين الكندى حضرت اليه من بغداد

فتيا

فى نفسه من عوائد الحسك
وقدحت الفتنة فى قلبه من
نار الغضب مضادة لله تعالى
بالمناصبة ومبارزة لامير
المؤمنين بالمحاربة ومجاهدة
للمسلمين بالمخالفة الى ان أصبح
بفلاة قفر وهى صفر بعيدة
المناط يقطع دونها النياط
وكذلك يفعل الله بالظالمين
ويستدرجهم من حيث
لا يعلمون * وكتب من رسالة
أخرى الى أهله وهو منهزم مع
مروان أما بعد فان الله تعالى
جعل الدنيا محفوفة بالمكره
والسرور فمن ساعده الحظ فيها
سكن اليها ومن عضته
بنابها ذمها ساخطا عليها
وشكاها مستزيدا لها وقد
كانت أذاقتنا أفاويق
استحلبناها ثم جعت بنا نافرة
ورحتنا مولية فلح عذبها
وخشن لينها فأبعدتنا عن
الاوطان وفرقتنا عن
الاخوان فالدار نازحة والطير
بارحة وقد كتبت والامام
تزيدنا منكم بعدا واليكم وجدا
فان تتم البلية الى أقصى
مدتها يكن آخر العهد بكم
وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من
أظفار من يليكم نرجع اليكم
بذل الاسار والذل شر جار
نسأل الله الذى يعز من يشاء
ويذل من يشاء أن يهب لنا
ولكم الفة جامعة فى دار آمنة
تجمع سلامة الابدان
والاديان فانه رب العالمين

فتيا فى اعراب قوله تعالى فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وان جماعة من أهل دمشق خبطوا فيها وما أجابوا بشئ ونسيت هل قال لى ان الشيخ تاج الدين الكندى أجاب أولا قلت ليست هذه المسئلة مما تخفى على مثل الشيخ تاج الدين مع جلالة قدره والذى ظهر لى من اعرابها ان لا حرف نهى والنهى يجزم وهنا غير جازم لان الجزم اعراب لانه اذا دخلت نون الاناث أو احدى نونى التوكيد على المضارع بنى كما تقدم وتبعان فعل مضارع والالف ضمير الفاعلين ونون التثنية محذوفة وثبوتها دليل الاعراب وهذه الثانية ليست للتثنية وانما هى نون التأكيد الثقيلة على ان الشيخ تاج الدين الكندى كان ممتحنا بهذه السؤالات ورأيت بخط علاء الدين الكندى الوداعى ما معناه انه حضرت اليه فتيا من مصر فى قول القائل اللهم انى أسألك وخير ما سأل المعبد ربه هل ينتصب ربه أو يرتفع فكتب الجواب ينتصب وكان الشيخ علم الدين السخاوى حاضرا فرأى ما كتب وخاف أن يخرج الجواب عن الشيخ بالخطا فقال يا مولانا تثبت فى ذلك وحقق الجواب فقال له الشيخ انه النصب فقال علام رفعت خبر فقال على الابتداء فقال له أين الخبر فقطن للجواب فكتب يرتفع (رجع * أنضاء) منصوب على انه مفعول يقتلان والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع الى نساء الحى (حب) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (لاحراك) لا هذه لنفى الجنس وحراك اسمها وقد تقدم الكلام على لا واسمها فى قوله فلا صديق (بهم) جار ومجرور ولم يظهر الجر فى الضمير لانه مبنى والضمير راجع الى الانضاء والجملة من لا واسمها وما بعد ذلك فى موضع نصب صفة لانضاء كانه قال يقتلان انضاء حب غير متحركين (وينحرون) الواو عاطفة عطفت الجملة الفعلية على مثلها ينحرون فعل مضارع والواو ضمير الفاعلين يرجع الى رجال الحى والنون علامة الرفع للفعل لخلوه عن الناصب والجازم (كرام) منصوب على انه مفعول ينحرون و(الخيل) مجرور بالاضافة والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للجنس ولا بأس بالكلام هنا على أداة التعريف فأقول قال الشيخ جمال الدين بن مالك فى شرح التسهيل بعد ما رجح مذهب الخليل بن أحمد على مذهب سيبويه فان عهد مدلول مصحوبها بحضور حسى أو علمى فهى عهدية والا فجنسية ثم قال أشرت بالحضور الحسى الى حضور ما ذكر كقوله تعالى كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول والى حضور ما أبصر كقولك لمن سدد سهما القرطاس والله وبالحضور العلمى الى مثل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واذهما فى الغار واذ نادى ربه بالوادى المقدس واذ يبايعونك تحت الشجرة ثم قال وقولى والا فجنسية أى اذا لم يكن المدلول عليها بمصحوب الاداة معهودا بأحد الحضورين المبينين فالاداة جنسية فان خلفها كل دون تجوز فهى للشمول مطلقا ويستثنى من مصحوبها واذا أفرد فاعتبار لفظه فيما له من نعت وغيره أولى فان خلفها كل تجوزا فهى لشمول خصائص الجنس على سبيل المبالغة مثال التى يخلفها كل دون تجوز قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا والمراد بكون الشمول مطلقا عموم الافراد والخصائص بخلاف التى يخلفها كل على سبيل التجوز كقولك زيد الرجل بمعنى الكامل فى الرجولية الجامع لخصائصها فان هذا تجوز لاجل المبالغة ويستعملون كلا بهذا المعنى تابعا وغير تابع فيقولون زيد كل الرجل وكل الرجل زيد وحكى الفراء عن العرب اطعمنا شاة كل شاة والشمول الحقيقى هو الاصل ولذلك استغنى عن قرينة ولم يستغن الثانى عنها ومثال الاستثناء

وأرحم الراحمين * ومن كلام عبد الحميد وصيته المشهورة عند الكتاب * ومن شعره رحمه الله

ترحل ما ليس بالقافل
وأعقب ما ليس بالزائل
فلهفى لذى خلف قادم
ولهفى على سلف راحل
سأبكى على ذا وأبكى لذا
بكاء مولهة ثاكل
فتبكى من ابن لها قاطع
وتبكى على ابن لها واصل

ومنه أيضا

كفى حزنا أنى أرى من أحبه
قريبا ولا غير العيون تترجم
فاقسم لو أبصرتنا حين نلتقى
ونحن سكوت خلتنا نتكلم

(وسهل بن هرون مدون كلامك)

(هو سهل بن هرون بن راهبون) ويكنى أبا عمرو من أهل نيسابور نزل البصرة فنسب اليها ويقال انه كان شعوبيا والشعوبية فرقة تبغض العرب وتتعصب عليها للفرس وانفرد سهل فى زمانه بالبلاغة والحكمة وصنف الكتب معارضا بها كتب الاوائل حتى قيل له برزجمهر الاسلام وله اليد الطولى فى النظم والنثر وكان فى أول أمره خصيصا بالفضل بن سهل ثم قدمه الى المأمون فاعجب ببلاغته وعقله وجعله كاتبا على خزانة الحكمة وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرس

من محبوبها قوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلولا أن أداة التعريف اقتضت شمول الحقيقة والاحاطة بافرادها لم يستثن الذين آمنوا من المعرف بها وهو الانسان والاكثر فى محبوب الاحاطة وغيره موافقة اللفظ كقوله تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وموافقة المعنى دون اللفظ قليلة كقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وحكى الاخفش أهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض ومن موافقة المعنى دون اللفظ ماهو من الاحد أى من الناس وأنشدوا

وليس يظلمنى فى وصل غانية * الا كعمرو وما عمرو من الاحد

قال الجامى ولو قلت زيد ماهو ومن الانسان أصبت انتهى قلت واذا لم تخالف الالف واللام كل مثل قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى فهى لبيان الحقيقة ذكر ذلك ولده بدر الدين فى شرح الخلاصة ونبه عليه فى التسهيل والده جمال الدين ولم أقف عليه فى نسختى ولعله سقط منها النسيان الناسخ وقد تزاد الالف واللام فى معرف بدونها والزيادة تكون لازمة وعارضة فاللازمة نحو اللات والعزى ونحو الذين واللاتى فانهما معرفتان بالصلة والاداة زائدة فيهما والعارضة اما للضرورة كقوله

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

أراد بنات أوبر وهو ضرب ردى من الكمأة واما للمح الصفة كالفضل والحارث والنعمان لان الاصل التجريد وانما ادخلوها للمح الصفة فيهما وقد تزاد فى الحال مثل أرسلها العراك أى معتركة وقراءة من قرأ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وضم الراء أى ذليلا وكقول بعض العرب ادخلوا الاول فالاول أى مترتبين وقد تزاد فى التمييز كقول الشاعر

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا * صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو

أى وطبت نفسا وقد تزاد على ما يصير علما أو تغلب عليه العلمية كالبيت لمكة والمدينة لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقبة لعقبة ايلة والكتاب لكتاب سيبويه والصعق لخويلد بن نفيل والنجم للثريا الان كلا من هذه قد اشتهر اشتهارا تاما متى أطلق لفظه فهم معناه وقد تخالف الميم اللام فى التعريف فيقال امرجل ومنه الحديث ليس من امبر امصيام فى امسفر أى ليس من البر الصيام فى السفر قال الشاعر

ذاك خليلى وذو يواصلنى * يرمى ورائى بامسهم وامسلمه

وهى لغة تميم وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال فى المعين حيث قال

أرى لك وجها ان لعنتك جائزا * فأنت بتحقيق الكلام قمين
اذا كان معنى اللام والميم واحدا * برأى تميم فالمعين لعين

(رجع * والابل) الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والابل مجرور لانه عطف على مجرور والمعطوف فى حكم المعطوف عليه فكانه قال وينحرون كرام الخيل وكرام الابل وأنث الضمير فى يقتلن وذكره فى ينحرون لانه فى الاول ضمير نساء الحى وفى الثانى ضمير رجاله كما قال منهن ومنهم فى البيت الاول (المعنى) ان هذا الحى نساؤه يقتلن العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم فحالهم حركة البتة ورجاله ينحرون للاضياف كرام الخيل وكرام الابل فمعناه معنى

البيت

وذلك ان المامون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليها أحد أبدا فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوى الرأى واستشارهم فى حمل الخزانة الى المأمون فكلهم أشاروا بعدم الموافقة الا مطرانا واحدا فانه قال الرأى أن تعجل بانفاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها فارسلها اليه واغتبط بها المأمون وجعل سهل بن هرون خازنا لها فتصفحها ونسج على منوال كتب منها وصنف كتاب عفرا وثعلة فى معارضة كتاب كليله ودمنه وصنف كتابا فى مدح البخل ثم أهداه للحسن بن سهل واستماحه فكتب اليه الحسن قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبحه الله وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فانعطيك شيأ * وكان سهل من أبخل الناس وله فى البخل وغيره نوادر حسنة (حكى) الجاحظ قال لقى رجل سهل بن هرون فقال هب لى مالا ضر به عليك فقال وما هو يا اخى قال درهم قال لقد هونت الدرهم وهو طائع الله

البيت الذى تقدم وهو بليغ لانه جمع فى البيت الواحد بين مدح النساء ومدح الرجال على ماتقدم أولا وقدم الخيل لانها أشرف من الابل وقد وصف أهل هذا الحى بما هو أعلى صفات المدح لان الحسن كلما كان بارعا زاد المحب هلاكا والكرم غايته أن ينحر المضيف الخيل والابل بخلاف من ينحر مادون ذلك من الضأن والمعز وأما الضيف فقد أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه فقال ليلة الضيف حق واجب وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام ومازاد فهو صدقة ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه وفى رواية حتى يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولاشئ له يقريه به وفى رواية ان نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا وان لم يأمروا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم هذه الاحاديث متظافرة على الامر بالضيافة والاهتمام بها وعظم موقعها وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الاسلام قال الشافعى ومالك وأبو حنيفة والجمهور هى سنة وليست بواجبة وقال الليث واحمد هى واجبة يوما وليلة على أهل البادية والقرى دون أهل المدن وتأول الجمهور هذه الاحاديث وأشباهها على الاستحباب كحديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم اى متأكد الاستحباب وقالوا معنى يؤثمه يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه فى الاثم لانه قد يغتابه لطول مقامه أو يعرض له بما يؤذيه أو يظن به مالا يجوز انتهى ويحكى عن الابرش الكلبى انه كان عنده ضيف فقام ليصلح المصباح فقال له صاحب المجلس مه انه ليس من المروءة أن يستخدم الرجل ضيفه وروى أنه قال لا تتخذوا الاخوان خولا وقال بعض السلف لابن عمر بن عبد العزيز مارأيت رجلا أكرم من أبيك سهرت عنده ذات ليلة فخفق المصباح فقام اليه فاصلحه فقلت يا أمير المؤمنين هلا أمرت باصلاحه فقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز * وأما استخدام الضيف فقد حكى أن بعضهم أضاف بعض الكسالى فلما أتى باللحم قال له قطع اللحم حتى أوقد النار فقال الضيف لا أحسن ذلك فقال له نق هذا الارز الى أن أشتغل أنا بامر اللحم على النار فقال لا أحسن ذلك فلما استوى الطعام قال له مد الخوان فقال لا أحسن ذلك فقال له قم فكل فقال له والله لقد استحييت من كثرة خلافى لك وتقدم فاكل * وأما تأثيم الضيف فقد حكى عن الفرزدق أنه قيل له ما أقرب عهدك بالذنوب قال ليلة الدير قيل له ما ليلة الدير قال نزلت على دير راهبة ضيفا فاكلت عندها طعاما بلحم خنزير وشربت نبيذها وزنيت بها وسرقت كساءها عند الانصراف وخرجت وأنشدت

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

وقيل للاوزاعى ماتقول فى رجل قدم الى ضيفه الكامخ والزيتون وعنده اللحم والعسل والسمن فقال هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر والعرب قديما وحديثا ماكان لهم مايفتخرون به الا الضيف والسيف والبلاغة فكانوا يحتفلون بالضيف اذا مر بهم ويهتمون به ألا ترى الى قول مرة بن محكان السعدى يخاطب امرأته وقد نزل به ضيف

أقول والضيف مخشى ذمامته * على الكريم وحق الضيف قد وجبا
ياربة البيت قومى غير صاغرة * ضمى اليك رحال الحى والقربا

فى أرضه لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذى هو نته وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم فانصرف الرجل ولولا انصرافه لم يسكت (وحكى) دعبل الخزاعى قال أقمنا يوما عند سهل بن هرون وأطلنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بغدائه فأتى بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم فأخذ كسرة وتفقد ما فى الصحفة فلم يجد رأس الديك فبقى مطرقا ثم قال للغلام أين الرأس قال رميت به قال ولم قال لم أظنك تاكله قال ولم ظننت ذلك فوالله انى لامقت من يرمى برجله فكيف برأسه والرأس رئيس يتفاءل به وفيه الحواس الخمسة ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بصفائها المثل ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم أر عظما قط أهش من رأسه فان كان بلغ من قبلك أن لا تاكله فعندنا من يأكله أما علمت أنه خير من طرف الجناح والساق انظر أين رميته فقال والله ما أدرى قال لكنى أدرى انك رميته فى بطنك (وحكى) الجاحظ أن أبا الهذيل العلاف المتكلم

سأله رقعة يكتب بها الى
الحسن بن سهل يستعينه على
ضائقة لحقته فكتب رقعة
وختمها ودفعها اليه فاوصلها
الى الحسن فلما رآها ضحك
وأوقف عليها أبا الهذيل
واذا فيها مكتوب
ان الضمير اذا سألتك حاجة
لابى الهذيل خلاف ما أبدى
فامنحه روح الياس ثم امدد له
حبل الرجاء المخلف الوعد
حتى اذا طالت شقاوة جده
وعنائه فاجبهه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد
فيما يضر بابلغ الجهد
ثم قال الحسن هذه صفته
لا صفتنا وأمر لابى الهذيل
بمال فعاد اليه فعاتبه فقال
سهل ترى أين عزب عنك
الفهم أما سمعت قولى ان
الضمير خلاف ما أبدى فلو لم
يكن ضميرى الخير ما قلت
هذا وهذه من مغالطات سهل
وبلاغته وستأتى فى ترجمة
الجاحظ حكاية مثل هذه
*ومن محاسن تعريضات
سهل انه خاطب بعض الامراء
فقال له كذبت فقال أيها
الامير ان وجه الكذاب
لا يقابلك يعنى الامير بذلك
لان وجه الانسان لا يقابله
ويروى ان المأمون كان قد
انحرف عن سهل الى ان دخل
عليه يوما فقال يا أمير
المؤمنين انك ظلمتنى وظلمت
فلانا الكاتب فقال ويلك

فى ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

أندية هنا أراد به جمع ندى فهو شاذ عن القياس لان القاعدة فى جمع المقصور أن يكون على أفعال مثل حشى وأحشاء وقفا وأقفاء وطلا وأطلاء وفى الممدود أن يكون على أفعلة مثل غطاء وأغطية وهواء وأهوية لما فى الجو ورشاء وأرشية فثبت أن ندى جمعه أندية وتأوله بعضهم فقال أندية جمع نادو هو المجلس يعنى أنهم كانوا يجلسون فى الاندية يصطلون وليس بشئ لان سياق الكلام يدل على انه أراد جمع ندى لا نادو يظهر هذا لمن له ذوق * وذكرت بالابيات هنا ما حكاه لى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى قال اجتمع تاج الدين بن الاثير وفخر الدين بن لقمان فى بعض البيا كير فى ليلة مظلمة على تل العجوز وكان لابن لقمان مملوك يدعى الطنب فجعل يدعوه باسمه والطنب يجيبه وهو لا يراه لشدة الظلمة فيكرر نداءه ويقول أين أنت يا طنب فانى لا أراك فقال تاج الدين بن الاثير

فى ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

وهذا من لطيف الاستشهاد وحسنه وقال ابن سناء الملك من قصيدة مدح بها القاضى الفاضل

واذا سألت من الكريم فانه * عبد الرحيم لانه مولى الورى
يختار أن يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
يقرى الضيوف شعاع تبر أحمر * فشعاع ذاك التبر نيران القرى

وتعنت ابن جبارة عليه فى هذه الابيات فما قال فى هذا الثالث ألم أو لا بقول ابن عمار

قدح زناد المجد لا ينفك من * نار الوغى الا الى نار القرى

وزاحم فيه أبا الطيب فى قوله

تركت دخان الرمث فى أوطانها * طلبا لقوم يوقدون العنبرا

وقوله * يقرى الضيوف شعاع تبر أحمر * والتبر لا يكون الا كذلك وانما قصد المبالغة وشبه ذلك بشعاع النار التى توقد على اليفاع ليهتدى بها الحيران وتهتدى الى موضعها الضيفان وقد جعله يدفع الى الضيوف صلة الانعام ويمنعهم من الطعام وكم من ضيف يمتنع من أخذ ذلك ويعده عيبا شنيعا (قلت) هذا تعنت زائد وليس للبيت علاقة بما قاله ابن عمار ولا بقول أبى الطيب نعم لو قال نظر الى قول أبى الطيب

وملأت نحر عشارها فأضافنى * من نحر البدر النضار لمن قرى

لكان فيه بعض سرقة وأما قوله التبر لا يكون الا أحمر لا نسلم له هذه الدعوى لان التبر ما كان من الذهب غير مضروب والشاعر هنا ما أراد الا الذهب المضروب ولكنه قال تبرا مجازا والذهب منه ما يكون أحمر ومنه ما يكون أخضر ومنه ما يكون أصفر وهذا أمر يشاهده الحس ولولا أن ذلك لازم لما قيل فى بعض المواطن الذهب الاحمر كما يقال الثلج الابيض وما بقى له من النقد عليه الا قوله ان الاضياف فيهم من لا يقبل الانعام وهذا نقد حسن فان الضيف قد يكون أكبر قدرا ممن أضافه وأجل نعمة وأشرف همة ولا كذلك العفاة فانهم لا يكونون الا دون من يسئلونه ويستعطونه فلو قال يقرى العفاة لزال الايراد مع ان فيه نظرا من اثبات القرى ويمكن أن يجاب بأنه خصص هذا القرى بالاضياف الذين يسئلونه ويستعطونه وما

أحسن ما نقلته من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر من نظمه

سلفتنا على العقول السلافه * فتقاضت ديونها بلطافه
ضيفتنا بالبشر والنشر واليسـ ـر ألا هكذا تكون الضيافه

قوله بالبشر بالباء ويعني ابتسامها بالحباب وما أحلى قول صدر الدين بن الوكيل

وان أقطب وجهي حين تبسم لي * فعند بسط الموالي يحفظ الادب

وقول عز الدين بن أبي الحديد

لا تلقها الا ببشـ ـر فالقطوب من الدنس
ما أنصف الكاسات من * ضحكت اليه وقد عبس

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدني لنفسه الشيخ شرف الدين محمد بن موسى المقدسي

اليـوم يوم سرور لا شرور به * فزوج ابن سحاب بابنة العنب
ما أنصف الكاس من أبدى القطوب لها * وثغرها باسم عن لؤلؤ الحبب

ومن هذه المادة قول ابن قلاقس

لا تقتـلاها بالمزا * ج غداة أشربها شفاها
ما في المـروءة أنها * تحيي السرور وتقتلاها

وقول محيي الدين بن قرناص

قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها يا مالكي * تأتيك باسمة وأنت تعبس

وما أحسن قول ابن رشيق

أحب أخي وان أعرضت عنه * وقل على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطيب راض * كما قطبت في وجه المدام
ورب تقطب من غير بغض * وبغض كامن تحت ابتسام

وقول الشيخ صدر الدين * فعند بسط الموالي يحفظ الادب * ينظر الى قول أبي الطيب

ان يقبح الحسن الاعند طلعته * فالعبد يقبح الاعند سيده

وتكلم ابن جني على هذا البيت ومثله بقول الآخر

واذا الدرز ان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

وليس منه وأما قول محيي الدين بن عبد الظاهر بالنشر بالنون يعني به نكهتها كما قال أبو نواس

فتنفست في البيت اذ خرجت * كتنفس الريحان في الانف

وقوله واليسر بالياء والسين يريد أن شاربها يزول همه وتبسط آماله قال بعض الاعراب

واذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحـوت فانني * رب الشويهة والبعير

وما أحسن قول النصير الحمامي

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالفرح
عندي خمر ذهب * أكتاله بالقدح

وكيف قال رفعته فوق قدره
و وضعتني دون قدري الا
انك له في ذلك أشد ظلما قال
كيف قال لانك أقمته مقام
هزؤوا فتى مقام رحمة فضحك
المأمون وقال قاتلك الله
ما أهجاك ورضي عنه وقد
رويت هذه الحكاية لغيره
(وحكي) عن سبب رضا
المأمون عنه انه تكلم بكلام
حسن في محفل فقام سهل
وقال مالكم تسمعون ولا
تعون ولا تعجبون اما والله انه
ليقول و يفعل في اليوم
القصير مثل ما قالت وفعلت
بنو مروان في الدهر الطويل

لايخفى حسن هذا النظم ولطف هذا المعنى وقول ابن قلاقس

فظلت بالكاس أغنى الناس كلهم * فالخمر من عسجد والماء من ورق

وما أحسن قول القاضي الفاضل

لها من تصفو على الشرب أربع * وواحدة لولا سماحتها تكفي
سرور الى قلب وتبر الى يد * ونور الى عين وعطر الى أنف
ولما رأينا ياسمين حبابها * مددنا يمين القطف قبل فم الرشف

وما أحسن ماقال ابن المعتز

شربت الراح في الحانات صرفا * لها أرج يجل عن الصفات
عجبت لعاصريها كيف ماتوا * وقد عصروا لنا ماء الحياة

فاعجب المأمون قوله ورضى عنه * ومن كلامه يعزي التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة * وقال في المعنى مصيبة في غيرك لك ثوابها خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها وقال حق على كل ذي مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما يبدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكتب الى صديق له أبل من ضعف بلغني خبر الفترة في المامها وانحسارها والشكاة في حلولها وارتحالها فكاد يشغل القلق باوله عن

* (يشفي لديغ العوالي في بيوتهم * بنهلة من غدير الخمر والعسل) *

(اللغة) لدغته العقرب تلدغه لدغا وتلداغا فهو ملدوغ ولديغ ويقال لدغه بكلمة أي قرعه بها فالدغ للعقرب حقيقة وفي غيرها مجاز (العوالي) الرماح وقال صاحب الكفاية العامل ماتحت السنان الى مقدار ذراعين ثم العالية وجمعها عوال (بنهلة) النهلة الشربة الواحدة والمنهل المورد وهو الماء ترده الابل والشربة الثانية يقال لها العلل (الغدير) القطعة من الماء يغادرها السيل وهو فعيل بمعنى مفاعل من غادره أو مفعل من أغدره وقيل بمعنى فاعل لانه يغدر بأهله عند الحاجة اليه قال الكميت

ومن غدره نبر الاولون * بأن لقبوه الغدير الغديرا

(الخمر) معروف وهي ماخامر العقل وانما سميت خمرا لانها تركت فاختمرت أي تغيرت ريحها (والعسل) يذكر ويؤنث تقول منه عسلت الطعام أعسله وأعسله بالضم والكسر اذا عملته بالعسل والعسل مجاج النحل (الاعراب * يشفي) فعل مضارع مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام عليه في قوله كالسيف عرى متناه ويكتب بالياء لانه من شفيت (لديغ) مرفوع على أنه مفعول لما لم يسم فاعله وهو هنا بمعنى مفعول وهو كثير في كلامهم ومنه قتيل بمعنى مقتول وجريح وطريد ومسيح في أحد الاقوال (العوالي) جمع عالية وهو في موضع جر بالاضافة والجر فيه مقدر لانه منقوص لا يظهر فيه اعراب غير النصب تقول هذه عوال ومررت بعوال ورأيت عوالي (في بيوتهم) جار ومجرور والضمير يعود الى رجال الحي وهو في موضع جر بالاضافة وفي هنا للظرف المكاني وتتعلق بلديغ (بنهلة) الباء هنا للاستعانة والجار والمجرور متعلق بيشفي ويصح أن يكون حالا تقديره يشفي اللديغ في بيوتهم ناهلا (من غدير) من هنا لبيان الجنس وتكون للتبعيض وغدير هنا بمعنى مفعول لانه يغادر من السيل في الاودية و (الخمر) مجرور بالاضافة الى غدير والاضافة بمعنى اللام (والعسل) معطوف عليه والالف واللام هنا للجنس (المعنى) ان هؤلاء القوم من وصفهم أن لديغ العوالي الذي طعن يشفي بشربة واحدة من غدير الخمر والعسل وقوله بشربة من غدير الخمر والعسل كناية عن رشف رضاب الفتيات اللاتي تقدم ذكرهن فشبه ريقهن بالخمر والعسل والالوجل على حقيقته كذبه الحس لان الذي يطعن بالرمح لا يشفي بشرب العسل ولا الخمر فما بقي الا رد ذلك بالتأويل الى ماذكرته * واعلم ان للشعراء ألفاظا صارت بينهم حقائق عرفية وان كانت في الاصل مجازا لكثرة

دورها فى كلامهم وتعاطيهم استعمالها لانهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم من ذلك الغصن اذا أطلقوه فهم منه القوام والكثيب اذا أطلقوه فهم منه الردف والورد اذا أطلقوه فهم منه الوجنة والاقاح اذا أطلقوه فهم منه الثغر والراح اذا أطلقوه فهم منه الريق والنرجس اذا أطلقوه فهم منه العيون وكذلك السيف والسهم والسحر واذا أطلقوا الآس أو البنفسج أو الريحان فهم منه العذار فكل هذه الاشياء انتقلت عن وضعها الاصلى وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح الى هذه الاشياء قال أبو نواس

ياقمرا أبصرت فى مأتم * يندب شجوا بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وقال ابن المعتز فيما أظن

ومهفهف ألحاظه وعذاره * يتعاضدان على قتال الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقال ابن اسرائيل

وأسمر عسجدى اللون تحكى * معاطف قده سمر العوالى
يدير على الشقيق عذار آس * ويبسم بالعقيق عن اللآلى

قلت وقال لثام آس لكان أصنع وأحسن وقال الجلال الصفار

ما برحت يوم وداعى لها * تضمنى ضمة مستأنس
حتى تثنى الغصن فوق النقا * وانتثر الطل على النرجس

وقال آخر

وليلة بتها من نغر حبى * ومن كاسى الى فلق الصباح
أقبل أقحوانا فى شقيق * وأشرب بها شقيقا فى اقاح

وهو مأخوذ من قول المطوعى

ومعشوق الشمائل قام يسعى * وفى يده رحيق كالحريق
فأسقانى عقيقا حشو در * ونقلنى بدر فى عقيق

وقال ابن النبيه

رضا بك راحى آس صدغك ريحانى * شقيقى جنى خديك جيدك سوسانى
وبين النقا والرمل تهتز بانة * لها ثمر من جلنار ورمان

وذكر الطغرائى الشفاء بالخمر والعسل لوجهين * الاول ما جاء فى الخمر من قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس قال أصحاب التفسير ان العرب كانت اذا غلبت فى الميسر تتصدق بكل ما خرج لها على الفقراء والمحتاجين ويعيبون على من لا يفعل ذلك منهم ويسمونه البرم وما رأيت من تكلم على قداح الميسر وأسمائها وأحكامها مثل علم الدين السخاوى فى كتابه سفر السعادة * ومذهب الشافعى أن التداوى بالخمر لا يجوز تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها ولم يرخص الا للشرق اذا غص باللقمة فله أن يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد ماء فى الوقت وخاف الهلاك واذا كان التداوى بها عنده لا يجوز فمنع استعمالها للطرب واللذة بالطريق الاولى ولا فرق فى

السكون لآخره وتدهل الحيرة فى ابتدائه عن المسرة فى انتهائه وكان تغيرى فى الحالين بقدرهما ارتياعا للاولى وارتياحا للاخرى وكتب لآخر أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذى ودضنين بك فى غير مقالية لك ولا سلوة عنك بل استسلام للبلوى فى امرك واقرار بالعجز عن استعظافك الى أوان فيئتك أو يجعل الله لنا دولة من رمقك * وقال يفضل الزجاج على الذهب فى رسالة الزجاج مجلو نورى والذهب متاع سائر والشراب فى الزجاج

مذهبه بين قليلها وكثيرها وبين عصير العنب وغيره من المسكرات لانه قال كل شراب مسكر حرام * وقال أبو حنيفة الخمر عبارة عن عصير العنب المشتد الذى قذف بالزبد وحجة الشافعى ماروى أبو داود فى سننه عن الشعبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهى خمسة من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة والخمر ماخامر العقل وقد روى أبو داود فى سننه من هذا النوع جملة عن نافع عن ابن عمر وعن عائشة وعن جابر وعن القاسم وعن شهر ابن حوشب عن أم سلمة رضى الله عنهم ولا شك أن ابن عمر رضى الله عنه كان عالما باللغة وبالمراد من الآية لما نزلت وقد قال نزل تحريم الخمر يوم نزل الخ وهو صريح فى تناول الحرمة للانواع الخمسة وحجة أبى حنيفة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب الآية قال منّ الله تعالى باتخاذ السكر والرزق الحسن والمنة لا تكون الا بمباح ورواية ابن عباس قال لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم السقاية عام حجة الوداع استند اليها وقال اسقونى فقال العباس ألا نسقيك مما ننبذه فى بيوتنا فقال ماسقى الناس فجاءه بقدح من نبيذ فشمه وقطب وجهه ورده فقال العباس يارسول الله أفسدت على أهل مكة شرابهم فقال ردوا على القدح فرددناه عليه فدعا بماء من زمزم فصب عليه وشرب وقال اذا اغتلمت عليكم هذه الاشربة فاقطعوا متونها بالماء قال والتقطيب لا يكون الا من الشديد والجواب أن آية السكر والرزق الحسن نزلت قبل الآيات الدالة على الحرمة فهى اما ناسخة أو مخصصة وأما الحديث فلعل ذلك النبيذ كان ماء نبذت فيه تمرات يسيرة ليحلو طعمه وأما التقطيب فلانه صلى الله عليه وسلم كان فى غاية اللطافة فلم يحتمل طبعه الكريم ذلك الطعم وكل فقهاء الكوفة أفتوا بشرب النبيذ وأما الخمر فلا وقد قال بعض أصحاب أبى حنيفة لأن أقول فى النبيذ مرارا كثيرة هو حلال خير لى من أن أشرب منه قطرة مرة واحدة هو حرام ولأن أخر من السماء فتقطعنى الرياح خير لى من أن أشرب منه قطرة (قلت) الاول قول بما أدى اليه اجتهاده والثانى تورع منه رضى الله عنه وقد ظرف من قال

لعمرك ماشربت الراح جهلا * ولكن بالادلة والفتاوى
فانى قد مرضت بداء هم * فاشربها حلالا للتداوى

والثانى ماجاء فى قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس قال مجاهد المراد بقوله فيه شفاء للناس القرآن والصحيح أن المراد به العسل لان الضمير يعود الى أقرب مذكور وهو الشراب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم صدق الله على قوله تعالى فيه شفاء للناس وقوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن أخيك على أنه علم بنور الوحى أن ذلك العسل سيظهر نفعه فاما لم يظهر فى الحال كان على بينة من شفائه فقال كذب بطن أخيك وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه انه كان لا يشكو شيأ الا تداوى بالعسل حتى انه كان يدهن به الدمل والقرصة ويقرأ فيه شفاء للناس فان قيل كيف يكون العسل فيه شفاء للناس وهو مضر بالصفراء مهيج للمرة

أحسن منه فى كل معدن ولا يفقد منه وجه النديم ولا يثقل اليد ولا يرتفع فى السوم واسم الذهب يتطير منه ومن لؤمه سرعته الى اللئام وهو فاتن فاتك لمن صانه وهو أيضا من مصايد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران والزجاج لا يحمل الوضر ولا يداخله الغمر ومتى غسل بالماء وحده عاد جديدا وهو أشبه شئ بالماء وصفته عجيبة وصناعته أعجب من رسالة طويلة وكان سبب قوله لها أن شدادا الحارثى كان قد

(فالجواب)

(فالجواب) أنه تعالى لم يقل فيه شفاء لكل الناس بل قال شفاء للناس ويكفي فيه أن كل معجون مركب لم يكن تمامه الا بالعسل والاشربة المتخذة منه للامراض البلغمية عظيمة النفع فقد حصل فيه شفاء للناس وذهب قوم من أهل الجهالة الى أن المراد بهذه الآية أهل البيت وبنوهاشم وأنهم النحل وأن الشراب القرآن والحكمة وذكر هذا بعضهم في مجلس ابي جعفر المنصور فقال رجل من الحاضرين جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فأضحك من في المجلس * وأخبرني الشيخ الامام الحافظ علاء الدين مغلطاي شيخ الحديث بالمدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة قال جاء رجل الى الشيخ شهاب الدين الحنبلي صاحب التعبير فقال له رأيت في منامي كأن قائلا يقول لي اشرب شراب الهكاري فقال له أيوجعك فؤادك قال نعم قال اذهب فاشرب عسلا تبر أباذن الله تعالى فقيل له من أين لك هذا قال لاني فكرت فلم أعرف شرابا منسوبا الى الهكاري فرجعت الى الحروف فوجدتها شراب الهك أرى والارى هو العسل وتذكرت حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فعلمت أن فؤاده يوجعه فوصفت له العسل (قلت) وقد حكى لي غير واحد من الثقات عن الشيخ شهاب الدين المذكور غرائب كهذه المادة لم تسمع عن غيره من المعبرين الغابرين (رجع) وهذا المعنى الذي في بيت الطغرائي لطيف كأنه يقول ان الذي يطعن بالرماح متى ارتشف شربة واحدة من ريق هذه الفتيات اللاتي في الحي شفي وذهب عنه الالم اما بلذة يجدها في رشف ريقهن واما بالخاصية التي في العسل والمعنى الاول أغزل وأشعر وقد اشتهر تشبيه الريق عند الشعراء بالراح والعسل قال عرقلة

بابي اللحاظ في كل عضو * لي من قوس حاجبيه سهام
حرموا ريقه علي ولكن * صدق الشرع ما تحل المدام

وقال أبو اسحق الصابي

بابي مبسم اذا لاح أهدى * بردا ينقع الجوانح بردا
شهد اللثم صادقا وهو عدل * أن في ثغره رحيقا وشهدا

وقال حرملة بن مقاتل

وماضرب في رأس صعب مرد * بثيهانة يستنزل العصم نيقها
بأطيب من فيها لمن ذاق طعمه * وقد جف بعد النوم للصب ريقها
اذا اعتلت الافواه واستمكن الكرى * وقد حان من نجم الثريا خفوقها
وماذقت فاها غير حال رجوته * ألا رب راج شربة لا يذوقها

وأول من فتح الباب في هذا المعنى النابغة الذبياني حيث قال يصف المتجردة امرأة النعمان

تجلو بقادمتي حمامة ايكة * بردا أشف لثاته بالاثمد
كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى
زعم الهمام ولم أذقه بأنه * يشفي بريا ريقها العطش الصدى

وتزاحم الناس بعد النابغة على هذا الباب أفواجا ووردوه عذبا فراتا لا ملحا أجاجا وما أحسن قول بعضهم

وعندي من معاطفها حديث * يخبر أن ريقتها مدام

وصف الذهب فاطنب وكان النظام قد ذم الزجاج * وقال تعلموا العلم فلان يذم الزمان لكم خير من أن يذم بكم وقال يوما ثلاثة من الجانين الغضبان والغير ان والسكران فقال شخص من العوام فما تقول في المنغط فضحك حتى استلقى وأنشد يقول

وماشر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا

ومن كلامه في كتاب عفراء وثعلة اجعلوا أداءما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذي تجودون به من

وفى ألحاظها السكرى دليل * وماذقنا ولازعم الهمام

وقال المتوكل الليثى

كأن مدامة صهباء صرفا * ترقرق بين راووق ودن
تعلل به الثنايا من سليمى * فراسة مقلتى وصحيح ظنى

وقال ابن صعترة البولانى

فما نطفة من حب مزن تقاذفت * به جنبتا الوادى والليل دامس
فلما أقرته الصباء تنفست * شمال لأعلى مائه فهو قارس
بأطيب من فيها وماذقت طعمه * ولكننى فيما ترى العين فارس

وقال امرؤ القيس

وثغر لها طيب واضح * لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظنى به * وما الظن يقضى على ما كتم

وقال ابن الرومى من أبيات

وماذقته الا بشيم ابتسامها * وكم مخبر يدنيه للعين منظر
بدالى وميض شاهد أن صوبه * عريض وماعندى سوى ذاك مخبر

ومما أورده صاحب الاغانى فى أخبار مجنون ليلى ثم قال انهما لنصيب قوله

كأن على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى من آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى أعلى السحابة بارق

وقال بشار بن برد

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * عودى ولا تجعليها بيضة الديك

وقال التهامى

وأقسم ما مشعشة شمول * ثوت فى الدن عاما بعد عام
اذا ما شارب القوم احتساها * أحس لها دبيبا فى العظام
بأطيب من مجاجتهن طعما * اذا استيقظن من سنة المنام
ولم أشهد لهن جنى ولكن * شهدن بذاك أعواد البشام

وقال ابن حديس

وما قهوة خالطت مسكة * فبينهما للاريج اشتراك
بأطيب منها جنى نكهة * وقد كز الليل رمح السماك
وماذقت فاها ولكننى * نقلت شهادة عود الاراك

وقال البهاء زهير

فتنت به حلوا مليحا فحدثوا * بأعجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندى بطيبه * ولم أر عدلا وهو سكران يطفح

وقال ابن الساعاتى

وبى زائر تكبو المنى دون وصله * ويعثر جارى الدمع فى ليل صده

تفضلكم فان تقديم النافلة مع الابطاء فى أداء الفريضة شاهد على وهن العقيدة وتقصير الروية ومضر بالتدبير ومخل بالاختيار وليس فى نفع تحمده عوض من فساد المروءة ولزوم النقيصة

ومن شعره قوله

ان كنت أخطأت أو اسأت ففى
عفوك مأوى للفضل والمنن
أتيت ما أستحق من خطا
فجد بما تستحق من حسن

ومنه

أعان طرفى على جسمى وأعضائى
بنظرة وقفت جسمى على دائى

يخبر عن لثم السلاف لثامه * وتشهد أطراف الاراك بشهده

وقال أيضا

ضاهى مقبله فريد عقوده * فى منعه وضيائه ونظامه
أبدا يشتت لوعتى تشتيته * ويزيدنى ظمأ مدار مدامه
كالمسك نشر او السلاف مذاقة * والقول مثل اراكه وبشامه

وقال أيضا

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال أيضا

حددت بجفنيها على رشف ريقها * ومن شرب الصهباء يلزم بالحد
فيا قلب صبرا عن شهى رضابها * فان وحى السم من ذلك الشهد

(قلت) فى هذه المقاطيع الثلاث نظر أما قوله أبدا يشتت لوعتى تشتيته فانه خطأ لان اللوعة اذا تشتت تفرقت أجزاؤها وضعفت وليس هذا من شكوى المحبة فى شئ وكان الاليق أن يقول أبدا يجمع لوعتى أو يضم صبابتى ولكن الجناس أذهله وأما قوله فأباحنى رضوانها المرجو شرب المسكر فهو أيضا خطأ لان خمور الجنة منزهة عن السكر بل هى لذة للشاربين وفسر قوله تعالى لا فيها غول بان معناه لا تغتال العقل بالسكر كخمور الدنيا وأما قوله حددت بجفنيها الى آخره ففيه عيبان الاول من جهة المعنى فان قوله حددت بجفنيها لا معنى له لانه ان كان قد أراد الحد الذى يقام على السكر فبعيد أن تستعار السياط للجفون ولم يستعرها الا السيوف أو السهام ومن أين يفهم عدد الثمانين وما أحلى قول القائل

شربت من أكؤس خمر الصبا * فحدك الدهر ثمانينا

وان كان قد أراد الحد لغة وهو المنع فاللنصف الثانى من البيت تعلق بالاول لانه قال ومن شرب الصهباء يلزم بالحد * فدل على انه يريد اقامة الحد والثانى انه لم يجزم جواب الشرط فى يلزم وان كان قد جاء فى الضرورة ولكن الافصح الجزم (وقلت) أنا فى معنى قول النابغة

تبسم فارتحت من سكرتى * وقلت هنا القرقف المنتخب
وما ذقت فاه ولكننى * حكمت على ثغره بالحبب

وقال سعد الدين محمد بن عربى

سبانى ثغر منك كالدر نظمه * فيا من رأى درا يشبه بالدر
أشاهد ريقا منك كالشهد طعمه * وما ذقته يوما ولكننى أدرى

وما أحلى قول ناصر الدين حسن بن النقيب

قالوا فلان يصوغ كذبا * يكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لى * لو أنه صادق الحلاوه

ونقله المولى جمال الدين محمد بن نباتة فقال

ان جادلى هاجرى بوعد * كالشهد فى الطيب والطلاوه
فلا تكذب حديث فيه * فانه صادق الحلاوه

وكنت غرا بما تجنى على يدى
لاعلم لى أن بعض بعض أعدائى

وقوله يهجو رجلا

من كان يعمر ما شادت أوائله
فانت تهدم ما شادوا وما سمكوا
ما كان فى الحق أن تابى فعالهم
وأنت تحوى من الميراث ما تركوا

وقوله

تكنفنى هموم قد كسفنا بالى
وقد تركا قلبى محلة بلبالى
هما أجريا دمعى ولم تدر أدمعى
ربيبة خدر ذات سمط وخلخال

وقلت فى المعانى المتقدمة

علم الوشاة بأن ريق معذبى * راح تعيد الصب بعد هلاكه
اما أنالم يهد هذا من فى * لكن هذا من فضول سواكه

وقلت أيضا

بت من ورد خده * وماه المعطر
بين ورد مفتح * وشراب مسكر

وقلت أيضا

يا آمرى بالصبر عمن شفنى * سقما وفى فيه شفاء غليلى
من يستطيع الصبر أو يرضى به * عن مثل ذاك المرشف المعسول

وقلت أيضا

لاتلح قلب الشجى تقابل * معروف أهل الهوى بمنكر
فلو ترشفت ريق فيه * كنت يقينا ياصاح تسكر

وقلت أيضا

يا قلب ان زاد الظما * فاقصد مراشفه الشهيه
انى لأعرف منهلا * يشفى الجوى خلف الثنيه

وقلت أيضا

وغزال غزا فؤادى بسهم * وسنان من طرفه الوسنان
كم سقانى من ثغره كاس خمر * فرشفت السلاف من أقحوان

ولكنما أبكى بعين سخينة
على خلل تبكى له عين أمثالى
فراق خليل فقده يورث
الاسى
وخلة حر لا يقوم لها بالى
فواحر باحشى منى أنا موجع
بفقد حبيب أو تعذر أفعالى

وقوله

اذا امرؤ ضاق عنى لم يضق
خلقى
من أن يرانى غنيا عنه بالياس
لا أطلب المال كى أغنى بفضلته
ما كان مطلبه فقرا الى الناس

(تم الجزء الاوّل ويليه الجزء الثانى أوّله قول الطغرائى لعل المامة الخ)

DATE DUE

HASSAN Abdel
Hadi ESSA
A.S Cr.

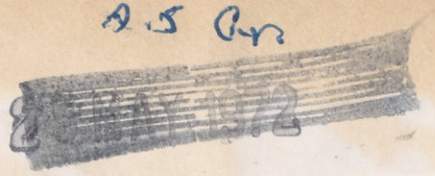

A. Sulaiman (Faculty)

JUN 1 1975

PJ
7755
T8
L337
1887
v.1

الصفدى، خليل بن ايبك.
هذا كتاب الغيث المسجم فى
شرح لامية العجم.

PJ
7755
T8
L337
1887
v.1

الصفدى، خليل بن ايبك.
هذا كتاب الغيث المسجم فى
شرح لامية العجم.

v.1	NAME	STATUS

PJ
7755
T8
L337
1887
v.1

-- MAR 1972

8,12670212
1411592x